

الجواب الصحيح لمَن بَدَّلَ دِينَ الْمَسِيحِ

لشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ تَقِيٍّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ
ابْنِ شَيْمَةَ الْحَرَّافِ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٨ هـ

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ

د. عَلِيٌّ بْنُ حُسَيْنٍ نَاصِرٍ

د. حَمْدَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمْدَانِ

د. عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْعَسْكَرِ

المجلد الرابع

دَارُ الْعِبَادَةِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِينِ

الْجَوَابُ الْمَحْبُوبُ
لَمَنْ بَدَّلَ دِينَ الْمَسِيحِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

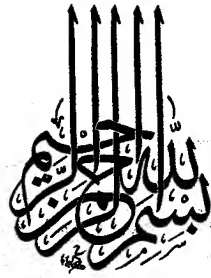
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

وللإعلام

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤



فصل

قالوا: وأما تجسم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء، وتجسدها بإنسان مخلوق، وهو الذي أخذ من مريم العذراء المصطفاة، التي فضلت على نساء العالمين واتحدت الكلمة به اتحاداً برياً من اختلاط أو تغير أو استحالة^(١) وخاطب الناس، كما خاطب الله موسى النبي من العوسجة، ففعل المعجز بلاهوته، وأظهر العجز^(٢) بناسوته، والفعالان هما من المسيح الواحد.

تفسيرهم لتجسم كلمة الله بالمسيح، وأنه اتحاد بري من الاختلاط ونحوه، والجواب عن ذلك

والجواب: إن في هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض أموراً كثيرة، وذلك يظهر بوجوه:

الأول: أن قولهم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء كلام متناقض، فإن الخالق هو الإله الخالق، وهو خلق الأشياء بكلامه، وهو قوله: (كن)، فالخالق لم يخلق به الأشياء، بل هو خلقها والكلام الذي به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها، بل خلق الخالق الأشياء، والفرق بين الخالق والمخلوق، وبين ما به خلق الخالق معقول.

وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذي به خلقت المخلوقات، فجعلوا الكلمة هي الخالق، وجعلوا المخلوقات خلقت بها.

(١) اختلاط أو تغير أو استحالة) هذه العبارة كتبت هكذا في جميع النسخ، ولكن في نظري لا يستقيم الكلام إلا إذا زيد فيه كلمة (غير) ليصبح كالآتي: (من غير اختلاط أو تغير أو استحالة).

(٢) في أ (المعجز) بدلاً من (العجز).

وإيضاح هذا أن الكلمة إن كانت مجرد الصفة، فإن الصفة^(١) ليست خالقة، وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق، ليس هذا هو المخلوق به.

والثاني: قولهم: تجسدها بإنسان مخلوق، وقولهم: تجسم كلمة الله، فإن قولهم تجسمت وتجسدت يقتضي أن الكلمة صارت جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق، وذلك يقتضي انقلابها جسداً وجسماً، وهذا يقتضي استحالتها وتغيرها، وهم قالوا: اتحاداً بريئاً من تغير واستحالة.

الثالث: قولهم: اتحدت الكلمة به اتحاداً بريئاً من اختلاط أو تغير^(٢) أو استحالة، كلام متناقض أيضاً، فإن الاتحاد يصير الاثنين واحداً، فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرًا والناسوت جوهرًا آخر.

وإن شئت قلت: كان هذا شيئاً وهذا شيئاً، أو هذا عيناً قائمة بنفسها، وهذا عيناً قائمة بنفسها^(٣)، فبعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحداً، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد، بل هما متعددان كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما، فالآخر قد عدم وهذا عدم لأحدهما لا اتحاده، وإن كان هذا الذي صار واحداً ليس هو أحدهما، فلا بد من تغييرهما واستحالتهما، وإلا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد.

فإذا قيل: اتحد اتحاداً بريئاً من اختلاط أو تغير أو استحالة، كان

(١) في أ، س (فالصفة) بدلاً من (فإن الصفة).

(٢) في أ (تغيير) بدلاً من (تغير).

(٣) (وهذا عيناً قائمة بنفسها) ساقطة من س.

هذا كلاماً متناقضاً، ينقض بعضه بعضاً، فإن هذا إنما يكون مع التمدد والمباينة، لا مع الاتحاد. يوضح^(١) ذلك أنه إذا اتحد الماء واللبن، أو الماء^(٢) والخمر، ونحو ذلك كان الحاصل من اتحادهما شيئاً ثالثاً ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً، بل هو نوع ثالث، وكل من من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول.

ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضع، وكثر اختلافهم، وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله، ويقول هو قولاً يكون مردوداً، فكانت أقوالهم كلها باطلة مردودة، إذ كانوا قد اشتروا في أصل فاسد يستلزم أحد أمور كلها باطلة، فأى شيء أخذ من تلك اللوازم كان باطلاً، ولا بد له منها فيأخذ هذا بعض اللوازم فيرده الآخر، ويأخذ الآخر لازماً آخر فيرده الآخر.

وهذا شأن جميع المقالات الباطلة، إذا اشترك فيها طائفة لزمها لوازم باطلة، وفساد اللازم يدل على فساد^(٣) الملزوم، فإنه إذا تحقق الملزوم تحقق اللازم، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وهذا يتبين بالوجه الرابع: وهو أن يقال: كثير من النصارى يقول: إنهما^(٤) بعد الاتحاد جوهر واحد، وطبيعة واحدة ومشئة واحدة، وهذا القول يضاف إلى اليعقوبية.

ويقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، كما يختلط الماء واللبن، والماء، والخمر، وهذا القول هو حقيقة الاتحاد، لا يعقل

(١) في أ (ويوضح) بزيادة الواو.

(٢) في أ، ط (والماء) بدلاً من (أو الماء).

(٣) (فساد) ساقطة من ط .

(٤) في ط (إنهما) بدلاً من (إنهما).

الاتحاد إلا هكذا، لكن فساد ظاهر لعقول الناس، فإذا^(١) كان هذا لازماً^(٢) لقول النصارى، وفساده ظاهراً، كان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم، فإن حقيقة هذا القول أن الذي كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط، والذي ضرب وبصق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه هو رب العالمين.

ونفس تصور هذا القول مما يوجب العلم ببطلانه وتنزيه الله عن ذلك، وأن قائله من أعظم المفترين على الله، قال - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٨٩ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٠ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩١ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٢ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٣ ۚ ﴾

الوجه الخامس: قولهم: وخاطب الناس، كما خاطب الله موسى من العوسجة، يوجب أن يكون الذين كلمهم المسيح ممن آمن به وكفر به، بمنزلة^(٤) موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً.

ومعلوم أن تكليم الله لموسى - عليه الصلاة والسلام - ، مما فضله به على غيره من النبيين، فإن كان آحاد الناس بمنزلة موسى بن عمران لزم أن يكون كل من آحاد الناس في ذلك بمنزلة موسى بن عمران، وهذا مما يعلم فساد بالاضطرار من دين الرسل.

(١) في س، ك، ط (إذا) بدلاً من (وإذا).

(٢) في أ، س، ك (لازم) بدلاً من (لازماً).

(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ - ٩٥.

(٤) في ط (هو بمنزلة) بزيادة (هو).

الوجه السادس : أنه من المعلوم أن خطاب الله لأنبيائه ورسله أفضل من خطابه لمن ليس بنبي ولا رسول . والمسيح – عليه السلام – لم يكلم عامة النبيين والمرسلين ، بل لم يكلم إلا ناساً منهم من آمن به ، ومنهم من كفر به .

والتحقيق أنه لم يكلم أحداً من رسل الله ، ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله ، وهذا باطل ، ولو سلم فلم يكلم إلا اثني عشر رسولاً ، وقد بعث الله قبله رسلاً كثيرين . وقد روى في (١) حديث أبي ذر (*) أن عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر .

وقد قال الله في القرآن :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ ﴾ (٢)

وقال – تعالى – :

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٣)

وفي الحديث الذي في المسند ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله – عز وجل – » (٤) ، وهذه (٥)

(١) في أ (من) بدلاً من (في) .

(*) سبقت ترجمته . والحديث أخرجه الإمام أمهر عن أبي ذر ، وعن أبي أمامة ٣٦٥/٥ ، والحاكم في المستدرک ٥٩٧/٢ .

(٢) سورة النحل : من الآية ٣٦ .

(٣) سورة فاطر : من الآية ٢٤ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) في أ (وهي) بدلاً من (وهذه) .

السبعون سواء كانت هي التي هداها، أو هي الجميع فإنه يدل على كثرة^(١) الرسل، ولم يكلم الله أحداً^(٢) من هؤلاء من بشر حل فيه، فلو كان المكلم للناس في عيسى هو الله، لكان تكليم الله للذين كلمهم عيسى من الكفار والمؤمنين^(٣) أكمل من تكليمه^(٤) رسل الله الذين أرسلهم.

الوجه السابع: أن الناسوت ناسوت المسيح هو من جنس سائر النواصيت، والإنسان لا يستطيع أن يرى الله في الدنيا، كما أخبر بذلك موسى وعيسى ومحمد، - صلى الله عليهم وسلّم -^(٥)، فإذا لم يستطع أن يراه كان أن لا يستطيع الاتصال به ومماسته، فضلاً عن الاتحاد به أولى وأحرى.

الوجه الثامن: أن الله لما كلم موسى - عليه السلام - من الشجرة كان الكلام المسموع مخالفاً لما يسمع من كلام الناس، ولهذا لم تطق بنو إسرائيل سماع ذلك الصوت، بل قالوا لموسى صف لنا ذلك^(٦)، وهذا عندهم في التوراة.

(١) في ط (أكثرية) بدلاً من (كثرة).

(٢) في س (أحد) بدلاً من (أحداً).

(٣) في ط، س، ك (المؤمنون) بسقوط (و).

(٤) في ط، س، ك (يكلمه) بدلاً من (تكليمه).

(٥) - صلى الله عليه وسلّم - ساقطة من ط، س، ك.

(٦) وجدت في سفر الخروج - الإصحاح العشرون: (١٨) - وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت).

انظر العهد القديم ص ١٣٠.

كما روى الخلال^(١) في كتاب السنّة^(٢)، عن أحمد بن حنبل^(٣)،
 فيما^(٤) رواه من حديث الزهري^(٥) قال: «لما سمع موسى كلام الله قال:
 يا رب هذا الكلام^(٦) الذي أسمع^(٧) هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو
 كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها،
 وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك
 بأكثر من هذا^(٨) لمت، فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا
 كلام ربك، فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا:
 فشبهه لنا، قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلى
 حلاوة سمعتموها^(٩) فكأنه مثله^(١٠).

وأما المسيح — عليه السلام — ، فكان كل أحد يسمع صوته

-
- (١) في ط (الجلال) بدلاً من (الخلال).
 (٢) كتاب السنّة: كتاب ألفه ورتبه أحمد بن هارون، أبو بكر الخلال وهو مفسر صاحب
 علم بالحديث واللغة من كبار الحنابلة، وهو من بغداد، وجامع علم أحمد، ومن
 كتبه طبقات أصحاب أحمد بن حنبل، وتفسير الغريب والعلل.
 انظر: البداية والنهاية ١١/١٤٨؛ وطبقات الحنابلة ٢/١٢؛ والأعلام ١/٢٠٦.
 (٣) أحمد بن حنبل. انظر ٣/١٦٨.
 (٤) في أ (ما).
 (٥) هو: عبد الرحمن بن عوف القرشي — أحد العشرة المبشرين بالجنة — هاجر
 الهجرتين وشهد المشاهد كلها — وبذل ماله في سبيل الله — مات سنة ٣٢ هـ.
 انظر: الإصابة ٢/٤٠٨؛ والاستيعاب ص ٣٨٥؛ والتهذيب ٦/٢٤٤.
 (٦) (الكلام) ساقطة من أ.
 (٧) (الكلام الذي أسمع) ساقطة من ك، في س (الذي أسمع) بدلاً من (الكلام الذي
 أسمع).
 (٨) في أ (ذلك) بدلاً من (هذا).
 (٩) في ط (وسمعتموها) بزيادة (و).
 (١٠) انظر: كتاب الموضوعات — باب تشبيه كلام الله — عز وجل — بالصواعق ١/١١٢ —
 عن جابر بن عبد الله — بمعناه.

كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب أن يكونوا سمعوا كلام الله، كما سمعه موسى بن عمران.

الوجه التاسع: أن الجنى إذا حل في الإنسى، كما يحل في المصروع، ويتكلم على لسانه، فإنه يتغير الكلام ويعرف الحاضرون أنه ليس هو كلام الإنسى مع أنه يتكلم بلسان الإنسى وحركة أعضائه، فيعلم^(١) أن الصوت حصل بحركة بدن الإنسى، مع العلم بأنه قد تغير تغيراً خالف به المعهود من كلام الإنسى، والإنسان الذي حل فيه الجنى يغيب عنه^(٢) عقله ولا يشعر بما تكلم الجنى على لسانه. فرب العالمين — سبحانه وتعالى — لو حل في بشر واتحد به وتكلم بكلامه، وكان الكلام المسموع كلام الله المسموع منه، لكان يظهر من الفرق بين ذلك وبين المعهود من كلام الإنسى ما هو في غاية الظهور، وكان^(٣) يتغير حال الإنسى غاية التغير، فإن الرب — عز وجل — لما تجلى للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً، فإذا كان البدن الإنسى لا يثبت لتجليه للجبل، فكيف يثبت لحلوله فيه وتكلمه^(٤) على لسانه من غير تغير في البدن.

وقد كان الوحي والملائكة إذا نزلت على الأنبياء في باطنهم يظهر التغير في أبدانهم، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — إذا نزل عليه الوحي ثقل حتى يبرك^(٥) به البعير، وإن كان فخذته على فخذ أحد ثقل حتى كاد يرضه.

(١) في أ (فعلم) بدلاً من (فيعلم).

(٢) (عنه) ساقطة من ك، أ.

(٣) في أ، س (فكان) بدلاً من (وكان).

(٤) في ط، ك (ويكلمه) بدلاً من (وتكلمه).

(٥) في ط، ك (ينزل) بدلاً من (يبرك).

وفي الصحيحين، عن عائشة^(١) «أن الحارث بن هشام^(٢) قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي^(٣) الملك رجلاً^(٤) فيكلمني^(٥) فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد^(٦) رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً^(٧).

وموسى - عليه السلام - ، لما سمع كلام الله مقت الأدميين، لما وقر في سمعه من كلام الله، وكان النور يظهر على وجهه حتى كان

(١) عائشة: سبقت ترجمتها.

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد، وأمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة كان شريفاً مذكوراً شهد بداراً مع المشركين، قيل بأنه مات في طاعون عمواس، وقيل استشهد يوم اليرموك.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢٩٣/١؛ والاستيعاب بهامش الإصابة ص ٣٠٧.

(٣) (لي) ساقطة من أ.

(٤) (رجلاً) ساقطة من ط، ك.

(٥) في ط، ك (يكلمني) بسقوط (ف).

(٦) في س (فلقد) بدلاً من (ولقد).

(٧) انظر:

* صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - باب ٢ - عن الحارث بن هشام بنصه بزيادة (رجلاً) وحرف الفاء في (فيكلمني).

* صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب رقم ٢٣ - عرق - صلى الله عليه وسلم - في البرد حين يأتيه الوحي - عن الحارث بن هشام - بمعناه.

* سنن الترمذي - باب ٣٤ - ما جاء كيف كان ينزل الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ٣٧١٣ - عن الحارث بن هشام - بمعناه.

* الموطأ - كتاب القرآن - باب ٤ - حديث رقم ٧ - عن الحارث بن هشام - بلفظه - مع زيادة كلمة (رجلاً)، وحرف الفاء في (فيكلمني).

يتبرقع، والمسيح عند النصارى قد اتحد به اللاهوت من حين علقت به مريم، ولم يزل متحداً به وهو حمل في بطنها، يعظم اتحاده به كلما كبر، ثم كذلك كان متحداً به وهو صبي إلى أن رفع إلى السماء، وقعد عن يمين أبيه، وهو متحد به عندهم، واللاهوت والناسوت جميعاً، ومع هذا لم يتغير بدن المسيح * تغيراً يناسب ذلك، ولا ظهر من الأنوار ما يناسب ذلك بل عندهم أن المسيح *^(١) قبل أن يعمده «يوحنا» ويرى شبه الحمامة نازلاً عليه، لم يظهر الآيات، بل كان كآحاد الناس. * وأول ما ظهر من الآيات قلب الماء خمراً *^(٢).

وموسى — عليه السلام — بمجرد ما^(٣) سمع الكلام ظهر عليه النور^(٤)، وأين سمع الكلام من^(٥) الاتحاد به.

وموسى لما سمع الكلام وكلمه الله من الشجرة نزلت الملائكة وظهر له^(٦) من آيات الله، وعظمته، ما يناسب تكليم الله — عز وجل — .
والرب دائماً عند النصارى متحد ببدن المسيح ولم يظهر من آيات الربوبية والعظمة إلا ما يظهر أكثر منه لبعض الأنبياء.

الوجه العاشر: أن المخاطب للناس إن كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه صريح في أنه مخلوق مربوب يدعو ويسأل، والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده، وإن كان هو اللاهوت وحده

(١) ما بين النجمتين ساقط من ط .

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك .

(٣) (ما) ساقطة من ك .

(٤) في ط (وكلمه الله ظهر عليه النور) بزيادة (وكلمه الله) .

(٥) في أ، ك (إلى)، في س (إلاً) .

(٦) (له) ساقطة من س، أ، ك .

كما يقتضيه كلامهم^(١) هذا، فهو أبعد وأبعد، وإن كان هو^(٢) الناسوت وحده فلم يكن اللاهوت مخاطباً للناس ولم يكلم الله الناس^(٣) من الناسوت كما كلم الله^(٤) موسى من الشجرة.

وأيضاً فلم يكن فرق^(٥) بين حقيقة كلام الناسوت وكلام اللاهوت^(٦).

وكلام المسيح الصريح في أنه مخلوق كثير * وهم يقرون به لكن^(٧) يقولون ذلك كلام الناسوت *^(٨)^(٩) فيقال لهم حينئذٍ فالمخاطب للناس هو الناسوت دون اللاهوت، وأنتم^(١٠) قلتم أن الله خاطب الخلق من بدن المسيح كما خاطب موسى من الشجرة.

والخطاب الذي سمعه موسى من الشجرة، هو كله كلام اللاهوت، والكلام الذي كان يسمع من المسيح ليس فيه شيء يختص باللاهوت، بل عامته صريح في أنه كلام الناسوت.

الوجه الحادي عشر: أن الله لما كلم موسى من الشجرة، كان

(١) في ك (بكلامهم) بزيادة (ب).

(٢) (هو) ساقطة من ط .

(٣) (ولم يكلم الله الناس) ساقطة من ط .

(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من س، أ.

(٥) في ط (فوق) بدلاً من (فرق).

(٦) (وكلام اللاهوت) ساقطة من ط .

(٧) في ط (ولكن) بزيادة (و).

(٨) في ط (عن الناسوت) بزيادة (عن).

(٩) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك، ولكن كتب في أقصى الهامش الأيسر للمخطوط فلم نتبينه في التصوير.

(١٠) في ط (أنتم) بسقوط (و).

الكلام كلام الله وحده، لم يكن للشجرة كلاماً أصلاً بوجه من الوجوه، فإن كان هذا المثل مطابقاً، كان الذي يكلم الناس من ناسوت المسيح هو اللاهوت وحده.

ومعلوم أن في الإنجيل وغيره من النصوص الصريحة ما يدل على أن الناسوت كان هو المتكلم، مما يبين^(١) الفرق الواضح بين هذا وهذا.

الوجه الثاني عشر: أن الذي نادى موسى من الشجرة لم يتكلم إلا بكلام الربوبية، فقال:

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٣) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾^(٤).

وسائر ما تكلم به كله يقتضي أنه كلام رب العالمين، وأما المتكلم على لسان المسيح فلم يقل كلمة من هذا أصلاً، بل كان في كلامه من الإقرار بأنه رسول، وأنه مخلوق^(٥) محتاج، وأنه ابن البشر، وغير ذلك مما يناقض من كل وجه كلام المنادي لموسى من الشجرة، فمن سوى بين هذا وهذا، كان قد سوى بين رب العالمين وبين إنسان من

(١) في أ، س (ما يتبين) بدلاً من (مما يبين).

(٢) سورة القصص: من الآية ٣٠.

(٣) سورة طه: الآيات ١٤ - ١٦.

في ط (إني أنا الله) بدلاً من (إني أنا الله).

(٤) (مخلوق) ساقطة من س، ك.

(مخلوق) مشطوبة في أ.

الآدميين، وهو^(١) أضل من الذين قال الله فيهم:

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

فإن أولئك جعلوهم أنداداً لله في بعض الأمور مع اعترافهم بأنهم^(٣) مخلوقون، وهؤلاء الضلال جعلوا هذا الإنسان الذي يتكلم هو رب العالمين الذي كلم موسى من الشجرة، وقالوا: إن هذا الذي كلم العباد هو ذاك الذي نادى موسى من الشجرة.

الوجه الثالث عشر: أن يقال: معلوم أن الله أجل وأعظم^(٤) وأكبر من رسله بما لا يقدر المخلوق قدره، فلو كان هو الذي كلم الخلق على لسان المسيح، وكان الحواريون رسله الذين سمعوا كلامه منه بلا واسطة. لكان الحواريون إما مثل موسى وإما أعظم.

ومعلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى، فضلاً عن الحواريين، فإن أعظم آيات المسيح — عليه السلام — إحياء الموتى^(٥)، وهذه الآية^(٦) قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كإلياس وغيره.

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيأ الله على يديه الموتى، وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعباناً مبيناً حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعباناً ثم يمسكها فتعود عصا.

(١) في أ (وهذا) بدلاً من (وهو).

(٢) سورة الشعراء: الآيتان ٩٧، ٩٨.

(٣) بأنهم) ساقطة من ط.

(٤) في ط (أعظم)، بدون واو.

(٥) في س، أ (الأموات) بدلاً من (الموتى).

(٦) في س، أ (الأمور) بدلاً من (الآية).

ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره وهي أعظم من إحياء الموتى ،
فإن الإنسان كانت^(١) فيه الحياة ، فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله
الأول ، والله - تعالى - يحيي الموتى ، بإقامتهم من قبورهم ، وقد أحيأ
غير واحد من الموتى في الدنيا .

وأما انقلاب^(٢) خشبة تصير حيواناً ثم تعود خشبة مرة بعد مرة
وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت .

وأيضاً فالله قد أخبر أنه أحيأ من الموتى على يد موسى وغيره من
أنبياء بني إسرائيل أعظم ممن أحيأهم على يد المسيح ، قال
- تعالى - :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ
وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .
وقال - تعالى - :

﴿ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾^(٤) .
وقال - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ
لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾^(٥) .

(١) في ط ، ك (إذا كانت) بزيادة (إذا) .

(٢) في س ، أ (أن) بدلاً من (انقلاب) .

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) سورة البقرة: من الآية ٧٣ .

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٤٣ .

وأيضاً فموسى – عليه الصلاة والسلام – كان يخرج يده^(١) بيضاء من غير سوء، وهذا أعظم من إبراء أثر^(٢) البرص الذي فعله المسيح – عليه السلام – ، فإن البرص مرض معتاد، وإنما العجب الإبراء منه، وأما بياض اليد من غير^(٣) برص^(٤) ثم عودها إلى حالها الأول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير.

وأيضاً فموسى فلق^(٥) الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده، وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح .

وأيضاً فموسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عيناً يكفيهم . وهذا أعظم من إنزال المسيح – عليه السلام – للمائدة، ومن قلب الماء خمراً، ونحو ذلك مما يحكى عنه، – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – .

وكان لموسى في عدوه من القمل والصفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح، فلو كان الحواريون رسلاً قد كلمهم الله مثل ما كلم موسى من الشجرة كانوا مثل موسى، فكيف والمسيح نفسه لم يكن له آيات مثل آيات موسى، ولو كان المسيح هو^(٦) اللاهوت

(١) في ط (يد) بسقوط (هـ) .

(٢) (أثر) ساقطة من ط، ك .

(٣) (غير) ساقطة من ط .

(٤) في س، أ (مرض) بدلاً من (برص) .

(٥) في ك (فرق) بدلاً من (فلق) .

(٦) (هو) ساقط من س، أ، ك .

الذي كلم موسى لكان يظهر من^(١) قدرته أعظم مما أظهره^(٢) على يد موسى ، فإنه لم يحل في بدن موسى ، ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى ، كما يزعمه هؤلاء في المسيح ، ومع هذه فالآيات التي أيد بها عبده موسى ، تلك الآيات العظيمة ، فكيف تكون آياته إذا كان هو نفسه الذي قد حل في بدن المسيح ، وهو الذي يخاطب الناس على لسان المسيح؟! .

الوجه الرابع عشر : أن يقال إن قولهم إن الله خاطب الناس في المسيح ، كما خاطب موسى النبي من العوسجة من أبطل الباطل ، فإن الله باتفاق الأمم كلها لم يحل في الشجرة ولم يتحد بها ، كما يزعمون هم أنه حل بالمسيح واتحد به ، فإنه عندهم حل بباطن المسيح ، بل وبظاهره واتحد به باطناً وظاهراً ، والرب تعالى لم يكن في باطن الشجرة ولا حل فيها ولا اتحد بها ، وقول الله إنه كلمه منها وناداه منها كقوله أنه :

﴿ نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾^(٣) .

وذلك مثل قوله :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾^(٤) .

وفي البقعة المباركة ونحو ذلك وليس في شيء من ذلك أن

(١) (من) ساقطة من ط .

(٢) في س ، أ (أظهر) بسقوط (٥) .

(٣) سورة القصص : من الآية ٣٠ .

(٤) سورة النازعات : الايتان ١٥ ، ١٦ .

في ك (هل أتاك موسى) بسقوط (حديث) .

الرب تعالى^(١) حل في باطن الوادي المقدس، أو البقعة المباركة أو الجانب الأيمن، ولا أنه اتحد بشيء من ذلك ولا صار هو شيء من ذلك جوهرأً واحداً* ولا شخصاً واحداً، كما يقول بعض النصارى: إن اللاهوت والناسوت صارا^(٢) جوهرأً واحداً، وبعضهم يقول: صارا شخصاً واحداً*^(٣) بل ولا قال أحد: أنه حل في شيء من ذلك كحلول الماء في اللبن، أو النار في الحديد، كما يقول بعضهم: إن اللاهوت حل في الناسوت. كذلك ولو^(٤) قدر أن بعض الناس قال شيئاً من المقالات التي لا تدل عليها الكتب الإلهية، ولا تعلم بالعقل لم يكن قوله حجة، إذ لا يحتج إلاً بنقل ثابت عن الأنبياء، أو بما يعلم بالعقل.

الوجه الخامس عشر: أن الذي كلم موسى وناداه هو الله رب العالمين وتكليمه له من الشجرة من جنس ما أخبر بنزوله إلى السماء الدنيا، ونزوله^(٥) يوم القيامة لحساب الخلق، والكلام على ذلك^(٦) مبسوط في غير هذا الموضع.

وأما حلوله في البشر أو^(٧) اتحاده به فيمتنع^(٨) من وجوه كثيرة عقلاً وسمعاً، مع أنه لم يخبر به نبي.

وما تقوله النصارى في غاية التناقض، فإنهم يزعمون أن المسيح

(١) تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٢) في ط (صار) بسقوط (ا).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من س، أ.

(٤) في ط، ك (لو) بسقوط (و).

(٥) في س، أ (وينزوله) بزيادة (ب).

(٦) في س، أ (هذا) بدلاً من (ذلك).

(٧) في س، أ (و) بسقوط (أ).

(٨) في س، أ (ممتنع) بدلاً من (فيمتنع).

هو الكلمة، وهو الخالق، لأن الكلمة والذات شيء واحد، فلا يفرقون بين الصفة والموصوف، ثم يقولون: المتحد بالمسيح هو الكلمة دون الذات التي يسمونها الأب، ويقولون مع ذلك: إنه لم يتبعض ولم يتجزأ.

ومعلوم بصريح العقل أن الكلمة التي^(١) هي الصفة لا يمكن مفارقتها للموصوف، فلا تتحد وتحل دون الموصوف، لا سيما والمتحد الحال عندهم هو الخالق، فيجب أن يكون هو الأب، وهم لا يقولون: المتحد الحال هو الأب، بل هو الابن، وإذا^(٢) قالوا: إن الابن هو المتحد الحال دون الأب، فالمتحد ليس هو الذي ما^(٣) اتحد، والابن اتحد والأب ما اتحد.

ويقولون: إن المتحد اتخذ^(٤) عيسى حجاباً احتجب به، ومسكناً يسكن فيه خاطب الناس فيه، ويقولون في ذلك: إنه اتحد به الأب لم يحتجب به ولم يسكن فيه ولم يتحد به فلزم قطعاً أن يكون منه شيء اتحد ومنه شيء لم يتحد، فالأب لم يتحد، والابن اتحد، وهذا يناقض قولهم لم يتبعض، ويبطل تمثيلهم بالمخاطب من الشجرة، فإن ذاك^(٥) هو الله رب العالمين ليس هو الابن دون الأب مع ما ذكر من^(٦) الفروق الكثيرة المبينة التي تبين بطلان تمثيل هذا بهذا.

الوجه السادس عشر: أن الرب - عز وجل - إذا تكلم تكلم

(١) (التي) ساقطة من س.

(٢) في ط (إذ) بسقوط (ا).

(٣) (ما) ساقطة من ط.

(٤) في ط (أخذ) بدلاً من (اتخذ).

(٥) في ط (ذلك) بدلاً من (ذاك).

(٦) في س، أ (في) بدلاً من (من).

بكلام الربوبية، فلو كان في المسيح اللاهوت الذي أرسل موسى وغيره، لم يخضع لموسى ولتوراته، ويذكر أنه إنما جاء ليكملها لا لينقضها^(١)، ولا كان يقوم بشرائعها، فإن رب العالمين أعظم وأجل من ذلك، بل لو كان ملكاً من الملائكة لم يفعل مثل ذلك، فكيف برب العالمين.

وإذا قالت النصارى: فعل ذلك خوفاً من بني إسرائيل، أو خوفاً أن يكذبوه، كان عذرهم أقبح من ذنبهم^(٢)، فرب العالمين ممن يخاف — سبحانه وتعالى — ؟!

وموسى لمّا كان فرعون يكذبه كان يظهر من الآيات يذل^(٣) بها فرعون وقومه مع عتوه وعتو قومه، ولم تكن بنو إسرائيل أعتى من فرعون وقومه، فلو كان هو رب العالمين كان ما يؤيد به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى.

ومن عجائب النصارى أنهم يدعون فيه الإلهية مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب.

وأما المسلمون فيقولون: هو رسول مؤيد، لم يصلب، وهذه سنة الله سبحانه^(٤) في رسله، فإنه يؤيدهم وينصرهم على عدوهم، كما نصر نوحاً وإبراهيم ومحمداً — صلوات الله عليهم وسلامه^(٥) — ، فإذا

(١) في ط (لينقضها) بدلاً من (لينقضها).

(٢) في ط (ذنوبهم) بدلاً من (ذنبهم).

(٣) في ط (يدل) بدلاً من (يدل).

(٤) (سبحانه) ساقطة من أ، س.

في ط، ك (ستته سبحانه) بدلاً من (سنة الله سبحانه).

(٥) في س، أ (صلّى الله عليه وسلّم) بدلاً من (صلوات الله عليهم وسلامه).

كان لا يجوز أن يكون رسولاً مغلوباً، فكيف يكون رباً مغلوباً^(١) مصلوباً؟!

الوجه السابع عشر: قولهم فعل المعجزات^(٢) بلاهوته^(٣)، وأظهر العجز بناسوته، فيقال لهم: إن الله فعل من المعجزات ما هو أعظم من المعجزات التي ظهرت على يد المسيح - عليه السلام - ، ولم يكن متحداً بشيء من البشر، فأى ضرورة له^(٤) إلى أن يتحد بالبشر إذا فعل معجزات دون^(٥) ذلك؟

الوجه الثامن عشر: أن المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين، ومعجزات بعضهم أعظم من معجزاته، ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلاً على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي^(٦) ظهرت على يديه، فعلم أن الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد.

الوجه التاسع عشر: أن اللاهوت إن كان متحداً بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت، فإنهما إذا صاراً شيئاً واحداً كان كل ما فعله من^(٧) عجز ومعجز هو ذلك الواحد، كالأمثال التي يضربونها لله - سبحانه وتعالى^(٨) - ، فإنهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد، والماء مع اللبن والخمر.

(١) (مغلوباً) ساقطة من ط، ك.

(٢) في ط، ك، س (المعجز) بدلاً من (المعجزات).

(٣) في أ (لاهوته) بسقوط (ب).

(٤) في ط، ك (به) بدلاً من (له).

(٥) (دون) ساقطة من س.

(٦) في س، أ (التي) بدلاً من (الذي).

(٧) في ط (عن) بدلاً من (من).

(٨) (تعالى) ساقطة من أ، ك، ط.

ومعلوم أن الحديدية إذا أدخلت^(١) النار حتى^(٢) صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد، ليس لها فعلاَن متميزان: أحدهما بالحديد، والآخر بالنار، بل فيها قوة الحديد وقوة النار^(٣)، بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولا قوة النار، إذ ليست حديداً محضاً ولا ناراً محضاً.

وكذلك الماء إذا اختلط باللبن والخمر، فالمتحد منها شيء واحد، فعله فعل واحد، منه^(٤) ما ليس ماء محضاً ولا لبناً محضاً، لا يقول عاقل: أن له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر، فعل^(٥) بكونه لبناً محضاً، وفعل^(٥) بكونه ماء محضاً، فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت، وأن يصير فعل المتحد شيئاً واحداً.

وإن كان اللاهوت لم يتحد به فهماً اثنان شخصان وجوهان^(٦) وطبيعتان ومشيتان، وليس هذا دين النصارى مع أن حلول الرب — عز وجل — في البشر ممتنع، كما قد بسط في موضوع آخر^(٧).

وكذلك إذا مثلوه بالنفس مع البدن، فإن النفس تتغير صفاتها بمفارقة^(٨) البدن، وكذلك البدن تتغير صفاته بمفارقة^(٨) الروح له.

والإنسان الذي نفخت فيه الروح فصارت بدنأ فيه الروح^(٩) هو

(١) في س، أ (دخلت) بسقوط (أ).

(٢) (حتى) ساقطة من س.

(٣) (بل فيها قوة الحديد وقوة النار) ساقطة من س، أ.

(٤) في س، أ (فيه) بدلاً من (منه).

(٥) في ط، ك (فعلاً) بدلاً من (فعل).

(٦) في ط، ك (جوهان) بسقوط (و).

(٧) (كما قد بسط في موضوع آخر) ساقطة من ط، ك.

(٨) في س، أ (بمقارنة) بدلاً من (بمفارقة).

(٩) (فصارت بدنأ فيه الروح) ساقطة من ط، ك.

نوع ثالث ليس فيه بدن محض، وروح محض، حتى يقال: إنه يفعل كذا ببدنه وكذا بنفسه، بل أفعاله تشترك^(١) فيها الروح، فهو إذا أكل وشرب فالروح تتلذذ بالأكل والشرب، وبها صار آكلًا شاربًا، وإلا فالبدن الميت لا يأكل ولا يشرب، وإذا نظر واستدل وسمع ورأى وتعلم^(٢)، فالنفس فعلت ذلك بالبدن، والبدن يظهر فيه ذلك، والروح وحدها لا تفعل ذلك، وعندهم أن فعل اللاهوت^(٣) بعد الاتحاد * كفعله قبله، وكذلك فعل الناسوت، وهذا يناقض الاتحاد*^(٤).

والقول بهذا مع الاتحاد في غاية التناقض والفساد ولا يعقل نظير هذا في شيء من الموجودات، ونفس المتكلم بهذا من النصارى لا يتصور ما يقول، ولا يمكنه أن يمثله بشيء معقول^(٥).



(١) في س، أ، ك (يشترك) بدلاً من (تشارك).

(٢) في س، أ (وتعلم، سمع ورأى) بدلاً من (وسمع ورأى وتعلم).

(٣) في ط، ك (إن فعل هو فعل اللاهوت) بزيادة (فعل هو).

(٤) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.

(٥) هنا نهاية مخطوطتي س، أ.

(س): وهي نسخة السليمانية بتركيا، وكتب في نهايتها: «والله أعلم، تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وكان الفراغ من تكملة هذا الكتاب المبارك يوم السبت خامس عشر رجب الفرد من شهور سنة ١٠٩٣، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

وعلى وسط يسار الصفحة كتبت هذه العبارة: (أقول بعد قوله (معقول) كما في النسخ قوله فصل قالوا وقد جاء إلخ، (فعلى هذه النسخ أن هذه النسخة نصف الكتاب، بل ناقص أيضاً عن النصف فلا تغفل) كما هو ظاهر في الصور في أول كتابنا هذا.

أما (أ): وهي نسخة مكتبة طبقبوسراي بتركيا فكتب في آخرها: «تم والحمد لله رب العالمين» وختم لم يظهر.

أما (ك): وهي مخطوطة دار الكتب المصرية فإنها تستمر معنا كالمطبوعة تماماً.

فصل (١)

قالوا: وقد جاء في هذا الكتاب، الذي جاء به هذا الإنسان يقول: نَقُضْ دَعْوَاهُمْ أَنَّ
الْقُرْآنَ أَثْبَتَ فِي
الْمَسِيحِ اللّاهُوتَ
وَالنَّاسُوتَ
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (٢).

وهذا يوافق (٣) قولنا: إذ قد شهد (٤) أنه إنسان مثلنا، أي (٥)
بالناسوت الذي أخذ من مريم، وكلمة الله وروحه المتحدة فيه، وحاشا
أن تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين، وأيضاً قال في
سورة النساء:

﴿ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (٦).

فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل

(١) هذا أول فصل في مخطوطة (هـ) مكتبة ليدن، وهي النصف الثاني من الكتاب،
وهي تكملة النسخة (طبقبوسراي) (أ)، وهي قديمة كتبت بتاريخ ٧٣٠ هجرية،
وخطها مشابه لخط سابقتها، ولأجل هذا اعتبرناها تكملة لها، واستمر التحقيق على
مخطوطتين (هـ - ك) مع المطبوعة وهي (ط)، ولم يسقط حرف واحد عند
الانتقال والتغيير. والله الحمد والمنة.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٣) في هـ (ما يوافق) بدلاً من (يوافق).

(٤) في هـ (يشهد) بدلاً من (شهد).

(٥) (أي) ساقطة من ط، هـ.

(٦) سورة النساء: من الآية ١٥٧.

عليها ألم ولا عرض، وقال أيضاً:

﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾^(١).

* وقال في سورة المائدة عن عيسى أنه قال:

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

فأعنى بموته عن موت الناسوت الذي أخذ من مريم العذراء.

وقال^(٣) أيضاً في سورة النساء:

﴿وَمَا قُلُوهُ يَحِينَا﴾^(٤) ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٥).

فأشار بهذا إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة *^(٥)، وعلى
هذا القياس نقول: إن المسيح صلب وتآلم بناسوته، ولم يصلب ولا تآلم
بلاهوته.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: دعواهم على محمد – صلى الله عليه وسلم –
أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت، كما يزعمه^(٦) هؤلاء النصارى
فيه^(٧)، هو من الكذب الواضح المعلوم على محمد – صلى الله عليه

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) سورة المائدة: من الآية ١١٧.

(٣) في ط (قال) بسقوط الواو.

(٤) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ.

(٦) في هـ (يزعم) بدلاً من (يزعمه).

(٧) (فيه) ساقطة من ك.

وسلّم - ، الذي يعلم من دينه بالاضطرار، كما يعلم من دينه تصديق المسيح - عليه السلام - ، وإثبات رسالته، فلو ادعى اليهود^(١) على محمد - صلى الله عليه وسلّم - ، أنه كان يكذب المسيح ويوجد رسالته، كان كدعوى النصارى عليه أنه كان يقول: إنه رب العالمين، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت، ومحمد - صلى الله عليه وسلّم - قد أخبر فيما بلغه عن الله - عز وجل - بكفر^(٢) من قال ذلك، وبما^(٣) يناقض ذلك^(٤) في غير موضع، كقوله - تعالى - :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥).

وقوله - تعالى - :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرَّةٌ بِأَعْبَادِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٦) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٧) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

(١) في هـ ، ك (اليهودي) بدلاً من (اليهود).

(٢) في هـ (بتكفير) بدلاً من (بكفر).

(٣) في هـ (بما) بسقوط الواو.

(٤) (ذلك) ساقطة من هـ .

(٥) سورة المائدة: الآية ١٧ .

وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرِ الرَّافِقَ يُوَفِّكُونَ ﴿٧٧﴾ قُلْ أَنْعَبُدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٩﴾

وقال - تعالى - :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْ لَّهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفِّكُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ﴿٨٤﴾

(١) سورة المائدة: الآيات ٧٢ - ٧٧.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٣٠ - ٣٤.

في هـ أنهى الآية ٣١ من سورة التوبة، وذكر جملة (وقال - تعالى -) ثم كتب الآية التي بعدها من سورة الصف: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، ثم ذكر بقية الآيات كما أثبتنا مطابقتها لما في سورة المائدة، في ك (ليُطْفِئُوا بدلاً من (يُطْفِئُوا) وهو خطأ.

وقال - تعالى - :

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا
ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ
يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلْمُ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾
وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ
جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾
إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿١﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي
كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ .

فأخبر عن المسيح أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به، بقوله أن^(٣) اعبدوا الله ربي وربكم، وكان عليهم شهيداً ما دام فيهم، وبعد وفاته كان الله هو^(٤) الرقيب عليهم، فإذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٧ - ٦٥ .

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) (بقوله أن) ساقطة من هـ ، ك .

(٤) (هو) ساقطة من ك ، ط .

أو في تفسير كلامه، أو تعمد تغيير دينه لم يكن على المسيح — عليه السلام — من ذلك درك^(١)، وإنما^(٢) هو رسول عليه البلاغ المبين. وقد أخبر الله^(٣) — سبحانه وتعالى^(٤) — أن أول ما تكلم به المسيح أن قال:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٥﴾﴾.

ثم طلب لنفسه السلام فقال:

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٦).

والنصارى يقولون: (علينا منه السلام)^(٧) كما تقوله^(٨) الغالية فيمن يدعون فيه الإلهية كالنصيرية^(٩) في علي، والحاكمية^(١٠) في الحاكم. الوجه الثاني: أن يقال إن الله لم يذكر أن المسيح مات ولا قتل

(١) في هـ (شيئاً) بدلاً من (درك).

(٢) في هـ (إنما) بسقوط (و).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٤) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٥) سورة مريم: الآيات ٣٠ - ٣٢.

(٦) سورة مريم: من الآية ٣٣.

(٧) لم أجد هذا النص ولا قريباً منه في الطبعة المتداولة للأناجيل، إنما وجدت في إنجيل لوقا ص ٢٤: (٢١) - وقف يسوع نفسه وقال لهم سلام لكم).

(٨) في ط (يقوم)، ك (يقوله) بدلاً من (تقوله).

(٩) سبقت الإشارة إليها ص ٢٤٢.

(١٠) هم أتباع الحاكم العبيدي الذي سبقت ترجمته ص ٢٤٢، ويدعون فيه الإلهية.

إنما قال :

﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَفَرُوا﴾ (١) .

وقال المسيح :

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢) .

وقال — تعالى — :

﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَيْسَرَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥) ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (١٥٦) ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨) ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩) ﴿فَظَلَمِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١٦٠) ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (٣) .

فدم الله اليهود (٤) بأشياء منها : قولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، حيث زعموا أنها بغى ، ومنها : قولهم : إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله .

قال — تعالى — : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (٥) .

(١) سورة آل عمران : من الآية ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ٥٥ . (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ساقطة من ك ، ه .

(٣) سورة النساء : الآيات ١٥٥ - ١٦١ .

(٤) (اليهود) ساقطة من ه .

(٥) سورة النساء : من الآية ١٥٧ .

وأضاف هذا القول إليهم وذمهم عليه .

ولم يذكر النصارى ، لأن الذين^(١) تولوا صلب المصلوب المشبه به هم اليهود ، ولم يكن أحد من النصارى شاهداً هذا^(٢) معهم ، بل كان الحواريون خائفين غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب ، وإنما شاهده اليهود وهم الذين أخبروا الناس أنهم صلبوا المسيح ، والذين نقلوا أن المسيح صلب من النصارى وغيرهم ، إنما نقلوه عن أولئك اليهود وهم شُرَطٌ من أعوان الظلمة ، لم يكونوا خلقاً كثيراً يمتنع تواطؤهم على الكذب .

قال - تعالى - :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

فنفى^(٣) عنه القتل ، ثم قال :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ .

وهذا عند أكثر^(٤) العلماء معناه قبل موت المسيح ، وقد قيل قبل موت اليهودي وهو ضعيف ، كما قيل أنه قبل موت محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وهو أضعف ، فإنه لو آمن به قبل الموت لنفعه إيمانه به ، فإن الله^(*) يقبل توبة العبد ما لم يغرغر .

وإن قيل : المراد به الإيمان الذي يكون بعد الغرغرة ، لم يكن في

(١) في ك (الذي) بدلاً من (الذين) .

(٢) (هذا) ساقطة من ط ، في هـ (شاهداً شاهد) بدلاً من (شاهداً هذا) .

(٣) في هـ ، ك (منفا) بدلاً من (فنفى) .

(٤) في ط (أكثرهم) بدلاً من (أكثر) .

(*) لفظ الجلالة : ساقطة من ط .

هذا فائدة، فإن كل أحد بعد موته يؤمن بالغيب الذي كان يجحده^(١)، فلا اختصاص للمسيح به، ولأنه قال قبل موته، ولم يقل بعد موته، ولأنه لا فرق بين إيمانه بالمسيح وبمحمد - صلوات الله عليهما وسلامه - ، واليهودي الذي يموت على اليهودية يموت^(٢) كافراً بمحمد والمسيح - عليهما الصلاة والسلام - ، ولأنه قال :

﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

وقوله : ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ فعل مقسم عليه، وهذا إنما يكون في المستقبل، فدل ذلك على أن هذا الإيمان بعد إخبار الله بهذا، ولو أريد به^(٣) قبل موت الكتابي لقال : وإن من أهل الكتاب إلا من يؤمن به، لم يقل ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾.

وأيضاً - فإنه قال : وإن^(٤) من أهل الكتاب، وهذا يعم اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن جميع أهل الكتاب اليهود والنصارى يؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح، وذلك إذا نزل آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله ليس كاذباً، كما تقول اليهود^(٥)، ولا هو الله كما تقول النصارى.

والمحافظة على هذا العموم أولى، من أن يُدعى أن كل كتابي ليؤمن به قبل أن يموت الكتابي، فإن هذا يستلزم إيمان كل يهودي

(١) في هـ (جحده) بدلاً من (يجحده).

(٢) في ط، ك (فيموت) بزيادة (ف).

(٣) (به) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ط (أن) بسقوط (و).

(٥) في ط، ك (كما يقول اليهودي) بدلاً من (كما تقول اليهود).

ونصراني ، وهذا خلاف الواقع وهو لما قال :

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.

دل^(١) على أن المراد بإيمانهم قبل أن يموت هو، علم أنه أريد بالعموم عموم من كان موجوداً حين نزوله، أي لا يتخلف^(٢) منهم أحد عن الإيمان به، لا إيمان من كان منهم ميتاً.

وهذا كما يقال: إنه لا يبقى بلد إلا دخله الدجال، إلا مكة والمدينة أي من المدائن الموجودة حينئذ، وسبب إيمان أهل الكتاب به حينئذ ظاهر، فإنه يظهر لكل أحد أنه رسول مؤيد ليس بكذاب، ولا هو رب العالمين.

فالله - تعالى - ذكر إيمانهم به إذا نزل إلى الأرض، فإنه - تعالى - لما ذكر رفعه إلى الله بقوله :

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

وهو ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ويموت حينئذ أخبر بإيمانهم به قبل موته، كما قال - تعالى - في آية أخرى :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعَالِمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ

(١) في ط، ك (ودل) بزيادة واو.

(٢) في ط، ك (يختلف) بدلاً من (يتخلف).

مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴿١﴾.

وفي (٢) الصحيحين عن النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - أنه (٣) قال: «يوشك» (٤) أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية» (٥).

وقوله - تعالى - :

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦﴾.

(١) سورة الزخرف: الآيات ٥٩ - ٦٥.

في هـ أضاف بعد نهاية الآيات جزءاً من الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلى الساعة أن تأتيهم بغتة...﴾ ولم يكمل الآية بقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾.

(٢) في ط (في) بسقوط الواو.

(٣) (أنه) ساقطة من ط، ك.

(٤) في هـ (أوشك) بدلاً من (يوشك).

(٥) انظر:

* صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب ١٠٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظه غير كلمتي (عدلاً وإماماً).

* في صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب ٧١ - حديث رقم ٢٤٢ - عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال: ... الحديث بحذف كلمتي (عدلاً وإماماً) وهو بلفظه.

* سنن الترمذي - كتاب القدر - باب ٤٥ - حديث رقم ٢٣٣٤ - عن أبي هريرة ... الحديث بلفظه دون (عدلاً وإماماً).

(٦) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(ما لهم به من علم) في ط سقطت (به).

بيان أن الله رفعه حياً وسلمه من القتل، وبين أنهم يؤمنون به قبل أن يموت.

وكذلك قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١).

ولومات لم يكن فرق بينه وبين غيره.

ولفظ التوفي في لغة العرب معناه: الاستيفاء والقبض، وذلك ثلاثة أنواع: أحدها: توفي النوم، والثاني: توفي الموت، والثالث: توفي الروح والبدن جميعاً، فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس والنوم^(٢)، ويخرج منهم^(٣) الغائط والبول، والمسيح — عليه السلام — توفاه الله، وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض، ليست حاله كحالة^(٤) أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم، والغائط والبول، ونحو ذلك.

الوجه الثالث: قولهم إنه عني بموته عن موت الناسوت، كان ينبغي لهم أن يقولوا على أصلهم: عني بتوفيته^(٥) عن توفي الناسوت، وسواء قيل موته أو توفيته فليس هو شيئاً^(٦) غير الناسوت، فليس هناك شيء غيره لم يتوف، والله^(٧) — تعالى — قال:

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٥.

(٢) (والنوم) ساقطة من ط، ك.

(٣) (ويخرج منهم) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (كحال) بدلاً من (كحالة).

(٥) (عني بتوفيته) ساقطة من هـ.

(٦) في هـ (فليس هناك شيء) بدلاً من (فليس هو شيئاً).

(٧) في ط (الله) بسقوط الواو.

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

فالمتوفى^(١) هو المرفوع إلى الله، وقولهم: إن^(٢) المرفوع هو اللاهوت، مخالف لنص القرآن، لو كان هناك موت فكيف إذا لم يكن، فإنهم جعلوا المرفوع غير المتوفى، والقرآن أخبر أن المرفوع هو المتوفى. وكذلك قوله في الآية الأخرى:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴿﴾.

هو تكذيب لليهود في قولهم:

﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

واليهود لم يدعوا قتل لاهوت، ولا أثبتوا لله لاهوتاً في المسيح، والله - تعالى - لم يذكر دعوى قتله عن^(٣) النصراني حتى يقال: إن مقصودهم قتل الناسوت دون اللاهوت، بل عن اليهود الذين لا يشبتون إلا الناسوت.

وقد زعموا أنهم قتلوه، فقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، بل رفعه الله إليه ﴿﴾، فأثبت رفع الذي قالوا إنهم قتلوه، وإنما هو الناسوت، فعلم أنه هو الذي نفى عنه القتل. وهو الذي رفع، والنصارى معترفون برفع الناسوت لكن يزعمون أنه صلب، وأقام في القبر إما يوماً وإما ثلاثة أيام، ثم صعد إلى السماء، وقعد عن يمين الرب الناسوت مع اللاهوت.

(١) في هـ (والمتوفى) بدلاً من (فالمتوفى).

(٢) (إن) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ (من) بدلاً من (عن).

وقوله - تعالى - : ﴿وَمَا قَتْلُوهُ يَقِينًا﴾ ، معناه أن نفي قتله هو يقين لا ريب فيه ، بخلاف الذين اختلفوا ، فإنهم ^(١) في شك منه من قتله وغير قتله ، فليسوا مستيقنين أنه قتل إذ لا حجة معهم بذلك .

ولذلك ^(٢) كانت طائفة من النصارى يقولون : لم يصلب ، فإن الذين صلبوا المصلوب هم اليهود ، وكان قد اشتبه عليهم المسيح بغيره ، كما دل عليه القرآن ، وكذلك عند أهل الكتاب أنه اشتبه بغيره ، فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك ، حتى قال لهم بعض الناس : أنا أعرفه فعرفوه ، وقول من قال ^(٣) : معنى الكلام ما قتلوه علماً بل ظناً قول ضعيف .

الوجه الرابع : أنه قال - تعالى - :

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

فلو كان المرفوع هو اللاهوت ، لكان رب العالمين قال لنفسه أول كلمته : «إني أرفعك إلي» ^(٤) ، وكذلك قوله : ﴿بل رفعه الله إليه﴾ ، فالمسيح عندهم هو الله .

ومن المعلوم أنه يمتنع رفع نفسه إلى نفسه ، وإذا قالوا : هو الكلمة فهم يقولون ^(٥) مع ذلك إنه الإله الخالق ، لا يجعلونه بمنزلة التوراة

(١) في ط ، ك (بأنهم) بدلاً من (فإنهم) .

(٢) في هـ (وكذلك) بدلاً من (ولذلك) .

(٣) في ط (قالوا) بدلاً من (قال) .

(٤) في ط (رافعك) بدلاً من (أرفعك) .

(٥) (يقولون) ساقطة من ط .

والقرآن، ونحوهما مما هو^(١) من^(٢) كلام الله الذي قال^(٣) فيه: إليه يصعد الكلم الطيب. بل عندهم هو الله الخالق الرازق رب العالمين، ورفع رب العالمين إلى رب العالمين ممتنع.

الوجه الخامس: قوله:

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلا الله دون المسيح، فإن قوله كنت أنت يدل على الحصر، كقوله إن كان هذا هو الحق ونحو ذلك، فعلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيباً على أتباعه، بل الله هو الرقيب^(٤). المطلع عليهم المحصي أعمالهم المجازي عليها، والمسيح ليس برقيب فلا يطلع على أعمالهم، ولا يحصيها ولا يجازيهم بها.



(١) (مما هو) ساقطة من هـ .

(٢) (من) ساقطة من ط .

(٣) في هـ (قد يقال) بدلاً من (قال).

(٤) في هـ (والمطلع) بزيادة واو.

فصل

قالوا: وقد سماه الله أيضاً في هذا الكتاب خالقاً حيث قال:

نَقُضْ دَعْوَاهُمْ
بِوَرُودِ تَسْمِيَةِ
الْمَسِيحِ خَالِقاً فِي
الْقُرْآنِ

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ (١).

فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة بالناسوت (٢) المأخوذ (٣) من مريم لأنه كذا قال على لسان داود النبي:

(بكلمة الله خلقت السماوات والأرض، ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه) (٤).

وهذا مما يوافق رأينا، واعتقادنا في السيد المسيح لذكره، لأنه حيث قال: (وتخلق من الطين كهية الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله)، أي بإذن لاهوت (٥) الكلمة المتحدة في الناسوت.

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠.

(٢) الناسوت: الطبيعة البشرية، ويقابله اللاهوت بمعنى الألوهية. (المعجم الوسيط ٨٩٥/٢).

(٣) في ط (المأخوذة) بدلاً من (المأخوذ).

(٤) في المزمور الثالث والثلاثين: «بكلمة الرب صنعت السماوات، وينسمة فيه كل جنودها» بمعناه.

انظر: العهد القديم ص ٨٥٤.

(٥) في ط (اللاهوت) بدلاً من (لاهوت).

والجواب: أن جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها، فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة وما أنطق^(١) به أنبياءه^(٢)، فإنه جعل ذلك هدى وبياناً للخلق وشفاء لما في الصدور، فلا بد أن يكون في كلام الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه -^(٣) أجمعين، من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله - تعالى - .

إما من كونهم لم يتدبروا القول الذي قالته الأنبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه .

وإما من جهة أخذهم ببعض الحق دون بعض، مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض^(٤)، فيضلون من جهة ما لم يؤمنوا به، كما قال - تعالى - عن النصارى:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾^(٥) .

وإما من جهة نسبتهم إلى الأنبياء ما لم يقولوه من أقوال كذبت عليهم ومن جهة ترجمة أقوالهم بغير ما تستحقه من الترجمة، وتفسيرها بغير ما تستحقه من التفسير الذي دل عليه كلام الأنبياء - صلوات الله

(١) في ط (نطق) بدلاً من (أنطق) .

(٢) في ط (أنبياءه) بدلاً من (أنبياءه) .

(٣) في هـ تقديم وتأخير (وسلامه عليهم) .

(٤) (مثل أن يؤمنوا ببعض ما أنزله الله دون بعض) ساقطة من هـ .

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٤ .

وسلامه عليهم أجمعين — ، فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه ها هنا وها هنا ، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به ، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر ، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه ، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده .

وأما (١) إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه ، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه ، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك (٢) اللفظ بجعل كلامه متناقضاً ، وترك حمله (٣) على ما يناسب سائر كلامه كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه ، وتبديلاً لمقاصده وكذباً عليه .

فهذا أصل من ضل في تأويل (٤) كلام الأنبياء على غير مرادهم ، فإذا عرف هذا ، فنقول :

الجواب عما ذكره هنا من وجوه :

أحدها : أن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ، ولا خلقاً عاماً ، كما ذكر عن نفسه — تبارك وتعالى — ، فأول ما أنزل الله على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — :

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) 》 .

(١) في هـ (فأما) بدلاً من (وأما) .

(٢) في هـ (لذلك) بدلاً من (بذلك) .

(٣) في ط ، ك (ويترك كلامه) بدلاً من (وترك حمله) .

(٤) (تأويل) ساقطة من هـ .

(٥) سورة العلق : الآيات ١ - ٥ .

وقال - تعالى - :

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿١﴾﴾ .

فذكر نفسه بأنه الخالق الباريء المصور، ولم يصف قط شيئاً من المخلوقات بهذا لا ملكاً ولا نبياً، وكذلك قال - تعالى - :

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٧﴾﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ .

ووصف نفسه بأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ بشيء من

(١) سورة الحشر: الآيات ٢٢ - ٢٤ .

(٢) سورة الزمر: الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ .

الخصائص التي يختص بها، التي وصف بها نفسه - سبحانه وتعالى - .

وأما المسيح - عليه السلام - فقال فيه :

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَرَى الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ (١) .

وقال المسيح عن نفسه :

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢) .

فلم يذكر إلا خلق شيء معين خاص بإذن الله، فكيف يكون هذا الخالق هو ذاك؟

الوجه الثاني: أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير، وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا (٣) التصوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه .

والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيراً بإذن الله - عز وجل - ، ليس المعجزة مجرد (٤) خلقه من الطين، فإن هذا مشترك، وقد (٥) لعن

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٤٩ .

في ط، هـ، ك (وأخلق لكم من الطين...) وهذا خطأ .

(٣) (هذا) ساقطة من ط .

(٤) في هـ (بمجرد) بزيادة (بـ) .

(٥) في ط (ولقد) بدلاً من (وقد) .

النبي - صلى الله عليه وسلم - المصورين، وقال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»^(١).

الوجه الثالث: أن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير^(٢)، والنفخ بإذنه - تعالى - ، وأخبر المسيح - عليه السلام - أنه فعله بإذن الله، وأخبر الله أن هذا من نعمه^(٣) التي أنعم بها على المسيح - عليه السلام - ، كما قال - تعالى - :

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٤).

وقال - تعالى - :

﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٥).

(١) في هـ ، ك (المصورين) وهو خطأ.

انظر:

* صحيح البخاري - كتاب اللباس - باب ٨٩ - عن مسلم بن صبيح بلفظه - وزيادة (عند الله).

* في صحيح مسلم - كتاب اللباس والزينة - باب ٢٦ - حديث رقم ٩٦ - عن عائشة - رضي الله عنها - بمعناه.

* مسند الإمام أحمد ٣٧٥/١ - عن مسلم بن صبيح . بلفظه .

(٢) في ط (التصوير محرم) بزيادة (محرم).

(٣) في ط ، ك (نعمته) بدلاً من (نعمه).

(٤) سورة الزخرف: من الآية ٥٩ .

(٥) سورة المائدة: من الآية ١١٠ .

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله فعل ذلك بإذن الله، كما فعل مثل ذلك^(١) غيره من^(٢) الأنبياء، وصريح بأن الآذن^(٣) غير المأذون له والمُعَلِّم ليس هو المعلم، والمُنْعِم عليه وعلى والدته ليس هو إياه، كما ليس هو والدته.

الوجه^(٤) الرابع: أنهم قالوا: أشار^(٥) بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت، ثم قالوا في قوله (بإذن الله) أي بإذن الكلمة المتحدة في الناسوت، وهذا يبين تناقضهم وافتراءهم على القرآن، لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، ففرق بين المسيح وبين الله، وبين أن الله هو الآذن للمسيح، وهؤلاء زعموا أن مراده بذلك أن اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق، وهو الآذن فجعلوا الخالق هو الآذن، وهو تفسير للقرآن بما يخالف صريح القرآن.

الوجه الخامس: أن اللاهوت إذا كان هو الخالق لم يحتاج إلى أن يأذن لنفسه، فإنهم يقولون: هو إله واحد وهو الخالق، فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه وينعم^(٦) على نفسه؟

الوجه السادس: أن الخالق إما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام أو الكلام الذي هو صفة للذات^(٧)، فإن كان هو الكلام، فالكلام

(١) (ذلك) ساقطة من ط .

(٢) في ط (من ذلك) بزيادة (ذلك).

(٣) في ط (الإذن) بدلاً من (الآذن).

(٤) في ط (والوجه) بزيادة واو.

(٥) في ط (أشاروا) بدلاً من (أشار).

(٦) في هـ (أو ينعم) بزيادة (أ).

(٧) في هـ (الذات) بدلاً من (للذات).

صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة، ولو لم تتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً، فكيف وهو ممتنع؟

فقد تبين امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوه.

وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكل شيء رب العالمين، وعندهم هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، فلا يكون هو الخالق لكل شيء، والقرآن يبين^(١) أن الله هو الذي أذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير، فتبين أن الذي خلق من الطين كهيئة الطير، ليس هو الله ولا صفة من صفاته، فليس المسيح هو الله ولا ابن قديم أزلي لله، ولكن عبده فعل بإذنه.

الوجه السابع: قولهم فأشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم، لأنه كذا قال على لسان داود النبي: «بكلمة الله خلقت السماوات والأرض».

يقال^(٢) لهم: هذا النص عن داود حجة عليكم، كما أن التوراة والقرآن، وسائر ما ثبت عن الأنبياء حجة عليكم، فإن داود — عليه السلام — قال: (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض)، ولم يقل: إن كلمة الله هي الخالقة، كما قلتم أنتم أنه أشار بالخالق إلى كلمة الله.

والفرق بين الخالق للسماوات والأرض وبين الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض، أمر ظاهر معروف، كالفرق بين القادر

(١) في هـ (بين) بدلاً من (يبين).

(٢) في ط (فيقال) بزيادة (ف).

والقدرة، فإن القادر هو الخالق وقد خلق الأشياء بقدرته، وليست القدرة هي الخالقة، وكذلك الفرق بين المريد^(١) والإرادة، فإن الله خلق^(٢) الأشياء بمشيئته، وليست مشيئته هي الخالقة.

وكذلك الدعاء والعبادة هو للإله الخالق لا لشيء من صفاته، فالناس كلهم يقولون: يا الله يا ربنا يا خالقنا ارحمنا واغفر لنا، ولا يقول أحد: يا كلام الله اغفر لنا وارحمنا، ولا يا قدرة الله، ويا مشيئة الله، ويا علم الله اغفر لنا وارحمنا، والله - تعالى - يخلق بقدرته ومشيئته وكلامه، وليست صفاته هي الخالقة.

الوجه الثامن: أن قول داود - عليه السلام - : (بكلمة الله خلقت السماوات والأرض) يوافق ما جاء في القرآن والتوراة، وغير ذلك من كتب الأنبياء: أن الله يقول للشيء: كن فيكون، وهذا في القرآن في غير موضع^(٣)، وفي التوراة قال الله: (ليكن كذا ليكن كذا)^(٤).

الوجه التاسع: قولهم لأنه ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه، إن أرادوا بكلمته كلامه، وبروحه حياته فهذه من صفات الله كعلمه وقدرته، فلم يعبر أحد من الأنبياء عن حياة الله بأنها روح الله، فمن حمل كلام أحد من الأنبياء بلفظ الروح أنه يراد به حياة الله فقد كذب عليه، ثم يقال: هذا كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته، وحيثُ فُالخالق هو الله وحده وصفاته داخله في مسمى اسمه، لا يحتاج أن تجعل

(١) في ط (المزيد) بدلاً من (المريد).

(٢) في هـ (خالق) بدلاً من (خلق).

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ سورة يس: الآية ٨٢.

(٤) موجودة في أول سفر التكوين - العهد القديم - وقد سبقت الإشارة إليه ٢٢٧/٣.

معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن أن^(١) الله شريكاً في خلقه، فإن الله لا شريك له.

ولهذا لما قال الله^(٢) - تعالى - : «الله خالق كل شيء»، دخل كل ما سواه في مخلوقاته، ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيبته وكلامه، لأن هذه داخلة في مسمى اسمه ليست أشياء مباينة له، بل أسماءه الحسنى متناولة لذاته المقدسة المتصفة بهذه الصفات لا يجوز أن يراد بأسمائه ذاتاً مجردة عن صفات الكمال، فإن تلك لا^(٣) حقيقة لها، ويمتنع وجود ذات مجردة عن صفة فضلاً عن وجود ذاته - تعالى - ، مجردة عن صفات كماله، التي هي لازمة لذاته، فيمتنع^(٤) تحقق ذاته دونها، ولهذا لا يقال: الله وعلمه خلق، والله وقدرته خلق.

وإن أرادوا بكلمته وروحه المسيح، أو شيئاً^(٥) اتحد بناسوت المسيح، فالمسيح - عليه السلام - كله مخلوق كسائر الرسل، والله وحده هو الخالق وإن شئت قلت: إن أريد بالروح والكلمة ما هو صفة الله، فتلك داخلة في مسمى اسمه، وإن أريد ما ليس بصفة فذلك مخلوق له كالناسوت.

الوجه العاشر: أن داود - عليه السلام - لا يجوز أن يريد بكلمة الله^(٦) المسيح، لأن المسيح عند جميع الناس هو اسم للناسوت،

(١) في ط (فإن) بدلاً من (أن).

(٢) سقط من ط، هـ لفظ الجلالة (الله).

(٣) (لا) ساقطة من ط.

(٤) في ط، ك (يمتنع) بسقوط (ف).

(٥) في هـ، ك (شيء) بدلاً من (شيئاً).

(٦) (لكلمة الله) ساقطة من ك.

وهو عندهم اسم لللاهوت^(١) والناسوت لما اتحدا^(٢)، والاتحاد فعل حادث عندهم، فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا ما يسمى مسيحاً^(٣)، فعلم أن داود لم يرد بكلمة الله المسيح، ولكن غايتهم أن يقولوا: أراد الكلمة التي اتحدت فيما^(٤) بعد بالمسيح^(٥)، لكن الذي خلق بإذن الله هو المسيح، كما نطق به القرآن بقوله:

﴿يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٦).

فالكلمة التي ذكرها وأنها هي التي بها خلقت السماوات والأرض، ليست^(٧) هي المسيح الذي خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، فاحتجاجهم بهذا على هذا احتجاج باطل، بل تلك الكلمة التي بها خلقت السماوات والأرض لم يكن معها ناسوت حين خلقت، باتفاق الأمم والمسيح لا بد أن يدخل فيه الناسوت، فعلم أنه لم يرد بالكلمة المسيح.



(١) في ط (اللاهوت) بدلاً من (اللاهوت).

(٢) في ط، ك (اتحد) بدلاً من (اتحدا).

(٣) في ط، ك (مسيحياً) بدلاً من (مسيحاً).

(٤) في ط (فيها) بدلاً من (فيما).

(٥) في ط (المسيح) بسقوط (ب).

(٦) سورة آل عمران: من الآية ٤٥.

(٧) في هـ (ليس) بدلاً من (ليست).

فصل

قالوا: وقال أيضاً في موضع آخر:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١).

بيان المعنى
الصحيح لنسبه
القرآن الكريم
عيسى بآدم، ورد
تفسيرهم لذلك

فأعنى بقوله: (مثل عيسى)^(٢) إشارة إلى البشرية^(٣) المأخوذة^(٤) من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر هاهنا^(٥) اسم المسيح، إنما^(٦) ذكر عيسى فقط.

كما أن آدم خلق من غير جماع ولا^(٧) مباذعة، فكذلك جسد السيد^(٨) المسيح خلق من غير جماع ولا^(٩) مباذعة، وكما أن جسد آدم ذاق الموت فكذلك جسد المسيح ذاق الموت، وقد يبرهن بقوله أيضاً قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارى: إن كلمة الله الأزلية الخالقة حلت في مريم وتجسدت بإنسان كامل، وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية:

(١) سورة آل عمران: من الآية ٥٩.

(٢) في هـ، ك (مثل آدم) بدلاً من (مثل عيسى).

(٣) في هـ، ك (الناسوت) بدلاً من (البشرية).

(٤) في ط (المأخوذ) بسقوط (ة).

(٥) في ط (لم يذكر هنا).

(٦) في س، أ، ك (إلاً) بدلاً من (إنما).

(٧) (لا) ساقطة من ط.

(٨) (السيد) ساقطة من ط.

(٩) (لا) ساقطة من هـ، ك.

التي هي طبيعة كلمة الله وروحه، وطبيعة ناسوتية: التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به، ولما تقدم به القول من الله - تعالى - على لسان موسى النبي، إذ يقول: (أليس هذا الأب الذي خلقتك وبراك واقتناك)^(١)، قيل: وعلى لسان داود النبي (روحك القدس لا تنزع مني)^(٢)، وأيضاً على لسان داود النبي: (بكلمة الله تشددت السماوات وبروح فاه جميع قواهن)^(٣)، وليس يدل هذا القول على ثلاثة خالقين، بل خالق واحد: الأب، ونطقه أي كلمته^(٤)، وروحه أي حياته^(٥).

والجواب من وجوه:

أحدها: أن قوله - تعالى - :

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

كلام حق، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال - تعالى -^(٦): ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٧).

وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٦/٣.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٦/٣.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٦/٣.

(٤) في ك (وكلمته أي نطقه) بدلاً من (ونطقه أي كلمته).

(٥) انتهى هنا كلامهم، وقد ورد بعض أجزائه في رسالة بولس الأنطاكي ص ١١ في أعلى يسار الصفحة، بمخطوطة المتحف القبطي.

(٦) (تعالى) ساقطة من ط.

(٧) سورة النساء: من الآية ١.

وأثنى ، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ، فإن حواء^(١) خلقت من ضلع آدم ، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم ، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا ، وهو أصل خلق حواء .

فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب ، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، لما نفخ فيه من روحه ، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له : كن فيكون ، ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لاهوتاً وناسوتاً ، بل كله ناسوت ، فكذلك المسيح كله ناسوت ، والله — تبارك وتعالى — ذكر هذه الآية في ضمن الآيات التي أنزلها في شأن النصارى ، لما قدم على النبي — صلى الله عليه وسلم — نصارى نجران^(٢) وناظروه في المسيح ، وأنزل الله فيه ما أنزل ، فبين فيه قول الحق الذي اختلفت فيه اليهود والنصارى ، فكذب الله الطائفتين : هؤلاء في غلوهم فيه ، وهؤلاء في ذمهم له .

وقال عقب هذه الآية :

(١) في هـ (حوى) بدلاً من (حواء) .

(٢) قصة وفد نصارى نجران ، خلاصتها :

أن وفد نصارى نجران لما قدموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وكان تعداده ستين ركباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشrafهم ، وهم فيه مختلفون فمنهم من يقول في عيسى بأنه الله ، ويقول البعض هو ابن الله ، وآخرون يقولون بأنه ثالث ثلاثة ، لكن الخبر نزل من السماء بالملائكة ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنك ، ونتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعت معنا رجلاً من أصحابك يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا .

فأجابهم على طلبهم ، وأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح .

انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ط . بيروت ١٣٨٨ هـ .

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ .

وقد امثل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - قول الله فدعاهم إلى
المباهلة فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته فأقروا بالجزية وهم
صاغرون، ثم كتب النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى هرقل ملك
الروم بقوله - تعالى - : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا...﴾ (٢) إلى آخرها (٣).
وكان أحياناً يقرأ بها في الركعة الثانية من ركعتي الفجر، ويقرأ في
الأولى : بقوله :

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤﴾ .

(١) سورة آل عمران : الآيات ٦١ - ٦٤ .

في ط (من بعد من جاءك) بدلاً من (من بعدما جاءك) وهو خطأ .

(٢) سورة آل عمران : من الآية ٦٤ .

في هـ ، ك (يا أهل الكتاب) من غير (تعالوا) .

(٣) كتابة النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى هرقل : وردت في حديث أبي سفيان
الطويل الذي رواه ابن عباس عنه في صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن باب
سورة آل عمران .

(٤) سورة البقرة : من الآية ١٣٦ .

وهذا كله يبين به^(١) أن المسيح عبد ليس بإله، وأنه مخلوق كما خلق آدم، وقد أمر أن يباهل من قال إنه إله، فيدعو كل من المتباهلين أبناءه ونساءه وقريبه المختص به، ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء، ويدعون الله أن يجعل لعنته على الكاذبين، فإن كان النصارى كاذبين في قولهم هو الله حقت اللعنة عليهم، وإن كان من قال ليس هو الله بل عبد الله كاذباً حقت اللعنة عليه، وهذا إنصاف من صاحب يقين يعلم أنه على الحق^(٢).

والنصارى لما لم يعلموا أنهم على الحق^(٣) نكلوا عن المباهلة، وقد قال عقب ذلك:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

تكذيباً للنصارى الذين يقولون: هو إله حق من إله حق، فكيف يقال إنه أراد أن المسيح فيه لاهوت، وناسوت، وأن هذا هو الناسوت فقط دون اللاهوت؟ وبهذا ظهر الجواب عن قولهم، قال في موضع آخر: إن مثل عيسى عند الله كمثّل آدم، فأعنى بقوله: عيسى، إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكرها هنا^(٥) اسم المسيح

(١) (به) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) في هـ (الحق به) بزيادة (به) .

(٣) في ط (حق) بسقوط (ال) .

(٤) سورة آل عمران: من الآية ٦٢ .

(٥) في ط (الناسوت ها هنا) بزيادة (الناسوت) .

إنما ذكر عيسى فقط ، فإنه يقال : عيسى هو المسيح ، بدليل أنه قال :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾^(١) .

فأخبر أنه ليس المسيح إلا رسولاً^(٢) ليس هو بآله وأنه ابن مريم والذي^(٣) هو ابن من^(٤) مريم هو الناسوت وقال :

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧٦﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾^(٥) .

وقال - تعالى - :

﴿ وَقَالَتِ الْتَصَدَّى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يَكُونَ يُؤْفَكُونَ ﴾^(٦) .

وقال - تعالى - :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾^(٧) .

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٥ . (٥) سورة النساء: من الآيتين ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) في هـ ، ك (رسول) بدلاً من (رسولاً) . (٦) سورة التوبة: من الآية ٣٠ .

(٣) والذي) ساقطة من ك . (٧) سورة المائدة: من الآية ١٧ .

(٤) (من) ساقطة من هـ .

الوجه الثاني: أن ما ذكروه من موته قد^(١) بينا أن الله لم يذكر ذلك، وأن المسيح لم يمت بعد، وما ذكروه من أنه صلب ناسوته دون لاهوته باطل من وجهين:

فإن ناسوته لم يصلب، وليس فيه لاهوت، وهم ذكروا ذلك^(٢) دعوى مجردة فيكتفى^(٣) في مقابلتها بالمنع^(٤).

لكن^(٥) نقول في الوجه الثالث: إنهم في اتحاد اللاهوت بالناسوت يشبهونه تارة باتحاد الماء باللبن، وهذا تشبيه اليعقوبية، وتارة باتحاد النار بالحديد أو النفس بالجسم، وهذا تشبيه الملكانية وغيرهم.

ومعلوم أنه لا يصل إلى الماء شيء^(٦) إلا وصل إلى اللبن، فإنه لا يتميز أحدهما عن الآخر. وكذلك النار التي في الحديد^(٧) متى طرق الحديد أو بصق عليه لحق ذلك بالنار التي فيه. والبدن إذا ضرب وعذب لحق ألم الضرب والعذاب بالنفس، فكأن حقيقة تمثيلهم يقتضي أن اللاهوت أصابه ما أصاب الناسوت من إهانة اليهود وتعذيبهم له وإيلامهم له^(٨) والصلب الذي ادعوه.

وهذا لازم على القول بالاتحاد، فإن الاتحاد لو كان ما يصيب أحدهما لا يشركه الآخر فيه لم يكن هنا اتحاد بل تعدد.

(١) في هـ (فقد) بزيادة (ف).

(٢) (ذلك) ساقطة من هـ.

(٣) في ط (فيكتفي) بدلاً من (فيكتفى).

(٤) في ط (المنع) بسقوط (ب).

(٥) في ط (ولكن) بزيادة (و).

(٦) (شيء) ساقطة من ط.

(٧) في هـ (الحديدة) بزيادة (ة).

(٨) في ط، ك (وإتلافهم له) بدلاً من (وإيلامهم له).

الرابع : أن هؤلاء الضلال لم يفهم أن جعلوا إله السماوات والأرض متحداً ببشر في جوف امرأة، وجعلوه له مسكناً، ثم جعلوا أخابث خلق الله أمسكوه وبصقوا في وجهه، ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول: «إلهي إلهي لم تركتني»^(١) وهم يقولون الذي كان يسمع الناس كلامه هو اللاهوت، كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، ويقولون هما شخص واحد، ويقول بعضهم: لهما مشيئة واحدة وطبيعة واحدة.

والكلام إنما يكون بمشيئة المتكلم، فيلزم أن يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت وهو المستغيث المتضرع وهو المستغاث به، وأيضاً فهم يقولون: إن اللاهوت والناسوت شخص واحد، فمع^(٢) القول بأنهما شخص واحد، إما أن يكون مستغيثاً، وإما أن يكون مستغاثاً به وإما أن يكون داعياً، وإما أن يكون مدعواً، فإذا قالوا: إن الداعي هو^(٣) غير المدعو لزم أن يكونا اثنين لا واحداً^(٤)، وإذا قالوا: هما واحد فالداعي هو المدعو.

الوجه^(٥) الخامس: أن يقال لا يخلو إما^(٦) أن يقولوا: إن اللاهوت كان قادراً على دفعهم عن ناسوته، وإما أن يقولوا: لم يكن قادراً، فإن قالوا لم يكن قادراً لزم أن يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين،

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤١٧/٣ .

(٢) في هـ (ومع) بدلاً من (فمع).

(٣) (هو) ساقطة من هـ .

(٤) في ط (واحد) بدلاً من (واحداً).

(٥) في ط (والوجه) بزيادة (و).

(٦) في ط (إلى) بدلاً من (إما).

وأن^(١) يكون رب العالمين مقهوراً مأسوراً مع قوم من شرار اليهود، وهذا من أعظم الكفر والتنقص برب العالمين، وهذا أعظم من قولهم: إن لله ولداً^(٢)، وأنه بخيل، وأنه فقير، ونحو ذلك مما يسب^(٣) به الكفار رب العالمين.

وإن قالوا: كان قادراً، فإن كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو كاره لذلك، فسنة الله في مثل ذلك نصر رسله المستغيثين^(٤) به، فكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به، وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو صابر، فإن أولئك صبروا حتى قتلوا شهداء، والناسوت عندهم استغاث وقال: (إلهي إلهي لماذا تركتني)، وإن كان هو قد فعل ذلك مكرراً، كما يزعمون أنه مكر بالشیطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق، فنا سوته أعلم بذلك من جميع الخلق، فكان الواجب أن لا يجزع ولا يهرب لما في ذلك من الحكمة، وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه، ما يقتضي أن كل ما جرى عليه كان بغير اختياره، ويقول بعضهم: مشيئتهما واحدة فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت؟ بل لو شاء اللاهوت ما يكرهه^(٥) كانا متباينين، وقد اتفقا على المكر بالعدو ولم يجزع الناسوت، كما جرى ليوسف^(٦) مع

(١) في ط (أن) بسقوط (و).

(٢) في هـ، ك (ولد) بسقوط (ا).

(٣) في ط (سب) بسقوط (ي).

(٤) في هـ (المستعنيين) بدلاً من (المستغيثين).

(٥) في س، أ، ك سقطت جملة (يشاء اللاهوت ما يكرهه).

(٦) يوسف: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم — عليهم الصلاة والسلام —

قصته معروفة وردت في السورة المسماة باسمه في القرآن الكريم.

انظر: تفسير القرآن العظيم — لابن كثير ٤٦٨/٢.

وانظر: ٤١٧/٣.

أخيه^(١) لما وافقه على أنه يحمل الصواع^(٢) في رحله، ويظهر أنه سارق، لم يجزع أخوه لما ظهر الصواع^(٣) في رحله، كما جزع إخوته حيث لم يعلموا، وكثير من الشطار^(٤) العيارين^(٥) يمسكون ويصلبون وهم ثابتون صابرون، فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح، وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلهية.

الوجه السادس: قولهم إنه كلمته وروحه تناقض منهم، لأنه عندهم أقنوم الكلمة فقط لا أقنوم الحياة^(٥).

الوجه السابع^(٦): قولهم: وقد برهن بقوله رأينا أيضاً في موضع آخر قائلاً: إن الله ألقى كلمته إلى مريم، وذلك حسب قولنا معشر النصارى: إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم واتحدت بإنسان كامل.

فيقال لهم^(٧): أما قول الله في القرآن فهو حق، ولكن ضللتم في تأويله كما ضللتم في تأويل غيره من كلام الأنبياء، وما بلغوه عن الله،

(١) أخو يوسف: هو بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم الصلاة والسلام - وكان شقيق يوسف.

انظر: تفسير القرآن العظيم - لابن كثير ٤٦٩/٢.

(٢) في ط (الصوامع) بدلاً من (الصواع).

(٣) الشطار: جمع شاطر وهو من أعيا أهله خبثاً.

انظر: مختار الصحاح ص ٣٣٧، ط. بيروت.

(٤) العيارون: جمع عيار، وهو كثير التطواف والحركة ذكي.

انظر: مختار الصحاح ص ٤٦٥.

(٥) الوجه السادس كله ساقط من هـ.

(٦) في هـ (الخامس) بدلاً من (السابع).

في ك (الخامس) وقد أضيفت (السابع) في الهامش وشطب كلمة (الخامس).

(٧) (لهم) ساقط من هـ، ك.

وذلك أن الله - تعالى - قال :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١﴾ .

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس هو ما يقوله النصارى :
منها أنه قال : (بكلمة منه) ، وقوله بكلمة منه نكرة في الإثبات تقتضي (٢) أنه كلمة من كلمات الله ، ليس هو كلامه كله كما يقول النصارى .

ومنها أنه يبين (٣) مراده بقوله بكلمة منه ، وأنه مخلوق حيث قال :

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .
كما قال في الآية الأخرى :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿٤﴾ .

وقال - تعالى - في سورة كهيعص :

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥﴾ .

(١) سورة آل عمران : الآيات ٤٥ - ٤٧ .

في هـ (وإذ قالت) بدلاً من (إذ قالت) بزيادة (و) وهذا خطأ .

(٢) في ط ، ك (يقتضي) بدلاً من (تقتضي) .

(٣) في ط (بين) بدلاً من (يبين) .

(٤) سورة آل عمران : من الآية ٥٩ . (٥) سورة مريم : من الآيتين ٣٤ ، ٣٥ .

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أنه قال له: (كن فيكون) وهذا تفسير كونه كلمة منه.

وقال اسمه المسيح عيسى بن مريم، أخبر أنه ابن مريم، وأخبر أنه وجهه^(١) في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وهذه كلها صفة مخلوق، والله - تعالى - وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك، وقالت مريم: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

فبين أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم. لا ولد الله - سبحانه وتعالى - .

وقال في سورة النساء:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٧٣﴾﴾.

فقد نهى النصارى عن الغلو في دينهم، وأن يقولوا على الله غير الحق، وبين أن المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى

(١) في ط، ك (وجهاً) بدلاً من (وجهه).

(٢) سورة النساء: الآيات ١٧١ - ١٧٣.

مريم^(١) وروح منه ، وأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسله ، فبين أنه رسوله ، ونهاهم أن يقولوا ثلاثة ، وقال : انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، وهذا تكذيب لقولهم في المسيح أنه^(٢) إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، ثم قال : — سبحانه — أن يكون له ولد ، فزعه نفسه وعظمها أن يكون له ولد ، كما تقوله النصارى ، ثم قال : له ما في السماوات وما في الأرض ، فأخبر أن ذلك ملك له ، ليس فيه شيء من ذاته ، ثم قال : لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون ، أي لن يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لله — تبارك وتعالى — ، فمع هذا البيان الواضح الجلي ، هل يظن ظان أن مراده بقوله وكلمته أنه إله خالق ، أو أنه صفة لله قائمة به ، وأن قوله : (وروح منه) المراد به أنه حياته ، أو روحه منفصلة عن ذاته .

ثم نقول^(٣) أيضاً : أما قوله وكلمته ، فقد بين مراده أنه خلقه بـ (كن) وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر ، فيسمى المخلوق خلقاً لقوله : (هذا خلق الله) ، ويقال : درهم ضَرَبَ الأمير ، أي مضروب الأمير ، ولهذا يسمى المأمور به^(٤) أمراً ، والمقدور قدرة^(٥) وقدراً ، والمعلوم علماً ، والمرحوم به رحمةً ، كقوله — تعالى — :

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(٦) .

(١) (ألقاها إلى مريم) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) (أنه) ساقطة من هـ .

(٣) في هـ (يقول) بدلاً من (نقول) .

(٤) في هـ (أنه) بدلاً من (به) .

(٥) (قدرة) ساقطة من هـ .

(٦) سورة الأحزاب : من الآية ٣٨ .

وقوله :

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾^(١).

وقال النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - : «يقول الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، ويقول للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي»^(٢)، وقال: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق ويتعاطفون، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك، فرحم بها الخلق»^(٣). ويقال: للمطر هذه قدرة عظيمة، ويقال: غفر الله لك علمه فيك، أي معلومه، فتسمية المخلوق بالكلمة كلمة من هذا الباب.

وقد ذكر الإمام أحمد في (كتاب^(٤) الرد على الجهمية)^(٥) - وذكره غيره - أن النصارى الحلولية^(٦) والجهمية المعطلة اعترضوا على أهل السنة، فقالت النصارى: القرآن كلام الله غير مخلوق، والمسيح كلمة الله فهو غير مخلوق، وقالت الجهمية: المسيح كلمة الله وهو مخلوق، والقرآن كلام الله فيكون مخلوقاً.

(١) سورة النحل: من الآية ١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (كتاب) ساقطة من هـ.

(٥) كتاب ألفه الإمام الجليل أحمد بن حنبل للرد على الجهمية والزنادقة، ويتكون من قسمين: الأول رد على الجهمية في شبههم، والثاني رد على القائلين بخلق القرآن. طبع مرتين ناقصاً، ثم طبع طبعة كاملة محققة في الرياض، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة - دار اللواء سنة ١٣٩٧ هـ.

(٦) في أ (والحلولية).

وأجاب أحمد وغيره: بأن المسيح نفسه ليس هو كلاماً، فإن المسيح إنسان، وبشر مولود من امرأة، وكلام الله ليس بإنسان ولا بشر ولا مولود من امرأة، ولكن المسيح خلق بالكلام، وأما القرآن فهو نفسه كلام الله فأين هذا من هذا؟^(١).

وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وما من عاقل إذا سمع قوله - تعالى - في المسيح - عليه السلام - : أنه كلمته ألقاها إلى مريم، إلّا^(٢) يعلم أنه ليس^(٣) المراد أن المسيح نفسه كلام الله، ولا أنه صفة الله ولا خالق.

ثم يقال للنصارى: فلو قدر أن المسيح نفس الكلام، فالكلام ليس بخالق، فإن القرآن كلام الله، وليس بخالق، والتوراة كلام الله وليست بخالقة، وكلمات الله كثيرة، وليس منها شيء خالق، فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز أن يكون خالقاً، فكيف وليس هو الكلام، وإنما خلق بالكلمة، وخص باسم الكلمة فإنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره، بل خرج عن العادة فخلق بالكلمة من غير السنة المعروفة في البشر^(٤).

وقوله: (بروح منه) لا يوجب أن يكون منفصلاً من ذات الله، كقوله - تعالى - :

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾^(٥).

(١) انظر: كتاب الرد على الجهمية - بمعناه - ص ١٢٤، ١٢٥.

(٢) في ط (الآ) بدلاً من (إلّا).

(٣) (ليس) ساقطة من ط.

(٤) في ط (بالبش) بدلاً من (في البش).

(٥) سورة الجاثية: من الآية ١٣.

وقوله - تعالى - :

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١).

وقال^(٢) - تعالى - :

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِّنْ نَّفْسِكَ﴾^(٣).

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ﴾^(١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ^(٤).

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة، وأبلغ من ذلك روح الله
التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة.

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى أن يكون مخلوقاً،
قال - تعالى - :

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ
مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾^(٥).
وقد قال - تعالى - :

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾^(٦).

(١) سورة النحل: من الآية ٥٣.

(٢) في ط (وقوله) بدلاً من (وقال).

(٣) سورة النساء: من الآية ٧٩.

(٤) سورة البينة: الآيات ١ - ٣.

في هـ ، ك أنهى الآية عند قوله تعالى: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ - ١٩.

في هـ ، ك (ليهب لك غلاماً) بدلاً من (لأهب لك غلاماً).

(٦) سورة التحريم: من الآية ١٢.

في هـ ، ك (ومريم «ابنة» عمران).

وقال:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

فأخبر أنه نفخ في مريم من روحه، كما أخبر أنه نفخ في آدم من روحه، وقد بين أنه أرسل إليها روحه، فتمثل لها بشراً سوياً، قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، قال: إنما أنا رسول ربك لأهب^(٢) لك غلاماً زكياً، قالت: أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً، قال: كذلك، قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً، حملته.

فهذا الروح الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً، مخلوق، وهو روح القدس الذي خلق المسيح منه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقاً فكيف الفرع الذي حصل منه^(٣) وهو روح القدس؟^(٤)، وقوله عن المسيح: (وروح منه) خص المسيح بذلك لأنه نفخ في أمه من الروح فحبلت به^(٥) من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح، فلهذا سمي روحاً منه.

ولهذا قال طائفة من المفسرين: روح منه، أي رسول منه سماه^(٦) باسم الروح الرسول الذي نفخ فيها^(٧)، فكما يسمى «كلمة» يسمى

(١) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٢) في هـ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).

(٣) في ط، ك (به) بدلاً من (منه).

(٤) (وهو روح القدس؟) ساقطة من هـ.

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) في ط (فسماه) بزيادة (ف).

(٧) (فيها) ساقطة من هـ، ك.

«روحاً»، لأنه كون بالكلمة، لا كما يخلق الآدميون غيره، ويسمى روحاً، لأنه حبلت به أمه بنفخ الروح الذي نفخ فيها، لم تحبل به من ذكر، كغيره من الآدميين، وعلى هذا فيقال: لما خلق من نفخ^(١) الروح ومن مريم سمى روحاً بخلاف سائر الآدميين، فإنه يخلق من ذكر وأنثى، ثم ينفخ فيه الروح^(٢) بعد مضي أربعة^(٣) أشهر.

والنصارى يقولون في أمانتهم: (تجسد من مريم، ومن روح القدس) ولو اقتصرنا على هذا، وفسرنا روح القدس بالملك الذي نفخ فيها، وهو روح الله لكان هذا موافقاً لما أخبر الله به، لكنهم جعلوا روح القدس حياة الله، وجعلوه رباً وتناقضوا في ذلك، فإنه على هذا كان ينبغي فيه أقنومان: أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وهم يقولون: ليس فيه إلا أقنوم الكلمة، وكما يسمى المسيح كلمة لأنه خلق بالكلمة، يسمى^(٤) «روحاً» لأنه حل به من^(٥) الروح.

فإن قيل: فقد قال في القرآن:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦).

وقال:

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٧).

(١) (نفخ) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) في ط (من الروح) بزيادة (من) .

(٣) في ك (أربع) بدلاً من (أربعة) .

(٤) في هـ (سمى) بدلاً من (يسمى) .

(٥) (من) ساقطة من ط .

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١١٤ .

(٧) سورة الزمر: من الآية ١ .

وقد قال أئمة المسلمين وجمهورهم: «القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ»، وقال في المسيح: «روح منه» قيل: هذا بمنزلة سائر المضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها أو صفة فيها، كان مخلوقاً، وإن كان صفة مضافاً إلى الله كعلمه وكلامه، ونحو ذلك كان إضافة صفة، وكذلك ما كان^(١) منه إن كان عيناً قائمة أو صفة قائمة بغيرها^(٢) كما في السماوات والأرض والنعم والروح الذي أرسله^(٣) إلى مريم، وقال: (إنما أنا^(٤) رسول ربك) كان مخلوقاً، وإن كان صفة لا تقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقاً، فإن ذلك قائم بالله، وما يقوم بالله لا يكون مخلوقاً والمقصود هنا بيان بطلان احتجاج النصارى، وأنه ليس لهم^(٥) في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة في سائر كتب الله، وإنما تمسكوا بآيات متشابهات، وتركوا المحكم، كما أخبر الله عنهم بقوله:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ﴾^(٦)

والآية نزلت في النصارى، فهم مرادون من الآية قطعاً، ثم قال:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ﴾^(٧)

(١) (كان) ساقطة من ط .

(٢) (في ط (يقين بغيرها) بزيادة (يقين)).

(٣) (في ط (أرسلها))

(٤) (أنا) ساقطة من ط .

(٥) (لهم) ساقطة من ك .

(٦) سورة آل عمران: من الآية ٧ .

(٧) سورة آل عمران: من الآية ٧ .

وفيه قولان وقراءتان، منهم من يقف عند قوله إلا الله، ويقول:
الراسخون في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه، لا يعلمه إلا الله.

ومنهم من لا يقف، بل يصل بذلك قوله - تعالى - :

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾^(١).

ويقول الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه، وكلا القولين
مأثور عن طائفة من السلف، وهؤلاء يقولون: قد يكون الحال من
المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله - تعالى - :

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾^(٢).

أي قائلين، وكلا القولين حق باعتبار، فإن لفظ التأويل يراد به
التفسير ومعرفة معانيه.

والراسخون^(٣) في العلم يعلمون تفسير القرآن، قال الحسن
البصري^(٤) لم ينزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم^(٥) في ماذا نزلت،
وماذا عنى بها^(٦)؟

وقد يعنى بالتأويل ما استأثر الله بعلمه من كيفية ما أخبر به عن
نفسه، وعن اليوم الآخر، ووقت الساعة، ونزول عيسى، ونحو ذلك،

(١) (كل من عند ربنا) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) سورة الحشر: من الآية ١٠ .

(٣) في ط (الراسون) بدلاً من (الراسخون) .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) في ط (نعلم) بدلاً من (يعلم) .

(٦) هذا الكلام عن الحسن البصري لم نعثر عليه فيما رجعنا إليه من كتب علوم القرآن
كالبرهان ونحوه .

فهذا التأويل لا يعلمه إلا الله ، وأما لفظ التأويل إذا أريد به صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل يقترب به ، فلم يكن السلف يريدون بلفظ التأويل هذا ، ولا هو معنى التأويل في كتاب الله - عز وجل - .
ولكن طائفة من المتأخرين خصوا لفظ التأويل بهذا ، بل لفظ التأويل في كتاب الله يراد به ما يؤول إليه الكلام ، وإن وافق ظاهره ، كقوله - تعالى - :

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ (١) .

ومنه تأويل الرؤيا كقول يوسف الصديق (٢)

﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣) .

وكقوله :

﴿ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ (٤) .

وقوله :

﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥) .

وهذا مبسوط في موضع آخر .

والمقصود هنا أنه ليس للنصارى حجة لا في ظاهر النصوص ،

ولا في (٦) باطنها ، كما قال - تعالى - :

(١) سورة الأعراف : من الآية ٥٣ .

(٢) سبقت الإشارة إليه ٦١ / ٤ .

(٣) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(٤) سورة يوسف : من الآية ٣٧ .

(٥) سورة النساء : من الآية ٥٩ .

(٦) (في) ساقطة من ط .

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (١).

والكلمة عندهم هي جوهر، وهي رب لا يخلق بها الخالق، بل هي الخالقة لكل شيء، كما قالوا في كتابهم: (إن كلمة الله الخالقة) (٢) الأزلية حلت في مريم) (٣)، والله - تعالى - قد أخبر أنه - سبحانه - ألقاها إلى مريم والرب - سبحانه - هو الخالق، والكلمة التي ألقاها ليست خالقة، إذ الخالق لا يلقيه شيء، بل هو يلقي غيره، وكلمات الله نوعان: كونية، ودينية.

فالكونية: كقوله للشيء كن فيكون.

والدينية: أمره وشرعه الذي جاءت به الرسل، وكذلك أمره وإرادته وإذنه (٤) وإرساله وبعثه ينقسم إلى هذين القسمين، وقد ذكر الله - تعالى - (٥) إلقاء القول في غير هذا، وقد قال - تعالى - :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ (٦).

وقال - تعالى - :

﴿ وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا

(١) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٢) في هـ (هي الخالقة) بزيادة (هي).

(٣) وجدت في الإصحاح الأول، إنجيل لوقا: (٣٥) - فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلك... العهد الجديد ص ٩٠.

(٤) وإذنه) ساقطة من هـ.

(٥) (تعالى) ساقطة من هـ، ك.

(٦) سورة النساء: من الآية ٩٤.

الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْمُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ ﴿٨٧﴾ (١).

وقال - تعالى - :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (٢).

وأما لقنته القول ولقيته (٣) فتلقاها، فذلك (٤) إذا أردت أن تحفظه، بخلاف ما إذا ألقىته إليه، فإن هذا يقوله فيما يخاطبه (٥) به وإن لم يحفظه، كمن ألقىته إليه القول، بخلاف القول إنكم لكاذبون، وألقوا إليهم السلام. وليس هنا إلا خطاب سمعوه لم يحصل نفس صفة المتكلم في المخاطب، فكذلك مريم إذا ألقى الله كلمته إليها، وهي قول: «كن» لم يلزم أن تكون نفس صفته القائمة به حلت في مريم كما لم يلزم أن تكون صفته القائمة به حلت في سائر من ألقى إليه (٦) كلامه، كما لا تحصل صفة كل متكلم فيمن يلقى إليه (٧) كلامه.



(١) سورة النحل: الآيتان ٨٦ - ٨٧.

في هـ، ك (السلام) بدلاً من (السلام).

(٢) سورة الممتحنة: من الآية ١.

(٣) في ط (وأما لقيته القول) بدلاً من (وأما لقنته القول ولقيته).

(٤) في ك (فذلك) بدلاً من (فذلك).

(٥) في هـ، ك (خاطبه) بدلاً من (يخاطبه).

(٦) (إليه) ساقطة من ط.

(٧) في ط (إلى) بدلاً من (إليه).

فصل

بيان اضطراب
كلام النصارى
وتفرقهم في باب
طبيعة المسيح

وأما قولهم: وعلى هذا المثل نقول: في السيد المسيح طبيعتان:
طبيعة لاهوتية: التي هي طبيعة كلمة الله وروحه.

وطبيعة ناسوتية: التي^(١) أخذت من مريم العذراء، واتحدت^(٢) به.

فيقال لهم: كلام النصارى في هذا الباب مضطرب مختلف^(٣)
متناقض^(٤)، وليس لهم في ذلك قول اتفقوا عليه، ولا قول معقول،
ولا قول دل عليه كتاب، بل هم فيه فرق وطوائف^(٥)، كل فرقة تكفر
الأخرى، كاليقونية^(٦) والملكانية^(٧)، والنسطورية^(٨)، ونقل الأقوال
عنهم في ذلك مضطربة، كثيرة الاختلاف.

ولهذا يقال: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولاً،
وذلك أن ما هم عليه من اعتقادهم من التثليث والاتحاد، كما هو مذكور
في أمانتهم، لم ينطق به شيء من كتب^(٩) الأنبياء، ولا يوجد لا في كلام

(١) في هـ، ك (الذي).

(٢) في هـ، ك (اتحد) بدلاً من (اتحدت).

(٣) (مختلف) ساقطة من هـ.

(٤) في ط، ك (متناقض) بدلاً من (متناقض).

(٥) في ك (طوائف) بدلاً من (طوائف).

(٦) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٥٥/٣.

(٧) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٥٥/٣.

(٨) سبقت الإشارة إلى هذه الفرقة ٢٨/٣.

(٩) في ط (كتب) بدلاً من (كتب).

المسيح ولا الحواريين ولا أحد من الأنبياء، ولكن عندهم في الكتب ألفاظاً متشابهة وألفاظاً محكمة يتنازعون في فهمها، ثم القائلون منهم بالأمانة، وهم عامة النصارى اليوم من الملكانية^(١)، والنسطورية، واليعقوبية، مختلفون في تفسيرها، ونفس قولهم متناقض يمتنع تصوره على الوجه الصحيح.

فلهذا صار كل منهم يقول ما يظن أنه أقرب من غيره، فمنهم من يراعي لفظ أمانتهم، وإن صرح بالكفر الذي يظهر فساد له لكل أحد كاليقوبية، ومنهم من يستر بعض ذلك كالنسطورية، وكثير منهم وهم الملكانية^(٢) بين هؤلاء وهؤلاء، ولما ابتدعوا ما ابتدعوا^(٣) من التثليث والحلول كان فيهم من يخالفهم في ذلك.

وقد يوجد نقل الناس لمقالاتهم مختلفاً^(٤)، وذلك بحسب قول الطائفة التي ينقل ذلك الناقل قولها، والقول الذي يحكيه كثير من نظار المسلمين يوجد كثير منهم على خلافه، كما نقلوا عنهم ما ذكره أبو المعالي^(٥) وصاحبه أبو القاسم

(١) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٢) في ك، هـ (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٣) في ط (ما ابتدعوه) بدلاً من (ابتدعوا).

(٤) في هـ، ك (مختلفة) بدلاً من (مختلفاً).

(٥) أبو المعالي: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، إمام

الحرمين - أعلم المتأخرين من الشافعية - ولد في جوين من قرى نيسابور عام

٤١٩ هـ - سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبو محمد الجويني - درس بعد

والده في حلقة ودخل بغداد وتفقه بها ثم خرج إلى مكة وجاور بها أربع سنوات، ثم

انتقل إلى المدينة يدرس ويفتي ولهذا لقب بإمام الحرمين ثم عاد إلى نيسابور وتولى

الخطابة، وكان يجلس للوعظ وللمناظرة والتدريس، وصنف في كل فن ومن تصانيفه =

الأنصاري^(١)، وغيرهما: أن القديم واحد بالجواهر، ثلاثة بالأقنوم،
وأنهم يعنون بالأقنوم: الوجود، والحياة، والعلم.

ونقلوا عنهم: أن الحياة والعلم ليسا بوصفين زائدين على الذات
موجودين، بل هما صفتان نفسيتان للجواهر، قالوا: ولو مثل مذهبهم
بمثال لقليل: إن الأقانيم عندهم تنزل منزلة الأحوال والصفات النفسية
عند مثبتتها من المسلمين، فإن سوادية اللون، ولونيته، صفتان نفسيتان
للعرض، قال: وربما يعبرون عن^(٢) الأقانيم بالأب وروح القدس،
فيعونون بالأب الوجود^(٣)، وبالأب المسيح والكلمة^(٤)، وربما سمو^(٥) العلم

الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، والعقيدة النظامية، وغيث
الأمم، وكتاب شفاء الغليل في الرد على أهل الإنجيل، توفي بقرية من أعمال
نيسابور يقال لها بشتناق في عام ٤٧٨ هـ ودفن في داره بنيسابور ثم نقل بعد فترة إلى
مقبرة الحسين هناك ودفن بجانب والده، وكان تلاميذه عند وفاته قريباً من أربعمئة
شخص.

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣؛ وشذرات الذهب ٣٥٨/٣؛ والبداية والنهاية
١٢٨/١٢؛ والأعلام للزركلي ٣٠٦/٤.

(١) أبو القاسم الأنصاري: هو سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري
النيسابوري الأرغاني - أبو القاسم من الأئمة في علم الكلام - مولده ووفاته في
نيسابور - ونسبته إلى أرغيان من نواحيها - كان تلميذاً لإمام الحرمين - وكان زاهداً
متصوفاً - وهو من فقهاء الشافعية - صنف كتاب الغنية في فقه الشافعية - وشرح
الإرشاد في أصول الدين للجويني، وضعف بصره وسمعه في آخر عمره - توفي سنة
٥١١ هـ، وقيل ٥١٢ هـ.

انظر: طبقات الشافعية ٩٦/٧؛ وشذرات الذهب ٣٤/٤؛ والأعلام للزركلي
١٧٠/٣.

(٢) في ط (على) بدلاً من (عن).

(٣) في هـ (الموجود) بدلاً من (الوجود).

(٤) (الكلمة) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (يسمون) بدلاً من (سموا).

كلمة، والكلمة علماً، ويعبرون^(١) عن الحياة بالروح، قال: ولا يريدون بالكلمة الكلام، فإن الكلام عندهم من صفات الفعل، ولا يسمون العلم قبل تدرعه بالمسيح واتحاده به ابناً، بل المسيح عندهم مع ما^(٢) تدرع به ابن، قالوا: ومن مذهبهم أن الكلمة اتحدت بالمسيح وتدرعت بالناسوت، ثم اختلفوا^(٣) في معنى الاتحاد، فمنهم من فسره بالاختلاط والامتزاج، وهذا مذهب طوائف من يعقوبية والنسطورية والملكانية^(٤)، قالوا: إن الكلمة خالطت جسد المسيح، ومازجته كما مازج الخمر الماء أو اللبن^(٥) قالوا: وهذا مذهب الروم ومعظمهم الملكانية^(٦)، قالوا: فمازجت الكلمة جسد المسيح فصارت شيئاً واحداً، وصارت الكثرة قلة.

وذهبت طائفة من اليعاقبة إلى أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، وقالوا: وصارت شرذمة من كل صنف إلى أن المراد بالاتحاد ظهور اللاهوت على الناسوت، كظهور الصورة في المرآة، والنقش في الخاتم.

ومنهم من قال: ظهور اللاهوت على الناسوت كاستواء الإله على العرش عند المسلمين، وذهب كثير من هذه الطوائف إلى أن المراد بالاتحاد الحلول، قالوا: وقد اختلفوا أيضاً في الجوهر^(٧) والأقانيم

(١) في هـ (يعبرون) بسقوط الواو.

(٢) في هـ ، ك (معما) بدلاً من (مع ما).

(٣) في هـ (واختلفوا) بدلاً من (ثم اختلفوا).

(٤) في هـ ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٥) في هـ ، ك (اللبن أو الماء) بدلاً من (الماء أو اللبن).

(٦) في هـ ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٧) في ط (الجواهر) بدلاً من (الجوهر).

فذهبت اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس بغير الأقانيم .
ولا يقال : إنه هي ، وصرحت^(١) الملكانية^(٢) بأنه غير الأقانيم ،
وآخرون قالوا : هو الأقانيم .

قالوا^(٣) : وافترقت النصارى من وجه آخر ، فذهبت الروم^(٤) إلى
التصريح بإثبات ثلاثة آلهة ، وامتنعت اليعقوبية والنسطورية من ذلك في
وجه والتزموه من وجه ، وذلك أنهم قالوا : الكلمة إله ، والروح إله ،
والأب إله ، والثلاثة الأقانيم التي كل أقنوم إله ، إله واحد^(٥) .

قالوا : وذهبت شرذمة من النصارى إلى أن عيسى كان ابناً لله على
جهة الكرامة ، فكما اتخذ الله^(٦) إبراهيم خليلاً ، كذلك اتخذ عيسى ابناً .

قالوا : وهؤلاء يقال لهم : الأريوسية . فهذا نقل طائفة من نظار
المسلمين ، وهذا قول لمن قاله من النصارى ، وفيه ما هو مخالف لصريح
أمانتهم ، وما عليه جمهورهم ، مثل قوله : إنهم لا يسمون العلم قبل
تدرعه بالمسيح ابناً ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن ، فإن هذا خلاف
ما عليه فرق النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية ، وخلاف
ما تضمنته أمانتهم ، * إذ صرحوا فيها بأن الكلمة ابن قديم أزلي مولود
قبل الدهور ، وهذا صفة اللاهوت عندهم ، وفيها أشياء يقولها بعض
النصارى لا كلهم ، وكذلك نقلهم عنهم : أنهم لا يريدون بالكلمة
الكلام ، فإن الكلام عندهم صفة فعل ، وهذا قول طائفة منهم ومن

(١) في ط (صرحت) بسقوط الواو .

(٢) في هـ ، ك (الملكىة) بدلاً من (الملكانية) .

(٣) المقصود : أبو المعالي وصاحبه .

(٤) يقصد : الملكانية .

(٥) (واحد) ساقطة من هـ ، ك .

(٦) سقط من ط لفظ الجلالة (الله) .

اليهود، وكثير منهم أو أكثرهم يقولون: إن كلام الله غير مخلوق، وينكرون على من يقول: إنه مخلوق*^(١).

ونقلت طائفة أخرى منهم أبو الحسن بن الزاغوني^(٢) عنهم ما يوافق هذا من وجه دون^(٣) وجه، فقالوا: اتفقت طوائف النصارى على أن الله ليس بجسم، واتفقوا على أنه جوهر واحد ثلاثة أقانيم، وأن كل واحد من الأقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: إن الأقانيم مختلفة في الأبنومية، متفقة في الجوهرية.

وقال آخرون: ليست مختلفة في الأبنومية، بل متغايرة، وقال فريق منهم: إن كل واحد منها لا هو الآخر، ولا هو غيره، وليست متغايرة ولا مختلفة، وزعموا أن الجوهر ليس هو غيرها إلا ما ذكر عن طائفة من الملكانية^(٤)، فإنهم قالوا: إن الأقانيم هي الجوهر غير الأقانيم وزعموا أن الجوهر هو الأب، والأقانيم الحياة، وهي روح القدس والقدرة والعلم، وأن الله اتحد بأحد الأقانيم الذي هو الابن بعيسى ابن مريم، وكان مسيحاً عند الاتحاد، لاهوتاً وناسوتاً حمل، وولد، ونشأ، وقتل وصلب، ودفن.

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٢) أبو الحسن الزاغوني: هو علي بن عبد الله بن نصر بن السري أبو الحسن بن الزاغوني مؤرخ فقيه أحد أئمة الحنابلة - من أهل بغداد - ولد سنة ٤٥٥ هـ - كان متفتناً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله - كان مشهوراً بالصلاح والديانة والورع - له مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب الإقناع في الفقه والإيضاح في أصول الدين، وغرر البيان في أصول الفقه، له تاريخ على السنين - توفي ببغداد سنة ٥٢٧ هـ ودفن في مقبرة الإمام أحمد وشيعه خلق كثير. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٨٠؛ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٥؛ وشذرات الذهب ٨٠/ ٤؛ والأعلام للزركلي ١٢٤/ ٥.

(٣) في ك (وهذا) بدلاً من (دون). (٤) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

واختلفوا - أيضاً^(١) - فقالت النسطورية: إن المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث، وأن اتحاده إنما هو بالمشيئة، وأن مشيئتهما واحدة، وإن كانا جوهرين.

وقالت اليعقوبية: لما اتحدا صار الجوهران: الجوهر القديم، والجوهر المحدث جوهرًا واحدًا.

واختلفوا ها هنا فقال بعضهم: الجوهر المحدث صار قديمًا، وزعم آخرون أنهما لما اتحدا صارا جوهرًا واحدًا قديمًا من وجه محدثًا من وجه آخر^(٢).

وقالت الملكانية: إن المسيح جوهران أقنوم واحد. وحكى عن بعضهم أنه أقنومان جوهر واحد^(٣)، وقالت^(٤) الأريوسية: إن الله ليس بجسم ولا أقانيم له، وأن المسيح لم يصلب ولم يقتل، وأنه نبي وحكى عن بعضهم أنه قال: المسيح ليس بابن^(٥) الله، وحكى عن بعضهم أنه ابن الله على التسمية والتقريب.

واختلفوا في الكلمة الملقاة إلى مريم، فقالت طائفة منهم: إن الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة، كما يحل الماء في اللبن فيمازجه ويخالطه، وقالت^(٦) طائفة منهم: إنها حلت في مريم من غير ممازجة، كما أن شخص الإنسان يحل في المرأة، وفي الأجسام الصقيلة من غير ممازجة.

(١) أيضاً ساقطة من هـ، ك.

(٢) آخر ساقطة من ط، ك.

(٣) في هـ (جوهر واحد وحكى عن بعضهم) بزيادة (وحكى عن بعضهم).

(٤) في ط (وقال) بدلاً من (وقالت).

(٥) في هـ (ابن) بسقوط (ب).

(٦) في ط، ك (فقلت) بزيادة (ف).

وزعمت طائفة من النصارى أن الناسوت مع اللاهوت كمثل الخاتم مع الشمع، يؤثر فيه بالنقش، ثم لا يبقى منه شيء إلا أثره.

قال أبو الحسن بن الزاغوني، ومن معه^(١): واختلفت النصارى في الأقانيم، فقال قوم منهم: هي جواهر، وقال قوم: هي خواص، وقال قوم: هي صفات، وقال قوم: هي أشخاص: والأب عندهم الجوهر الجامع للأقانيم، والابن هو الكلمة التي اتحدت عند مبدأ المسيح، والروح هي الحياة، واجتمعوا على أن الاتحاد صفة فعل، وليس بصفة ذات.

قالوا: واختلف قولهم في الاتحاد^(٢) اختلافاً متبايناً، فزعم قوم منهم أن الاتحاد: هو أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح، وقيل: هذا قول الأكثرين منهم.

وزعم قوم منهم أن الاتحاد: هو الاختلاط والامتزاج، وقال قوم من اليعقوبية: هو أن كلمة الله^(٣) قد انقلبت لحماً ودماً بالاختلاط، وقال كثير من اليعقوبية والنسطورية: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمير وامتزاجهما، وكذلك الخمر باللبن.

وقال قوم منهم: الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اتحدا فصارا^(٤) هيكلاً واحداً.

(١) في ط، ك (قالت هذه الطائفة وأبو الحسن بن الزاغوني ومن معه) بدلاً من (قال أبو الحسن بن الزاغوني ومن معه).

(٢) في هـ (واختلفوا في الاتحاد) بدلاً من (واختلف قولهم في الاتحاد). وفي ك (واختلفوا كلهم في الاتحاد).

(٣) في هـ (الكلمة) بدلاً من (كلمة الله).

(٤) في ط (فصار) بدلاً من (فصارا).

وقال قوم منهم: الاتحاد مثل ظهور صورة الإنسان في المرأة، وكظهور الطابع في المطبوع، مثل الخاتم في الشمع، وقال قوم منهم: الكلمة اتحدت بجسد المسيح على معنى أنها حلتها من غير مماسة ولا مmazجة، كما نقول: الله في السماء على العرش من غير مماسة ولا مmazجة، وكما نقول: إن العقل جوهر حال في النفس من غير مخالطة للنفس ولا مماسة لها، وقالت الملكانية^(١): الاتحاد أن الاثنين صاروا واحداً، وصارت الكثرة قلة.

وهذا الذي نقله عنهم أبو الحسن الزاغوني هو نحو ما نقله عنهم القاضي أبو بكر^(٢) ابن الطيب، والقاضي أبو يعلى^(٣)، وغيرهما. وقال أبو محمد بن حزم^(٤) النصاري فرق منهم أصحاب أريوس^(٥)، وكان قسيساً بالاسكندرية، ومن قوله: التوحيد المجرد، وأن عيسى عبد

(١) في هـ، ك (الملكية) بدلاً من (الملكانية).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) أبو محمد بن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد - عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام - ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ - كان حافظاً عالماً مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة - وكان شافعي المذهب ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر - وهو الذي نشره ودعا إليه - له مصنفات كثيرة مشهورة في شتى الفنون والعلوم من أشهرها: كتاب المحلى في الفقه، وكتاب الفصل في الملل، وكتاب الأحكام لأصول الأحكام، وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، وبيان ناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل، وقد كان من بيت رياسة وملك، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم من لسانه أحد - أخرج من بلاده وشرد - توفي في بادية لبلة سنة ٤٥٦هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٣/٣٢٥؛ والبداية والنهاية ١٢/٩١؛ وشذرات الذهب ٣/٢٩٩؛ والأعلام للزركلي ٥/٥٩.

(٥) سبقت ترجمته.

مخلوق، وأنه كلمة الله التي بها خلق السماوات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول^(١) باني القسطنطينية^(٢) وأول من تنصر من ملوك الروم، وكان على مذهب أريوس هذا.

قال: ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي^(٣)، وكان بطرياركاً بأنطاكية^(٤) قبل ظهور النصرانية، وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء – عليهم السلام –، خلقه الله في بطن أمه^(٥) مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه البتة، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة، ولا الروح القدس، قال: وكان منهم أصحاب مقدونيوس^(٦)، كان بطرياركاً بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين^(٧) باني القسطنطينية، وكان هذا الملك أريوسيا كأبيه، وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد، وأن عيسى – عليه السلام – عبد مخلوق إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء – عليهم السلام –، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبق التعريف بها.

(٥) (أمه) ساقطة من ط، ك.

(٦) مقدونيوس: هو مقدونيوس – كان بطرياركاً على القسطنطينية لمدة عشر سنوات، وكان يقول إن روح القدس مخلوقة.

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٣٦.

(٧) قسطنطين بن قسطنطين: يطلق عليه قسطنطين الثاني (٣١٦ – ٤٠٠ ق.م) الذي استولى على بريطانيا وبلاد البرتغال وأسبانيا، وقد شعر أنه خدع في القسمة ولذلك حارب قسطنطين، ولكنه قتل في أثناء غزوه إيطاليا.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨٠.

القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك، قال: وكان منهم البربرانية^(١)، وهم يقولون: إن عيسى وأمه إلهان من دون الله -تعالى-^(٢)، قال: وهذه الفرق قد بادت، وعمدتهم اليوم ثلاث فرق، وأعظمها فرق الملكانية، وهي^(٣) مذهب جميع ملوك النصارى^(٤) حيث كانوا - حاشا الحبشة^(٥) والنوبة^(٦) - ومذهب عامة أهل كل^(٧) مملكة النصارى - حاشا النوبة والحبشة، وهو^(٨) مذهب جميع نصارى أفريقيا^(٩)، وصقلية^(١٠)،

(١) سبق التعريف بها.

(٢) (تعالى) ساقطة من هـ.

(٣) في هـ (وهو) بدلاً من (وهي).

(٤) في هـ (الروم) بدلاً من (النصارى). (٥) سبق التعريف بها.

(٦) النوبة: هي أرض واسعة جنوب مصر وعلى جانبي النيل، وعامة أهلها نصارى، شيد فيها الفراعنة كثيراً من المدن والحصون والمعابد لتأمين طرق التجارة إلى السودان قامت بها عدة ممالك مسيحية أهمها مملكة دنقلة التي استمرت حتى القرن الرابع عشر الميلادي، ثم دخلها الإسلام منذ ظهوره، وانتهت دولة المسيحية. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٥١؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٤.

(٧) (كل) ساقطة من ط، ك.

(٨) (هو) ساقطة من ط، ك.

(٩) أفريقية: هذا الاسم يطلق قديماً على البلاد الواقعة بين مدينة برقة في شرقي ليبيا إلى طنجة بالمغرب وهي البلاد التي فتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتمتد شمالاً وجنوباً من البحر المتوسط إلى الجبال والرمال العظيمة في شمال السودان وما حاذها. انظر: معجم البلدان ١/٢٢٨؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٨.

(١٠) صقلية: جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط مقابلة لأفريقيا وهي مثلثة الشكل، كانت قليلة العمارة خاملة قبل الإسلام، هرب إليها بعض أهل أفريقيا عند الفتح الإسلامي، وفتحها القاضي أسد بن الفرات، في أيام بني الأغلب سنة ٢١٢هـ وبقيت في أيدي المسلمين مدة، ثم ظهر عليها الكفار فملكوها إلى اليوم. انظر: معجم البلدان ٢/٤١٦؛ وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٢١٥؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٢٦.

والأندلس^(١)، وجمهور الشام^(٢)، وقولهم أن الله - تعالى الله عن قولهم - ثلاثة أشياء: أب، وابن، وروح القدس كلها لم تنزل، وأن عيسى إله تام كله وإنسان تام ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله - تعالى الله عن كفرهم - .

وقالت النسطورية: مثل ذلك سواء بسواء، إلا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله - تعالى الله عن كفرهم - وهذه الفرقة غالبية على الموصل^(٣) والعراق^(٤) وفارس^(٥) وخراسان^(٦)، وهم منسوبون^(٧) إلى نسطور^(٨)، وكان بطرياركاً بالقسطنطينية.

وقالت اليعقوبية: إن المسيح هو الله نفسه؛ وأن الله - تعالى الله^(٩) عن عظيم كفرهم - مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا

(١) الأندلس: إقليم في جنوبي أسبانيا وهو شبه جزيرة كبيرة يحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب المحيط الأطلسي، وهي بلاد جميلة كثيرة الأنهار والأشجار والثمار، دخلها الإسلام في عهد عبد الملك بن مروان بقيادة طارق بن زياد، وظل فيها المسلمون قرابة سبعة قرون، وكان هذا العصر الذهبي لهذه البلاد. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٤١؛ ومعجم البلدان ١/٢٦٢.

(٢) جمهور الشام: راجع ١٤٢/٣.

(٣) الموصل: راجع ١٧/٣.

(٤) العراق: راجع ١٤٣/٣.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) سبق التعريف بها.

(٧) في ط (منسويين) بدلاً من (منسوبون).

(٨) نسطور: هو نسطوريورس بطريك القسطنطينية. راجع ٢٨/٣.

(٩) سقط من ط، ك لفظ الجلالة (الله).

مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، والله - تعالى (١) - عاد محدثاً، والمحدث عاد قديماً، والله - تعالى - كان (٢) في بطن مريم محمولاً به، وهم في أعمال مصر (٣) وجميع النبوة، وجميع الحبشة، وملوك الأمتين المذكورتين (٤).

قلت (٥): ومن أخبر (٦) الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم، وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم، ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب (٧)، الذي كتب رسالة إلى أخيه علي بن أيوب (٨)، يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام، قال في رسالته (٩) إلى أخيه لما كتب إليه يسأله عن سبب إسلامه بعد أن ذكر (١٠) خطبته: «ثم أعلمك - أرشدك الله (١١) - أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع بالقول (١٢) به من أكثر

(١) (تعالى) ساقطة من ط، ك.

(٢) في ط، ك (وأنه تعالى هو كان) بدلاً من (والله تعالى كان).

(٣) أعمال مصر: راجع ١٤٣/٣.

(٤) في هـ (الأرمنين) بدلاً من (الأمتين المذكورتين). (انظر الفصل لابن حزم).

(٥) (قلت) ساقطة من ط، ك.

(٦) في ط، ك (أعلم) بدلاً من (أخبر).

(٧) (٨) الحسن بن أيوب وعلي بن أيوب: لم نقف لهما على ترجمة - بالرغم من البحث المضني، لكن وردت إشارة إليه في كتاب الفهرست للنديم ص ٢٤٦ يقول فيها: «وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالاتهم، وثبيت النبوة»، وهذه الإشارة تجعلنا نجزم بأن الحسن بن أيوب عاش قبل تأليف كتاب الفهرست للنديم الذي توفي حوالي عام ٣٧٧ هـ والله أعلم.

(٩) رسالة الحسن بن أيوب. لم أقف لها على ذكر.

(١٠) (أن ذكر) ساقطة من هـ.

(١١) (أرشدك الله) ساقطة من ط، ك.

(١٢) في ط، ك (للقول) بدلاً من (بالقول).

من عشرين سنة، لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله - عز وجل - بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم وغيرها، مما تضمنته شريعة النصارى، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تقرير^(١) ذلك، وكنت إذا تبهرته وأجلت الفكر^(٢) فيه بان لي عواره، ونفرت نفسي من قبوله، وإذا فكرت في دين الإسلام الذي من الله عليّ به وجدت أصوله ثابتة، وفروعه مستقيمة، وشرائعه جميلة.

وأصل ذلك ما لا يختلف فيه أحد ممن عرف الله - عز وجل - منكم ومن غيركم، وهو الإيمان بالله الحي القيوم، السميع البصير، الواحد الفرد، الملك القدوس، الجواد العدل، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وإله موسى وعيسى^(٣)، وسائر النبيين، والخلق أجمعين، الذي لا ابتداء له، ولا انتهاء ولا ضد ولا ند، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، الذي خلق الأشياء كلها لا من شيء ولا على مثال، بل كيف شاء. وبأن قال لها: كوني فكانت على ما قدر وأراد، وهو العليم القدير، الرؤف الرحيم، الذي لا يشبهه^(٤) شيء، وهو الغالب فلا يغلب، والجواد فلا يبخل، لا يفوته مطلوب، ولا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وكل^(٥) مذكور عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) في ط، ك (تنوير) بدلاً من (تقرير).

(٢) في هـ (الفكرة) بزيادة (ة).

(٣) في ط (عيسى وموسى) بتقديم وتأخير.

(٤) في هـ (يشبه) بدلاً من (يشبهه).

(٥) في ط، ك (فكل) بدلاً من (وكل).

المشركون، ونؤمن بموسى وعيسى وسائر الأنبياء - عليهم الصلاة^(١) والسلام - ، لا نفرق بين أحد منهم، ونؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن^(٢)، وسائر الكتب التي أنزلها الله - تعالى - على أنبيائه، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وأن الأبرار لفي نعيم، وأن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين، ذلك بما كسبت أيديهم^(٣)، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

قال^(٤): وكان يحملني إلف ديني^(٥)، وطول المدة والعهد عليه، والاجتماع مع الآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأقارب والإخوان والجيران وأهل المودات، على التسوية بالعزم والتلبث عن إبرام الأمر، ويعرض مع ذلك الفكر في إمعان النظر والازدياد في البصيرة، فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور، وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته، ولا شيئاً من مقالات النصرانية إلا تأملته، فلما لم^(٦) أجد للحق مدفعاً، ولا للشك فيه موضعاً، ولا للأناة والتلبث وجهاً، خرجت مهاجراً إلى الله - عز وجل -^(٧) بنفسي، هارباً بديني عن نعمة وأهل مستقر ومحل وعز ومتصرف في عمل، فأظهرت ما أظهرته عن نية صحيحة وسريرة صادقة، ويقين ثابت، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق^(٨)،

(١) (الصلاة) ساقطة من ط، ك.

(٢) في هـ (الفرقان) بدلاً من (القرآن).

(٣) في ط (بما قدمت أيديكم) بدلاً من (بما كسبت أيديهم).

(٤) يقصد الحسن بن أيوب.

(٥) في هـ، ك (الدين) بدلاً من (ديني).

(٦) في ط، ك (فلم) بدلاً من (فلما لم).

(٧) (عز وجل) ساقطة من هـ.

(٨) (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ساقطة من ط، ك.

وإياه - تعالى - (١) نسأل أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

قال (٢): ولما (٣) نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفاً منهم يعرفون بالأريوسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح - عليه السلام - ، ولا يقولون فيه شيئاً مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرون بما جاء به تلاميذه، والحاملون عنه. فكانت هذه الطبقة قرية من الحق، مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ودفع ما جاء به من الكتاب والسنة.

قال: ثم وجدت منهم صنفاً (٤) يعرفون باليعقوبية، يقولون: إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: إحداهما طبيعة الناسوت، والأخرى طبيعة اللاهوت، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن فصارتا إنساناً واحداً، وجوهرأً واحداً، وشخصاً واحداً. وأن هذه الطبيعة الواحدة، والشخص الواحد هو المسيح، وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين.

وقالوا: إن مريم ولدت الله - تعالى الله عما يقولون (٥) - وإن الله مات وتألم (٦) وصلب متجسداً ودفن وقام من بين الأموات، وصعد إلى

(١) تعالى ساقطة من ط، ك.

(٢) يقصد الحسن بن أيوب.

(٣) في هـ (فلما) بدلاً من (ولما).

(٤) في هـ (صنفاً منهم) بتقديم وتأخير.

(٥) في هـ (يصفون) بدلاً من (يقولون).

(٦) في هـ، ك (ألم) بدلاً من (تألم).

السماء فجاءوا من القول بما لو عرض على السماء لانفطرت، أو على الأرض لانشقت، أو على الجبال لانهدت، فلم يكن لمحااجة هؤلاء وجه، إذ كان كفرهم بما صرحوا به أوضح من أن يقع فيه الشك، (وكان غيرهم من النصارى كالمالكانية والنسطورية يشهدون بذلك عليهم)^(١).

قال: ثم نظرت في قول الملكانية - وهم الروم، وهم أكثر النصارى^(٢) فوجدتهم^(٣) قالوا: إن الابن الأزلي الذي هو الله الكلمة تجسد من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس، وركب في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنساناً بالنفس والجسد اللذين هما من جوهر الناس، وإلهاً بجوهر اللاهوت، كمثّل أبيه لم يزل وهو إنسان بجوهر الناسوت، مثل إبراهيم وداود وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت، كما لم يزل يصح^(٤) له جوهر^(٥) الناسوت الذي لبسه^(٦) من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة^(٧) من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته^(٨) مشيئة مثل الأب والروح وله بناسوته مشيئة مثل مشيئة^(٩) إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت إلهاً، وأن المسيح، وهو اسم يجمع

(١) ما بين القوسين كتب في هـ : هكذا (وكنتم جميعاً تشهدون بذلك عليهم).

(٢) (وهم أكثر النصارى) ساقطة من هـ .

(٣) في هـ (وجدتهم) بسقوط (ف).

(٤) في ط، ك (وصح) بدلاً من (يصح).

(٥) (جوهر) ساقطة من هـ .

(٦) في هـ (اكتسبه) بدلاً من (لبسه).

(٧) في ط، ك (واحد) بسقوط (ة).

(٨) في هـ (باللاهوتية) بدلاً من (بلاهوته).

(٩) في هـ (كمشيئة) بدلاً من (مثل مشيئة).

اللاهوت والناسوت مات، وقالوا: إن الله لم يمّت والذي ولدت مريم قد مات بجوهر ناسوته، (فهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته)^(١)، وله مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت، وهو شخص واحد، لا نقول شخصان لثلا يلزمنا القول بأربعة أقانيم.

قال^(٢): فهؤلاء أتوا^(٣) من ذلك بمثل ما أتت به^(٤) اليعقوبية في ولادة مريم الله^(٥) - تعالى الله عما يقول الظالمون^(٦) - وقالوا: إن المسيح - وهو اسم لا تشك جماعة النصارى أنه واقع على اللاهوت والناسوت - مات، وأن الله لم يمّت، فكيف يكون ميتاً^(٧) لم يمّت، وقائماً قاعداً^(٨) في حال واحدة^(٩)؟ وهل بين المقالتين فرق^(١٠) إلا ما اختلفوا فيه من الطبائع؟

* قال: ثم نظرت في قول النسطورية فوجدتهم قالوا: إن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وأن طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعة ناسوته، وأن طبيعة اللاهوت لما توحدت بالناسوت بشخصها

(١) ما بين القوسين ساقط من هـ .

(٢) يقصد الحسن بن أيوب .

(٣) في هـ (فأتوا) بدلاً من (فهؤلاء أتوا) .

(٤) (به) ساقطة من ط .

(٥) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط .

(٦) في هـ (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون) بدلاً من (تعالى الله عما يقول الظالمون) .

(٧) في ط، ك (ميت) بدلاً من (ميتاً) .

(٨) في ط، ك (وقائم وقاعد) بدلاً من (وقائماً قاعداً) .

(٩) في ط (واحد) بسقوط (ة) .

في هـ (حالة واحدة) بدلاً من (حال واحدة) .

(١٠) (فرق) ساقط من هـ .

الكلمة التي صارت الطبيعتان بجهة واحدة، وإرادة واحدة واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصان، ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بتلك إلهاً وإنساناً، فهو إله بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وهو إنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان.

وقالوا: إن مريم ولدت المسيح بناسوته، وإن اللاهوت لم يفارقه قط منذ توحدت بناسوته.

وقال: فوجدنا اليعقوبية قد صرحوا بأن مريم ولدت الله - تعالى عما يصفه المبطلون - ، ويقولوا العادلون - وأنه تألم^(١) وصلب ومات، وقام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى، وهذا الكفر الذي تشهد به عليهم سائر ملل النصراني وغيرهم، ووجدنا الملكانية قد حادوا عن هذا التصريح إلى ما هو دونه في الظاهر، فقالوا: إن المسيح شخص واحد وطبيعتان، فلكل واحدة من الطبيعتين مشيئة، فله بلاهوته مشيئة مثل الأب والروح، وله بناسوته مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود. وأوهموا الواقف على قولهم أنهم بما اخترعوه من هذا الاختيار قد فرقوا بين اللاهوت والناسوت. ثم عادوا إلى قول اليعقوبية فقالوا: إن مريم ولدت إلهاً، وأن المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت عند جماعتهم لا يشكون في ذلك، مات بالجسد، وأن الله لم يمت، والذي قد ولدته مريم قد مات بجوهر ناسوته، فكيف يكون ميت لم يمت؟ وهل بين المقاتلين - إلا ما اختلفوا فيه من الطبائع - فرق؟*^(٢).

(١) في ك (ألم) بدلاً من (تألم).

(٢) هذه الصفحة كلها ساقطة من هـ .

وإذا^(١) كانوا قد اعترفوا بأن مريم ولدت الله، وأن الذي ولدته مريم، وهو المسيح الاسم الجامع للجوهرين^(٢)، لللاهوت والناسوت قد مات فهل وقعت الولادة والموت وسائر الأفعال، التي تحكي النصارى أنها فعلت بالمسيح إلا عليهما؟

فكيف يصح لذي^(٣) عقل عبادة مولود من امرأة بشرية قد مات، ونالته العلل والآفات.

قلت^(٤): ومما يوضح تناقضهم أنهم يقولون: إن المسيح وهو اللاهوت والناسوت شخص واحد وأقنوم واحد، مع قولهم أنهما جوهران بطبيعتين ومشيتين فيثبتون للجوهرين أقنوماً واحداً، ويقولون: هو شخص واحد، ثم يقولون: إن رب العالمين إله واحد، وأقنوم واحد^(٥)، وجوهر واحد، وهو ثلاثة أقانيم، فيثبتون للجوهر الواحد ثلاثة أقانيم، وللجوهرين المتحدتين أقنوماً واحداً، مع أن مشيئة الأقانيم الثلاثة عندهم واحدة، والناسوت واللاهوت يثبتون لهما مشيتين وطبيعتين، ومع هذا هما عندهم شخص واحد، أقنوم^(٦) واحد، وهذا يقتضي غاية التناقض، سواءً فسروا الأقنوم بالصفة، أو الشخص، أو الذات مع الصفة، أو أي شيء قالوه.

وهو^(٧) يبين^(٨) أن الذين تكلموا بهذا الكلام ما تصوروا ما قالوه،

(١) في ط (أو إذا) بدلاً من (وإذا).

(٢) (الجوهرين) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط (الذي) بزيادة (أ).

(٤) هذا كلام الشيخ تعقياً على قول الحسن بن أيوب.

(٥) (أقنوم واحد) ساقطة من ط، هـ.

(٦) في ط (وأقنوم) بزيادة (و).

(٧) الضمير يعود للحسن بن أيوب.

(٨) في هـ (يتبين) بدلاً من (يبين).

بل كانوا ضللاً جهالاً، بخلاف ما يقوله الأنبياء فإنه حق، فلهذا لا يوجد عن المسيح، ولا غيره من الأنبياء ما يوافق قولهم في التثليث، والأقانيم والاتحاد، ونحو ذلك مما ابتدعوه بغير سمع وعقل، بل ألقوا أقوالاً مخالفة للشرع والعقل.

ثم قال الحسن بن أيوب: ثم وجدنا النصارى المعروفين بالنسطورية قد خالفوا اليعقوبية والملكانية في قولهم بشخصين^(١) لهما مشيئة واحدة، وأن الطبيعتين اتحدتا فصارتا بجهة واحدة، ثم عادوا إلى شبه قولهم في أن مريم ولدت المسيح، فإذا كانت ولدت المسيح فقد لزمهم ووجب عليه الإقرار بأنها ولدت هذا اللاهوت والناسوت المتحدين.

وقد رجع المعنى إلى قول اليعقوبية إلا أنهم اختاروا لذلك ألفاظاً زوقوها وقدروها بها التمويه على السامع، ولم يصرحوا بالقول كتصريح اليعقوبية، لأن المتحد بالشيء هو الممازج له والمجتمع معه، حتى صار مازجه وهو شيئاً واحداً، ثم أكدوا^(٢) القول بإقرارهم أن الناسوت منذ اتحد باللاهوت لم يفارقه، فما لم يفارق الشيء هل هو إلا يجري^(٣) مجراه في سائر متفرقاته من ضر ونفع، وخير وشر، وحاجة وغنى.

قال^(٤): وأما قولهم: إن مريم ولدت المسيح بناسوته فهذه أغلوطة، وإلا فكيف يولد ولد متحد بشيء آخر مجامع له دون ذلك الشيء؟ وكيف يكون ذاك، وهم يقولون: إنه لم يفارقه قط! وهل يصح

(١) في هـ (شخصين) بسقوط (ب).

(٢) في ك (وكدوا)، في هـ (ذكروا) بدلاً من (أكدوا).

(٣) في ط، ك (إلا أن يجري) بزيادة (أن).

(٤) أي الحسن بن أيوب.

هذا عند أهل النظر، أوليس الحكم عند كل ناظر ومن كل ذي عقل
يوجب أن تكون الولادة واقعة على اللاهوت والناسوت معاً؟ بمعنى
الاتحاد، وبمعنى الاسم الجامع للاهوت والناسوت وهو المسيح،
وكذلك الحمل بهما جميعاً وأن يكون البطن قد حواههما؟.

قال: فإن لجوا في الباطل، ودافعوا عن قبيح هذه المقالة، ومالوا
إلى^(١) تحسينها بالتمويهات المشككة لمن قصرت معرفته، فنحن نقيم
عليهم^(٢) شاهداً من أنفسهم لا يمكنهم دفعه، وذلك أن شريعة إيمانهم
التي ألفها لهم^(٣) رؤساؤهم من البطارقة والمطارنة والأساقفة والأخبار في
دينهم وذوي العلم منهم بحضرة الملك، عند اجتماعهم من آفاق الأرض
بمدينة^(٤) قسطنطينية، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر رجلاً، يصفون أنهم
نطقوا^(٥) بها بروح القدس، وهي التي لم تختلف جماعتهم عند
اختلافهم في المقالات فيها، ولا يتم لهم قربان إلا بها على هذا النسق
الذي نبينه^(٦) (نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما
لا يرى، وبالرب الواحد يسوع^(٧) المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق
كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده
أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر البشر^(٨))، ومن

(١) في هـ (وقالوا أن) بدلاً من (ومالوا إلى).

(٢) في ط (عليها) بدلاً من (عليهم).

(٣) (لهم) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ (مدينة) بسقوط (ب). ويقصدون مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م.

(٥) في هـ، ك (أنطقوا) بزيادة (أ).

(٦) في هـ (بيته).

في ط (تبينه) بدلاً من (نبينه).

(٧) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٨) (معشر الناس) ساقطة من هـ.

أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً وحبل به، وولد من مريم البتول، وتألّم^(١) وصلب أيام قيطوس^(٢) بن بيلاطوس^(٣) ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح، ومجيئه^(٤)، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية^(٥) سليخة جاثليقية، وبقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الأبدين).

قال^(٦): فهذه الشريعة يجتمع على الإيمان بها، وبذل المهج فيها، وإخراج الأنفس دونها جماهيرهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية.

وقد اعترفوا فيها جميعاً بأن الرب المسيح الذي هذه صفته على ما اقتصصناه منها الإله الحق من الإله الحق، نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً وحبل به وولد من مريم البتول^(٧) وتألّم^(٨) وصلب.

(١) في هـ ، ك (وألّم) بدلاً من (وتألّم).

(٢) قيطوس: لم أجد له ذكر لدى ابن البطريق، بل وجدت أن اسمه بيلاطوس فقط كما في الهامش التالي.

(٣) سبقت ترجمته. وانظر تاريخ ابن البطريق ص ٩٢.

(٤) في هـ ، ك (مجيئه) بسقوط (ب).

(٥) في هـ (قدسيه) بدلاً من (قديسيه).

(٦) (قال) ساقطة من ك.

(٧) (البتول) ساقطة من هـ.

(٨) في هـ (ولكم) بدلاً من (وتألّم).

قال: فهل في هذا الإقرار شبهة أو علة يتعلق بها العنت^(١) المدافع عن الحجة؟ فتدبروا هذا القول يا معشر النصارى، فإنه لا يمكن أحد^(٢) منكم أن يخرج عنه، ولا أن يدفع ما صرح به فإنكم إن قلتم إن المقتول المصلوب هو الله، فمريم على قولكم ولدت الله - سبحانه وتعالى عما يقولون - وإن قلتم أنه إنسان فمريم ولدت إنساناً، وفي ذلك أجمع بطلان شريعة إيمانكم فاختاروا أي القولين شئتم، فإن فيه نقض الدين.

قال: وقد يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولهم عن عبادة إله ولدته مريم، وهي امرأة آدمية، ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة، تجري عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية، وصحة وسقم، وخوف وأمن، وتعلم وتعليم، لا يتهيأ لكم أن تدَّعوا أنه كان منه في تلك^(٣) المدة من أسباب اللاهوتية شيء، ولا له من أحوال الآدميين كلها من حاجتهم وضروراتهم وهمومهم^(٤) ومحنتهم وتصرفاتهم مخرج، ثم أحدث بعد هذه المدة الطويلة ما أحدثه من إظهار أمر الله - تعالى - ، والنبوات، والآيات الباهرة المعجزة بقوة الله - تعالى - ، وقد كان من^(٥) غيره من الأنبياء مثلها وما هو أعلى منها، فكانت مدته في ذلك أقل من^(٦) ثلاث سنين، ثم انقضى أمره بما يصفون أنه انقضى به، وينسبونه إليه من حبس وضرب وقذف وصلب وقتل، فهل تقبل العقول ما يقولون من

(١) في ط (المعنت) بدلاً من (العنت).

(٢) في ط (أحداً) بسقوط (أ).

(٣) في هـ (تلك الأحوال المدة) بزيادة (الأحوال).

(٤) في هـ (هموماتهم) بدلاً من (وهومهم).

(٥) في ط (في) بدلاً من (من).

(٦) (من) ساقطة من ط .

أن إلهًا نال عباده منه مثل ما تذكرون أنه نيل منه؟

فإن تأولتم أن ذلك حل بالجسم، وليس بالقياس يحتمل ذلك لما شرحناه من معنى اتحاد اللاهوت به، أفليس^(١) قد وقع بجسم توحدت اللاهوتية به، وحلت الروح فيه، وقد أنجبه الله على ما تزعمون وتصفون لخلاص الخلق، وفوض إليه القضاء بين العباد في اليوم الذي يجتمع^(٢) فيه الأولون والآخرون للحساب، وقد وجدناكم تؤثرن أخباراً في قوم عرضوا التواييت فيها، شهداء^(٣) لكم بأن الأيدي التي بسطت إليها جفت. أو هل نال أحداً^(٤) من الجزع والهلع والغم والقلق والتضرع إلى الله في إزالة ما حل به، مثل ما يحكى في الإنجيل أنه ناله، ووجدنا الكتب تنبئ بأنه نيل من جورجيس^(٥) - أحد من كان على دين المسيح - صلى الله عليه وسلم - من العذاب الشديد بالقتل والحرق والنشر بالمناشير ما لم يسمع بمثله في أحد من الخلق، ونال خلقاً كثيراً من تلامذته أيضاً عذاب شديد.

وقيل: لما كان الملوك المحاربون لهم يسومونهم إياه من الرجوع عن أديانهم إلى الكفر الذي كان أولئك الملوك عليه فصبروا على ذلك، واحتسبوا أنفسهم، فلم يهربوا من الموت، وقد كان يمكنهم الهرب من

(١) في ط (فليس) بدلاً من (أليس).

(٢) في ط (تجتمع) بدلاً من (يجتمع).

(٣) في ط (شهد) بدلاً من (شهداء).

(٤) في هـ (أحد) بسقوط (أ).

(٥) جورجيس: ولد بالرملة أو اللد بفلسطين في النصف الأخير من القرن الثالث الميلادي ومات سنة ٣٠٣م، وقد كان المسيحيون يعظمونه ويقدسونه حتى أنهم بنوا الكنائس والأديار وسموها باسمه.

انظر: دائرة المعارف للبيستاني ٤٢٧/١، طبعة بيروت.

بلد إلى بلد، والاستتار وإخفاء أشخاصهم، وما أظهروا في حال من تلك الأحوال جزعاً ولا هلعاً، وهم بعض الأدميين التابعين له، لأنه خفف عنهم ما كانوا ينالون به بتأييد الله — عز وجل — إياهم.

قال: ثم نقول قولاً آخر: قد نستدل على صحة هذه الشريعة من سقمها بأربعة أوجه، لا يقع في شيء منها شك ولا طعن، ولا زيادة ولا نقصان، وهي أصل أمر المسيح عندكم:

فأولها: البشرى التي أتى بها جبريل — عليه السلام — (*).

والثانية: قول يحيى بن زكريا^(١) الذي شهد له المسيح بأنه لم تقم النساء عن مثله (*).

والثالثة: النداء المسموع من السماء (*).

والرابعة: قول المسيح عن نفسه حين سألته يحيى عن شأنه (*).

و^(٢)الذي قال جبريل على ما ثبت في إنجيلكم لمريم حين بشرها: (السلام عليك أيتها الممتلئة نعماً، ربنا معك أيتها المباركة في النساء، فلما رآته مريم ذعرت منه، فقال: لا ترهبي يا مريم فقد فزت بنعمة من^(٣) ربك، فها أنت تحبلين وتلدين^(٤) ابناً، وتسميه يسوع^(٥)، ويكون كبيراً، ويسمى ابن الله العلي، ويعطيه الله^(٦) الرب كرسي أبيه

(*) سيأتي تفصيل هذه الأمور فيما بعد.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هذه بداية تفصيل الأمور الأربعة السابقة.

(٣) (من) ساقطة من ط.

(٤) في هـ (تحبلي وتلدي) بدلاً من (تحبلين وتلدين).

(٥) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٦) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

داود، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد، فقالت مريم: أنى يكون لي ذلك ولم يمسنني رجل، قال لها الملك^(١): إن روح القدس يأتيك، أو قال: يحل فيك وقوة العلي تحبلك^(٢) من أجل ذلك يكون الذي يولد منك قديساً^(٣) ويسمى ابن الله العلي^(٤).

قال: فلم نرَ الملك^(٥) قال لها: إن الذي تلدين، هو^(٦) خالقك^(٧) وهو^(٨) الرب كما سميتموه، بل أزال الشك في ذلك بأن قال: (إن الله الرب يعطيه كرسي أبيه داود، ويصطفيه ويكرمه، وأن داود النبي أبوه، وأنه يسمى ابن الله)، وما قال أيضاً: (أنه يكون ملكاً على الأرض) وإنما جعل له الملك على بني إسرائيل فقط، وقد علمتم أن من يسمى بابن الله كثير لا يحصون، فمن ذلك إقراركم بأنكم جميعاً أبناء الله

(١) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).

(٢) في هـ، ك (تجللك) بدلاً من (تحبلك).

(٣) في هـ (قدسياً) بدلاً من (قديساً).

(٤) هذا النص في إنجيل لوقا - الإصحاح الأول - مختلفاً شيئاً يسيراً:

(٢٨) - فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت

في النساء. ٢٩ - فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه

التحية. ٣٠ - فقال الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله.

٣١ - وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. ٣٢ - هكذا يكون عظيماً،

وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه. ٣٣ - ويملك على بيت

يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. ٣٤ - فقالت مريم للملاك: كيف يكون

هذا وأنا لست أعرف رجلاً. ٣٥ - فأجاب وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة

العلي تظلللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله).

انظر: العهد الجديد ص ٩٠.

(٥) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).

(٦) في ط (وهو) بزيادة (و).

(٧) في هـ (خالق) بسقوط (ك).

(٨) في ط (هو) بسقوط (و).

بالمحبة، وقول المسيح : (أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)^(١) في غير موضع من الإنجيل، ثم تسمية الله يعقوب وغيره بنيه خصوصاً، فالسبيل في المسيح إذا^(٢) لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الأنبياء والأبرار، ونسبة الملك^(٣) إياه إلى أبيه داود تحقق أن أباه داود، وأن التسمية الأولى على جهة الاصطفاء والمحبة، وأن حلول الروح عليه على الجهة التي قالها «متى»^(٤) التلميذ للشعب عن المسيح في الإنجيل : (لستم أنتم متكلمين)^(٥)، بل روح الله تأتكم تتكلم فيكم)^(٦).

فأخبر أن الروح تحل^(٧) في القوم أجمعين، وتكلم فيهم، وقال الملك^(٨) في بشارته لمريم بالمسيح — عليه السلام — : إنه يكون ملكاً على آل يعقوب فخص آل يعقوب بملكه عليهم دون غيرهم من الناس، ولم يقل إنه يكون إلهاً للخلائق^(٩)، ومعنى قول جبريل — عليه السلام —

(١) في إنجيل يوحنا — الإصحاح العشرون : (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) بلفظه.

انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.

(٢) في ط (إذ) بسقوط (أ).

(٣) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).

(٤) سبقت الإشارة إليه ٢١/٣.

في هـ (متا) بدلاً من (متى).

(٥) في هـ، ك (متكلمون) بدلاً من (متكلمين).

(٦) في إنجيل متى — الإصحاح العاشر : (٢٠) — لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم).

انظر: العهد الجديد ص ١٨.

(٧) في ك (يحل) بدلاً من (تحل).

(٨) في هـ، ك (الملاك) بدلاً من (الملك).

(٩) في هـ (للخلق) بدلاً من (للخلائق).

لمريم: (ربنا معك) مثل معنى قول الله - عز وجل - لموسى وغيره من الأنبياء: (إني معكم) فقد قال ليوشع بن نون^(١): (إني أكون معك، كما كنت مع موسى عبدي)^(٢) فقول النصاري كلهم في مجاري لغتهم ومعاني ألفاظهم أن الله - عز وجل - ، وروح القدس مع كل خطيب وراهب وفاضل في دينه على هذه^(٣) السبيل.

قال: وأما النداء الذي سمعه يحيى بن زكريا من السماء في المسيح وشهادة يحيى له، فإن «متى»^(٤) قال في إنجيله: (إن المسيح - عليه السلام - لما خرج من الأردن^(٥) تفتحت له السماء، فنظر يحيى^(٦) إلى روح القدس قد نزلت على المسيح كهيئة حمامة، وسمع نداء من السماء: إن هذا ابني الحبيب الذي اصطفيته)^(٧).

(١) سبقت ترجمته.

(٢) وجدنا في يشوع - الإصحاح الثالث بمعناه: (٧ - لكي يعلموا أنني كما كنت مع موسى أكون معك).

انظر: العهد القديم ص ٣٤٠.

(٣) في هـ (هذا) بدلاً من (هذه).

(٤) في هـ (متا) بدلاً من (متى).

(٥) المقصود نهر الأردن الذي يفصل حالياً بين شرقي الأردن (الدولة) وغربيه (فلسطين)، حيث كان يحيى بن زكريا يعتمد فيه النصاري.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦.

(٦) (يحيى) ساقطة من هـ.

(٧) النص الموجود في إنجيل متى - الإصحاح الخامس يقول: (١٦ - فلما اعتمد

يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السماوات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت).

انظر: العهد الجديد ص ٦.

وكذلك في إنجيل لوقا - الإصحاح الثالث: (٢١ - ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد

يسوع أيضاً وإذا كان يصلي انفتحت السماء. ٢٢ - ونزل عليه الروح القدس بهيئة

حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت) بمعناه.

انظر العهد الجديد ص ٥٩.

فقد^(١) علمنا وعلمتم أن المصطفى مفعول، والمفعول مخلوق، وليس^(٢) يستنكف المسيح — عليه السلام — من الاعتراف بذلك عن الاعتراف بذلك في كل كلامه، وما زال يقول: (إلهي وإلهكم وأبي وأبيكم)، وكلما يصحح^(٣) به أنه عبد مرسل مريبوب مبعوث مأمور يؤدي ما سمع ويفعل ما حد له، ونحن نشرح هذا في موضعه من هذا الكتاب^(٤) — إن شاء الله تعالى — .

ثم قال^(٥): وقد وجدنا المسيح — عليه السلام — . أحتاج إلى تكميل^(٦) أمره بمعمودية يحيى له فصار إليه لذلك^(٧) وسأله^(٨) إياه، فليس مرتبة المقصود بدون مرتبة القاصد الراغب، وقال «لوقا»^(٩) التلميذ في إنجيله: (إن يحيى المعمدانى أرسل إلى المسيح بعد أن عمده وسأله: أنت ذلك الذي تجيء أو نتوقع غيرك؟)^(١٠) فكان جواب المسيح

(١) في ط، ك (وقد) بدلاً من (فقد).

(٢) في هـ (ولن) بدلاً من (وليس).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وإن كنت أعتقد أنها (يصرح).

(٤) كتاب الحسن بن أيوب (إلى أخيه).

(٥) في هـ (وقال) بدلاً من (ثم قال).

(٦) في هـ (أن يكمل) بدلاً من (إلى تكميل).

(٧) في هـ ، ك (بذلك) بدلاً من (لذلك).

(٨) في ك (ويسأله) بدلاً من (وسأله).

(٩) سبقت الإشارة إلى لوقا ٣/٢٢.

(١٠) النص الموجود في إنجيل لوقا — الإصحاح السابع يقول: (١٩) — فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. ٢٠ — فلما جاء إليه الرجلان قال: يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلاً: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر. ٢١ — وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء، وأرواح شريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين. ٢٢ — فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما: أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. ٢٣ — وطوبى لمن لا يفتر في).

لرساله أن: (ارجعوا فأخبروه بما ترون من عميان يبصرون، وزمن ينهضون، وصم يسمعون، فطوبى لمن لم يغتر بي، أو يذل في أمري).

قال: فوجدنا يحيى مع محله وجلالة قدره عند الله - عز وجل - ، ثم ما شهد به للمسيح له من أنه ما قامت النساء^(١) عن مثله^(٢) قد شك فيه فاحتاج إلى أن يسأله^(٣) عن شأنه، ثم لم يكن من جواب المسيح له بشيء مما تصفون من الربوبية، ولا قال: إني خالقك وخالق كل شيء، كما في شريعة إيمانكم، بل حذر الغلط في أمره والاغترار، ولا كان من قوله أكثر مما ذكر أنه أظهر بنبوته من هذه الآيات التي سبق^(٤) إلى مثلها أكثر الأنبياء.

قال: ولا رأينا يحيى زاد في وضعه إياه لما قرظه وأعلا^(٥) ذكره مع تشككه في أمره وحاجته إلى مسألته عن حاله على^(٦) أن قال: (هو أقوى مني، وأنا^(٧) لا أستحق أن أحل معقد خفه)^(٨) ولم يقل: إنه

انظر: العهد الجديد ص ١٠٤.

كما في إنجيل متى - الإصحاح الحادي عشر ص ١٩ - العهد الجديد بنص ما في لوقا.

(١) (النساء) ساقطة من هـ .

(٢) ستأتي - إن شاء الله - الإشارة إلى شهادة المسيح - عليه السلام - ليحيى في الصفحة القادمة.

(٣) في هـ ، ك (سأله) بدلاً من (يسأله).

(٤) في ط (يسبق) بدلاً من (سبق).

(٥) في ط ، هـ (وأعلاه) بزيادة (هـ).

(٦) في ط (إلى) بدلاً من (على).

(٧) وأنا^(٧) ساقطة من هـ .

(٨) وجدنا نصاً مقارباً لهذا النص في إنجيل يوحنا - الإصحاح الأول يقول: (٢٧ - هو الي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه).

انظر: العهد الجديد ص ١٤٦.

خالقي، وقد يقول الرجل: الخير فيمن هو دونه مثل الذي قال يحيى فيه تواضعاً لله وخشوعاً، كما قال المسيح في يحيى: (إنه ما قامت النساء عن مثله)^(١).

قال^(٢): فتركتم ما أتت به الرسل والنبوات في المسيح وهو أصلكم الذي وقع عليه^(٣) بناؤكم^(٤)، وجعلتم لأنفسكم شريعة غيرها، ومثل الذين عقدوا هذه الشريعة لكم مثل من آمن بنبوة رجل ينتفي من النبوة، لأن المسيح - عليه السلام - يقول: إنه مربوب مبعوث، ويقول^(٥) جبريل: إنه مكرم مصطفى، وأن أباه داود، وأن الله جعله ملكاً على آل يعقوب، وينادي^(٦) مناد من السماء بمثل ذلك، ويشهد يحيى بن زكريا على مثله، وتقولون: بل هو خالق أزلي إلا أنه يستر^(٧) نفسه، ويقول المسيح وغيره ممن سمينا أنه معطى وأن الله معطيه، وتقولون: بل رازق النعم وواهبها، ويقول: إن الله أرسله، وتقولون: بل هو الذي نزل لخلاصنا، وتعتقدون سبب نزوله من السماء أنه^(٨) أراد أن يخلصكم، ويحتمل الخطيئة، ويربط الشيطان فقد وجدنا الخلاص

(١) وجدنا نصاً مقارباً لهذا النص في إنجيل متى - الإصحاح الحادي عشر يقول: (١١ - الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان).

انظر: العهد الجديد ص ١٩.

(٢) يقصد الحسن بن أيوب.

(٣) (عليه) ساقطة من هـ.

(٤) في ط (أبناؤكم).

في هـ (ثناؤكم) بدلاً من (بناؤكم).

(٥) في ط (يقول) بسقوط (و).

(٦) في ط (ينادي) بسقوط (و).

(٧) في هـ (ستر) بسقوط (ي).

(٨) في هـ (أنه نزل) بزيادة (نزل).

لم يقع، والخطيئة^(١) قائمة^(٢) لم تزل، والشيطان أعتى ما كان لم يربط، بل سلطه الله عليه على ما تقولون، فحصره في الجبل أربعين يوماً يمتحنه، وقال له في بعض أحواله معه: (إن كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير خبزاً، فقال له المسيح مجيباً له: إنه مكتوب أن حياة الإنسان لا تكون بالخبز^(٣))، بل بكل كلمة تخرج من الله، ثم ساقه الشيطان إلى مدينة بيت المقدس، وأقامه على قرنة الهيكل^(٤)، وقال له: إن كنت ابن الله فارم بنفسك من ها هنا، فإنه مكتوب إن الملائكة توكل بك، لثلاث عشرة رجلك بالحجر، قال يسوع^(٥) ومكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك، ثم ساقه إلى جبل عال، وأراه جميع مملكات الدنيا وزخارفها، وقال^(٦) له: إن خررت على وجهك ساجداً لي جعلت هذا الذي ترى كله لك. قال له المسيح: أغرب أيها الشيطان فإنه مكتوب أسجد للرب إلهك، ولا تعبد شيئاً سواه، ثم بعث الله - عز وجل^(٧) - ملكاً اقتلع العدو من مكانه ورمى به في البحر، وأطلق السبيل للمسيح^(٨).

(١) والخطيئة) ساقطة من ط.

(٢) في هـ (باقية) بدلاً من (قائمة).

(٣) في هـ (إلاً بالخبز) بزيادة (إلاً).

(٤) الهيكل: يتكون الهيكل عادة من عضوين طوليين على الجانبين قطاع كل منهما على هيئة مجرى يثبت به أعضاء مستعرضة قطاعها اسطوانتي.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣٠.

(٥) في هـ، ك (أيسوع) بزيادة (أ).

(٦) في هـ (فقال) بدلاً من (وقال).

(٧) (عز وجل) ساقطة من هـ، ك.

(٨) هذا النص الطويل موجود في إنجيل (متى) الإصحاح الرابع بمعناه ص ٦ من العهد الجديد.

وموجود كذلك في إنجيل (لوقا) الإصحاح الرابع بمعناه ص ٩٦ من العهد الجديد مع تقديم وتأخير في بعض الجمل.

وقال^(١): أفلا يعلم من كان في عقله أدنى مسكة، أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله، ولو كان إلهاً لأزاله عن نفسه^(٢) قبل أن يأتيه الملك من عند ربه، ولما قال: (أمرنا أن لا نجرب الله، وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه)، وكيف لم يربط الشيطان عن نفسه قبل أن يربطه عن أمته، قال: فهذه أمور إذا تأملها المتأمل قبحت جداً، وكثر اختلافها واشتد تناقضها^(٣) واضطرابها.

قال: ومما^(٤) يعجب منه أنكم تعتقدون أن الابن الأزلي اتحد بالمسيح، فصارا بجهة^(٥) واحدة، ولم يفارقه قط منذ اتحد به، ومكث على ذلك في بطن أمه تسعة أشهر، ثم أقام مولوداً، وتغذى^(٦) باللبن، ومربوباً صيباً مغذى بالأغذية إلى أن بلغ ثلاثين سنة لا يظهر منه شيء من آلة الربوبية، ولا أمر يوجب هذا المحل، ولا كان بينه وبين نظرائه من الآدميين فرق، ولا سطع منه نور، ولا ظهرت له سكينه، ولا حفته الملائكة بالتهليل^(٧)، ولا ألم به الشعث بعد ذلك فوق ما كان من الأنبياء قبله، فقد كلم الله موسى من العوسجة كيف شاء فأشرق ما حولها نوراً وكلمه من طور سيناء فاضطربت في الجبل النيران، والتبس وجهه النور الساطع حتى كان يتبرقع إذا جلس مع بني إسرائيل بعد ذلك، لأنهم كانوا لا يستطيعون النظر إليه، ثم سأل موسى ربه - عز وجل - لما قرب

(١) يقصد الحسن بن أيوب.

(وقال) ساقطة من هـ.

(٢) في ط (عن نفسه قبل نفسه) بزيادة (قبل نفسه).

(٣) في ط (تنقصها).

(٤) في ط (مما) بسقوط (و).

(٥) في هـ (لجهة) بدلاً من (بجهة).

(٦) في هـ (ويتغذى) بدلاً (وتغذى).

(٧) في هـ (بالتهليل) بدلاً من (بالتهليل).

منه فقال: رب أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق^(١) من صعقته استغفر^(٢) ربه فتاب عليه، وتجلى مجد الله لجماعة من الأنبياء فرأوا حول مجده ربوات الملائكة.

وقال داود: (يا رب إنك حيث عبرت ببلاد سنين تزلزلت الأرض منك وانفطرت من هيبتك)^(٣) وقال أيضاً كالمخاطب للبحر والجبال والمتعجب منها: (ما لك أيها البحر هارباً، وأنت يا نهر الأردن لم وليت راجعاً وما لك أيتها الجبال تنفرين كالأبائيل، وما لكن أيتها الشوامخ والهضبات تنزوين نزو)^(٤) الشياء^(٥)، ثم قال كالمجيب عنهم: (من قدام الرب تزلزلت البقاع)^(٦).

قال: فإن كان المسيح هو الأزلي الخالق أو كان متحداً به فكيف لم ترجف بين يديه الجبال، ولم تتصرف عن مشيئته الأنهار والبحار، أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الأنبياء قبله مثل المشي على متون الهواء^(٧)، والاضطجاع على أكتاف الرياح. والاستغناء عن

(١) يشير بذلك إلى الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) في هـ، ك (استقال) بدلاً من (استغفر).

(٣) وجدنا في سفر المزامير - المزمور السادس والسبعون الآتي: (٧ - أنت مهوب أنت فمن يقف قدامك حال غضبك - ٨ - من السماء أسمعت حكماً. الأرض فزعت وسكنت عند قيام الله للقضاء).

انظر: العهد القديم ص ٨٨٥.

(٤) في ط (تنزوان نزول) بدلاً من (تنز نزو).

(٥) في هـ (السماء).

(٦) هذا النص موجود بمعناه في مزامير داود - المزمور المائة وأربعة عشر من العهد القديم ص ٩١٣.

(٧) في ط، ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

المآكل والمشارب وإحراق من قرب منه من الشياطين والجن، كما أحرق إيليا^(١) من قرب منه من جند أحاب الملك^(٢)، ويمنع الآدميين من نفسه، وما فعلوا على زعمكم^(٣) بجسمه ليعلم الناس أنه خالقهم^(٤)، أو أنه هيكल الخالق.

قال: ووجدناكم تقولون: أن الابن إنما يسمى^(٥) ابن الله وكلامه، لأنه تولد من الأب وظهر منه فلم نقف على معنى ذلك، لأن شريعة إيمانكم تقول^(٦): إن الروح أيضاً تخرج من الأب، فإن كان الأمر كما تقولون: فالروح أيضاً ابن، لأنها تخرج عن الله - تعالى - ، وإلاً فما^(٧) الفرق بينهما؟

قال: ولم نفهم أيضاً قولكم أن الابن تجسد من روح القدس، وأن روح القدس ساقه إلى البر^(٨) ليمتحنه^(٩) الشيطان، فما كانت حاجة الابن إلى أن تكون الروح - وهي في قولكم مثله - تدبره وتغيره من حال إلى حال، أو ما علمتم أن الغير السابق المدبر فاعل، والمسبوق

(١) إيليا: نبي عاش في المملكة الشمالية ولد في تشبه وعاش في جلعاد - دعا الرب فأحرق المحرقة زمن أحاب الملك وترك بنو إسرائيل عبادة البعل وعبدوا الرب. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤.

(٢) أحاب الملك: هو ملك بني إسرائيل وهو ابن عمري الذي خلفه على العرش، وقد بدأ حكمه حوالي (٨٧٥ ق. م). انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠.

(٣) في ط (زعمهم) بدلاً من (زعمكم).

(٤) في ط (خلقهم) بدلاً من (خالقهم).

(٥) في هـ (سمى) بدلاً من (يسمى).

(٦) (تقول) ساقطة من هـ ، ك.

(٧) في هـ (ما) بسقوط (ف).

(٨) في هـ (البشر) بدلاً من (البر).

(٩) في ط (يمتحنه) بسقوط (ل).

المدبر مفعول به، فالابن إذن دون الروح، وليس مثله لأن الأزلي لا ينفك من الأزلي وهو مثله .

قال: وإن كان^(١) المسيح من روح القدس^(٢)، كما قال جبريل الملك لأمه مريم، فلم سميتوه كلمة الله وابنه، ولم تسموه روحه، فإنما قال لها الملك: إن الذي تلدين من روح القدس، والروح غير الابن ولو كان المعنى واحداً لما قالت الشريعة: إنه تجسد من روح القدس، وإن روح القدس ساقه^(٣) إلى البر، وإن روح القدس نزل عليه، ولم تثلثون به في إيمانكم، فتقولون: نؤمن بالأب والابن والروح القدس؟

قال^(٤): ووجدناكم تقولون: أيتها النسطورية إن الله^(٥) علماً وحكمةً هما الابن، وحياة هي الروح قديمين^(٦)، ولعلمه وحياته ذات كذات الله، وذلك أن علم الله له علم وحياة، ولحياته التي هي روحه علم وحياة، وأن الله الأب لما رأى استيلاء^(٧) العدو على خلقه، ونكول الأنبياء عن مناوئته، أرسل إليه ابنه الفرد وحييه، وجعله فداء ووفاء للناس أجمعين، وأن ابنه^(٨) نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً ثم ولد ونشأ، وعاش ثلاثين سنة يتقلب بين بني إسرائيل كواحد منهم يصلي

(١) (كان) ساقطة من ط .

(٢) (القدس) ساقطة من ك .

(٣) في هـ ، ك (ساقته) بدلاً من (ساقه) .

(٤) يقصد الحسن بن أيوب .

(٥) في ط (الله) بزيادة (ا) .

(٦) في هـ (قديمتين) بدلاً من (قديمين) .

(٧) في هـ ، ك (استعلاء) بدلاً من (استيلاء) .

(٨) في ط (الله) بدلاً من (ابنه) .

في كنائسهم، ويستن بسننهم، لا يدعى ديناً غير دينهم، ولا ينتحل^(١) رسالة ولا^(٢) نبوة ولا بنوة^(٣)، حتى إذا انقضت تلك السنون أظهر الدعوة، وجاء بالآيات الباهرة والبراهين المشهورة، فأنكرته اليهود وقتلته وصلبته، ثم صعد إلى السماء.

وصدقتم بشريعة الإيمان، وكفرتم من خالفها، ثم لم تلبثوا أن خلعتموها وانسلختم منها، وقتلتم: إن المسيح جوهران وأقنومان، جوهر قديم، وجوهر حديث، ولكل جوهر أقنوم على حياله، وإن الله جوهر قديم يقوم بمعنيين، فهو واحد يقوم بثلاثة معان، وثلاثة لها معنى واحد، كالشمس التي هي شيء واحد، ولها ثلاثة معان: القرص، والحر والنور. فالمسيح هو الله، وهو مبعوث غير أنه ليس يعبد.

فكان معنى قولكم هذا أن المسيح مولود لكنه ليس مفعولاً به وهو مبعوث مرسل، لكنكم تستحيون أن تسموه^(٤) رسولاً إذ كنتم لا تفرقون بين الله وبينه في شيء من الأشياء، وأقبلتم على الملكانية واليعقوبية بالتكفير^(٥) واللعن لقولهم: إن الله والمسيح شيء واحد، ثم لم تلبثوا أن قدمتم المسيح على الله - تبارك وتعالى - وبدأتم به في التمجيد، ورفعتم إليه تهاليلكم ورغائبكم^(٦) في أوقات القرايين خاصة، وهي أجل صلواتكم، وأفضل محافلكم عندكم، فإنه يقوم^(٧) الإمام منكم على المذبح من مذابحكم

(١) في هـ (ولا انتحل) بدلاً من (ولا ينتحل).

(٢) (ولا) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (تقديم) (بنوة) على (نبوة).

(٤) في هـ، ك (تسمونه) بدلاً من (تسموه).

(٥) في ط (بالتكفير) بدلاً من (بالتكفير).

(٦) في هـ (ودعواتكم) بدلاً من (ورغائبكم).

(٧) (يقوم) ساقطة من ط، ك.

وأهله مرعوبون فتتوقعون نزول روح القدس، بزعمكم من السماء بدعائه.

يفتح دعاءه ويقول^(٢): (ليتم علينا وعليكم نعمة يسوع المسيح ومحبة الله الأب ومشاركة روح القدس إلى دهر الداهرين)^(٣). ثم يختم صلاته بمثل ذلك، فهذا تصريح بالشرك وتصغير لعظمة الله وعزته أن جعلتم النعم والمواهب لمن هو دونه، وهو^(٤) معطى ومخول من عند الله على قولكم، وجعلتم لله بعد المسيح محبة ولروحه مشاركة.

قال: ووجدناكم قد عبتم على اليعقوبية قولهم: إن مريم ولدت الله — عز الله^(٥) وجل عن ذلك — ، وفي شريعة الإيمان التي بينهاها — المجتمع عليها — أن المسيح إله حق وأنه ولد من مريم، فما معنى المنافرة، وما الفرق، وما تنكرون من قولهم: إن المقتول المصلوب هو الله — عز الله وجل عن ذلك؟

وشريعة إيمانكم تقول: نؤمن بالرب المسيح الذي من خبره وحاله الذي ولد من مريم، وتآلم^(٦) وصلب على عهد الملك «بيلاطس»^(٧)

(١) في هـ (يتوقعون) بدلاً من (فتتوقعون).

(٢) في هـ (ويقولون) بدلاً من (ويقول).

(٣) وجدنا في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس — الإصحاح الخامس (٢٣) — سلام على الأخوة والمحبة بإيمان من الله والرب يسوع المسيح — ٢٤ — النعمة على جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد أمين).

انظر: العهد الجديد ص ٣١٥.

(٤) في ط (ومن هو) بزيادة (من).

(٥) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(٦) في هـ ، ك (وآلم) بدلاً من (وتآلم).

(٧) سبقت الإشارة إلى «بيلاطس» في ٩٨/٤.

النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث، أليس هذا إقراراً بمثل قولهم^(١)؟ فتدبروا هذا القول يا أولي الألباب.

فإنكم إن قلتم: إن المقتول المصلوب هو الله، فإن مريم عندهم ولدت الله.

وإن قلتم: إنه إنسان فإن مريم ولدت إنساناً، وبطلت الشريعة، فأَي القولين اخترتموه ففيه نقض دينكم، ثم عبتم على الملكانية قولهم: إنه ليس للمسيح إلا أقنوماً واحداً، لأنه صار مع الأزلي الخالق شيئاً واحداً^(٢) لا فرق بينهما، وقلتم بأن له أقنومين لكل جوهر أقنوم على حياله، ثم لم تلبثوا أن رجعتم إلى مثل قولهم فقلتم: إن المسيح، وإن كان مخلوقاً من مريم مبعوثاً، فإنه هيكل لابن الله الأزلي ونحن لا نفرق بينهما، فإذا كان الأمر عندهم على هذا فما تنقمون على الملكية، وما معنى الافتراق، وقد رجعتم في الاتحاد إلى مثل قولهم: إن هذا الأمر تحار فيه الأفهام.

فإن كانت الشريعة بمعنى الأمانة عندهم حقاً، فالقول ما قال يعقوب^(٣) وذلك أنا إذا ابتدأنا من الشريعة في ذكر المسيح، ثم نسقنا المعاني نسقاً واحداً^(٤)، وانحدرنا فيها إلى آخرها، وجدنا القوم الذين ألقوها لكم قد صححوا أن يسوع المسيح هو ابن الله، وهو بكر الخلائق كلها وهو الذي ولد من مريم ليس بمصنوع، وهو^(٥) إله حق من إله حق

(١) في ط، ك (قولكم) بدلاً من (قولهم).

(٢) في ط (واحد) بدلاً من (واحداً).

(٣) يعقوب: سبقت ترجمته ٧٦/٣.

(٤) (واحداً) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ (فهو) بدلاً من (وهو).

من جوهر أبيه، وهو الذي أتقن العوالم وخلق كل شيء على يده، وهو الذي نزل لخلاصكم فتجسد وحملته مريم وولده وقاتل وصلب، فمن أنكر قول اليعقوبية لزمه أن ينكر هذه الشريعة التي تشهد بصحة قولهم، ويلعن من ألفها.

قال: وإنما أخذت تلك الطائفة - يعني الذين^(١) وضعوا الأمانة - بكلمات^(٢)، - وذكروا أنهم وجدوها في الإنجيل - مشكلاتٍ تأولت فيها ما وقع بهواها، وتركت ما في الإنجيل من الكلام البين الواضح الذي يشهد بعبودية المسيح وشهادته بذلك^(٣) على نفسه، وشهادة تلاميذه به^(٤) عليه. فأخذت بالمشكل اليسير وجعلت له ما أحبت من التأويل، وألغت الواضح الكثير الذي لا يحتاج إلى تأويل.

قال: فأما احتجاجكم بالشمس، وأنها^(٥) شيء واحد له ثلاثة معانٍ، وتشبيهكم ما يقولونه في الثلاثة الأقانيم بها، فإن ذلك تمويه لا يصح لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس، وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس، إذ كان حد الشمس جسماً مستديراً مضيئاً مسخناً دائراً في وسط الأفلاك دورانياً دائماً، ولا يتهياً أن يحد نورها وحرها بمثل^(٦) هذه الصفة، ولا يقال: إن نورها أو حرها جسم مستدير مضيء مسخن دائم الدوران، ولو كان نورها وحرها شمساً حقاً من شمس حق من جوهر الشمس، كما قالت الشريعة في المسيح: إنه إله حق من إله حق من

(١) في هـ (الذي) بدلاً من (الذين).

(٢) في هـ (لكلمات) بدلاً من (بكلمات).

(٣) في هـ (على ذلك) بدلاً من (بذلك).

(٤) (به) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (فإنها) بدلاً من (وإنها).

(٦) في هـ، ك (مثل) بسقوط (ب).

جوهر أبيه، لكان ما قلتم له مثلاً تاماً، والأمر مخالف لذلك فلا^(١) يشبهه ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة.

قال^(٢): ووجدناكم تذكرون أن المسيح نزل من السماء فأبطل بنزوله الموت^(٣) والآثام، فإن العجب ليطول من هذا القول، وأعجب منه مَنْ قَبْلَهُ، ولم يتفكر فيه، وممن لم يستقبح أن يعتقد ديانة الله — تبارك وتعالى — على مثل هذا القول المحال البائن عما تشهد به العقول وتنبئ به المشاهدة، ويدعو الناس إليها، فما هو ببعيد من عقد ما هو أمحل وأبطل منها، لأنه إن كانت الخطيئة بطلت بمجيئه، فالذين قتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا ماثومين لأن لا خاطيء بعد مجيئه ولا خطيئة.

وكذلك أيضاً الذين قتلوا حواريه^(٤) وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من نراه من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت يقتل ويسرق ويزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كل ما نهى عنه من الكبائر وغيرها غير خاطئين، ولا ماثومين.

فمن جحد ذلك فليرجع إلى التسيحة التي تقرأ بعقب كل قربان، وهو أن (يا ربنا الذي غلب بوجهه الموت الطاغى)^(٥) (٦).

(١) في هـ (ولا) بدلاً من (فلا).

(٢) يقصد الحسن بن أيوب.

(٣) يقصد: الخطيئة.

(٤) هكذا في سائر النسخ (حواريه)، ويظهر لي أنها (حواريه).

(٥) في هـ (الطاغن) بدلاً من (الطاغي).

(٦) هذا النص وما بعده لم نعثر عليه في العهدين القديم والجديد، بالرغم من البحث الدقيق، ولعل اختلاف النسخ وتغير التراجم حال دون ذلك، وعلى كل حال فهذه من كلام الحسن بن أيوب، الذي كان نصرانياً وأسلم وهو عليم بما في كتبهم. والله أعلم.

وفي الأخرى التي تقال في يوم الجمعة الثانية من الفصح : (إن فخرنا بالصليب الذي بطل به سلطان الموت وصرنا إلى الأمن والنجاة بسببه)^(١). وفي بعض التساييح (بصلوات ربنا يسوع المسيح بطل الموت، وانطفأت فتن الشيطان، ودرست آثارها)^(٢) فأَي خطيئة بطلت؟ وأي فتنة للشيطان انطفأت، أو أي أمر كان الناس عليه قبل مجيئه من المحارم والآثام تغيير عن حالته.

قال: فإذا كان التمويه يقع فيما يلحقه كل أحد بالمعرفة والبيان، فهو فيما أشكل من الأمور وفعل بالتأويلات^(٣) – التي تأولها أولئك المتأولون – أوقع.

وإذا كنتم قد^(٤) قبلتم هذا المحال الظاهر الذي لا خفاء به عن الصبيان، فأنتم لما^(٥) هو أعظم منه من المحال أقبل، وهذا إنجيلكم يكذب هذا القول حيث يقول المسيح فيه^(٦): (ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا أليس باسمك أخرجنا الشيطان، فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الغاؤون، فما عرفتكم قط)^(٧)، فهذا خلاف قول

(١) الهامش السابق.

(٢) الهامش السابق.

(٣) في هـ (وفعله فالتأويلات) بدلاً من (وفعل بالتأويلات).

(٤) (قد) ساقطتم من ط .

(٥) في هـ (بما) بدلاً من (لما).

(٦) (فيه) ساقطة من هـ .

(٧) هذا النص موجود في إنجيل متى – الإصحاح السابع – باختلاف يسير:

٢٢ – كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك

أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. ٢٣ – فحيثُ أصرح لهم أني لم

أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم).

انظر: العهد الجديد ص ١٢.

علمائكم ما قالوا، ووضعهم لكم ما وضعوا، ومثله قوله: (إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمتي وميسرتي وقائل لأهل الميسرة إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريباً فلم تأووني، ومحبوساً فلم تزوروني، ومريضاً فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدة لكم من قبل تأسيس الدنيا.

وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذه الأشياء، فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا^(١)، فهل أدخل أولئك النار إلاّ خطاياهم التي ركبوها، وهل صار هؤلاء إلى النعيم إلاّ بأعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله إياهم، فمن قال: إن الخطيئة قد بطلت، فقد بهت، وقد^(٢) خالف قول المسيح، وكان هو^(٣) من الكاذبين.

وقال: ويا أيها القوم الذين هم أولوا الأبواب والمعرفة حيث ينسبونهم إلى الربوبية وينحلونه اللاهوتية، ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم، بماذا ساغ ذلك لكم، وما الحجة فيه عندكم؟

هل قالت كتب النبوات فيه ذلك، أو هل قاله عن نفسه، أو قاله أحد عن تلامذته، والناقلين عنه، الذين هم عماد دينكم وأساسه ومن أخذتم الشرائع والسنن عنه^(٤)؟ ومن كتب الإنجيل وبينه، قد أفصح في كل الإنجيل من كلامه ومخاطبته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بأنه عبد

(١) هذا النص بطوله موجود في إنجيل متى - الإصحاح الخامس والعشرون - بإسهاب مع تقديم الحديث عن أهل الميمنة أولاً ثم أهل الميسرة خلافاً لما ساقه الحسن ابن أيوب هنا.

انظر: العهد الجديد ص ٤٧.

(٢) (قد) ساقطة من ط، ك.

(٣) (هو) ساقطة من هـ.

(٤) في هـ (منه) بدلاً من (عنه).

مثلكم ومربوب معكم، ومرسل من عند ربه وربكم، ومبدي ما أمر به فيكم، وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ووصفوه لمن سأل عنه.

وفي كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله — عز وجل — ونبي له قوة وفضل، فتأولتم في ذلك أنه أخرج كلامه على معنى الناسوت، ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه بأنه إله كما أفصح بأنه عبد ولكنه ما ذكره ولا ادعاه^(١)، ولا دعا إليه ولا ادعته له كتب الأنبياء قبله ولا كتب تلامذته، ولا^(٢) حكى عنهم ولا أوجبه كلام جبريل الذي أداه إلى مريم، ولا قول يحيى بن زكريا^(٣).

قال: فإن قلتكم إنكم استدللتم على ربوبيته بأنه أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء، وصير الماء خمراً وكثر القليل، فيجب الآن أن ينظر إلى كل^(٤) من فعل من هذه الأمور فعلاً فنجعله رباً وإلهاً، وإلاً فما الفرق؟

فمن ذلك أن كتاب «سفر الملوك» يخبر أن إلياس^(٥) أحيا ابن الأرملة^(٦)، وأن اليسع^(٧)

(١) في هـ (أعاده) بدلاً من (ادعاه).

(٢) في هـ، ك (وما) بدلاً من (ولا).

(٣) في ط (زكريا ما قال) بزيادة (ما قال)، وفي هـ (زكريا ما) بزيادة (ما).

(٤) (إلى كل) ساقطة من هـ.

(٥) إلياس: هو إيليا التشبي من الأنبياء الكبار، سبقت ترجمته ١١١/٤.

(٦) انظر: سفر الملوك الأول — الإصحاح السابع عشر ص ٥٦٨ — العهد القديم.

(٧) اليسع: اليسع — هكذا في قاموس الكتاب المقدس، وهو اسم عبراني معناه: الله خلاص — وهو خليفة إيليا في العمل النبوي في المملكة الشمالية، وكان اليسع بن شفاط ومن سبط يساكر — ويسجل العهد القديم معجزات قام بها اليسع أكثر من أي نبي آخر.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١.

أحيا ابن الإسرائيلية^(١)، وأن «حزقيال»^(٢) أحيا بشراً كثيراً^(٣)، ولم يكن أحد ممن ذكرنا بإحيائه^(٤) الموتى إلهاً.

وأما إبراء الأكمه فهذه التوراة تخبر أن يوسف^(٥) أبرأ عين أبيه يعقوب بعد أن ذهبت^(٦)، وهذا موسى طرح العصا فصارت حية لها عينان تبصر بهما، وضرب بها الرمل فصار قملاً لكل واحدة منها عينان تبصر بهما^(٧)، ولم يكن واحد منهم^(٨) بذلك إلهاً.

-
- (١) انظر: سفر الملوك الثاني - الإصحاح الرابع ص ٥٨٩ - العهد القديم.
- (٢) حزقيال: اسم عبري معناه «الله القوي» وهو أحد الأنبياء الكبار، ابن بوزي ومن عشيرة كهنوتية، ولد ونشأ في فلسطين، وربما في أورشليم في بيئة الهيكل. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١.
- (٣) لم نعثر على شيء يشير بأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً.
- (٤) في هـ (إبحيأوه) بدلاً من (إبحيائه).
- (٥) يوسف: اسم عبري معناه «يزيد» وهو اسم بكر يعقوب من زوجته راحيل والحادي عشر من أولاد يعقوب الاثني عشر، ولد في فدان آرام ودعت راحيل يوسف قائلة له: «يزيدني الرب» لاعتقادها بأن الله سيرزقها ابناً آخر وقد كان، وقد رويت أحداث حياة يوسف في سفر التكوين ص ٣٢ - ٥٠.
- انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٥.
- (٦) وردت الإشارة إلى هذا في سفر التكوين - الإصحاح الخامس والأربعون (٢٨) - فقال إسرائيل كفى. يوسف ابني حي بعد أذهب وأراه قبل أن أموت، وفي الإصحاح الذي بعده (ويضع يوسف يده على عينيك).
- انظر: العهد القديم ص ٧٨.
- (٧) وجدنا في سفر الخروج - الإصحاح الثامن - ما يلي: (١٦) - مد عصاك واضرب الأرض ليصير بعوضاً في جميع أرض مصر. ففعلنا كذلك).
- انظر: العهد القديم ص ٦٨.
- ووجدنا في التوراة السامرية - سفر الخروج - الإصحاح الثامن أيضاً - ما يلي (١٦) - أبسط يدك بعصاك واضرب تراب الأرض ليصير قملاً في كل مصر.
- (١٧ - فصنعنا كذلك).
- (٨) في هـ ، ك (منهما) بدلاً من (منهم).

وأما إبراء الأبرص^(١)، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن رجلاً من عظماء الروم برص فرحل من بلده قاصداً اليسع^(٢) - عليه السلام - ليبرئه من برصه، فأخبر الكتاب بأن الرجل وقف بباب اليسع أياماً لا يؤذن له، فقليل: لليسع: إن ببابك رجلاً يقال له «نعمان»^(٣) وهو أجل عظماء الروم به برص، وقد قصدك لتبرئه من مرضه^(٤)، فإن أذنت له دخل إليك، فلم يأذن له، وقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى هذا الرجل، فقل له: ينغمس في الأردن سبع مرات، فأبلغ الرسول لنعمان ما أمره به اليسع، ففعل ذلك، فذهب عنه البرص، ورجع قافلاً إلى بلده فأتبعه خادم اليسع، فأوهمه أن اليسع وجه به إليه يطلب منه مالاً فسر الرجل بذلك، ودفع إلى الخادم مالاً وجوهرات، ورجع فأخفى ذلك وستره.

ثم دخل إلى اليسع فلما مثل بين يديه، قال له: تبعت نعمان وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذت منه كذا وأخفيت في موضع كذا، إذ فعلت الذي فعلت به^(٥) فليصر برصه عليك وعلى نسلك، فبرص ذلك الخادم على المكان^(٦).

قال^(٧): فهذا اليسع قد أبرأ أبرصاً، وأبرص صحيحاً، وهو أعظم

(١) في هـ (للأبرص) بزيادة (لـ).

(٢) في هـ، ك (لليسع) بدلاً من (اليسع).

(٣) نعمان: الملقب بالسرياني، قائد جيش بنهود ملك الآراميين أخبر بأن النبي اليسع يقدر على شفائه من مرض البرص الذي أصيب به.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٣.

(٤) في هـ، ك (برصه) بدلاً من (مرضه).

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني - الإصحاح الخامس ص ٥٩٠ - العهد

القديم بطول وتفصيل، لكن المؤلف ذكرها هنا مختصرة.

(٧) (قال) ساقطة من هـ، ك.

مما فعل المسيح - عليه السلام - ، فلم يكن في فعله^(١) ذلك إلهاً.

قال^(٢): وأما قولكم أنه مشى على الماء، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن إلياس - عليه السلام - صار إلى الأردن، ومعه اليسع تلميذه، فأخذ عمامته فضرب بها الأردن فاستتبس له الماء حتى مشى عليه هو واليسع، ثم صعد إلى السماء على فرس من نور، واليسع يراه، ودفع عمامته إلى اليسع، فلما رجع اليسع إلى الأردن ضرب بها الماء فاستتبس له حتى مشى عليه راجعاً^(٣)، ولم يكن واحد منهما بمشييه على الماء إلهاً، ولا كان إلياس بصعوده إلى السماء إلهاً.

قال: وأما قولكم أنه صير الماء^(٤) خمرأً، فهذا كتاب سفر الملوك يخبر بأن اليسع نزل بامرأة إسرائيلية فأضافته وأحسنّت إليه، فلما أراد الانصراف، قال لها: هل لك من حاجة؟ فقالت المرأة: يا نبي الله إن على زوجي ديناً قد فدحه، فإن رأيت أن تدعو الله لنا بقضاء ديننا فافعل.

فقال لها اليسع: اجمعي كل ما عندك من الآنية واستعيري من جيرانك جميع ما قدرت عليه من آنيّتهم، ففعلت، ثم أمرها فملأت الآنية كلها ماء، فقال: اتركيه ليلتك هذه، ومضى من عندها فأصبحت المرأة، وقد صار ذلك الماء كله زيتاً فباعوه فقصوا دينهم^(٥).

(١) في هـ - (فعل) بسقوط (و).

(٢) (قال) ساقطة من هـ ، ك.

(٣) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني - العهد القديم ص ٥٨٤ - الإصحاح الثاني بإسهاب واختلاف في طريقة التعبير في بعض الألفاظ، مثل إيليا بدلاً من إلياس واليشع بدلاً من اليسع - والرداء بدلاً من العمامة وهكذا.

(٤) في ط، ك (ماء) بسقوط (ال).

(٥) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الثاني - العهد القديم ص ٥٨٧ - الإصحاح الرابع ولكنها مختلفة اختلافاً يسيراً في بعض الألفاظ مثل الماء المذكور هنا الذي لم يصرح به في النص.

وتحويل الماء زيتاً أبدياً من تحويله خمراً، ولم يكن اليسع بذلك إلهاً.
وأما قولكم: المسيح — عليه السلام — كثر القليل حتى أكل خلق
كثير من أرغفة يسيرة، فإن كتاب سفر الملوك يخبر بأن إلياس نزل بامرأة
أرملة وكان القحط قد عمّ الناس وأجدبت البلاد ومات الخلق ضراً وهزلاً،
وكان الناس في ضيق، فقال للأرملة: هل عندك طعام؟ فقالت: والله
ما عندي إلاّ كف من دقيق في قلة، أردت أن أخبزه لطفل لي، وقد أيقنا
بالهلاك لما الناس فيه من القحط.

فقال لها: احضره فلا عليك فأتته به فبارك عليه فمكث عندها
ثلاث سنين وستة أشهر تأكل هي وأهلها وجيرانها منه حتى فرج الله عن
الناس^(١)، فقد فعل إلياس في ذلك أكثر مما فعل المسيح، لأن إلياس
كثر القليل وأدامه، والمسيح كثر القليل في وقت واحد، ولم يكن إلياس
بفعله هذا إلهاً.

قال^(٢): فإن قلتم إن هؤلاء الأنبياء ليس لهم صنع في هذه الأفعال
وإن الصنع فيها والقدرة لله — عز وجل —، إذ كان هو الذي أجراها على
أيديهم، فقد صدقتم، ونقول لكم — أيضاً — كذلك المسيح ليس له
صنع فيما ظهر على يديه من هذه الأعاجيب، إذ كان الله هو الذي أظهرها
على يديه، فما الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء، وما الحجة^(٣) في ذلك؟
قال: وإن قلتم: أن الأنبياء كانت إذا أرادت أن يظهر الله على
أيديهم آية تضرعت إلى الله ودعته وأقرت له بالربوبية وشهدت على
أنفسها بالعبودية.

(١) هذه القصة مذكورة في سفر الملوك الأول الإصحاح السادس عشر العهد القديم
ص ٥٦٨ باختلاف عن ما ذكر هنا، ولكن فحوى القصة واحدة.

(٢) يعني الحسن بن أيوب.

في ط (وقال) بزيادة (و). (٣) في ط (والحجة) بسقوط (ما).

قيل لكم: وكذلك سبيل المسيح، سبيل سائر الأنبياء، قد كان يدعو ويتضرع ويعترف بربوبية الله ويقر له بالعبودية، فمن ذلك أن الإنجيل يخبر بأن المسيح أراد أن يحيى رجلاً يقال له العازر^(١)، فقال: (يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك من قبل فتجيبي وتستجيب^(٢)) لي، وأنا أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا^(٣)، وقال: (بزعمكم وهو على الخشبة) (إلهي إلهي لم تركتني)^(٤)، وقال: (يا أبي اغفر لليهود ما يعملون فإنهم لا يدرون ما يصنعون)^(٥).

وقال في إنجيل متى^(٦): (يا أبي أحمذك)^(٧)، وقال: يا أبي إن كان بد^(٨) أن يتعداني هذا الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا فلتكن مشيئت^(٩). وقال أيضاً: (أنا أذهب إلى إلهي الذي هو أعظم —————

(١) رجل مريض من بيت عنيا من قرية مريم التي دهنت المسيح بطيب. انظر: ص ١٦٨، العهد الجديد.

(٢) في المطبوعة (تستجيب) بسقوط (و).

(٣) النص موجود في إنجيل يوحنا الإصحاح الحادي عشر وهو مختلف عن ما ذكر هنا قليلاً (٤١) — أيها الأب أشكرك لأنك سمعت بي (أنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني). انظر العهد الجديد ص ١٦٩.

(٤) سبق أن مر معنا عزو هذا النص في ٤١٧/٣.

(٥) هذا النص موجود في إنجيل لوقا — الإصحاح الثالث والعشرون وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ. (٤٦) — فقال يسوع يا أبته اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون). انظر العهد الجديد ص ١٤١.

(٦) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).

(٧) هذه الجملة لم نجدها في إنجيل متى ولكن وجدنا في إنجيل لوقا الإصحاح العاشر في العهد الجديد ص ١١٣ قوله: أحمذك أيها الأب).

(٨) في هـ (قد) بدلاً من (بد).

(٩) هذا النص موجود في إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرون بعبارة مختلفة قليلاً =

مني^(١)، وقال: (لا أستطيع أن أصنع شيئاً ولا أتفكر فيه إلا باسم إلهي)^(٢)، وقال – يعني نفسه: (لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا للرسول أن يكون أعظم ممن أرسله)^(٣).

وقال: (إن الله لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره أحد من خلقه، ولا يراه أحد إلا مات)^(٤).

والمسيح قد أكل وشرب وولد وراه الناس فما ماتوا من رؤيته، ولا مات أحد منهم، وقد لبث فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة.

قلت^(٥): وعامة ما ذكره هذا^(٦) عن الكتب تعترف به النصارى، ولكن بعضهم ينازعه في يسير من الألفاظ، فنازعه هنا في قوله:

(٢٩) – ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني

هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت).

انظر: العهد الجديد ص ٥٠.

(١) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا – الإصحاح الرابع عشر باختلاف يسير:

(٢٨) – لأنني قلت أقضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني).

انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٢) ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ فقرة ٢٨ (ولست أفعل شيئاً من نفسي...) العهد

الجديد ص ١٦٢.

(٣) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا – الإصحاح الثالث عشر باختلاف يسير كما يلي:

(١٦) – الحق أقول لكم، إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من

مرسله).

انظر: العهد الجديد ص ١٧٤.

(٤) لم نجد النص كاملاً وقد وجدنا في سفر الخروج – الإصحاح الثالث والعشرون:

(٢٠) – وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش).

انظر: العهد الجديد ص ١٤٣.

(٥) هذا كلام الشيخ ابن تيمية.

(٦) يعني الحسن بن أيوب الذي نقل الشيخ كلامه فيما سلف.

(لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده)، وقال هذا إنما قاله المسيح للحواريين، وذكر أنه لا يعرف عنه لفظ لم يولد ولم يأكل ولم يشرب.

قال^(١): وقال^(٢) في إنجيل «يوحنا»: (إنكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون أنني أنا هو شيء من قبل نفسي لا أفعل، ولكن كل شيء كالذي علمني أبي)^(٣)، وقال في موضع آخر: (من عند الله أرسلت معلماً) وقال لأصحابه: (اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يُجَلُّ في مدينته)^(٤)، وأخبر الإنجيل أن امرأة رأت المسيح، فقالت: إنك لذلك النبي الذي كنا نتظر مجيئه، فقال لها المسيح: (صدقت طوبى لك)^(٥) وقال لتلاميذه: (كما بعثني أبي كذلك أبعث بكم)^(٦).

قال: فاعترف بأنه نبي وأنه مألوه ومربوب ومبعوث، وقال

(١) (قال) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ (قال تعالى) بزيادة (تعالى).

(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا - الإصحاح الثامن باختلاف يسير (٢٨ - فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنني أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي).

انظر: العهد الجديد ص ١٦٢ .

(٤) وجدنا هذا النص في إنجيل يوحنا - الإصحاح الرابع ولكنه بأسلوب مختلف (٤٣ - لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه).

انظر: العهد الجديد ص ١٥٢ .

وتكلمة للنص ولكن باختلاف يسير (٣١ - قوموا ننطلق من هنا).

انظر: العهد الجديد - إنجيل يوحنا ص ١٧٦ .

(٥) وجدنا في إنجيل يوحنا - الإصحاح الرابع (الآن ليس هو زوجك هذا قلت بالصدق).

انظر: العهد الجديد ص ١٥١ .

(٦) في إنجيل (يوحنا) الإصحاح العشرون (٢١ - كما أرسلني الآب أرسلكم أنا).

انظر: العهد الجديد ص ١٨٦ .

لتلاميذه: (إن من قبلكم وآواكم فقد قبلني، ومن قبلني فإنما يقبل من أرسلني، ومن قبل نبياً باسم نبي فإنما يفوز بأجر من قبل النبي)^(١).

فبين ها هنا في غير موضع أنه نبي مرسل، وأن سبيله مع الله سبيلهم معه^(٢)، وقال «متى» التلميذ في إنجيله يستشهد على المسيح بنبوة أشعيا عن الله - عز وجل - : (هذا عبدي الذي اصطفيته، وحببني الذي ارتاحت إليه نفسي، أنا واضع روحي عليه ويدعو الأمم إلى الحق)^(٣)، فلن يحتاج إلى حجة أوضح من هذا القول الذي جعلتموه حجة لكم، فقد أوضح الله أمره وسماه عبداً، وأعلم أنه يضع عليه روحه ويؤيده بها، كما أيد سائر الأنبياء بالروح، فأظهروا الآيات المذكورة عنهم، وهذا القول يوافق ما بشر به جبريل الملك مريم حين ظهر لها، وقال القول الذي سقناه في صدر كتابنا^(٤).

وقال يوحنا التلميذ في الإنجيل عن المسيح - عليه السلام - : (إن كلامي الذي تسمعون هو كلام من أرسلني)^(٥)، وقال في موضع

(١) وجدنا في إنجيل «متى» الإصحاح الحادي عشر نصاً لكنه مخالف، وهو كما يلي : (٤٠) - من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني. ٤١ - من يقبل نبياً باسم نبي فأجر نبي يأخذ، ومن يقبل باراً فأجر بار يأخذ).
انظر: العهد الجديد ص ١٩.

(٢) في ط (معهم) بدلاً من (معه).

(٣) وجدنا هذا النص في إنجيل متى - الإصحاح الثاني عشر (١٨) - هوذا فتاي الذي أخذته حببني الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق) بلفظه إلا اختلافاً يسيراً.

انظر: العهد الجديد ص ٢١.

(٤) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

(٥) وجدنا في إنجيل يوحنا - الإصحاح الرابع عشر (٢٤) - والكلام الذي تسمعون ليس لي بل للآب الذي أرسلني).

انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

آخر: (إن أبي أجل وأعظم مني)^(١)، وقال أيضاً: (كما أمرني أبي كذلك أفعل أنا)^(٢)، أنا الكرم وأبي هو الفلاح)^(٣)، وقال يوحنا: (كما للأب حياة في جوهره فكذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في قينومه)^(٤)، قال: فالمعطي خلاف المعطى لا محالة، والفاعل خلاف المفعول.

قال: وقال المسيح في إنجيل يوحنا: (إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي على صحة دعواي لكنت شهادتي باطلة، لكن غيري يشهد لي، فأنا أشهد لنفسي ويشهد لي أبي الذي أرسلني)^(٥)، وقال المسيح لبني

(١) سبقت الإشارة إلى هذا ١٢٦/٤.

(٢) وجدنا في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا (٣١) - وكما أوصاني الأب هكذا أفعل. قوموا نطلق من هنا).

انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا في أول الإصحاح الخامس عشر ما نصه: (١) - أنا الكرامة الحقيقية وأبي الكرام).

انظر: العهد الجديد ص ١٧٦.

(٤) وجدنا في إنجيل يوحنا - الإصحاح الخامس (٢٦) - لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته وهو بمعناه.

انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

(٥) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا - الإصحاح الخامس، وفيه اختلاف يسير (٣١) - إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً. ٣٢ - الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد بها لي هي حق. ٣٣ - أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق. ٣٤ - وأنا لا أقبل شهادة من إنسان ولكنني أقول هذا لتخلصوا أنتم. ٣٥ - كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة، أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمال التي أعطاني الأب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني) بمعناه.

انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

إسرائيل (تريدون قتلي، وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله)^(١).

قال: وقال في الرجل الذي أقامه من الموتى: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي وأعترف لك بذلك، وأعلم أنك كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني)^(٢)، قال: فأني تضرع وإقرار بالرسالة والمسألة والطلب للإجابة من الله — عز وجل — أشد من هذا أو أكثر.

قال: وقال في بعض مخاطبته لليهود، وقد نسبوه إلى الجنون: (أنا لست بمجنون، ولكن أكرم أبي ولا أحب مدح نفسي، بل أمدح أبي لأنني أعرفه، ولو قلت: إني لا أعرفه لكنت^(٣) كذاباً مثلكم، بل أعرفه وأتمسك بأمره)^(٤).

(١) في إنجيل يوحنا — الإصحاح الثامن (٤٠) — ولكنكم تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله).

انظر: العهد الجديد ص ١٦٣.

(٢) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا — الإصحاح الحادي عشر: (٤١) — وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي. ٦٢ — وأنا علمت أنك كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني). بمعناه.

انظر: العهد الجديد ص ١٦٩.

(٣) في هـ (كنت) بسقوط (ل).

(٤) هذا النص موجود في إنجيل يوحنا — الإصحاح الثامن (٤٩) — أنا ليس بي شيطان لكني أكرم أبي وأنتم تهينوني. ٥٠ — أنا لست أطلب مجدي يوجد من يطلب ويدين. ٥١ — الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد) ويطول النص إلى (وإن قلت إني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً لكني أعرفه وأحفظ قوله) بمعناه.

انظر: العهد الجديد ص ١٦٣.

قال: وقال داود في مزموه المائة وعشرة: (قال الرب اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لرجليك، عصا العظمة تبعث الرب من صهيون، ويبسط^(١) على أعدائك شعبك يا مسيح يوم الرعب في بهاء القدس من^(٢) اليوم الذي^(٣) ولدتك يا صبي^(٤)، عهد الرب ولا يكذب^(٥) أنك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملكليز داق^(٦))(٧).

قال: فهذه مخاطبة ينسبوننها إلى اللاهوت، وقد أبان داود في مخاطبته أن لربه الذي ذكره ربا هو أعظم منه وأعلى، أعطاه ما حكيناه ومنحه ذلك وشهد عليه، إن عصا العظمة تبعث ربه هذا من صهيون، وسماه صبيّاً محققاً لقوله الأول: اليوم ولدتك ونسقاً على أول كلامه وهو ربه، ووصف أنه الكاهن المؤيد الذي يشبه ملكليز داق^(٨).

(١) في ط (وتبسط) بدلاً من (ويبسط).

في ك (تبسط) بدلاً من (ويبسط).

(٢) في ط، ك (من البدىء) بزيادة (البدىء).

(٣) (الذي) ساقطة من ط، ك.

(٤) في ك (صبي) بسقوط (يا).

(٥) في ط (تكذب) بدلاً من (يكذب).

(٦) (ويشبه ملكليز داق) ساقطة من (ه).

(٧) وجدنا قريباً من هذا الكلام في المزمور العاشر بعد المائة من سفر المزامير من العهد القديم (١) - قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موضعاً لقدميك. ٢ - يرسل الرب قضيب عزك من صهيون تسلط في وسط أعدائك. ٣ - شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طل حدثتك. ٤ - فأقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق).

(٨) في هـ (ملا براراق) وفي ك (ولا يزداد).

(و) (ملكليز داق) كما كتب في هامش (ك، و ط): قال أبو نصر (ملكليز داق) جد عظيم من أحبار بني إسرائيل.

قلت^(١) : قالوا: وهذا الكاهن هو الذي ذكر^(٢) في التوراة أن الخليل أعطاه القربان^(٣) ، وإذا كان المسيح مشبهاً به مع تسميته كاهناً، كان ذلك من أعظم الأدلة على أنه مخلوق * قال^(٤) : فأما قوله : (من البدء ولدتك)^(٥) فهو يشبه قول داود (تبني على نفسه من البدء . ذكرتك وهديت كل أعمالك)^(٦) *^(٧) وبعضهم يقول: لفظ النص: (إن الرب يبعث عصاه من صهيون)^(٨) .

قال: وقال شمعون الصفا^(٩) رئيس الحواريين في الفصل الثاني من قصصهم: (يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي، إن يسوع الناصري^(١٠) رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والأيدي والعجائب التي أجزاها على يديه، وأنكم أسلمتموه وقتلتموه، فأقام الله يسوع هذا من

(١) هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) في ط، ك (ذكره) بزيادة (هـ) .

(٣) لم أعر على هذه القصة في العهد القديم .

(٤) يعني: الحسن بن أيوب .

(٥) وجدنا في أعمال الرسل الإصحاح ١٣ (أنت ابني أنا اليوم ولدتك) .

انظر: العهد الجديد ص ٢١٤ .

(٦) في المزمور السابع والسبعين (١١) — أذكر أعمال الرب إذ أتذكر عجائبك منذ القدم،

وألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي) .

انظر: العهد القديم ص ٨٨٦ .

(٧) ما بين النجمتين ساقط من س، هـ .

(٨) وجدنا في سفر أشعيا — الإصحاح الأربعون (٩) — على جبل عال اصعدي يا مبشرة

صهيون ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم ارفعي لا تخافي قليني لمن يهوذا إلهك هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له .

انظر: العهد القديم — الإصحاح العاشر ص ١٠٠٥ ؛ والعهد القديم ص ١٠٣٩ .

(٩) سبقت ترجمته .

(١٠) في ط (الناصري) بدلاً من (الناصري) .

بين الأموات^(١) .

قال: فأى^(٢) شهادة أبين وأوضح من هذا القول، وهو أوثق التلاميذ عندكم يخبر كما ترون أن المسيح رجل وأنه من عند الله وأن الآيات التي ظهرت منه بأمر الله أجراها على يديه، وأن الذي بعثه من بين الموتى هو الله - عز وجل - .

قال^(٣): وقال في هذا الموضع: (اعلموا أن الله جعل يسوع الذي قتلتموه رباً ومسيحاً)^(٤)، قال: فهذا القول يزيل^(٥)، تأويل من لعله يتأول في الفصل الأول أنه أراد بقوله الناسوت، لأنه يقول: أن الله جعله رباً ومسيحاً، والمجعول مخلوق مفعول *، قال أبو نصر^(٦): وإنما سمي ناصري، لأن أمه كانت من قرية يقال لها: «ناصر»^(٧)

(١) وجدنا في أعمال الرسل - الإصحاح الثاني: (٢٢) - أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون. ٢٣ - هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله الممنوحة وعلمه السابق وبأيدي آئمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت).

انظر: العهد الجديد ص ١٩١.

(٢) في هـ (وأي) بدلاً من (فأي).

(٣) يعني: الحسن بن أيوب.

(٤) وجدنا في أعمال الرسل (٢٣) - فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً بمعناه.

انظر: العهد الجديد ص ١٩١.

(٥) في هـ (يرد) بدلاً من (يزيل).

(٦) أبو نصر هذا، ورد في كلام الحسن بن أيوب، ولا ندري من يقصد به، ولم نعثر على رسالة الحسن بن أيوب - .

(٧) ناصرة: قرية بقرب طبرية قيل: اسم النصارى مشتق منها لأنهم كانوا من ناصرة وأهلها عيروا مريم - عليها السلام - فهم قوم إلى هذه الغاية يعتقدون أنه لا تلد بكر من غير زوج. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٧٧ - دار بيروت.

في الأردن^(١) وبها سميت النصرانية*^(٢).

قال^(٣): وقد سمي الله جل ثناؤه يوسف ربا، قال داود في مزمور مئة وخمسة: (وللعبودية بيع يوسف، وشدوا بالكبول رجله، وبالحديد دخلت^(٤) نفسه حتى صدقت كلمته قول الرب جربه^(٥) بعث الملك فخلاه^(٦) وصيره مسلطاً على شعبه، ورباً^(٧) على بنيهِ^(٨) ومسلطاً على فتياه^(٩)).

وقال لوقا: في آخر إنجيله: إن المسيح عرض له وللوقا^(١٠) تلميذه، جبريل في الطريق وهما محزونان فقال لهما، وهما لا يعرفانه: ما بالكما محزونين؟ فقالا: كأنك أنت وحدك غريب بيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه رجلاً نبياً قوياً في قوله وفعله عند الله وعند الأمة أخذوه وقتلوه^(١١) على قولهم فيه.

(١) الأردن: سبقت الإشارة إليه ١٠٤/٤. (٣) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك. (٤) في هـ (حلت) بدلاً من (دخلت).

(٥) في هـ (حزبه). وفي ك (حربه).

(٦) في ك (مجلاه) بدلاً من (فخلاه).

(٧) في هـ، ك (ربا) بسقوط (و).

(٨) في هـ، ك (بينه) بدلاً من (بنيه).

(٩) وجدنا في المزامير - المزمور الخامس بعد المئة (١٧) - أرسل أمامهم رجلاً يبيع

يوسف عبداً. ١٨ - آذ وبالقيد رجله في الحديد دخلت نفسه. ١٩ - إلى وقت

مجيء كلمته قول الرب امتحنه. ٢٠ - أرسل الملك فخله أرسل سلطان الشعب

فأطلقه. ٢١ - أقامه سيداً أعلى بنيهِ وملكاً على كل ملك).

انظر: العهد القديم ص ٩٠٦.

(١٠) في ط (لعملوقا ولوقا) بدلاً من (له وللوقا).

(١١) وجدنا هذه القصة المذكورة في إنجيل لوقا - الإصحاح الرابع والعشرون وهي

بطولها.

انظر: العهد الجديد ص ١٤٣.

قال^(١): فهذا قوله وأقوال تلاميذه قد تركتموها وعقدتم على بدع ابتدعها لكم أولوكم تؤدي إلى الضلالة والشرك بالله — جل ثناؤه — ، وقال داود في المزمور الثاني في زبوره مخاطباً لله ومثنياً على المسيح: (من الرجل الذي ذكرته والإنسان الذي أمرته وجعلته دون الملائكة قليلاً، وألبسته المجد والكرامات؟)^(٢)، وقال في المزمور الثاني: (قال لي الرب: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك سلني فأعطيك)^(٣)، فقوله: ولدتك دليل على أنه حديث غير قديم، وكل حادث فهو مخلوق، ثم أكد ذلك بقوله: (اليوم) فحد باليوم حداً لولادته^(٤) أزال به الشك في أنه ما كان قبل (اليوم) ودل بقوله: سلني فأعطيك على أنه محتاج إلى المسألة غير مستغنٍ عن^(٥) العطية، قال: فهذا ما حضرنا من الآيات في تصحيح خلق^(٦) المسيح وعبوديته^(٧) وبطلان ما يدعونه من ربوبيته، ومثله كثير في الإنجيل لا يحصى، فإذا كانت الشهادات منه على نفسه، ومن الأنبياء عليه، ومن تلاميذه بمثل ما قد بيناه في هذا الكتاب^(٨)، وإنما اقتصرنا على الاحتجاج عليكم من كتبكم، فما الحجة فيما تدعونه له ومن أي جهة أخذتم ذلك واخترتم الكلام الشنيع الذي يخرج عن

(١) يعني الحسن بن أيوب.

(٢) وجدنا في سفر المزامير — المزمور الثامن: (٤) — فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفقده. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله.

انظر: العهد القديم ص ٨٣٨.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤٥٤/٣.

(٤) في ط (لولادته)؛ بدلاً من (لولادته).

(٥) في ط (من) بدلاً من (عن).

(٦) (خلق) ساقطة من هـ.

(٧) في هـ (عبوديته) بسقوط (و).

(٨) يقصد رسالة الحسن بن أيوب.

المعقول، وتنكره النفوس، وتنفر منه القلوب، الذي لا يصح بحجة ولا قياس ولا تأويل، على القول الجميل الذي تشهد به العقول وتسكن إليه النفوس ويشاكل^(١) عظمة الله وجلاله.

قال: وإذا تأملتم كل ما بيناه تأمل إنصاف من أنفسكم وإشفاق عليها، علمتم أنه قول لا يحتمل أن يتأول^(٢) فيه للناسوت شيئاً دون اللاهوت.

قال: فإن قلت: إنه يثبت^(٣) للمسيح البنوة بقوله: (أبي وأبيكم)^(٤) - (٥) - ويا أبي^(٦) - وبعثني أبي^(٧) قلنا: فإن كان الإنجيل أنزل على هذه الألفاظ لم تبدل ولم تغير، فإن اللغة قد أجازت أن يسمى الولي ابناً، وقد سماكم الله^(٨) جميعاً بنيه، وأنتم لستم في مثل حاله.

ومن ذلك أن الله - عز وجل - قال لإسرائيل في التوراة: (أنت ابني بكري)^(٩). وقال لداود في الزبور: (أنت ابني وحببي)^(١٠). وقال المسيح في الإنجيل للحواريين: (أريد أن أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)^(١١) فسمى الحواريين أبناء الله، وأقر بأن له إلهاً هو الله،

(١) في ط، ك (ونشاكل) بدلاً من (ويشاكل).

(٢) في هـ (نتأول) بدلاً من (يتأول).

(٣) في هـ (ثبتت)، وفي ك (ثبت) بدلاً من (يثبت).

(٤) في هـ، ك (أبيكم) ساقطة.

(٥) (أبي وأبيكم) سبقت الإشارة إليها في ١٢٧/٤.

(٦) (يا أبي) سبقت الإشارة إليها ١٢٥/٤.

(٧) (وبعثني أبي) سبقت الإشارة إليها ١٢٧/٤.

(٨) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ، ك.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٣/٣.

(١٠) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٤/٣.

(١١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٤/٣.

ومن كان له إله فليس بإله كما تقولون، فإن زعمتم أن المسيح إنما استحق الإلهية بأن الله سماه ابناً فلتنزم^(١) ذلك، ونشهد^(٢) بالإلهية لكل من سماه ابناً وإلاً فما الفرق؟

قال: فإن قلت: إن إسرائيل وداود ونظرأهم إنما سموا أبناء الله على جهة الرحمة من الله لهم، والمسيح ابن الله على الحقيقة، تعالى الله عن ذلك.

قلنا: يجوز لمعارض أن يعارضكم، فيقول لكم ما تنكرون أن يكون إسرائيل وداود ابني الله على الحقيقة، والمسيح ابن رحمة، وما الفرق؟

فإن قلت: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء، من قبل، أن المسيح جاء إلى مقعد فقال: (قم قم^(٣)) فقد غفرت لك، فقام الرجل، ولم يدع الله في ذلك الوقت^(٤).

قلنا لكم: هذا إيلياس أمر السماء أن تمطر فأمرت، ولم يدع الله في ذلك الوقت^(٥)، وكذلك اليسع أمر نعمان الرومي أن ينغمس في

(١) في هـ (فليلتزم)، وفي ك (فلتنزم) بدلاً من (فلتنزم).

(٢) في هـ (ويشهد) بدلاً من (ونشهد).

(٣) (قم) – الثانية – ساقطة من ط، ك.

(٤) وجدنا في إنجيل لوقا – الإصحاح الخامس: (مغفور لك خطاياك).

وبعد نص طويل يقول: (ومضى إلى بيته وهو يمجّد الله).

انظر: العهد الجديد ص ٩٩.

(٥) وجدنا في الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول: (٤٤) – فقال اصعد قل

لأخاب اشدد وانزل لثلا يمنحك المطر. ٤٥ – وكان من هنا إلى هنا أن السماء

اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم فركب أخاب ومضى إلى يزرعيل.

٤٦ – وكانت يد الرب على إيليا فشدّ حقويه وركض أمام أخاب. ؟

انظر: العهد القديم ص ٥٧١.

الأردن من غير دعاء، ولا تضرع^(١)، على أنا قد^(٢) وجدناه في الإنجيل قد تضرع، وسأل مسائل قد تقدم ذكرها.

وقال في بعض الإنجيل: (يا أبي أشكرك على استجابتك دعائي، وأعلم أنك في كل وقت تجيب دعوتي لكن أسألك من أجل هذه الجماعة ليؤمنوا^(٣) بأنك أنت أرسلتني^(٤)).

فإن قلتم: إن الغفران من الله - عز وجل - ، وأن المسيح قال لبعض بني إسرائيل: (قم^(٥) فقد غفرت لك) والله هو الذي يغفر الذنوب.

قلنا: فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة لموسى: (أخرج أنت وشعبك الذي أخرجت من مصر وأنا أجعل معكم ملكاً يغفر ذنوبكم)^(٦).

فإن زعمتم أن المسيح إله لأنه غفر ذنوب المقعد، فالملك إذاً إله^(٧) لأنه يغفر ذنوب بني إسرائيل وإلاً فما الفرق؟

(١) إيليش: انظر: العهد القديم من سفر الملوك الثاني - الإصحاح الخامس ص ٥٩٠. وانظر: ترجمته ١٢٠/٤.

(٢) (قد) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (ليفتوا) بدلاً من (ليؤمنوا).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٠/٤.

(٥) (قم) ساقطة من هـ، ك.

(٦) وجدنا في السفر الثاني - سفر الخروج - الإصحاح الثالث والثلاثون: (١١) - وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكاً).

انظر: العهد القديم ص ١٤٢.

(٧) في هـ (والملك إذاً الإله) بدلاً من (فالملك إذاً إله).

فإن قلت: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قبل أن الله سماه^(١) رباً فقال: (ابن البشر رب السبت)^(٢).

قلنا: فهذه التوراة تخبر بأن لوطاً^(٣) — عليه السلام — لما رأى الملكين قد أقبلًا من البرية لهلاك قومه، قال لهما: (يا ربي ميلاً^(٤)) إلى منزل عبدكما^(٥)، وقد تقدم لنا احتجاج^(٦) في هذا الكتاب بذكر^(٧) من سمى في الكتب^(٨) رباً من يوسف وغيره، فإن كان المسيح إلهاً لأنه سمى رباً فهؤلاء إذاً آلهة لأنهم سموا بمثل ذلك.

فإن قلت: إن الأنبياء قد تنبأت بإلهية المسيح، فقال أشعيا: (العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه «عمانويل»)، وتفسيره «معنا إلهنا»^(٩).

قلنا: إن هذا^(١٠) اسم يعاره^(١١) السيد الشريف من الناس، وإن كان

(١) في ط (سبحانه) بدلاً من (سماه).

(٢) وجدت في إنجيل لوقا (إذا ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً).

انظر: العهد الجديد — الإصحاح السادس ص ١٠١؛ والإصحاح الثاني — إنجيل مرقس —.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في ط (مهلاً) بدلاً من (ميلاً).

(٥) وجدت في سفر التكوين: (وقال يا سيدي ميلاً إلى بيت عبدكما).

انظر: العهد القديم — الإصحاح التاسع عشر — سفر التكوين — ص ٢٧.

(٦) في ط (الاحتجاج) بدلاً من (احتجاج).

(٧) في ك (نذكر).

(٨) (بذكر من سمى في الكتب) ساقطة من ط.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤٠٤/٣.

(١٠) في ط (قيل إن هذا) بزيادة (قيل).

(١١) في هـ (كعادة) بدلاً من (يعاره).

الله - عز وجل - المنفرد بمعنى الإلهية - جل ثناؤه - فقد قال الله في التوراة لموسى * - عليه السلام - : (قد جعلتك لهارون إلهاً وجعلته لك نبياً)^(١).

وقال في موضع آخر: *^(٢) (قد جعلتك يا موسى إلهاً لفرعون)^(٣)، وقال داود في الزبور لمن كانت عنده حكمة: (كلكم آلهة ومن العلية تدعون)^(٤).

فإن قلت: إن الله - عز وجل - جعل موسى إلهاً لهارون على معنى الرياسة عليه.

قلنا: وكذلك قال أشعيا في المسيح أنه إله لأمته على هذا المعنى. وإلا فما الفرق؟

فإن قلت: إن المسيح قد قال في الإنجيل: (من رأي فقد رأى أبي وأنا وأبي واحد)^(٥).

قلنا: إن قوله (أنا وأبي واحد) إنما يريد به أن قبولكم لأمرى هو قبولكم لأمر الله، كما يقول رسول الرجل: أنا ومن أرسلني واحد،

(١) وجدنا في سفر الخروج (وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلهاً).

انظر: العهد القديم - الإصحاح الرابع.

والمقصود بقوله (وهو يكلم الشعب) المقصود (هارون).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٣) وجدنا في سفر الخروج (١ - قال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون).

انظر: العهد القديم - الإصحاح السابع.

(٤) وجدت في سفر المزامير (٦ - أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم).

انظر: العهد القديم - الإصحاح الثامن والثامن.

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا النص في ١٢٩/٤.

ويقول الوكيل: أنا ومن وكلني واحد، لأنه يقوم فيما يؤديه مقامه، ويؤدي عنه ما أرسله به ويتكلم بحجته، ويطلب له^(١) بحقوقه، وكذلك قوله: (من رأي فقد رأي أبي)، يريد بذلك أن^(٢) من رأى هذه الأفعال التي أظهرها فقد رأى أفعال أبي.

فإن قلتم: إن المسيح قد قال في الإنجيل: (أنا قبل إبراهيم)^(٣)، فكيف يكون قبل إبراهيم، وإنما هو من ولده؟ ولكن لما قال قبل إبراهيم علمنا ما أراد أنه قبل إبراهيم من جهة الإلهية.

قلنا: هذا سليمان بن داود يقول في حكمته: (أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث بدأ^(٤) الأرض)^(٥)، فما الفرق بينه وبين من قال: إن سليمان ابن الله، وأنه إنما قال: أنا قبل الدنيا بالإلهية، وقد قال داود أيضاً في الزبور: (ذكرتك يا رب^(٦) من البدء^(٧))، وهديت بكل أعمالك)^(٨).

(١) (له) ساقطة من ط .

(٢) (أن) ساقطة من هـ ، ك .

(٣) وجدنا في إنجيل يوحنا - الإصحاح الثامن: (٥٨) - الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن).

انظر: العهد الجديد ص ١٦٤ .

(٤) في هـ ، ك (مد) بدلاً من (بدأ) .

(٥) وجدنا في سفر (أمثال) الإصحاح الثامن: (لما ثبت السماوات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه القمر. ٢٨ - لما أثبت السحب من فوق لما تشددت ينايع القمر. ٢٩ - لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعاً...).

انظر: العهد القديم ص ٩٤٥ .

(٦) (يا رب) ساقطة من ط ، ك .

(٧) في ط: زيادة (يا رب في البدء) قبل (وهديت بكل أعمالك).

(٨) وجدنا في سفر المزامير - المزمور المائة والتاسع عشر: (٥٢) - تذكرت أحكامك =

فإن قلت: إن كلام سليمان بن داود متأول لأنهما من ولد إسرائيل وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيا.

قلنا: وكذلك قول المسيح أنا قبل الدنيا متأول، لأنه من ولد إبراهيم، ولا يجوز أن يكون قبل إبراهيم، فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود، وإلا فما الفرق؟

وقد قدمنا هذا الاحتجاج على تأويلكم لتعلموا بطلان ما ذهبتم إليه على أنه تأويل غير واقع بحقه^(١)، وإنما حقه أن يكون هذا الاسم يعني «عمانويل» لما وقع على المسيح كان معناه أنه أخبر عن نفسه بأن «إلهنا معنا» يعني أن الله معه، ومع شعبه معيناً وناصرأً.

ومما يصحح ذلك أنكم تتسمون به، ولو كان المعنى ما ذهبتم إليه لما جاز لأحد أن يتسمى به، كما لم يجز أن يتسمى بالمسيح لأنه مخصوص بمعناه.

فإن قلت: إن تلاميذ المسيح كانوا يعملون الآيات باسم المسيح . قلنا لكم: فقد قال الله - جل^(٢) ثناؤه - ليحيى بن زكريا: (قد أيدتك بروح القدس وبقوة إلياس، وهي قوة تفعل الآيات)^(٣) فأضاف القوة إلى إلياس.

منذ الدهر يارب فتعزيت. ٥٣ - الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك.

٥٤ - ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي. ٥٥ - ذكرت في الليل اسمك

يارب وحفظت شريعتك. ٥٦ - هذا صار لي لأنني حفظت وصاياك).

انظر: العهد القديم ص ٩١٨.

(١) في ط (لحقه).

(٢) في ط (- عز وجل -) بزيادة (عز).

(٣) لم نعثر على هذا النص في الطبعة المتداولة حالياً من العهد القديم.

فإن زعمتم أن المسيح إله لأنه فعلت الآيات باسمه، فما الفرق بينكم وبين من قال: إن^(١) إلياس إله فإنه فعلت بقوته^(٢) الآيات؟ فإن قلتم^(٣): إن^(٤) الخشبة التي صلب عليها المسيح على زعمكم ألصقت بميت فعاش، فإن^(٥) هذا دليل على أنه إله. قلنا لكم: فما الفرق بينكم وبين من قال: إن اليسع إله؟ واحتج في ذلك (بأن كتاب سفر الملوك يخبر بأن^(٦) رجلاً مات فحملة أهله إلى المقبرة، فلما كانوا بين القبور رأوا عدواً لهم^(٧) يريد أنفسهم فطرحوا الميت عن رقابهم وبادروا إلى المدينة، وكان الموضع الذي ألقوا عليه الميت قبر اليسع، فلما أصاب ذلك الميت تراب قبر اليسع عاش، وأقبل يمشي إلى المدينة)^(٨)، فإن زعمتم أن المسيح إله لأن الخشبة التي ذكروا أنه صلب عليها ألصقت بميت فعاش، فاليسع إله لأن تراب قبره لصق بميت فعاش.

فإن قلتم أن المسيح كان من غير فحل. قلنا لكم^(٩): قد كان كذلك وليس أعجوبة الولادة توجب الإلهية ولا الربوبية، لأن القدرة في

(١) (أن) ساقطة من ط .

(٢) في هـ (بنوته) بدلاً من (بقوته).

(٣) في ط (قلت) بدلاً من (قلتم).

(٤) (أن) ساقطة من هـ .

(٥) في ط (وإن) بدلاً من (فإن).

(٦) في هـ (أن) بسقوط (ب).

(٧) (لهم) ساقطة من ط .

(٨) وجدنا في السفر الثالث من أخبار الملوك الثاني: (٢٠) - ومات اليسع فدفنوه وكان غزاة مؤاب تدخل على الأرض عند دخول السنة. ٢١ - وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رؤوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليسع فلما نزل الرجل ومس عظام اليسع عاش وقام على رجله.

انظر: العهد القديم - الإصحاح الثالث عشر - ص ٦٠٧.

(٩) (لكم) ساقطة من هـ .

ذلك للخالق - تبارك وتعالى - لا للمخلوق، وعلى أنه يوجدكم^(١) لأن^(٢) حواء خلقت من فحل بلا أنثى، وخلق أنثى من ذكر بلا أنثى أعجب من ذكر من أنثى بغير ذكر، وأعجب من ذلك أن آدم خلقه الله من تراب، وخلق بشر من تراب وأعجب وأبدع من خلق ذكر من أنثى بلا فحل. فما الفرق؟

قال^(٣): وهذه الأسباب التي ذكرناها كلها هي الأسباب التي تتعلقون^(٤) بها في نحلّتكم المسيح الربوبية وإضافتكم إليه الإلهية، وقد^(٥) وصفناها على حقائقها عندكم وقبلنا فيها^(٦) قولكم، وإن كنا لا نشك في أن أهل الكتاب قد حرفوا بعض ما فيها من الكلام عن مواضعه، وأوجدناكم بطول ما تتحلون، وفساد ما تتأولونه من الكتب التي في أيديكم التوراة والزبور والأنبياء والإنجيل، فما الذي يثبت الحجة بعد ذلك لكم؟

قال: وقد قال السيد المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: (إن ذلك اليوم، وتلك الساعة لا يعرفه أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن أيضاً^(٧))، ولكن الأب وحده

(١) هكذا في جميع النسخ (وعلى أنه يوجدكم).

(٢) في هـ (أن).

(٣) يعني الحسن بن أيوب.

(٤) في هـ، ك (يتعلقون) بدلاً من (تتعلقون).

(٥) في هـ (قده) بسقوط (و).

(٦) (فيها) ساقطة من ط.

(٧) في هـ (ولا الابن أيضاً يعرفه) بزيادة (يعرفه).

يعرفه^(١)، قال: فهذا إقرار منه بأنه منقوص العلم وأن الله – تبارك وتعالى – أعز وأعلم منه، وأنه خلافة وأعلامه، وقد بين بقوله أحد^(٢) عمومته بذلك الخلق جميعاً، ثم قال: (ولا الملائكة) وعندهم من علم الله^(٣) ما ليس عند أهل الأرض، ثم قال: (ولا الابن)، وله من القوة ما ليس لغيره، وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله، بل ما علّمه الله إياه^(٤) وأطلعه على معرفته وجعله له، وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية، وأنه هو الله ومن جوهر أبيه^(٥) – تعالى الله^(٦) الخالق لكل شيء علواً كبيراً – ولو كان إلهاً كما يقولون: لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء^(٧) وسائر الأمور وعلايتها، إذا^(٨) كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي إذا سئلتم عنه تعلقتم بأنه قيل للناسوت^(٩) دون اللاهوت.

قلت^(١٠): مقصوده^(١١) بذلك أنه صرح بأنه لا يعلمه أحد، ثم خص

(١) وجدنا في إنجيل متى – الإصحاح الرابع والعشرون: (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أباي وحده).

انظر: العهد الجديد ص ٤٥.

(٢) في هـ، ك (أحدًا) بزيادة (أ).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(٤) (إياه) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ (الله) بدلاً من (أبيه).

(٦) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط.

(٧) في هـ (الأنبياء) بدلاً من (الأشياء).

(٨) في هـ، ك (إذ) بسقوط (أ).

(٩) في هـ (الناسوت) بدلاً من (للناسوت).

(١٠) هذا كلام للمؤلف.

(١١) في هـ (مقصود) بسقوط (هـ).

الملائكة بالذكر لثلا يظن أن أحداً منهم يعلمه، فقال: (ولا الملائكة الذين في السماء)، ثم قال: (ولا الابن يعرفه، وأن الأب وحده يعرفه) فنفي معرفة الابن وأثبت أن الأب وحده يعرفه، ومراده بالابن المسيح فعرف أن المسيح لا يعرفه وأثبت أن الرب يعرفه دون الابن، ودل ذلك على أن لفظ الابن عند المسيح، إنما يراد بها الناسوت وحده إذ كان لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت، فإن اللاهوت يعلم كل شيء، وقد^(١) دل ذلك على أن قوله: (عمدوا الناس باسم الأب والابن)، المراد^(٢) به الناسوت وحده كما أريد بلفظ الابن في سائر كلامه وكلام غيره لم يرد قط أحد منهم بلفظ الابن اللاهوت، بل إطلاق الابن على اللاهوت مما ابتدعته النصارى، وحملوا عليها كلام المسيح فابتدعوا لصفات الله أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وحملوا عليها كلام المسيح، وإنما يحمل كلام الأنبياء — عليهم السلام — وغيرهم على معنى لغتهم التي جرت عادتهم بالتكليم^(٣) بها لا على لغة يحدثها من بعدهم، ويحمل كلامهم عليها.

قلت: فإن هذا^(٤) الذي فعلته^(٥) النصارى وأشباههم يفتح باب الإلحاد في كتب الله المنزلة، وقد قال — تعالى — :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنُؤَلِّقُ فِي النَّارِ خَيْرًا مِّن يَأْتِي
ءِإِمْنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٦).

(١) (قد) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) في هـ ، ط (والمراد) بزيادة (و).

(٣) في هـ (بالتكلم) بدلاً من (بالتكليم).

(٤) في هـ (هذا) بسقوط (فإن)، وفي ك (وهذا) بدلاً من (فإن هذا).

(٥) في هـ ، ك (نقلته) بدلاً من (فعلته).

(٦) سورة فصلت: من الآية ٤٠ .

وذلك أن كل من اعتقد معاني برأيه يمكنه أن يعبر عنها بألفاظ تناسبها بنوع مناسبة، وتلك الألفاظ موجودة في كلام الأنبياء - عليهم السلام - لها معاني أخرى، ويجعل^(١) تلك الألفاظ دالة على معانيه التي رآها، ثم يجعل الألفاظ التي تكلمت بها الأنبياء، وجاءت بها الكتب الإلهية، أرادوا بها معانيه هو، وهكذا فعل سائر أهل الإلحاد^(٢) في سائر^(٣) الكتب الإلهية، كما فعلته النصارى، مثل ما عمدت الملاحدة المتبعون لفلاسفة^(٤) اليونان القائلون بأن هذه الأفلاك قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، وأن الله لم يتكلم بالتوراة ولا غيرها من الكتب الإلهية، ولا هو عالم بالجزئيات لا بموسى بن عمران ولا بغيره^(٥)، ولا هو قادر أن يفعل بمشيئة ولا يقيم الناس من قبورهم، فقالوا: خلق وأحدث وفعل وصنع ونحو ذلك يقال على الإحداث الذاتي، والإحداث الزماني.

فالأول: هو إيجاب العلة لمعلولها^(٦) المقارن لها في الزمان.

والثاني: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، ثم قالوا: ونحن نقول: إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما وأحدث ذلك وأبدعه وصنعه كما أخبرت بذلك الأنبياء - عليهم السلام - ، لكن مرادهم بذلك الإحداث الذاتي وهو أن ذلك معلول له لم يزل معه.

فيقال لهم: لم يستعمل أحد من الأنبياء - عليهم الصلاة

(١) في ك (وتجعل) بدلاً من (ويجعل).

(٢) في هـ (الاتحاد) بدلاً من (الإلحاد).

(٣) (سائر) ساقطة من هـ .

(٤) في هـ (فلاسفة) بسقوط (ل).

(٥) في هـ ، ك (غيره) بسقوط (ب).

(٦) في ط (لمعلولها) بدلاً من (لمعلولها).

والسلام - ، بل ولا أحد من سائر الأمم لفظ الخلق والإحداث إلا فيما كان بعد عدمه وهو ما كان مسبوقاً بعدمه ووجود غيره، ومعنى هذا اللفظ معلوم بالاضطرار في جميع لغات الأمم، وأيضاً فاللفظ المستعمل في لغة العامة والخاصة لا^(١) يجوز أن يكون معناه ما لا يعرفه إلا بعض الناس، وهذا المعنى الذي يدعونه لو كان حقاً لم يتصوره إلا بعض الناس، * فلا يجوز أن يكون اللفظ العام الذي تداوله العامة والخاصة موضوعاً له إذا^(٢) كان هذا يبطل مقصود اللغات، ويبطل تعريف الأنبياء للناس *^(٣) فكيف وهو باطل في صريح المعقول^(٤)، كما هو باطل في صحيح المنقول، فإنه لم يعرف أن أحداً قط عبر عن القديم الأزلي الذي لم يزل موجوداً، ولا يزال، بأنه محدث أو مخلوق أو مصنوع أو مفعول، فهذا الذي ذكرتموه كذب صريح على الأنبياء - عليهم السلام - ، لتوهموا^(٥) الناس أنكم موافقون لهم، والكتب الإلهية كالتوراة والقرآن مصرحة بأن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والقديم الأزلي لا يكون مخلوقاً في ستة أيام، وكذلك الكتب الإلهية كالتوراة والقرآن قد أخبرت بتكليم الله لموسى، وبندائه إياه من الطور من الشجرة، وفي التوراة أنها شجرة العليق^(٦).

وأخبرت بأن موسى - عليه السلام - كان يلقي عصاه فتصير حية

(١) في هـ (ولا) بزيادة (و).

(٢) في هـ (إذا).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من هـ.

(٤) في هـ (العقل) بدلاً من (المعقول).

(٥) في هـ (لتوهموا) بدلاً من (لتوهموا).

(٦) ورد في سفر الخروج إصحاح ٣ فقرة ٥ (ناداه الله من وسط العليقة) ص ٩٠ العهد القديم.

تسعى ، ويخبر بأن الله فلق البحر، فقالت^(١) الملاحدة: إن الشيء الثابت يسمى طوراً، فإنه ثابت كالجبل، والقلوب تسمى أودية، وإظهار العلوم بتفجير ينابيع العلم والحجة المبتلغة كلام أهل الباطل هي عصا معنوية، فمراد الكتب بالطور العقل الفعال الذي فاض منه العلم على قلب موسى - عليه السلام - ، والوادي قلب موسى ، والكلام الذي سمعه موسى سمعه^(٢) من سماء عقله، وتلك الأصوات كانت في نفسه لا في الخارج، والملائكة التي رآها كانت أشخاصاً نورانية تمثلت في نفسه لا في الخارج، والبحر الذي فلقه هو بحر العلم، والعصا كانت حجتة غلب على السحرة بحجته العلمية فابتلعت حجتة شبههم التي جعلوها حبلاً يتوسلون بها إلى نيل أغراضهم، وعصياً يقهرون^(٣) بها من يجادلونه.

أفليس من قال مثل هذا الكلام يعلم بالاضطرار أنه يكذب على الكتب الإلهية التي أخبرت بقصة موسى كالتوراة والقرآن، وأنه ليس مراد الرسل بما^(٤) أخبروا به من قصة موسى هذا، بل صرحوا بأن موسى سمع نداء الله له، وأنه كلمه من الطور طور سينا الذي هو الجبل، وقلب عصاه التي كان يهش بها على غنمه ثعباناً عظيماً، وفلق له البحر، وأغرق فيه آل فرعون فغرقوا وماتوا فيه وهلكوا، وأمثال هذا من تحريفات الملاحدة كثير.

فهكذا النصارى حرفوا كتب الله وسموا صفة الله القديمة الأزلية

(١) ط، ك (فقال) بسقوط (ت).

(٢) (سمعه) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (يهلكون) بدلاً من (يقهرون).

(٤) في هـ ، ك (ما) بسقوط (ب).

التي هي علمه أو حكمته ابناً، وسموها أيضاً كلمة^(١)، وسموا صفته القديمة الأزلية، التي هي حياته روح القدس، وتسمية هذه الصفات بهذه الأسماء لا توجد في شيء من كلام الأنبياء ولا غيرهم، ولا يعرف أن أحداً قط لا من الأنبياء ولا غيرهم سمى علم الله القائم به ابنه^(٢)، بل ولا سمى علم أحد من العالمين^(٣) القائم به ابنه، ولكن لفظ الابن يعبر به عن ولد الولادة المعروفة، ويعبر به عن من كان هو سبباً في وجوده، كما يقال ابن السبيل لمن ولدته^(٤) الطريق، فإنه لما جاء من جهة الطريق جعل كأنه ولده.

ويقال لبعض الطير ابن الماء، لأنه يجيء من جهة الماء، ويقال: كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن الابن يتنسب^(٥) إلى أبيه ويحبه، ويضاف إليه أي كونوا ممن يتنسب^(٥) إلى الآخرة ويحبها، ويضاف إليها، وهذا اللفظ موجود في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب في حق الصالحين الذين^(٦) يحبهم الله ويريبهم، كما ذكروا^(٧) أن المسيح قال: (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)، وفي التوراة: أن الله قال ليعقوب: (أنت ابني بكري).

ونحو ذلك مما يراد به إذا كان صحيحاً له معنى صحيح، وهو المحبة له، والاصطفاء له^(٨)، والرحمة له، وكان المعنى مفهوماً عند

-
- (١) في هـ (كلمته) بدلاً من (كلمة).
 - (٢) في هـ (الله) بدلاً من (ابنه).
 - (٣) في هـ (العالم) بدلاً من (العالمين).
 - (٤) في هـ (ولده) بدلاً من (ولدته).
 - (٥) في هـ (يتنسب) بدلاً من (يتنسب).
 - (٦) في هـ (الذي) بدلاً من (الذين).
 - (٧) في هـ، ك (ذكروه) بدلاً من (ذكروا).
 - (٨) (له) ساقطة من ط، ك.

الأنبياء - عليهم السلام - ، ومن يخاطبونه^(١) ، وهو من الألفاظ المتشابهة ، فصار كثير من أتباعهم يريدون^(٢) به المعنى الباطل .

وزعم كثير من الكفار أن الله - سبحانه وتعالى - بنين وبنات ، وأن الملائكة بناته ، وبعض من يقول بقدم العالم من المتفلسفة يقولون العقول العشرة هي بنوه ، والنفوس الفلكية هي^(٣) بناته ، وهي متولدة عنه لازمة لذاته ، فجاء القرآن الذي هو أفضل الكتب وأكملها بإبطال هذه المعاني ، ومنع استعمال هذا اللفظ في حق الله - تعالى -^(٤) ، فنزه الله عن أن يتخذ ولداً ، كما نزهه عن أن يكون له ولد ، والأول^(٥) من باب تنزيهه عن الأفعال المذمومة ، وهذا على^(٦) قول جماهير المسلمين وغيرهم الذين ينزهون الله ويقصدونه عن الأفعال القبيحة التي لا تليق به ، بل تنافي ما وجب له من الكمال^(٧) في أفعاله ، كما وجب له الكمال في ذاته وصفاته ، وأما من كان من المسلمين وغيرهم لا ينزه الله عن فعل من الأفعال إلا ما كان ممتنعاً لذاته ، فأما الممكن المقدور فيقول : لا يعلم انتفاؤه إلا بالخبر أو بالعادة المطردة التي يمكن انتقاضها فهذا لا يبقى معه ما ينفي به عن الله الأفعال المذمومة القبيحة ، والكتب الإلهية ، قد نزهت الرب - عز وجل - عن الأفعال المذمومة ، كما نزهته عن صفات النقص ، كقوله - تعالى - :

(١) في هـ (يخاطبوه) بدلاً من (يخاطبونه) .

(٢) في هـ ، ك (يريد) بدلاً من (يريدون) .

(٣) (هي) ساقطة من هـ .

(٤) في هـ (- عز وجل -) بدلاً من (- تعالى -) .

(٥) في هـ (فالأول) بدلاً من (والأول) .

(٦) (على) ساقطة من هـ .

(٧) في ب (الكمالات) بدلاً من (الكمال) .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ ۚ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِئِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ ۚ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ .

كما قال - تعالى - :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ ۚ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٣﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿٤﴾ .

وقال - تعالى - عن المؤمنين :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ﴿٥﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦، ٢٧. وفي ط (يعلمون)، في هـ، ك الآية الثانية (٢٧) ساقطة.

(٢) سورة النساء: من الآية ١٧١، في هـ (أنى يكون له ولد) بدلاً من (أن يكون له ولد).

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٠٠.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١١.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ١٩١.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَقَدِيرٍ ﴿١﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ يَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ .

وقال - تعالى - :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ .

فكما نزه نفسه عن الولادة نزه نفسه عن اتخاذ الولد .

وقال - تعالى - ﴿٥﴾ :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَا الرَّحْمَنُ وَلَدًا

(١) سورة الفرقان : الآيتان ١ ، ٢ .

(ولم يكن له شريك في الملك) ساقطة من هـ .

(٢) سورة المؤمنون : الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

في هـ (فتعالى الله عما يشركون) بزيادة (الله) .

(٣) سورة الصافات : الآيتان ١٥١ ، ١٥٢ .

(٤) سورة الإخلاص كلها .

(٥) (- تعالى -) ساقطة من ك .

﴿١١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾

وقال (٢) - تعالى - :

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣).

وقال - تعالى - :

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

وفي الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «يقول الله - تعالى - : كذبي ابن آدم وما ينبغي له ذلك» (٥)، وشماني ابن آدم وما ينبغي له ذلك (٦)، فأما تكذيبه إياي فقله أني (٧) يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقله : أني اتخذت ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» (٨).

(١) سورة مريم : الآيات ٨٨ - ٩٥ .

(٢) في ط (قال) بسقوط (و) .

(٣) سورة النساء : من الآية ١٧٢ .

(٤) سورة آل عمران : من الآية ٨٠ .

(٥) (ذلك) ساقطة من هـ ، ك .

(٦) (ذلك) ساقطة من هـ .

(٧) في هـ ، ك (لن) بدلاً من (أنى) .

(٨) انظر :

* صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب ١ - عن أبي هريرة - بمعناه .

* ومسند الإمام أحمد ٣١٧/٢ - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بمعناه .

وفي الصحيح عن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - أنه قال: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليجعلون له ولداً وشريكاً، وهو يرزقهم ويعافيه»^(١).

ولهذا كان معاذ بن جبل^(٢)، يقول: لا ترحموا النصارى فإنهم^(٣) سبوا الله مسبّة ما سبه إياها أحد من البشر^(٤). فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية وحرمت^(٥) أن يتكلم في حق الله باسم ابن أو ولد سداً للذريعة، كما منعت أن يسجد أحدٌ لغير الله، وإن كان على وجه التحية، كما منعت أن يصلي أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد^(٦) الشمس والقمر فكانت بسدها^(٧) للأبواب التي يجعل^(٨) لله فيها

(١) انظر:

* صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ٣ - عن أبي موسى الأشعري .
* وصحيح مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب ١٠ - حديث رقم ٤٩ - عن أبي موسى - بمعناه .

(٢) معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، ولد سنة عشرين قبل الهجرة - صحابي جليل - أسلم وهو صغير - وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -، أرسله الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - إلى اليمن معلماً ومفتقهاً لأهلها فلم يزل بها يدعو إلى الإسلام وينشره، وعاد إلى المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فبعثه إلى الشام في جيش أبي عبيدة بن الجراح، وتوفي بها سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وهو قول الأكثرين، وعاش أربعاً وثلاثين سنة، وقيل غير ذلك .

انظر: أسد الغابة ٣٧٦/٤؛ والإصابة في تمييز الصحابة ٤٢٦/٣ .

(٣) في هـ، ك (فلقد) بدلاً من (فإنهم).

(٤) سقت الإشارة إلى هذا الأثر ١٠٠/٣ .

(٥) هكذا في جميع النسخ، ويحسن إضافة (و) لتصير: (وحرمت).

(٦) في هـ (تشبه عبادة) بدلاً من (يشبه عباد).

(٧) في هـ (في سدها) بدلاً من (بسدها).

(٨) في ط، ك (بجعل) بدلاً من (يجعل).

الشريك والولد^(١) أكمل من غيرها من الشرائع ، كما سدت غير ذلك من الذرائع مثل تحريمها قليل المسكر^(٢) ، لأنه يجبر إلى كثيره ، فإن أصول المحرمات التي قال الله^(٣) فيها :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأَيْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء بخلاف تحريم الطيبات عقوبة ، فإن هذا جاء^(٥) في شرع التوراة دون شرع القرآن ، فإن الله أحل لأمة محمد الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ، وكذلك تكميل التوحيد من كل الوجوه ، وسد أبواب الشرك من كل الوجوه ، جاءت به هذه الشريعة مع اتفاق الأنبياء على إيجاب التوحيد وتحريم أن يجعل الله شريك أو ولد .

فإذا كان مراد^(٦) المسيح — عليه السلام — بالابن هو الناسوت ، وهو لم يسم اللاهوت ابناً . وقد ذكر أن الابن لا يعلم الساعة فتبين بذلك أن المسيح هو الناسوت وحده وأنه لا يعلم الساعة ، وهذا هو الحق ، وإن قالوا مراده بالابن اللاهوت ، أو اللاهوت^(٧) والناسوت لزم من ذلك أن اللاهوت أو اللاهوت والناسوت لا يعلم الساعة ، وهذا باطل ،

(١) في هـ (الوالد) بدلاً من (الولد) .

(٢) في هـ (السكى) بدلاً من (المسكر) .

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقط من ط ، ك .

(٤) سورة الأعراف : من الآية ٣٣ .

في ط (وما بطن فيها) بزيادة (منها) .

(٥) (جاء) ساقطة من هـ ، ك .

(٦) في ط (مراده) بزيادة (هـ) .

(٧) (أو اللاهوت) ساقطة من ط .

وكذب^(١)، وهو أيضاً^(٢) مناقض لقولهم.

فدل هذا النص من المسيح مع سائر نصوصه ونصوص الأنبياء على أن مسمى الابن هو الناسوت وحده، وأنه لا يعلم ما يعلمه الله، وذلك صريح في أنه مخلوق ليس بخالق، ولا يجوز أن يكون هذا خطاباً^(٣) للناسوت المتحد باللاهوت دون اللاهوت. كما يتأوله عليه بعض النصارى، لأن كل ما علمه اللاهوت المتحد بالمسيح علمه الناسوت، ولأن الناسوت ليس هو الابن عندهم دون اللاهوت المتحد به، بل اسم الابن عندهم هو اللاهوت، ولأجل الاتحاد دخل فيه الناسوت، ولأنه لم يثبت إلا علم الأب وحده لم يستثن علم الابن الأزلي عندهم، بل نفى علم ما سوى الأب به، وهذا مناقض لقولهم^(٤) من كل وجه^(٥).



(١) في هـ (كذب) بسقوط (و).

(٢) (أيضاً) ساقطة من هـ.

(٣) في ط (خطأنا) بدلاً من (خطاباً).

(٤) في ط، ك (بقولهم) بدلاً من (لقولهم).

(٥) انتهى كلام الشيخ.

فصل

قال^(١) الحسن بن أيوب: ومثل هذا أنه لما خاطبه الرجل على ما كتب في الإنجيل فقال له: (أيها الخير، فقال: ليس الخير إلا الله وحده، قلت: وبعضهم يترجمه أيها الصالح، فقال: ليس الصالح إلا الله وحده)^(٢) قال: ومثله قوله في الإنجيل: (إني لم آت لأعمل بمشيئتي لكن بمشيئة من أرسلني)^(٣) قال: ولو كانت له مشيئة لاهوتية كما يقولون: لما قال هذا القول فقد أبطل به ما تدعونه في ذلك.

مواصلة الرد على
النصارى بما قاله
الحسن بن
أيوب، ثم بكلام
ابن البطرين

قال^(٤): ثم أنتم مع ذلك تدعون أن المسيح كلمة الله، ومن^(٥) قوة الله غير بائنة منه^(٦) ولا منفصلة^(٧) عنه، وتشهدون عليه في الإنجيل بقوله: إنه يصعد إلى^(٨) السماء، ويجلس عن يمين أبيه، ويدين الناس

(١) عاد هنا إلى الاستشهاد بكلام الحسن بن أيوب.

(٢) في إنجيل مرقس - الإصحاح العاشر: (أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. ١٨ - فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحداً هو الله).

انظر: العهد الجديد ص ٧٤.

(٣) في إنجيل يوحنا - الإصحاح السابع: (٣٨ - لأنني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني).

انظر: العهد الجديد - إنجيل يوحنا - الإصحاح الرابع - ص ١٥٢.

(٤) (قال) ساقطة من ك، هـ.

(٥) (من) ساقطة من هـ.

(٦) (منه) ساقطة من ط.

(٧) في ط (متصلة) بدلاً من (منفصلة).

(٨) (إلى) ساقطة من ط.

يوم القيامة^(١) ويجازيهم بأعمالهم، ويتولى الحكم بينهم، وأن الله - عز وجل - منحه ذلك إذ كان لا يراه أحد من خلقه في الدنيا ولا في الآخرة، فإن كان هذا الجالس للحكومة بين العالمين^(٢) يوم الدين، والقاعد عن يمين أبيه وهو^(٣) شخص قائم بذاته لا يشك فيه^(٤)، هو الجسد الذي كان في الأرض^(٥) المتوحد به الربوبية، فقد فصلتم بين الله - تبارك وتعالى - وبينه، وبغضتموه باجتماعهما في السماء شخصين متباينين، أحدهما عن يمين صاحبه، وهذا كفر وشرك بالله - عز وجل -، وإن كان جسداً خالياً من الإلهية، وهي الكلمة، وقد عادت إلى الله كما بدت منه، فقد زال عنه حكم الربوبية التي تنتحلونه^(٦) إياها.

قال^(٧): ونسألکم عن واحدة نحب أن نخبرونا بها، هي^(٨) أصل ما وضعتموه من عبادة الثلاثة الأفانيم التي ترجع بزعمكم إلى جوهر واحد، وهو^(٩) اللاهوت، ما هو؟ ومن أين أخذتموه؟ ومن أمركم به؟ وفي أي كتاب نزل؟ وأي نبي تنبأ به؟ أو أي قول للمسيح^(١٠) تدعونه فيه؟ وهل بنيتم أمركم في ذلك إلا على قول «متى» التلميذ عن المسيح

(١) في هـ، ك (الدين) بدلاً من (القيامة).

(٢) في هـ، ك (العالم) بدلاً من (العالمين).

(٣) في ط (هو) بسقوط (و).

(٤) (فيه) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (الأرض المتحد به) بزيادة (المتحد به).

(٦) في هـ (تتخلونهما) بدلاً من (تنتحلونه).

(٧) (قال) ساقطة من هـ.

(٨) (هي) ساقطة من ط، ك.

(٩) في هـ، ك (وهي) بدلاً من (وهو).

(١٠) في هـ، ك (المسيح) بدلاً من (للمسيح).

— عليه السلام — أنه قال لتلاميذه حيث أراد أن يفارقهم : (اذهبوا فعمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس)^(١).

قال^(٢) : وهذا كلام يحتمل معناه — إن كان صحيحاً — أن يكون ذهب فيه بأن^(٣) يجمع^(٤) هذه الألفاظ إلى أن تجتمع لهم بركات الله وبركة نبيه المسيح وروح القدس التي يؤيد بها الأنبياء والرسل ، وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض^(٥) قلت صلاة فلان القديس تكون معك ، ومعنى الصلاة الدعاء ، واسم فلان النبي يعينك^(٦) على أمورك .
وكما قال الله — تبارك وتعالى — :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٧).

يقرن طاعته نبيه وأولي الأمر من المسلمين ، أفنقول لذلك^(٨) إنهم جميعاً آلهة؟

قال^(٩) : وقد يجوز أن يكون له معنى يدق عن الوقوف عليه بغير التأويل إن لم يكن معناه ما قلناه ، أو يكون المسيح — عليه السلام — ذهب فيه إلى ما هو أعلم به ، فلم حكمتكم^(١٠) ، بأنه ذهب إلى أن هذه

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٧/٣ .

(٢) يعني الحسن بن أيوب .

(٣) (بأن) ساقطة من هـ ، ك .

(٤) في ك (بجمع) .

(٥) في هـ (بعضاً) بدلاً من (لبعض) .

(٦) في ط (يعينك) بدلاً (يعينك) .

(٧) سورة النساء من الآية ٥٩ .

(٨) في ط (فلذلك) بزيادة (ف) .

(٩) يعني الحسن بن أيوب .

(١٠) في ط (حكم) بدلاً من (حكمتكم) .

الأسماء لما أضافها إلى الله - عز وجل^(١) - صارت آلهة، وجعلتم لها أقانيم لكل اسم أقنوم يخصه^(٢) بعينه، وهو^(٣) شخص واحد^(٤)، وكيف استجزتم ما أشركتموه مع الله - عز وجل^(٥) - بالتأويل الذي لا يصح.

وإذا قلتم بثلاثة أقانيم كل أقنوم بذاته، فلا بد من أن تعترفوا^(٦) ضرورة بأن كل أقنوم منها حي سميع^(٧) بصير عالم حكيم منفرد بذاته، كما يقولون في المسيح أنه جالس عن يمين أبيه فنراكم أخذتم الأقنومين اللذين أحدثتموها^(٨) مع الله من جهة أن الله حكيم حي فحكمته الكلمة، وهي المسيح وروحه روح^(٩) القدس، وهذه صفة من صفات الله مثلها كثير، لأنه يقال حكيم عليم سميع بصير حي قدير.

وكذلك^(١٠) ربنا - تبارك و^(١١) تعالى - ، وإن كانت صفاتنا إياه لا تلحق صفاته، ولا تبلغ كنه مجده^(١٢) إلا بالتمثيل لعظمته وعزته وجلاله وعلوه، فنحلت صفاته التي هي معناه^(١٣) وليست سواه، غيره وجعلتموه

(١) (عز وجل) ساقطة من ط، ك.

(٢) (يخصه) ساقطة من ط.

(٣) (وهو) ساقطة من هـ.

(٤) (واحد) ساقطة من ط، ك.

(٥) (عز وجل) ساقطة من ط، ك.

(٦) في هـ (يعترفوا) بدلاً من (تعترفوا).

(٧) في ط، ك (سميع حي) تقديم وتأخير.

(٨) في هـ (أحدثتموها) بدلاً من (أحدثتموها).

(٩) في ط (وروح) بزيادة (و).

(١٠) في ط (وكذا) بدلاً من (كذلك).

(١١) (تبارك و) ساقطة من ط، ك.

(١٢) في هـ (تبارك وتعالى مجده) بزيادة (تبارك وتعالى).

(١٣) (معناه) ساقطة من هـ.

أقانيم لكل واحد^(١) من الحياة والحكمة وسائر الصفات مثل الذي له ، وما منها^(٢) أقنوم له صفة إلا ويحتمل^(٣) على قياس قولكم أن تكون^(٤) صفته مثله ، فإذا^(٥) كانت هذه الأقانيم آلهة ، وكل صفة إله^(٦) ، وهي من^(٧) جوهره فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم إلهاً مثله إذ كان من جوهره فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية .

قال^(٨) : وإذا قلتم بثلاثة أقانيم هي في السماء من جوهر قديم أفليس يلزمكم^(٩) الإقرار بثلاثة آلهة ، لأن الأقانيم أشخاص يوماً إلهياً ، ويقع الحد عليها ، وإلا فما الحجة وأنتم تذكرون في بعض احتجاجكم أنها ثلاثة ترجع^(١٠) إلى واحد غير متبعضة ولا منفصلة وتشبهونها في اجتماعها^(١١) وظهور ما يظهر منها بالشمس ، وقد نراكم عقدتم شريعة إيمانكم على أن المسيح إله وإنسان متحدين وأنه يصعد إلى السماء ويجلس عن يمين أبيه ، والجالس عن يمين صاحبه أليس هو منفصلاً^(١٢)

(١) في هـ (واحد) بزيادة (هـ) .

(٢) في ط ، ك (فيها) بدلاً من (منها) .

(٣) في هـ (ويجمل) بدلاً من (ويحتمل) .

(٤) في ط (تكونوا) وفي هـ (يكون) .

(٥) في هـ (فإن) بدلاً من (فإذا) .

(٦) في هـ (لإله) بزيادة (ل) .

(٧) في ط (من) مكررة .

(٨) يعني الحسن بن أيوب .

(قال) ساقطة من هـ .

(٩) في هـ (يلزمهم) بدلاً من (يلزمكم) .

(١٠) في ط (ترجع) بدلاً من (ترجع) .

(١١) (في اجتماعها) ساقطة من ك .

(١٢) في هـ (منفصل) بدلاً من (منفصلاً) .

عنه^(١) مفروزاً عنه؟ فكيف يصح^(٢) على هذا القول قياس، أو يصح به عقد دين؟ تقولون مرة مجتمع، ومرة منفصل^(٣)، وما شبهتموه به من الشمس، فقد تقدم شرحنا لبطلان الحجة فيه، وأنه لا يكون قياسه القياس الذي تعلقتم به.

على أنا وجدناكم تقولون في معنى التثليث: إن الذي دعاكم إليه ما ذكرتم أن (متى) التلميذ حكاه في الإنجيل عن المسيح — عليه السلام —، إذ قال لتلاميذه: (سيروا في البلاد، وعمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس)^(٤)، وأنكم فكرتم في هذا القول بعقولكم فعلمتم^(٥) أن المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم علمتم أن له محدثاً فتوهمتموه شيئاً موجوداً، ثم توهمتموه حياً ثم^(٦) ناطقاً لأن الشيء ينقسم لحي، ولا حي، والحي ينقسم لناطق، ولا ناطق.

وأنكم علمتم بذلك أنه شيء حي ناطق فأثبتتم له حياة ونطقاً غيره في الشخص وهما هو في الجوهرية.

فنقول لكم في ذلك: إذا كان الحي له حياة ونطق، فأخبرونا عنه أتقولون أنه قادر عزيز أم عاجز ذليل؟

فإن قلتم: لا بل هو^(٧) قادر عزيز، قلنا: فأثبتوا له قدرة وعزة، كما أثبتتم له حياة وحكمة.

(١) في ط، ك (عنه) بدلاً من (منه).

(٢) في هـ (يقع) بدلاً من (يصح).

(٣) (تقولون مرة مجتمع ومرة منفصل) ساقطة من هـ.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٢٣٧/٣.

(٥) في هـ (فقلتم).

(٦) (ثم) ساقطة من ط، ك.

(٧) (هو) ساقطة من ط.

فإن قلتم^(١) : لا يلزمنا ذلك لأنه قادر بنفسه عزيز بنفسه ، قلنا لكم وكذلك ، فقولوا^(٢) : إنه حي بنفسه ، وناطق بنفسه^(٣) ، ولا بد لكم مع ذلك من إبطال التثليث أو إثبات التخميس^(٤) ، وإلاً فما الفرق ، وهيهات من فرق .

وقال الحسن بن أيوب - أيضاً : إنا كلما تأملنا معكم في نسبة^(٥) المسيح - عليه السلام - إلى الإلهية وعبادتكم له مع الله على الجهة التي تذهبون إليها ، وطلبنا لكم الحجة في ذلك من كتبكم ، ازددنا بصيرة في استحالة ذلك ، ووضعكم له من القول ما لا يثبت لكم به حجة ولا يشهد به لكم شيء من كتبكم ، ووجدنا أبين ما جاء في المسيح وصحة أمره فيما أتى به ما قال «متى» التلميذ : (إنه لما جاء يسوع^(٦) إلى أرض قيسارية^(٧) سأل تلاميذه فقال : ماذا يقول الناس في أني ابن البشر؟ فقالوا : منهم من يقول : إنك يوحنا المعمدان ، وآخرون يقولون : إنك أرميا أو أحد الأنبياء ، فقال لهم يسوع : فأنتم ماذا تقولون؟ فأجابه سمعان الصفا ، وهو رئيسهم ، فقال : أنت المسيح ابن^(٨) الله الحق ، فأجابه المسيح ، وقال : طوبى لك يا سمعان ابن يونا ، إنه لم يطلعك على

(١) في ط (قليم) بدلاً من (قلتم) .

(٢) في هـ (تقولوا) بدلاً من (فقولوا) .

(٣) (وناطق بنفسه) ساقطة من هـ .

(٤) في هـ (التجسيم) بدلاً من (التخميس) .

(٥) في هـ ، ك (نسب) بدلاً من (نسبة) .

(٦) في هـ ، ك (أيسوع) بدلاً من (يسوع) .

(٧) قيسارية : تسمى قيصرية فليبي في شرق فلسطين عند سفح الحرمون (جبل الشيخ)

بناها فيليب حاكم تلك المنطقة وزارها المسيح .

انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤١٢ .

(٨) (ابن) مكررة في ط .

هذا لحم ولا دم، ولكن أبى الذي السماء^(١).

وحكى لوقا في إنجيله هذا الخبر فقال: إن سمعان أجابه فقال:
(أنت مسيح الله)^(٢)، ولم يقل ابن الله، فهذا كلام تلميذه الرئيس فيه
وأرضاه ما قال.

وقوله: إنه لم ينطق بذلك إلا ما أوحاه الله في قلبه ولم ندفعكم قط
عن أنه مسيح الله، ولا عن أنه كما تقولون^(٣) في لغتكم أنه ابن الله^(٤)
بالرحمة والصفوة^(٥) مع هذا^(٦) الاختلاف الواقع في ذلك في الإنجيلين،
وقد قال: مثل ذلك فيكم جميعاً (إن الله إلهي وإلهكم وأبى
وأبيكم)^(٧) ^(٨) فنعمل^(٩) على احتجاجكم بأنه ليس مثلكم^(١٠) في معنى

(١) في إنجيل متى - الإصحاح السادس عشر ما يلي: (١٣) - ولما جاء يسوع إلى
نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً من يقول الناس أني أنا ابن الإنسان.
١٤ - فقالوا قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون أرميا، أو واحد من الأنبياء.
١٥ - فقال لهم وأنتم من تقولون أني أنا. ١٦ - فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت
هو المسيح ابن الله الحي. ١٧ - فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان
ابن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك ولكن أبى الذي في السماوات).
انظر: العهد الجديد ص ٣٠.

(٢) في إنجيل لوقا - الإصحاح التاسع: (٢٠) - فأجاب بطرس وقال: مسيح الله).
انظر: العهد الجديد ص ١٠٨.

(٣) في هـ (أن يقول) بدلاً من (أنه كما تقولون).

(٤) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ.

(٥) في ط (الصفوة) بسقوط (و).

(٦) (وهذا) ساقطة من ط، ك.

(٧) في هـ، ك (وأبوكم) بدلاً من (وأبيكم).

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٤/٣.

(٩) في ط (فنعلم) بدلاً من (فنعلم).

(١٠) (مثلكم) ساقطة من ك.

البنوة^(١) ونجعله مثل من سمى في الكتب ابناً على جهة الاصطفاء والمحبة مثل إسرائيل وغيره بل قد خص إسرائيل^(٢) بأن قال – عز وجل – : (أنت ابني بكري)^(٣) وهذا^(٤) كلام له مذهب في اللغة القديمة التي جاءت بها الكتب، وليست بموجبة الإلهية إذ كان قد شاركه^(٥) في هذا الاسم غيره فلم لا جعلتموه كما جعل نفسه؟

ومما يؤكد المعنى في ذلك، ويزيل تأويل من يتأوله له ما لم يدعه ولم يرض به قوله في علم الساعة. (أن ذلك شيء^(٦) لا يعلمه أحد من الخلق ولا الملائكة المقربون، ولا الابن – يعني نفسه – إلا الأب^(٧) وحده)^(٨)، ثم قال للرجل الذي أتاه فقال له: (أيها العالم الصالح، أي الأعمال خير لي، الذي تكون لي حياة إلى يوم الدين؟ فقال له: لم تقول لي صالحاً، ليس الصالح إلا الله وحده)^(٩) فاعترف لله بأنه واحد لا شريك له ونفى عن نفسه، فلم يجعلها – ولا أحد من الخلق – أهلاً لذلك.

وقوله للمرأة التي جاءتته فقالت: (أنت ذلك النبي الذي كنا نتظر مجيئه).

(١) في ط، ك (البنوة) بدلاً من (البنوة).

(٢) في هـ (يعقوب) بدلاً من (إسرائيل).

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٣/٣.

(٤) في هـ (فهذا) بدلاً من (وهذا).

(٥) في هـ (يشركه)، وفي ك (شركه)، بدلاً من (شاركه).

(٦) في هـ، ك (شيئاً) بدلاً من (شيء).

(٧) في هـ، ك (الله) بدلاً من (الأب).

(٨) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤١٢/٣.

(٩) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٢٩/٤.

فقال لها المسيح : صدقت طوبى لك^(١)، ثم قال للشيطان^(٢) حين اختبره فسامه أن يلقي نفسه من رأس الهيكل، فقال : (أمرنا أن لا نجرب الرب) ثم سامه أن يسجد له فقال : (أمرنا أن لا نسجد إلا لله وحده، ولا نعبد سواه)^(٣) ثم صلاته في غير وقت لله، وآخرها الليلة التي أخذته اليهود فيها، فإذا كان إلهاً كما زعمتم فلمن كان يصلي ويسجد؟

ثم قول الجموع الذين كانوا معه حين دخل أورشليم، وهي مدينة بيت المقدس، على الأتان لمن كان يسأله عن أمره لما راجت^(٤) المدينة به : (هذا)^(٥) هو يسوع الناصري النبي الذي من الناصرة)^(٦)، ثم قوله في بعض الإنجيل : (أخرجوا بنا من هذه المدينة فإن النبي لا يبجل في مدينته)^(٧) وفي موضع آخر أنه قال : (لا يهان نبي إلا في مدينته وفي بيته وأقاربه)^(٨).

وقوله في بعض خطبه : (إن هذا الجيل السوء يريد آية وأنه

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٢٧/٤ .

(٢) في ط (الشيطان) بدلاً من (الشيطان).

في إنجيل لوقا - الإصحاح الرابع : (٦) - ... إذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد).

انظر : العهد الجديد ص ٩٦ .

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص .

(٤) في هـ ، ك (رجت) بدلاً من (راجت).

(٥) (هذا) ساقطة من هـ ، ك .

(٦) ورد في إنجيل متى (ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة) متى ١١/٢١ .

انظر : العهد الجديد ص ٢٨ .

(٧) ورد في إنجيل متى ٦٦١ .

(٨) ورد في إنجيل متى ٦٦١ .

لا يعطى^(١) إلا آية يونس^(٢)، كما كان يونس لأهل «نينوى»^(٣): (كذلك يكون ابن البشر لهذا الجيل، رجال نينوى)^(٤) يقومون^(٥) في الدين مع هذا الجيل فيخصمونهم لأنهم تابوا^(٦) على قول يونس النبي، وإن ها هنا أفضل من يونس)^(٧).

ثم قول داود في نبوته عليه: (من هذا الرجل الذي ذكرته وجعلته

(١) في هـ (يعطا) بدلاً من (يعطى).

(٢) يونس: ابن متى ذو النون، صاحب الحوت، ورد ذكره في القرآن أكثر من مرة، وسميت سورة باسمه — من أنبياء بني إسرائيل — آمن به قومه ثم انصرفوا عنه، وفرّ إلى مركب مشحون فسقط منه فالتقمه الحوت ولما صبر على بلائه نجاه الله ونبذه الحوت بالعراء وهو سقيم — أنبت الله فوقه شجرة من يقطين — وما أن برىء حتى أرسل إلى أقوام عديدين آمنوا بربهم وظفروا بنعمه.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٩٧.

(٣) نينوى: بلاد وقرى كانت بشرقي دجلة، كانت عند الموصل في قديم الزمان بعث الله تعالى إليهم يونس النبي — عليه السلام — فدعاهم إلى الله تعالى فكذبوه فخوفهم بعذاب الله في وقت معين وفارقهم فلما دنا ذلك الوقت وشاهدوا آثار العذاب خرجوا بالنساء والذراري إلى تل هناك في شرقي دجلة وكشفوا رؤوسهم وتابوا وآمنوا، فكشف الله عنهم العذاب، والتل باق إلى الآن ويسمى تل التوبة، وقصتهم معروفة في القرآن الكريم.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤٧٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من ك، هـ.

(٥) في ط، ك (يقدمون) بدلاً من (يقومون).

(٦) في هـ، ك (تابو) بسقوط (ا).

(٧) في إنجيل «متى» الإصحاح الثاني عشر ٢٩ — فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. ٤٠ — وإنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. ٤١ — رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداته يونان، وهو ذا أعظم من يونان ههنا).

انظر: العهد الجديد ص ٢٢.

دون الملائكة قليلاً^(١)، ثم قول تلاميذه فيه ما شرحناه في صدر كتابنا هذا ما تقدم ووصفهم أنه رجل أتى من عند الله بالأيدي والقوة^(٢). ومما يشبه ذلك أنه لما قدم تلامذته^(٣) فركبوا السفينة، وقال لهم: (امضوا فإني ألحق بكم فأتاهم يمشي على البحر فلما رأوه في تلك الحال قالوا: ما هذا الحال ويح، ومن الغرق صاحوا، فقال لهم يسوع: اطمثنوا ولا تخافوا أنا هو، فأجابه شمعون الصفا، وقال له: يا رب إن كنت أنت هو فاذن لي آتيك على الماء، فقال له: تعال فتزل سمعان إلى الماء ليمشي عليه، فلم يستطع وجعل يغرق، فصاح، وقال: يا رب أغثني فبسط يده يسوع فأخذه، وقال له: لم^(٤) تشككت يا قليل الأمانة؟^(٥) قال: فبان بذلك عجز المسيح عن إتمام ما سأله شمعون الصفا، ومثله أمر الرجل الذي قال ليسوع خبر ابنته وما ينالها من الشيطان، وأنه قد^(٦) قدمها إلى تلاميذه، فلم يستطيعوا أن يخرجوه، وقد كان جعل لهم ذلك وغيره فأخرجه هو منها^(٧).

وقال في الإنجيل، وهو يذكر الأمثال التي ضربها لرؤساء الكهنة أنهم لما سمعوها منه علموا أنها في شأنهم، فهموا أن يأخذوه، ثم فرقوا

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص.

(٢) يشير هنا إلى مقالة شمعون الصفا رئيس الحواريين.

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ١٣٢/٤.

(٣) في ط (تلاميذه) بدلاً من (تلامذته).

(٤) (لم) ساقطة من ط.

(٥) انظر: العهد الجديد - إنجيل متى - الإصحاح الرابع عشر - ص ٢٧.

(٦) (قد) ساقطة من هـ، ك.

(٧) هذه القصة مذكورة في إنجيل لوقا - الإصحاح التاسع - ص ٧٢ - لكنه بلفظ الابن وليست ابنه.

من الجموع لأنهم^(١) كانوا ينزلونه^(٢) مثل النبي^(٣).

وقال في الإنجيل؟ (لما جاءته أم ابني زندا^(٤))، وكانت^(٥) من تلامذته مع ابنيها، فقال لها: ما تريدان؟ قالت: أريد أن تجلس ابناي أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيه، ولكن من وعد له من^(٦) أبي^(٧).

قال الحسن بن أيوب: فما يكون يا هؤلاء أفصح وأبين وأوضح من اجتماع هذه الشواهد لكم في كتبكم، ما رضيتم بقوله في نفسه، ولا بقول تلامذته فيه، ولا بقول من تنبأ^(٨) عليه من الأنبياء، ولا قول جموعه الذين تولوه^(٩) لمن سألهم من مخالفينهم عنه وتركتم ذلك كله،

(١) في ط (لأنها) بدلاً من (لأنهم).

(٢) في هـ، ك (يتولونه) بدلاً من (ينزلونه).

(٣) في إنجيل متى - الإصحاح الحادي والعشرون: (٤٥) - ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم. ٤٦ - فإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي).

انظر: العهد الجديد ص ٤٠.

(٤) في هـ، ك (زيدا) بدلاً من (زندا).

(٥) في هـ، ك (وكانا) بدلاً من (وكانت).

(٦) (من) ساقطة من ط، ك.

(٧) في إنجيل متى - الإصحاح العشرون: (٢٠) - حينئذ تقدمت إليه أم ابن زبيدي مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئاً. ٢١ - فقال لها: ماذا تريدان قالت له قل أن يجلس ابناي هذان واحداً عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. ٢٢ - فأجاب يسوع: وقال لستما تعلمان ما تطلبان أتستطيعان أن تشربا التي سوف أشربها أنا وأن تصطبغان بالصبغة التي أصبغ بها أنا تصطبغان، وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي).

انظر: العهد الجديد ص ٣٦.

(٨) في هـ (نبأ) بسقوط (ت).

(٩) في هـ (قولوه) بدلاً من (تولوه).

وأخذتم بآراء قوم تأولوا لكم على علمكم بأنهم^(١) قد اختلفوا أيضاً في الرأي، فقال كل قوم في المسيح ما اختاروا، واتبع كلاً منهم^(٢) طائفة قالوا بقولهم، ثم سلك من بعدهم^(٣) سبيل الآباء في الاقتداء بهم^(٤).

فبينوا لنا حجتكم في ذلك، وهيئات من حجة، ونحن نستوهم الله العصمة والتوفيق منه.

قال^(٥): ومما يشبه ما تقدم قوله لتلاميذه في إنجيل لوقا: (فأما أنتم الذين صبرتم معي في^(٦) بلائي وتجاربي^(٧)، فإنني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت لتأكلوا^(٨) وتشربوا معي على مائدتي في ملكوتي)^(٩)، فبين أن الله – عز وجل ثناؤه –^(١٠) وعده أن يجعله في ملكوت السماء يأكل ويشرب مع تلاميذه على مائدته، وهذا ما لا شك^(١١) لكم^(١٢) فيه، وهو مخالف لقولكم فيما يصير إليه، وفي الأكل والشرب

(١) في ط (فإنهم) بدلاً من (بأنهم).

(٢) في ط، ك (كلامهم) بدلاً من (كلاً منهم).

(٣) في هـ (بعد) بسقوط (هم).

(٤) في هـ، ك (افتراقهم) بدلاً من (الاقتداء بهم).

(٥) يعني الحسن بن أيوب.

(٦) في هـ، ك (مع) بدلاً من (معي في).

(٧) في ط (مخازي)، في هـ، ك (مخاربي). وقد صححتها من النص في الإنجيل.

(٨) (لتأكلوا) ساقطة من هـ.

(٩) وجدنا في إنجيل لوقا – الإصحاح الثاني والعشرون: (٢٨) – أنتم الذين ثبتوا معي

في تجاربي. ٢٩ – وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي).

انظر: العهد الجديد ص ١٣٧.

(١٠) في ط – (عز وجل ثناؤه) – بزيادة (عز و).

(١١) في هـ (يشك) بزيادة (ي).

(١٢) (لكم) ساقطة من هـ.

والنعيم هناك، ثم قوله لشمعون حين أتمته الجموع فأخذه: (أم تظن^(١) أني لست قادراً أن أطلب إلى أبي فيقيم لي اثني عشر جنداً من^(٢) ملائكته^(٣) أو أكثر، ولكن: كيف تتم^(٤) الكتب أنه^(٥) هكذا ينبغي أن يكون)^(٦) ولم يقل: إني قادر أن أدفعهم عن نفسي، ولا أني أمر الملائكة أن يمنعوا عني، كما يقول من له القدرة والأمر.

قال: ونجدكم تقولون في المسيح - عليه السلام - : إنه مولود من أبيه أزلي ويجب على المدعي القول أن يثبت الحجة فيه، ويعلم^(٧) أنه مطالب بإيضاحها لا سيما في مثل هذا الخطب الجليل الذي لا يقع التلاعب به، ولا تجترىء النفوس على ركوب الشبهات فيه، والويل الطويل لمن تأول في ذلك تأويلاً لا حقيقة له، فإنه يهلك نفسه، ومن كان من الناس معه ممن يتبع قوله، إن كان هذا الابن أزلياً على ما في شريعة إيمانكم، فليس هذا بمولود، وإن كان مولوداً فليس بأزلي، لأن اسم الأزلية إنما يقع على من لا أول له ولا آخر.

ومعنى المولود أنه حادث مفعول، وكل مفعول فله أول، فكيف

(١) في ط (يظن) بدلاً من (تظن).

(٢) (من) ساقطة من ك، هـ.

(٣) في هـ (ملائكة) بدلاً من (ملائكته).

(٤) في ط، ك (يتم) بدلاً من (تتم).

(٥) في هـ (أن) بدلاً من (أنه).

(٦) في إنجيل متى - الإصحاح السادس والعشرون: (٥٣) - أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. ٥٤ - فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون).

انظر: العهد الجديد ص ٥٠.

(٧) (ويعلم) ساقطة من ك.

ما^(١) أردتم القول فيه كان^(٢) بطلان الشريعة .

قال : ونسألکم أيضاً عن واحدة لم سميتم الأب أباً، والابن ابناً، فإنه إن كان^(٣) وجب للأب اسم الأبوة لقدمه فالابن أيضاً يستحق هذا الاسم بعينه إذ كان قديماً مثله . وإن كان الأب عالماً عزيزاً فهو أيضاً عالم عزيز تشهد^(٤) شريعة الإيمان له بذلك في قولها : إنه خلق الخلائق كلها، وأنقنت على يده وأنه نزل لخلاصكم، ومن قدر على ذلك لم يكن إلاً عالماً عزيزاً، فهذه المعاني التي ذكرناها تبطل اسم الأبوة والبنوة، وفي إبطالها بطلان الشريعة التي تقول : ولد من أبيه، وإلاً فإن كان الأب والابن متكافئين في القدم والقدرة، فبأي فضل وسلطان للأب، عليه أمره ونهاه، فصار الأب باعثاً والابن مبعوثاً والأب متبوعاً مطاعاً والابن تابعاً مطيعاً .

ومما يشهد بصحة قولنا وبطلان ما تأوله أولوكم في عبودية المسيح أن «متى»^(٥) التلميذ حين بنى كتابه الإنجيل^(٦) أول ما ابتدأ به أن قال : كتاب مولد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم^(٧) فنسبه إلى من كان منه على الصحة، ولم يقل : إنه ابن الله، ولا إنه إله من إله، كما يقولون : فإن قلتم إن تسمية يسوع للناسوت الذي قد جعلتموه حجة بينكم وبين

(١) في هـ ، ك (بما) بزيادة (ب) .

(٢) في هـ ، ك (كان فيه) بزيادة (فيه) .

(٣) في ك (فإن كان) بدلاً من (فإنه إن كان) .

(٤) في ط (تشهد له) بزيادة (له) .

(٥) في هـ ، ك (متا) بدلاً من (متى) .

(٦) (الإنجيل) ساقطة من هـ ، ك .

(٧) في إنجيل متى - الإصحاح الأول : (ابتدأ التلميذ متى بتعريف المسيح - عليه

السلام - بقوله : كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم ولد لإسحاق) .

انظر : العهد الجديد ص ٣ .

كل من التمس الحجة منكم، عند الانقطاع فيما يعترف به للمسيح من العبودية، فقد نسق متى^(١) على اسم يسوع الذي هو عندكم اسم^(٢) للناسوت المسيح، الذي هو جامع الناسوت واللاهوت، فأى حجة في إبطال هذا التأويل أوضح من هذا.

ومما يصحح قولنا ويؤكد قول جبريل الملك لمريم عند مخاطبته إياها: إنه ابن داود على ما ثبت من ذلك في الإنجيل.

قال: ووجدناكم قد ذكرتم في شريعة الإيمان أن يسوع المسيح بكر الخلائق، فإن كنتم ذهبتُم في ذلك إلى أنه على نحو ما يسمى أول ولد الرجل وكبيرهم فجائز، وهو محقق لقولنا في عبوديته، وإن كنتم أردتم بذكر البكر أنه أول قديم، فلسنا نعرف للبكر معنى في لغة من اللغات إلاّ للأكبر من الإخوة، والأول من الولد، وبكر الخلائق لا يكون إلاّ من الخلائق.

كما أن بكر الرجل والمرأة لا يكون إلاّ من جنسهما، وباكورة الثمار لا تكون^(٣) إلاّ ثمرة، ولأن^(٤) من المحال أن يقول قائل بكر ولد آدم ملك من الملائكة، وكذلك من المحال أن يكون^(٥) بكر المصنوعات ليس بمصنوع وبكر المخلوقات ليس بمخلوق.

وقد قال الله - تعالى -^(٦) في التوراة:

(١) في هـ، ك (متا) بدلاً من (متى).

(٢) في هـ (أنتم) بدلاً من (اسم).

(٣) في ط، ك (يكون) بدلاً من (تكون).

(٤) في هـ، ك (فلان) بدلاً من (ولان).

(٥) (يكون) ساقطة من هـ، ك.

(٦) (- تعالى -) ساقطة من هـ، ك.

الحسن بن أيوب يفحكي ما في التوراة على أنه كلام الله.

(يا ابني بكري)^(١) أي إسرائيل، وقال في موضع آخر: (إنه نظر بنو الله إلى بنات الناس فشغفوا بهن)^(٢) فهل يوجب لآل إسرائيل إلهية بهذا القول؟ قال: وقلتم: إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع فليس يخلو الأب من أن يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير موجود^(٣). فإن كان لم يزل موجوداً فإن الأب لم يلد شيئاً. وإن كان غير موجود، وإنما هو حادث لم يكن، فهو مخلوق كما قلنا.

قال: ومما يبين قولنا في خلق المسيح: أن هذا الاسم إنما وقع له لأنه مسح للنبوة والخير، وماسحه^(٤) الله - تبارك وتعالى - ، وقد قال داود في زبوره قولاً يشهد على ذلك بعينه: (من أجل هذا البر مسحك الله إلهك أكثر مما مسح به نظراءك)^(٥) فأبان (داود بهذه الآية معنى المسح بإنجيله وأن ماسحه الله إلهه)^(٦) وأنه مصطفى مكرم بزيادة على نظرائه، وقال داود أيضاً في مزمور إحدى وثلاثين يخاطب الله: (من

(١) في هـ، ك (يسابق بكري) بدلاً من (يا ابني بكري).

وقد سبقت الإشارة إلى هذا النص ٤٥٤/٣.

(٢) في سفر التكوين - الإصحاح السادس: (أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهم حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).

انظر: العهد القديم ص ١٠.

(٣) في ك (موجوداً) بزيادة (أ).

(٤) في هـ، ك (ومما يبيحه) بدلاً من (وماسحه).

(٥) في سفر المزامير - المزمور الخامس والأربعون: (٧ - من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقاءك).

انظر: العهد القديم ص ٨٦٤.

(٦) ما بين القوسين كتب في هـ: (داود بهذه الآية معنى المسيح، فإن ما مسحه الله الإله).

وما بين القوسين - كذلك - كتب في ك (داود) وما بعدها غير واضح إلى قوله: (الإله وأنه مصطفى...).

أجل داود عبدك لا يغلب وجه مسيحك^(١) عهد الرب لداود بالحق، ولا يرجع عنه^(٢) يعني بمسيحه نفسه لأن الله مسحه للنبوته والملك، وقد قال مثل هذا في غير موضع من زبورهِ فسمى^(٣) نفسه مسيح الله^(٤).

قال^(٥): وإذا نظر في الإنجيل، وكتب «بولس»^(٦) وغيره، ممن يحتج به النصارى، وجد نحواً من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح، وكلها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوب، وأن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد^(٧)، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه على الواضحات الكثيرة التي قد بانت بغير تأويل، لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل، ويستدل على ما غاب بما حضر، وعلى ما أشكل بما ظهر، فمن تلك الآيات المشكلات ما ذكرناه في

(١) في هـ (تسيحك) بدلاً من (مسيحك).

(٢) في سفر المزامير - المزمور المئة واثان وثلاثون: (١٠) - من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه).

انظر: العهد القديم ص ٩٢٦.

(٣) في هـ (سما) بدلاً من (فسمى)، في ك (سمى) بسقوط (ف).

(٤) في سفر المزامير - المزمور الأول: (٢٤) - قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معه (على الرب وعلى مسيحه).

انظر: العهد القديم ص ٨٣٤؛ والمزمور ٢٠ من العهد القديم ص ٨٤٥؛ والمزمور ٢٨ من العهد القديم ص ٨٥١.

(٥) (قال) ساقطة من ط.

(٦) انظر: نظم الجوهر ١١٦/١.

(٧) في هـ، ك (المفاسد) بدلاً من (الفساد).

كتابنا هذا^(١) وبيناً معناه والحجة فيه ، وأنه ليس كما تألولوه .

ومنها ما يحكون^(٢) عن المسيح أنه قال : (أنا بأبي)^(٣) ، وقد فسر المسيح — عليه السلام — ذلك ، وكشفه ، قال «يوحنا» في إنجيله : إن المسيح تضرع إلى الله في تلاميذه ، وقال : يا أيها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضاً شيئاً^(٤) واحداً ، كما أنا شيء واحد ، وكما أنك أرسلتني إلى العالم ، وكذلك أرسلهم أنا أيضاً ، ثم قال بعد هذا أيضاً : إني قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ومنحتني ، ليكونوا أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد ، فأنا بهم ، وأنت بي)^(٥) .

قال^(٦) : هو معنى ذلك أنه قال أنت معي وأنت^(٧) لي كما أنا مع تلاميذي ولهم .

قلت^(٨) : أو أراد أنك بي هديت الخلق وعلمتهم وأنا أهديهم

(١) يقصد رسالة الحسن بن أيوب .

(٢) في ط (يحكمون) بدلاً من (يحكون) .

(٣) في إنجيل «يوحنا» الإصحاح السابع عشر : (١١) — أيها الأب القدوس في اسمك الذين أعطيتنا حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب أما الآن فلإني آتي إليك) .

ثم قال في نفس الإصحاح : (١٢) — وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . ٢٣ — أنا فيهم وأنت في ، ليكونوا مكملين إلى واحد . . .) .

انظر : العهد الجديد ص ١٨٠ .

(٤) شيئاً ساقطة من ط .

(٥) انظر : هامش (٣) السابق .

(٦) يعني الحسن بن أيوب .

(٧) (معي وأنت) ساقطة من ط .

(٨) هذا الكلام لابن تيمية .

وأعلمهم^(١) * والباء للسببية، فإن الله برسله هدى عباده وعلمهم *^(٢) والرسول علموا الغائبين عنهم، بالحاضرين^(٣) الذين بلغوا عنهم، وقوله ليكونوا شيئاً واحداً: أراد به اتفاق صدقهم وأمرهم ومرادهم، وهذا مفسر، وقد قال: ليكونوا هم^(٤) شيئاً واحداً، كما أنا شيء واحد. فقد طلب لهم مثل ما حصل له ولربه.

وهذا يبين أن قوله كما أنا شيء واحد * أي أنا موافقك^(٥) في أمرك ونهيك ومحبتك ورضاك، لم يرد بذلك اتحاد ذاته به *^(٦)، كما لم يرد^(٧) أن تتحد ذوات بعضهم ببعض، فإنه^(٨) طلب لهم مثل ما حصل له من الموافقة لأمر الله ونهيه ومحبته ورضاه.

قال: أويكون ذهب فيه إلى معنى دقيق لا يعرفه، إلا أنه قد بطل على كل حال بهذا القول تأويلكم ممازجته - عز وجل - في اللاهوت بقوله في تلاميذه أنه^(٩) بهم، كما أن أباه به، لأنه إن تأول متأول في هذا المعنى أنه ذهب في^(١٠) وصفه أنه^(١١) أبيه، وأن أباه به إلى مشاركته في

(١) في هـ (أعلمتهم) بدلاً من (أعلمهم).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٣) في ط (فالحاضرين) بدلاً من (بالحاضرين).

(٤) (هم) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في ط (موافق) بسقوط (ك).

(٦) ما بين النجمتين ساقط من هـ.

(٧) (لم) ساقط من ط.

(٨) في هـ (يدل) بدلاً من (يرد).

(٩) في هـ، ك (وإنه) بدلاً من (فإنه).

(١٠) في ك (إنهم) بدلاً من (إنه).

(١١) في ط (في بعض) بزيادة (بعض).

(١٢) (أنه) ساقطة من ط.

اللاهوت فقد قال في تلامذته مثل هذا القول، فيجب أن يكونوا على هذا القياس شركاء في المحل، وهذا ما لا يكون، ولا يجترىء على القول به أحد.

قال: ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها^(١) ومعبودها واحداً يتمسكون بأمر المسيح — عليه السلام —، وتلامذته، وإنجيله، وسنته وشرائعه، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف، فمنهم من يقول: إنه عبد، ومنهم من يقول: إنه إله، ومنهم من يقول: إنه ولد، ومنهم من يقول: إنه أقنوم وطبيعة، ومنهم من يقول: إنه أقنومان وطبيعتان.

وكل منهم^(٢) يكفر صاحبه: ويقول: إن الحق في يده، وكلهم لا يأتي من الكتاب بحجة واضحة يثبت بها دعواه، ولا من قياسه لنفسه وتأوله بما يصح له عند المناظرة، وإنما يرجع في دينه واعتقاده إلى ما تأوله له^(٣) المتأولون، بما يخالف إنجيلهم، وكتبهم بالهوى^(٤) والعناد من بعضهم لبعض^(٥)، فهم يشركون بالله على التأويل ولا شريك له، ويدعون له ولداً من جهة ما أحدثوا لأنفسهم، — سبحانه — أنى يكون له ولد!!!^(٦).

^(٧) قال الحسن بن أيوب: وقد بينا الحجاج في بطلان كل قول لكم

(١) في ط (وعبودتها) بدلاً من (ودعوتها).

(٢) (منهم) ساقطة من ط .

(٣) (له) ساقطة من ط .

(٤) في ك (بالهوا) بدلاً من (بالهوى).

(٥) (لبعض) ساقطة من ط .

(٦) هذه نهاية الجزء الثاني من الكتاب وفق تقسيم طبعة المدني، ويليها الجزء الثالث.

(٧) هذه بداية الجزء الثالث من الكتاب المطبوع — طبعة المدني — وكما يلاحظ ليس هنا مبرر لجعل التقسيم هنا، لأن الحديث متصل ببعضه ولذلك لم نقسمه وفق تقسيم المدني .

مما عقدتم به شريعة إيمانكم، ووجدنا قوماً منكم إذا نواظروا في ذلك قالوا: قد وجدنا أكثر الأديان يختلف أهلها فيها، ويتفرقون على مقالات شتى، هم عليها وكل منهم يدعي أن الصواب في يده.

وهذا أيضاً من سوء الاختيار^(١)، وذهاب القلوب عن رشدتها وانصرافها^(٢) عن سبيل حقها.

فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم، ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه، إلا أهل ملل النصرانية فقط.

وسائر من سواهم إنما اختلفوا في فروع من قروع الدين وشرائعه، مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم، ومثل اختلاف المسلمين في القدر.

فمنهم من قال به، ومنهم من دفعه.

وفي تفضيل قوم من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم على إلههم ومعبودهم وخالقهم، وأن^(٣) الله إله الخلق كلهم، واحد لا شريك له ولا ولد.

ثم اتفاهم بعد ذلك على نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - ، لا يشكون فيه، وعلى القرآن، وأنه كتاب الله المنزل على محمد المرسل، لا يختلفون فيه.

فإذا صح اتفاقهم على هذه الأصول، كان ما سواها خللاً^(٤) لا يقع معه كفر، ولا يبطل به دين.

(١) في ط، ك (الاختبار) بدلاً من (الاختيار).

(٢) في ط، ك (وانصرامها) بدلاً من (وانصرافها).

(٣) في هـ (أنه) بزيادة (هـ).

(٤) في ط (جللاً) بدلاً من (خللاً).

والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود.

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ولا ديناً، ثم عرض عليهم دين النصرانية، لوجب^(١) أن يتوقفوا عنه، إذ كان أهله لم يتفقوا على شيء فيه.

ودل اختلافهم في مقالاتهم ومباينتها^(٢) ما^(٣) في كتبهم، على باطله.

فأما قولنا^(٤) في باب التوحيد، واعترافنا بوحداية الله - تعالى -، ونفيها عنه الشركاء والأنداد والأمثال والأولاد، فهو قول لا يشكون في صحته، ولا يشك فيه أحد من أهل الكتب وسائر الملل ولا غيرهم من أهل القول بالدهر وسائر عبدة الأصنام والأوثان وكل منهم يقر به ويرجع إليه.

إلاً أن منهم من يتابعنا على تحديد التوحيد. ومنهم من يدخل العلل فيه، بأن يقول: ثلاثة ترجع إلى واحد، وصنماً نعبد إجلالاً لله ليقربنا إلى ربنا وربّه، ومدبر للأمر قديم لا بد أن نعترف به خالقها وباريها.

وكل منهم مقر بقولنا، وذهب إلى مذهبنا على الاعتراف بالله على الجهة التي يذهب إليها وأنه واحد لا شريك له.

فقد صح عقدنا بلا شك منكم، ولا من أحد من الأمم فيه،

ومعنى (جللاً): أي سيراً، فكلمة «الجلل» من الأضداد، فيطلق على الأمر العظيم واليسير انظر: لسان العرب لابن منظور.

(١) في ط (وجب) بسقوط (لـ)، في ك (فوجب) بدلاً من (لوجب).

(٢) في ط، ك (وما بينها) بدلاً من (ما بينها).

(٣) في ط (مما) بدلاً من (ما).

(٤) هذا من كلام الحسن بن أيوب يقصد به المسلمين.

ولا في شيء منه، بل تقودكم الضرورة إلى الإقرار به والاجتماع معنا عليه.

والحمد لله رب العالمين على توفيقه، وإياه نسأل أن يتم علينا فضله ويديم لنا^(١) تسديده بقدرته، وأن يحيينا ويميتنا على الإسلام، غير مشركين ولا جاحدين ولا مبدلين، إنه على كل شيء قدير، وكل مستصعب عليه يسير، وهو بمن خافه واتفاه وطلب ما عنده ولم يلحد في دينه رؤوف رحيم. اهـ.

قلت^(٢): هذا آخر ما كتبه من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره.

وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية^(٣)، ما يبين ذلك.

ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم المتصيرين لدين النصرانية، ونذكر ما ذكره من حججهم، مثل ابن البطريق^(٤)،

(١) فضله ويديم لنا) ساقطة من ط .

(٢) كلام المؤلف تعليقاً على آخر كلام الحسن بن أيوب.

(٣) في هـ (العقلية والسمعية) بتقديم وتأخير.

(٤) ابن البطريق: هو سعيد بن البطريق، طبيب ومؤرخ من أهل مصر - ولد بالفسطاط

سنة ٢٦٣هـ، ٨٧٧م وأقيم بطريقاً في الإسكندرية وسمى أنتيشيوس سنة ٣٢١هـ.

وهو أول من أطلق اسم اليعاقبة على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي المتوفى سنة ٥٧٨هـ، ولابن البطريق مؤلفات منها نظم الجوهر الذي رجع إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب وله أيضاً الجدل بين المخالف والنصراني - مات بالإسكندرية سنة ٣٢٨هـ - ٩٤٠م.

انظر: طبقات الأطباء ٨٦/٢؛ وآداب اللغة ٢٠٠/١؛ والأعلام للزركلي ١٤٤/٣.

بترك الإسكندرية، فإنه صنف كتابه الذي سماه «نظم الجواهر»^(١) وذكر فيه أخبار النصارى ومجامعهم واختلافهم وسبب إحداثهم ما أحدثوه مع انتصاره لقول الملكية والرد على من خالفهم.

قال سعيد بن البطريق^(٢) بطريق^(٣) الإسكندرية في تاريخه المعروف عند النصارى الذي سماه «نظم الجواهر»، وذكر فيه مبدأ الخلق وتواريخ الأنبياء والملوك والأمم وأخبار ملوك الروم وأصحاب الكراسي برومية^(٤) وقسطنطينية^(٥) وغيرهما، ووصف دين النصرانية، وفرق أهلها، وهو ملكي، رد على سائر طوائف النصارى، لما ذكر مولد المسيح^(٦) — صلوات الله عليه — ، وأنه ولد في عهد ملك الروم قيصر المسمى^(٧) أغسطس^(٨) لثنتين وأربعين سنة من ملكه، قال^(٩): وملك ستاً وخمسين سنة.

(١) نظم الجواهر: كتاب تاريخ كتبه سعيد بن البطريق، واسمه «كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من آدم إلى الهجرة. طبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥ م.

(٢) في هـ، ك (ابن بطريق) بدلاً من (بن البطريق).

(٣) في ك (بطريوك) بدلاً من (بطريك).

بطريك: اسم يطلق على بعض الرؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٣٣٨.

(٤) رومية: سيأتي التعريف بها ١٩٧/٤.

(٥) قسطنطينية: سبق التعريف بها.

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٨٦.

(٧) في هـ، ك (المسما) بدلاً من (المسمى).

(٨) أغسطس: ابن مونرخس قيصر روماني. هزم الجمهوريين عند فليبي وقهر الملوك.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧٥؛ ونظم الجواهر ص ٨٧.

(٩) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٩٢.

قال^(١): وملك بعده ابنه «طيباريوس»^(٢) قيصر برومية، وللمسيح خمس عشرة سنة.

وكان لقيصر هذا صديق^(٣) يقال له «بلاطس»^(٤) من قرية على شط البحر الذي تحت «قسطنطينية» ويسمى ذلك البحر «السطس»^(٥) ولذلك يسمى^(٦) «بلاطس النبطي» فولاه على أرض «يهودا»^(٧).

قال: وفي خمس عشرة سنة من ملك طيباريوس قيصر هذا^(٨) ظهر «يحيى» ابن زكريا المعمدانى، فعمد اليهود في الأردن لغفران الخطايا. فجاء المسيح إلى يحيى بن زكريا فعمده يحيى في الأردن،

(١) يعني ابن البطريق، وقد نقل منه الشيخ كلاماً كثيراً منه شيء بالنص ومنه شيء بالمعنى، وقد قمنا بالمقارنة فوجدت النقل موافقاً في المعلومات والشيخ يغفل الأسماء في كثير الأحيان وقد أثبتناها بالهامش نقلاً من تاريخ ابن البطريق. طبعة بيروت ١٩٠٥ م.

(٢) طيباريوس: قيصر ملك اثنتين وعشرين سنة وشهر.

انظر: نظم الجواهر ص ٩٣.

(٣) صديق) ساقطة من هـ.

(٤) بلاطس: هو بيلاطس النبطي صديق القيصر طيباريوس، وبيلاطي من جزيرة في البحر بقرب رومية وتسمى بنطة.

انظر: نظم الجواهر ص ٩١.

(٥) في هـ، ك (البتطس) بدلاً من (السطس).

وهو بحر: بقرب رومية.

انظر: نظم الجواهر ص ٩١.

(٦) في هـ، ك (سمى) بسقوط (ي).

(٧) أرض يهوذا: يهوذا الأردن.

انظر: السفر التاسع عشر - العهد القديم - سفر يشوع آية ٣٤ - وهي مدينة في نفتالي لا يعلم سبب تسميتها بهذا الاسم وربما هي سيد يهوذا بقرب بناناس.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٩.

(٨) (هذا) ساقطة من هـ.

ولسيدنا المسيح ثلاثون سنة، وذكر قصة قتل يحيى، وقصة الصلب المعروفة عند النصارى.

إلى أن قال^(١): وكتب «بلاطس» إلى «طيارىوس» الملك بخبر سيدنا المسيح وما تفعل تلاميذه من العجائب الكثيرة من إبراء المرضى وإحياء الموتى.

فأراد أن يؤمن بسيدنا المسيح ويظهر دين النصرانية فلم يتابعه أصحابه على ذلك. وملك اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر.

وذكر أن في عصره بنيت مدينة «طبرية»^(٢) مشتقة من اسمه.

قال: وملك بعده قيصر^(٣) آخر أربع سنين وثلاثة أشهر، قتل بلاطس وولى شخصاً^(٤) كان شديداً على تلاميذ المسيح، وقتل رئيس^(٥) الشهداء والشمامسة، فرجم بالحجارة حتى مات.

وذكر أنه لقي التلاميذ من اليهود ومن الروم شدة شديدة، وقتل

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٣/١ وما بعدها.

(٢) طبرية: مدينة بقرب دمشق بينهما ثلاثة أيام مطلة على بحيرة معروفة ببحيرة طبرية، وجبل الطور مطل عليها، بناها ملك من ملوك الروم اسمه طبارى، وبها قبر لقمان الحكيم.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢١٧.

(٣) اسمه: عاييوس.

انظر: سعيد بن البطريق في تاريخه ٩٣/١.

(٤) اسمه: يوودس بن أرسطوبولس. ويسمى أغريان.

انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

(٥) اسمه: استفانوس.

انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

منهم خلق كثيرة، وأنه مات هذا وولى بعده قيصر^(١) آخر، وفي^(٢) زمنه وقع جوع ووباء، وفي زمنه كتب «متى» وبين إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، وفسره من العبرانية^(٣) إلى الرومية^(٤) «يوحنا»^(٥) صاحب الإنجيل.

قال^(٦): وفي تسع سنين من ملكه كان «مرقس» صاحب الإنجيل بمدينة الإسكندرية^(٧) يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح، وأنه أول شخص جعل بطريكاً على الإسكندرية^(٨)، وأنه صير معه اثني^(٩) عشر قسيساً وأمرهم إذا مات البطريك أن يختاروا واحداً من الاثني^(١٠)

(١) اسمه: قلوديوس.

انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٤/١.

(٢) في ك (المخزومي في) بدلاً من (وفي).

(٣) في هـ (بالعبرانية).

(٤) في تاريخ ابن البطريق: (اليونانية).

(٥) في هـ، ك (يحنأ) بدلاً من (يوحنا).

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ٩٥.

(٧) الإسكندرية: هي المدينة المشهورة بمصر - اختلفوا في بانيها - قيل الإسكندر الأول - وهو ذو القرنين - وقيل: دار ابن بنت الفيلسوف الرومي - وكانت قديماً مدينة من بناء شداد بن عاد - كان بها آثار العمارة والأسطوانات الحجرية - حتى قالوا: إنها تتحرك بحركة الشمس، وكانت مجمع الحكماء.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٣.

(٨) المذكور في تاريخ ابن البطريق الذي بين أيدينا الآن أن (حنانيا) الإسكافي الذي عمده مرقس بالإسكندرية هو الذي جعل أول بطريك لها وليس كما ذكر المؤلف هنا بأن مرقس هو أول بطريك لها.

وعلى هذا يكون هنا كلام ساقط هو (حنانيا الإسكافي) بعد كلمة (جعل) ويظهر صحة كلامنا بعد صفحة من هنا عند قوله في الصفحة بعد التالية: ومن حنانيا الذي أصلحه مرقس البشير...

(٩) في هـ، ك (الاثنا) بدلاً من (اثني).

(١٠) في هـ، ك (الاثني) بدلاً من (الاثنا).

عشر قسيساً، ويضع الاثنا عشر قسيساً^(١) أيديهم على رأسه ويباركونه ويصلحونه بطريكاً^(٢)، ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً ويصيرونه معهم بدل القسيس الذي أصلحوه بتركاً ليكون اثني عشر أبداً.

فلم يزل رسمهم بالإسكندرية على هذا إلى زمن الثلاثمائة وثمانية عشر^(٣).

فأمرهم بطريك الإسكندرية الذي كان من جملة الثلاثمائة وثمانية عشر أن لا^(٤) يفعل هذا فيما بعد، ومنع^(٥) أن يصلح الأقساء البترك، بل^(٦) يختاروا من أي بلد كان، رجلاً فاضلاً، وإذا مات البترك، اجتمع الأساقفة فأصلحوه البترك من أي بلد كان من أولئك الأقسدة، أو من غيرهم.

فانقطع الرسم الأول من إصلاح الأقساء البترك، وجعل التيسير لهم في إصلاح البترك بابا، ثم سمي بترك الإسكندرية باباً^(٧)، ومعناه الجد.

(١) قسيساً ساقطة من ك، ط.

(٢) في هـ (بطريكاً) بدلاً من (بطريكاً).

(٣) المقصود بزمان الثلاثمائة وثمانية عشر سنة: مجمع نيقية، وهي ثلاثمائة وخمس وعشرين ميلادية.

انظر: كتاب أقانيم النصارى - أحمد حجازي السقا - ص ٥٩ - طبعة دار الأنصار القاهرة - سنة ١٣٩٧ هـ.

(٤) لا ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (منع) بسقوط (و).

(٦) ف هـ، ك (وأن) بدلاً من (بل).

(٧) في هـ، ك (بابايا) بدلاً من (بابا).

ومن حنانيا^(١) الذي أصلحه مرقس البشير^(٢) إلى حادي عشر بطركاً بالإسكندرية لم يكن في عمل مصر أسقف، ولم يكن البطارقة قبله أصلحوا أسقفاً، وأن العامة لما سمعت الأساقفة يسمون البطريك أباً قالوا: إذا كنا نحن نسمي الأسقف أباً، والأسقف يسمى البطريك أباً، فيجب علينا أن نسمي البطريك بابا (أي الجد) إذ^(٣) كان أباً لأبينا، فسمي بطريك^(٤) الإسكندرية من وقت «هرقل» بابا (أي الجد).

قال^(٥): وخرج مرقس إلى «برقة»^(٦) يدعو الناس إلى الإيمان بالسيد المسيح، ومات قلوديوس^(٧) قيصر، وملك بعده ابنه «نارون»^(٨) ثلاث عشرة سنة.

قال: وهو أول من أهاج^(٩) على النصارى الشر والبلاء والعذاب.

قال: وفي عصره كتب «بطرس»^(١٠) رئيس الحواريين الإنجيل

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٦/١.

وانظر: الصفحة قبل السابقة، هامش (٨).

(٢) في هـ، ك (البشير مرقس) تقديم وتأخير.

(٣) في ط (إذا) بزيادة (أ).

(٤) في هـ، ك (بطريك) بدلاً من (بطريك).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٦/١.

(٦) برقة: اسم يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية واسم مدينتها أنطابلس، وتفسيره الخمس مدن، وقال بطليموس طول مدينة برقة ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة.

انظر: معجم البلدان ٣٨٨/١.

(٧) في ط (فلوريوس) بدلاً من (قلوديوس).

(٨) في ط، ك (بارون) بدلاً من (نارون).

(٩) في هـ، ك، ط (هاج) بسقوط (أ).

في تاريخ ابن البطريق (أهاج) ص ٩٦.

(١٠) سبقت الإشارة إليه ص ١٣٢/٤.

(إنجيل مرقس) عن مرقس بمدينة رومية، ونسبه إلى مرقس.

قال: وفي عصر هذا الملك كتب «لوقا» إنجيله بالرومية^(١) إلى رجل شريف من عظماء الروم يقال له «فوفिला»^(٢) فكتب له أيضاً الأبركسس^(٣) الذي فيه أخبار التلاميذ.

وقد كان لوقا البشير صاحب «بولس الرسول»^(٤) يقول في بعض رسائله أن «لوقا» الطبيب يقول: «عليكم السلام»^(٥).

وقال^(٦): وأخذ ثارون قيصر لبطرس فصلبه منكساً، ثم قتله، لأن بطرس قال له: إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكساً كلاً أكون مثل سيدي المسيح فإنه صلب قائماً، وضرب عنق بولس الرسول بالسيف. وأقام بطرس بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة.

(١) في تاريخ ابن البطريق (باليونانية).

(٢) في نظم الجواهر (ثاوثيلا) ص ٩٦.

وهو: رجل شريف من علماء الروم كتب لوقا له إنجيله، واسمه (تاوفيلا).

انظر: محاضرات في النصرانية - محمد أبو زهرة ص ٤٩.

(٣) الأبركسس: الأبركسيس الذي هو أخبار التلاميذ وهي الرسالة المسماة أعمال الرسل وقد كتبها لوقا إلى ثاوفيلا.

انظر: محاضرات في النصرانية - محمد أبو زهرة ص ٤٩.

(٤) بولس الرسول: كان اسمه العبري (شاول) أي (المطلوب) ولد في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الأمبراطورية الرومانية وكان أبوه فريسيّاً من سبط بنيامين - ذا كفاءة علمية - له رحلات تبشيرية كان من نتائجها نشر الإنجيل وله رسائل كثيرة - قاد عبادة المسيحيين في كل أقطار العالم - مات سنة ٦٧ أو ٦٨ م.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٧.

(٥) في تاريخ ابن البطريق نسب هذا القول لبولس ولم ينسب إلى لوقا كما هو أعلاه.

(٦) في هـ، ك (قال) بسقوط (و).

انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٧/١.

قال: وكان مرقس صاحب الإنجيل بالاسكندرية، وبرقة يدعو الناس إلى الإيمان، فأقام^(١) سبع سنين.

وفي أول سنة من ملك نارون قيصر قتل مرقس بالاسكندرية، وأحرق جسده بالنار، وذكر بعده عدة قياصرة^(٢)، وذكر أن طيطس^(٣) خرب البيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها، وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى، حتى كانوا يشقون بطون الحبالى، ويضربون بأطفالهم الصخور.

وخرب المدينة والهيكل، وأضرم بها النار^(٤)، وأحصى القتلى على يديه فكانوا ثلاثة آلاف ألف^(٥).

وذكر عدة قياصرة بعد ذلك وأنه ولي واحد منهم خمس عشرة سنة، يقال له: «ذوما طيانوس»^(٦) وكان شديداً جداً على اليهود، وأنه بلغه أن النصارى يقولون أن المسيح ملكهم وأن ملكه إلى الدهر. فغضب غضباً شديداً، وأمر بقتل النصارى، وأن لا يكون في ملكه نصراني.

(١) في هـ، ك (أقام) بسقوط (ف).

(٢) هم: غلياس، أنون، نيطاليوس، وأسباسيانوس.

(٣) في هـ (قسطنطين) بدلاً من (طيطس).

طيطس: هو ابن للقيصر أسباسيانوس، ضم إليه أبوه عسكرياً كثيراً ووجهه إلى بيت المقدس فحاصرها سنتين إلى أن فتحها وخربها.

انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٨/١.

(٤) في هـ، ك (وضربهما بالنار) بدلاً من (وأضرم بهما النار).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٨/١.

(٦) ذوما طيانوس: هو الابن الثاني للقيصر أسباسيانوس، وهو أخ لطيطس الذي خرب بيت المقدس.

انظر: تاريخ ابن البطريق ٩٩/١.

وكان «يوحنا» صاحب الإنجيل هناك، فسمع بهذا فخاف وهرب إلى أفسس^(١).

(٢) ثم إنه^(٣) أمر بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم.

ثم تولى بعده قيصر^(٤) آخر^(٥) سنة وبعض أخرى، ثم ملك آخر بعده^(٦) تسع عشرة سنة يسمى طرايانوس^(٧).

قال^(٨): وهذا الملك أثار على النصارى بلاء عظيماً وحزناً طويلاً، وقتل شهداء كثيرة، وقتل بطريك^(٩) إنطاكية برومية، وقتل أسقف^(١٠) بيت المقدس وصلبه وله مائة وعشرون سنة، وأمر أن يستعبد النصارى، إذ ليس لهم دين ولا شريعة.

(١) أفسس: هي أفسوس - بلد بثلغور طرسوس يقال أنه بلد أصحاب الكهف.

انظر: معجم البلدان ٢٣١/١.

(٢) هنا كلام ساقط يقدر بأربعة أسطر تقريباً ذكره ابن البطريق كسبب لإكرام الملك ذوما طيانوس للنصارى.

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٣) (أنه) ساقطة من هـ.

(٤) اسمه: (نارواس) وقيل: (برسطيوس).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٥) (قيصر آخر) ساقطة من هـ، ك.

(٦) في ط (بعض) بدلاً من (بعده).

(٧) طرايانوس: اسمه (طرايانوس) قيصر - المسمى - (أندريانوس).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٠.

(٨) انظر: المصدر السابق.

(٩) اسمه: (أغناطيوس).

انظر: المصدر السابق.

(١٠) اسمه: (سمعان بن أكلاديا).

انظر المصدر السابق.

فلشدة ما استعبد النصارى، وغلظ ما نالهم من القتل، رحمتهم الروم وشهد وزراء الملك عنده أن النصارى لهم شريعة ودين، وأنه لا يحل أن يستعبدوا، فكف عنهم الأذية.

قال: وفي عصره كتب «يوحنا» إنجيله بالرومية في جزيرة يقال لها: «تيمرا»^(١) من أرض الروم من أرض «أثينة»^(٢) في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له «مومودس»^(٣).

قال^(٤): وفي ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس.

فلما كثروا وامتلات منهم المدينة عزموا على^(٥) أن يملكوا منهم ملكاً، فبلغ الخبر «طيباريوس قيصر»^(٦) فوجه بقائد من قواده بجيش عظيم إلى بيت المقدس فقتل من اليهود ما لا يحصى كثرة.

(١) في هـ (سمرا)، وفي ك (سموا) بدلاً من (تيمرا).

وفي تاريخ ابن البطريق: (بطمس)، (تيمرا) جزيرة في أرض الروم.

(٢) في هـ (ايثينة) بدلاً من (أثينة).

في ك (اتته) بدون تنقيط.

في تاريخ ابن البطريق: (آسيا).

سبق التعريف بها.

(٣) في تاريخ ابن البطريق (كومودس).

(٤) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠١.

(٥) (على) ساقطة من ط، ك.

(٦) في ك (طيبانوس) بدلاً من (طيباريوس).

وفي تاريخ ابن البطريق (طرايانوس).

وهو: طيباريوس بن أوغسطس قيصر - الذي ملك بعد أبيه وكان برومية وفي أثناء

ملكه ظهر يوحنا الذي كان يعمد في الأردن.

انظر: نظم الجواهر ٩١/١.

قال: وخرج على قيصر هذا خارجي^(١) مقاتل^(٢) بابل^(٣)، فخرج إليه بنفسه فوَقعت بينهم حرب شديدة، وقتل من الفريقين خلق عظيم^(٤)، وقتل قيصر في الحرب.

وملك بعده (أندريانوس^(٥) قيصر) عشرين سنة فخرج إلى ذلك الخارجي بابل فهزمه، وصار إلى مصر فلقى منه أهل مصر شدة شديدة، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً^(٦)، وأصاب «إيليا»^(٧) ابنه علة في بدنه فكان ينفذ إلى البلدان يطلب شفاءً لعلته، فوصفوا له بيت المقدس.

فلما وافاها، رآها خراباً ليس فيها أحد إلا كنيسة للنصارى فأمر^(٨) أن تبني المدينة وتحصن بحصن قوي.

فلما سمع اليهود أقبلوا من كل بلد وكل مدينة. فما كان إلا زمان قليل^(٩) حتى امتلأت منهم المدينة فلما كثروا

(١) لم يذكر ابن البطريق في تاريخه اسماً لهذا الخارجي.

(٢) (مقاتل) ساقطة من هـ، ك.

(٣) بابل: سبقت الإشارة إليها ٣/٣٥٣.

(٤) في هـ (كثير) بدلاً من (عظيم).

(٥) أندريانوس: اسمه: إيليا أندريانوس قيصر.

انظر: نظم الجواهر ص ١٠١.

(٦) هنا سقط كلام يقارب سطرًا ونصف.

انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠١.

(٧) في تاريخ ابن البطريق ذكر (إيليا) كلقب للقيصر أندريانوس، وهنا أشار المؤلف — رحمه الله — في نقله إلى أنه اسم لابن القيصر.

انظر: المصدر السابق.

(٨) في هـ، ك (أمر) بسقوط (ف).

(٩) في هـ (قليل إلا) بزيادة (إلا).

ملكوا عليهم ملكاً^(١).

فاتصل الخبر بإيليا بن قيصر أندريانوس، فوجه إليهم بقائد من قواده مع خلق كثير فحاصر المدينة، فمات كل من فيها من الجوع والعطش، ثم فتحها فقتل من اليهود ما لا يحصى، وهدم الحصن، وخرَّب المدينة حتى صيرها صحراء.

قال^(٢): وهذا آخر خراب بيت المقدس، وهرب من اليهود من هرب إلى مصر، وإلى الشام، وإلى الجبال، وإلى الغور.

وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودي، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا وأن يسكن المدينة اليونانيون، وبينوا على باب الهيكل برجاً، ويجعل فوقه ألواحاً، ويكتبوا عليها اسم «إيليا الملك» وذلك من ثمان سنين من ملكه.

قال: والبرج اليوم على باب مدينة القدس، وسمي^(٣) محراب داود.

قال: فسمى بيت المقدس إلى هذا الوقت «إيليا».

فمن الخراب الأول الذي أخربه «طيطس» إلى هذا الخراب، ثلاث وخمسون سنة.

وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين، فنظروا إلى النصارى يأتون

(١) اسمه: (برجوزيا).

انظر: تاريخ ابن البطريق ١٠٢/١.

(٢) انظر: تاريخ ابن البطريق ١٠٢/١.

(٣) في هـ (ويسمى) بدلاً من (وسمى).

إلى تلك المذبلة التي فيها القبر^(١) والأقرايون^(٢)، فيصلون، فمنعهم من ذلك.

وبنى اليونانيون على تلك المذبلة هيكلًا على اسم الزهرة، فلم يقدر أحد من النصارى بعد ذلك أن يقرب ذلك الموضع.

قال^(٣): ثم مات «إيليا الملك»، وملك بعده «أنطونيوس»^(٤) قيصر برومية اثنين^(٥) وعشرين سنة.

قال: وفي إحدى عشرة سنة من ملكه صير يهودا^(٦) أسقفًا على بيت المقدس، فأقام سنتين ومات.

قال: فمن يعقوب^(٧) أسقف المقدس الأول، إلى يهودا أسقف بيت المقدس هذا، كانت الأساقفة الذين صيروا على بيت المقدس مختونين.

وذكر أنه^(٨) ولي بعد هذا قيصر آخر اسمه «مرقس»^(٩)، تسع عشرة سنة، وأنه أثار على النصارى بلاء عظيمًا، وحزنًا شديدًا، واستشهد في زمانه شهداء كثيرون.

(١) القبر: يعنون به قبر المسيح - عليه السلام - نظم الجوهري ١/١٢٩.

(٢) الأقرايون: مكان الصلب وقد بنت فيه هيلانة الحرائية بناء سمى بذلك. المصدر السابق.

(٣) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٠٣.

(٤) في هـ، ك (أنطونيوس) بدلاً من (أنطونيوس).

(٥) في ط (اثني) بدلاً من (اثنين).

(٦) في نظم الجوهري: (يهودا) بدلاً من (يهودا).

انظر: نظم الجوهري ص ١٠٣.

(٧) يعقوب: انظر: المصدر السابق.

(٨) انظر: المصدر السابق ص ١٠٤.

(٩) اسمه مرقس) ساقطة من هـ، ك.

قال: وكان في أيامه جوع شديد، ووباء عظيم، لم تمطر السماء سنين^(١)، وكاد الملك وجميع أهل مملكته أن يهلكوا من الجوع.

فسألوا النصارى أن يتهلوا إلى إلههم فدعوا^(٢)، فأمطر الله عليهم مطراً عظيماً وارتفع الوباء والقحط.

قال: وكان بأيامه بأرض اليونانيين^(٣) «مغنوس»^(٤) الحكيم.

قال: وفي خمس سنين^(٥) من ملكه صير «لولىاثوس»^(٦) بطريكاً^(٧)، وهو أول بطريك أصلح الأساقفة في عمل مصر، أقام ثلاثاً وأربعين سنة ومات.



(١) في نظم الجوهري: (سنتين).

(٢) في ط (فدفعوا) بدلاً من (فدعوا).

(٣) في هـ (اليونان) بدلاً من (اليونانيين).

(٤) في نظم الجوهري: (مغنيوس).

وهو: مغتيوس الحكيم كما ذكره ابن البطريق.

انظر: نظم الجوهري ص ١٠٤.

(٥) في نظم الجوهري: (خمس عشرة سنة).

(٦) في نظم الجوهري: (ديمترينوس).

(٧) في نظم الجوهري: (بطريكاً على الاسكندرية) بزيادة (على الاسكندرية).

فصل

قال^(١): وفي ذلك العصر كتب بطريرك الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس، وبطرك إنطاكية^(٢)، وبطرك رومية^(٣) في كتاب^(٤) فصح النصارى^(٥) وصومهم^(٦)، وكيف يستخرج من فصح اليهود^(٧)، فوضعوا في ذلك كتباً كثيرة على ما هو عليه اليوم.

قال^(٨): وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود سيدنا المسيح إلى

(١) انظر: ص ١٠٤ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجواهر).

(٢) إنطاكية: سبقت الإشارة إليها ٨٥/٤.

(٣) رومية مدينة في شمال غربي القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية الرومانية، منها انتشرت العلوم والآداب والفلسفة؛ أسسها روميولس سنة ٧٥٣ ق.م الذي صار أول ملك لها، واشتهى أن يذهب إليها بولس لينادي بها بالإنجيل، لكن لم تحقق أمنيته، كثيرة الكنائس بها الفاتيكان مقر البابا رئيس الكنيسة الكاثوليكية.

قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٧. وأنباء البلاد وأخبار العباد ص ٥٩١.

(٤) في ط (حساب) بدلاً من (كتاب).

(٥) فصح النصارى: عيد قيامة المسيح من بين الأموات وهو بين ٢٢ مارس إلى ٢٥ أبريل، الموسوعة العربية ص ١٢٤٧.

(٦) صوم النصارى: الصوم الكبير عند المسيحيين الأرثوذكس ٥٥ يوماً قبل عيد القيامة، وصوم الميلاد أو الصوم الصغير عند المسيحيين ٤٠ يوماً قبل عيد الميلاد، يبدأ عند المسيحيين الغربيين في ١٦ نوفمبر، وعند الشرقيين في ٢٦ منه.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٣٧؛ ونظم الجواهر ١٢٨/١.

(٧) فصح اليهود: ذكرى هروبهم من فرعون مصر وهو يوم ١٥ نيسان. الموسوعة العربية ص ١٢٤٧.

(٨) انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجواهر) ص ١٠٥.

السماء إذا عيدوا عيد الغطاس^(١) من الغد، يصومون أربعين يوماً، ويفطرون كما فعل سيدنا يسوع المسيح، لأن سيدنا المسيح لما اعتمد بالأردن خرج إلى البرية، فأقام بها صائماً أربعين يوماً، وكان النصارى إذا أفصح اليهود، عيدوا هم الفصح.

فوضع هؤلاء البطارقة حساباً للفصح، ليصوم النصارى أربعين يوماً، ويكون فطرهم يوم الفصح، ليتم فرحهم بذلك^(٢).

قلت^(٣): فقد أخبر عن المسيح أنه لما صام أربعين يوماً عقب المعمودية، وكان يعيد مع اليهود في عيدهم لا يعيد عقب صومه، شاركه النصارى في ذلك مدة، فصاروا يصومون أربعين عقب الغطاس الذي هو نظير المعمودية، ويعيدون مع اليهود العيد.

ثم إنهم بعد هذا، ابتدعوا تغيير الصوم، فلم يصوموا عقب الغطاس، بل نقلوا الصوم إلى وقت يكون عيدهم مع عيد اليهود، فيكون عيدهم مع عيد اليهود، وهو فصح المسيح * ويكون ذلك وقت قيامته من قبره *^(٤).

قال^(٥): ومات (مرقص) الملك، وملك بعده (قمودوس) قيصر برومية، اثني عشرة سنة. وفي أيامه كان في أرض اليونانيين في مدينة أفرغامس^(٦) (جالينوس)^(٧) الحكيم صاحب صناعة الطب.

وذكر (جالينوس) في فهرست كتبه أنه ربي (قمودوس)^(٨) الملك.

(١) في نظم الجوهري: (الحميم) بدلاً من (الغطاس). وسبق التعريف به ٣٠/٣.

(٢) انتهى كلام ابن البطريق.

(٣) هذا كلام للمؤلف.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ.

(٥) انظر ص ١٠٥ من تاريخ ابن البطريق.

(٦) في نظم الجوهري: (فرغاموس) بدلاً من (أفرغامس).

(٧) سبقت ترجمته. (٨) في ط، ك (قمودوس) بدلاً من (قمودوس).

وذكر (جالينوس) في المقالة الأولى من الكتاب المعروف بـ (كتاب أخلاق النفس)^(١): أنه كان في عصر (قمودوس) الملك، رجل يقال له (بولس)^(٢) طلبه قمودوس الملك ليقتله، فهرب منه، وكان له غلامان، فقبضهما الملك، فضربهما الملك، وطلب منهما أن يدلّاه على مولاها، فلم يفعلوا، لكرم أنفسهما ونخوتهما^(٣) وشدة محاماتهما على مولاها، فقتلها، وأن من الإسكندر إلى بولس خمسمائة سنة وست عشرة سنة، وذلك في السنة التاسعة من ملك قمودوس قيصر. فهذا ما ذكر جالينوس.

قال^(٤): وكان أيضاً في أيام (ديمقراطيس)^(٥) الحكيم.

قلت^(٦): هذه المدة أكثر مما ذكره (سعيد) هذا، فإنه لم يذكر من المسيح إلى هنا مائتا سنة، بل ذكر إلى الخراب مائة وثلاثة وعشرين^(٧) سنة، وقد تقدم ذكره لديمقراطيس قبل هذا.

(١) في هـ (اختلاف النفس) بدلاً من (أخلاق النفس). وهو كتاب في الطب والهندسة من ضمن مؤلفات جالينوس.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧.

(٢) في هـ (يونس) بدلاً من (بولس)، في نظم الجواهر (برنس).

(٣) في هـ (وتحرقهما) بدلاً من (ونخوتهما).

(٤) انظر: ص ١٠٥ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجواهر).

(٥) ديمقراطيس: هو «ديمقريطس» عاش من ٤٦٠ إلى ٣٧٠ ق. م، فيلسوف يوناني، يرى العالم مؤلفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم ولا تفنى وتحرك دائماً، فيلتصق بعضها ببعض وتتكون الأجسام...

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣٧.

(٦) هذا كلام للمؤلف.

(٧) في هـ، ك (مائة وعشرين سنة) بدلاً من (مائة وثلاثة وعشرين سنة).

قال^(١): وفي عشر سنين من ملكه، ظهرت الفرس، فغلبت على (بابل)^(٢)، وأمدوا فارس^(٣)، وتملك أزدشير بن ساسان^(٤) بابل من أهل أصطخر^(٥)، وهو أول ملك ملك على فارس في المرة الثانية.

قال^(٦): ومات قمودوس^(٧) قيصر ملك الروم، وملك بعده قيصر^(٨) آخر ثلاثة أشهر، ثم آخر^(٩)، وملك بعده برومية (سويرس)^(١٠) قيصر سبع عشرة سنة، وذلك في أربع سنين من ملك أزدشير.

وكان هذا الملك شديداً، قد أثار على النصارى بلاء عظيماً، وعذاباً كبيراً، وقتل كل عالم منهم، وقتل خلقاً كثيراً، واستشهد في أيامه خلق كثير من النصارى في كل موضع، ثم قتل كل من كان بمصر والإسكندرية من النصارى، وهدم الكنائس، وبنى بالإسكندرية هيكلاً،

-
- (١) انظر: ص ١٠٦ من تاريخ ابن البطريق (نظم الجواهر).
 - (٢) مدينة قديمة من إمبراطورية بابل على الفرات. جعلها حمورابي عاصمة له. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٩٦.
 - (٣) إقليم كان نواة للإمبراطورية الفارسية القديمة، وأهم مدنه شيراز وثرغوشير. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٣.
 - (٤) هو: أزدشير بن تابك بن شاشان. ذكر هكذا في نظم الجواهر. انظر: نظم الجواهر ص ١٠٦.
 - (٥) مدينة بأرض فارس قديمة بها بيت نار عظيم للمجوس، ويقولون إنه كان مسجد سليمان — عليه السلام — ينسب إليها الإصطخري صاحب كتاب الأقاليم. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٧.
 - (٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٠٧.
 - (٧) قمودوس: قيصر بن أنطونيوس ملك الروم. انظر: نظم الجواهر ص ١٠٥.
 - (٨) اسمه: برطنيقوس.
 - (٩) (ثم) ساقطة من ط.
 - (١٠) في هـ (سريون)، وفي ك (سرويون) بدلاً من (سويرس).

وسماه هيكل الآلهة^(١).

وملك بعده قيصر، وهو (أنطونيوس)^(٢) الأصل ست سنين، وملك بعده قيصر آخر^(٣) ثلاث عشرة سنة، كانت النصرى فى أيامه فى هدوء وسلامة، وكانت أمه تحب النصرى، وفى أيامه سمى بطرك الإسكندرية (بابا)، أى «الجد» وملك بعده قيصر آخر^(٤) ثلاث سنين، وهذا أثار على النصرى بلاء طويلاً وحزناً عظيماً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من الأساقفة خلقاً كثيراً، وقتل بترك^(٥) أنطاكية، فلما سمع أسقف^(٦) بيت المقدس بقتله، هرب وترك الكرسي. قال^(٧): ومات قيصر هذا فى السنة الثانية^(٨) من ملك بهرام بن هرمز وملك بعده قيصر آخر^(٩) ثلاثة أشهر، ثم بعده آخر أربع سنين،

(١) هيكل الآلهة: بيت للنصرى، وهو بيت الأصنام. المعجم الوسيط ٩٩٠/٢ - طبعة القاهرة ٨٣ م.

(٢) أنطونيوس: هو أنطونيوس قيصر فارقلوس، وهو الأصل برومية. انظر: ابن البطريق ص ١٠٨.

(٣) اسمه: الإكسندرس.

انظر: تاريخ ابن البطريق: ١١٠/١.

(٤) اسمه: مكسيميانوس.

انظر: المصدر السابق.

(٥) اسمه: بابيلا.

انظر: المصدر السابق.

(٦) اسمه: ناركيسوس.

انظر: المصدر السابق.

(٧) (قال) ساقطة من هـ، ك.

انظر: المصدر السابق ص ١١١.

(٨) فى نظم الجواهر (السنة الثالثة) ١١١/١.

(٩) (قيصر) ساقطة من هـ، ك.

اسمه: بوبينوس. انظر: نظم الجواهر ١١١/١.

واسمه (غرديانوس)^(١)، وفي ثلاث سنين من ملكه مات بهرام بن هرمز، وملك بعده بهرام بن بهرام على الفرس تسع عشرة سنة.

وفي أيامه ظهر رجل فارسي يقال له (ماني)^(٢) فأظهر دين المانية، وزعم أنه نبي، فأخذه بهرام بن بهرام ملك الفرس فشقه نصفين، وأخذ من أصحابه وممن يقول بقوله مائتي رجل، ففرس رؤوسهم في الطين منكسين حتى ماتوا منكسين.

وملك بعد قيصر هذا (فيلبس)^(٣) قيصرًا برومية سبع سنين، وآمن بالسيد المسيح، ووثب عليه قائد^(٤) من قواده فقتله.

ثم ملك بعده قيصر آخر اسمه (داقنوس)^(٥) وهو (دقيانوس)^(٦) وذلك من عشر سنين من ملك بهرام بن بهرام، فلقي النصراني منه حزنًا طويلاً، وعذاباً شديداً، وقتل منهم من لا يحصى واستشهد في أيامه من الشهداء خلق كثير وقتل بطرق رومية^(٧). ثم خرج إلى مدينة أفسس فبنى

(١) في ط (غردمانوس) وصحته (غرديانوس).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) فيلبس: اسمه (فيلبس)، قيصر على الروم برومية، ملك سبع سنين وآمن بالمسيح. انظر: نظم الجواهر ص ١١١.

(٤) اسمه: (داقيوس).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢ (نظم الجواهر).

(٥) في ط (داقنيوس).

في نظم الجواهر: (ذاكيوس).

(٦) جملة: وهو (دقيانوس): غير موجودة في تاريخ ابن البطريق.

وهو: ذاكيوس قيصر ملك على الروم برومية ستين، وهو الذي أمر ببناء باب الكهف على الفتية الذين ذكروا في قصة أهل الكهف.

انظر: نظم الجواهر ص ١١٢.

(٧) اسمه: (فلابيانوس).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

في وسطها هيكلًا عظيمًا وصير فيه الأصنام وأمر أن يسجد للأصنام،
ويذبح لها، ومن لم يفعل ذلك قتل، فقتل من النصارى بأفسس خلقاً
عظيمًا وصلبهم على الحصن واتخذ من أولاد عظماء «أفسس» سبعة
غلمان من خواصه وعلى كسوته، وقدمهم على جميع من عنده وذكر
أسماءهم، أسماء أصحاب أهل (١) الكهف (٢).

قال: وهؤلاء السبعة الغلمان لم يسجدوا للأصنام، فأعلموا الملك
بخبرهم، فأمر بحبسهم، ثم خرج إلى (٣) بعض المواضع وأطلق سبيلهم
إل حين رجوعه.

فلما خرج من المدينة، أخذ الغلمان كل ما لهم فتصدقوا به، ثم
خرجوا إلى جبل عظيم يقال له (جاوس) (٤) شرقي «أفسس» فيه كهف
كبير، فاختفوا في الكهف، فكان واحد منهم في كل يوم يتنكر ويدخل
المدينة، فيسمع ما يقول الناس في شأنهم، ويشتري لهم طعاماً ويرجع
فيعلمهم.

فقدم (٥) (دقيانوس) الملك، فسأل عنهم، فقليل له: إنهم في جبل
جاوس في الكهف مختفين.

فأمر الملك أن يبنى (٦) باب الكهف عليهم ليموتوا، وصب الله
عليهم النعاس فناموا كالأموات.

(١) (أهل) ساقطة من ط، ك.

(٢) أسماؤهم هي: (مقسيميانوس، أليخس، ديانوس، مرطيموس، ديونييسيوس،
أنطونيوس، يوحنا).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

(٣) في ك (إلى جبل عظيم) بزيادة (جبل عظيم).

(٤) في نظم الجواهر (خاوس).

(٥) في ط (بقدم) بدلاً من (فقدم).

(٦) في هـ (بيناً) بدلاً من (يبنى).

وأخذ قائد من قواده صفيحة^(١) من نحاس، وكتب فيها خبرهم وقصتهم مع دقيانوس الملك، وصير الصفيحة في صندوق نحاس ودفنه داخل الكهف، وبنى الكهف.

ومات الملك دقيانوس * قيصر، وملك بعده قيصران^(٢) برومية ستين، ثم قيصر آخر اسمه «غنيونوس» خمس عشرة سنة *^(٣) وملك بعده^(٤) قيصر^(٥) آخر^(٦) سنة واحدة و مات^(٧)، وذلك من ثلاث سنين من ملك هرmez.

وفي أول سنة من ملك هذا، صير «بولس» بطركاً على إنطاكية ويسمى «بولوس الشمشاطي»^(٨) قال: وهو الذي ابتدع دين البوليانية، فسمي التابعون لدينه والقائلون بمقالته بوليانيين.

قال^(٩): وكانت مقالته: أن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره، فإن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية، فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي: (ابن الله).

(١) في هـ (صفحة) بدلاً من (صفحة).

(٢) هما: (غليوس، يوليانوس).

انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٢.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من هـ.

(٤) ما بين النجمتين السابقتين ساقط من ك، وكذلك (وملك بعده) ساقط أيضاً.

(٥) (قيصر) ساقطة من هـ.

(٦) اسمه: (قلوديوس).

انظر: المصدر السابق ص ١١٤.

(٧) (ومات) ساقطة من ط، ك.

(٨) في نظم الجوهر (السمشاطي). وسبقت الإشارة إليه ٨٥/٤.

(٩) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.

وقال^(١): إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ولا نؤمن بالكلمة، ولا بروح القدس.

قال^(٢): وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة إنطاكية، ونظروا في مقالة «بولس» فأوجبوا على هذا الشمشاطي اللعن فلعنوه، ولعنوا من يقول مقالته وانصرفوا.

قال^(٣): وبعده ملك قيصر آخر ست^(٤) سنين، اسمه «أوراغوس قيصر»^(٥).

قال^(٦): وكان النصارى بالإسكندرية في أيامه يصلون في المطامير والبيوت فزعاً من الروم، ولم يكن يظهر بترك بالإسكندرية^(٧) لثلاث يقتلوهم.

فلما صار «نارون»^(٨) بطركاً، ظهر، ولم يزل يداري الروم حتى بنى بالإسكندرية كنيسة (حنا)^(٩) و (مار مريم)^(١٠) وملك بعده

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) في نظم الجواهر (خمس) بدلاً من (ست).

(٥) في نظم الجواهر: (أورلليوس) بدلاً من (أوراغوس).

(٦) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١١٤.

(٧) في هـ (الإسكندرية) بسقوط (ب).

(٨) في هـ (مارون) بدلاً من (نارون).

وهو: نارون قيصر رومية الذي ملك ثلاث عشرة سنة.

انظر: نظم الجواهر ص ٩٦.

(٩) كنيسة «حنا»: هي كنيسة مار يوحنا بناها بالإسكندرية ثاوفيلوس البطريك.

انظر: نظم الجواهر ص ١٤٩.

(١٠) في هـ (مريم) بدلاً من (مار مريم).

قيصران^(١)، ثم قيصر اسمه «فاروس»^(٢) وذلك في تسع سنين من ملك سابور^(٣) بن هرمز * وكان شديداً على النصارى، قتل الأخوين قزمان ودميان الشهيدين *^(٤) وملك بعده دقيطيانوس^(٥).

قال^(٦): فمن خراب طيطس لبيت المقدس إلى ملك دقيطيانوس مائتان وست سنين، ومن مولد سيدنا المسيح إلى دقيطيانوس مائتان وست وسبعون سنة، ومن الإسكندر إلى دقيطيانوس خمسمائة وخمس وتسعون^(٧) سنة ومن سبي بابل إلى دقيطيانوس ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة^(٨)، ومن داود إلى دقيطيانوس ألف وتسعمائة وإحدى وأربعون سنة^(٩).

قال^(١٠): وملك دقيطيانوس في إحدى عشرة سنة من ملك

كنيسة «مار مريم»: هي كنيسة مرتمريوم بالإسكندرية بناها ثاوفيلوس البطريك.

انظر: نظم الجواهر ص ١٤٩.

(١) وهما: (طاقسطوس، قورينوس).

انظر: نظم الجواهر ١/١١٥.

(٢) قبل (فاروس) هذا ملك قيصر اسمه (برونس).

انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: نظم الجواهر ص ١١٩.

(٤) ما بين النجمتين كتب في هـ، د (الأخوين على النصارى قبل قزمان ودميان الشهيدين).

(٥) في نظم الجواهر (ديوكليتيانوس).

(٦) انظر: نظم الجواهر ١/١١٥.

(٧) في هـ (وسبعون) بدلاً من (وتسعون).

(٨) في نظم الجواهر (ثمان مائة وثمان وخمسون سنة).

(٩) في نظم الجواهر (ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثون سنة).

(١٠) انظر: نظم الجواهر ١/١١٦.

سابور^(١) بن هرمز ملك الفرس، وملك معه اثنان^(٢)، تملكا على الروم إحدى وعشرين سنة، وهؤلاء أثاروا على النصارى بلاء عظيماً، وحزنناً طويلاً، وعذاباً أليماً، وشدة شديدة، تجل عن الوصف، من القتل، والعذاب، واستباحة الأموال واستشهدوا ألوفاً من الشهداء وعذبوا «ماري جرجس»^(٣) أصناف العذاب وقتلوه بفلسطين وقتلوا «ماري مينا»^(٤) و «ماري بقطر»^(٥) * و «أيتماخوس»^(٦) و «مركورس»^(٧) *^(٨) وغيرهما. قال: وفي عشر سنين من ملكهما صير «بطرس»^(٩) بطركاً على الإسكندرية فأقام^(١٠) عشر سنين، وقتل.

(١) انظر: نظم الجواهر ١١٩/١.

(٢) لم يذكر ابن البطريق أنه تملك مع هذا القيصر اثنان بل ذكر واحداً هو (مقسميانوس).

انظر: المصدر السابق.

(٣) ماري جرجس: قتل بفلسطين وهو من قبازوكية واسمه (مار جرجس).

انظر: نظم الجواهر ١١٦/١.

(٤) ماري مينا: اسمه (مارمينا).

انظر: المصدر السابق.

(٥) ماري بقطر: واسمه (مار بقطر).

انظر: المصدر السابق.

(٦) أيتماخوس: واسمه (أبيماخوس).

انظر: المصدر السابق.

(٧) مركورس: واسمه (مرقوريوس).

انظر: المصدر السابق.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك.

(٩) بطرس: بطريك الإسكندرية عشر سنين، ثم ضرب عنقه بالسيف.

انظر: نظم الجواهر ١١٦/١.

(١٠) في هـ ، ك (أقام) بسقوط (ف).

وفي عشرين سنة من ملكهما، ضرب عنق بطرس هذا البطرك بالإسكندرية.

قال: وكان لبطرس تلميذان، اسم أحدهما «أشلا»^(١) والآخر «الأكصندروس»^(٢)، وكان بالإسكندرية رجل يقال له «أوريوس»^(٣) يقول: إن الأب — وحده — الله الفرد، و«الابن» مخلوق مصنوع، وقد^(٤) كان «الأب» إذ لم يكن الابن.

فقال «بطرس» البطرك لتلميذه: إن المسيح لعن «أوريوس» فاحذروا أن تقبلوا قوله، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: يا سيدي، من شق ثوبك؟ فقال لي: أوريوس، فاحذروا أن تقبلوه ويدخل معكم الكنيسة كنيسة الله^(٥).

قال: وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير «أشلا» بطركاً على الإسكندرية، فأقام ستة أشهر ومات.

وكان «أوريوس» قد استعان على «أشلا» بأصدقائه فأورى^(٦) أنه قد رجع عن تلك المقالة، فقبله «أشلا» وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً.

(١) في نظم الجوهري: (أشبال).

هو: بطرك الإسكندرية بعد بطرس، أقام ستة أشهر ومات.

انظر: نظم الجوهري ١١٧/١.

(٢) في نظم الجوهري: (الأكسندرس).

هو: بطرك الإسكندرية بعد أشبال، أقام ستة عشرة سنة ومات.

انظر: نظم الجوهري ١٢٤/١.

(٣) سبقت ترجمته ص ٦١٩.

(٤) (قد) ساقطة من هـ.

(٥) انظر: نظم الجوهري ١١٦/١، ١١٧.

(٦) في نظم الجوهري: (وأوراه).

قال^(١): وأما «دقيطيانوس» الملك، فكان يطلب النصارى فيقتلهم.

فبينما هو يسير في طلبهم إذ بلغ إلى موضع يقال له «ملطية»^(٢) فصب الله عليه نقمته، فوقع في علل عظيمة، وأمراض عظيمة حتى ذاب جسمه، وكان الدود يتساقط من بدنه^(٣) إلى الأرض، وسقط لسانه من حنكه ومات.

وملك بعده قيصران، أحدهما المشرق والشام وأرض الروم، والآخر رومية ونحوها، وكان^(٤) أحدهما اسمه «علانيوس»^(٥) والآخر «مقصطيوس»^(٦) فكانا كالسباع الضارية على النصارى، وأثارا^(٧) عليهم البلاء والجلاء وما لا يصفه واصف، وفعلوا بهم ما لم يفعله أحد من الملوك قبلهم.

وملك معهما على بزنطية^(٨) وما والاها «قسطس»^(٩) أبو قسطنطين،

(١) انظر: نظم الجواهر ١١٧/١.

(٢) مدينة مشهورة بأرض الروم بها جبل فيه عين يخرج منها ماء عذب ضارب إلى البياض يشربه الإنسان لا يضره شيئاً فإذا جرى إلى مسافة يسير حجراً صلداً.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٦٤.

(٣) في هـ (بين يديه) بدلاً من (من بدنه).

(٤) (كان) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في نظم الجواهر (غلاريوس).

(٦) في هـ، ك (دقيطيوس) بدلاً من (مقصطيوس).

وفي نظم الجواهر (مكسنتوس).

(٧) في ط (وأثاروا) بدلاً من (وأثارا).

(٨) بزنطية: بيزنطة مدينة قديمة تقوم استانبول اليوم على موقعها، أسسها الإغريق (٦٥٨ق. م) وغدت سريعاً مركزاً تجارياً هاماً بسبب موقعها على مضيق البسفور.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٦٦.

(٩) قسطنطس: هو قسطنطس بن والتتيوس بن أرسيس بن ذاكبوس ابن كلوديوس الملك الذي =

وكان رجلاً ديناً مبغضاً للأصنام، محباً للنصارى.

فخرج «قسطس» إلى ناحية الجزيرة و«الرها»^(١)، فنزل في قرية من قرى الرها يقال لها «كفرجاث»^(٢) فنظر فيها امرأة حسنة جميلة يقال لها هيلانة، وكانت قد تنصرت على يدي أسقف الرها، وتعلمت قراءة الكتب.

وولدت هيلانة قسطنطين فتربى بـ «الرها» وتعلم حكم اليونانيين، وكان غلاماً حسن الوجه، قليل الشر، وديعاً محباً للحكمة.

وأما «علانيوس» فكان رجلاً وحشياً، شديد البأس، مبغضاً للنصارى جداً، كثير القتل لهم، محباً للنساء، ولم يترك للنصارى بنتاً بكرةً إلا أخذها وأفسدها وقتلها، وكذلك أصحابه، وهكذا كانوا يفعلون بالنصارى، وكان النصارى في شدة شديدة جداً معهم.

وبلغه خبر قسطنطين وأنه غلام هاد، قليل الشر، كثير العلم والخير.

وأخبره الحكماء الذين له والمنجمون أن «قسطنطين» سيملك ملكاً عظيماً، فهم بقتله.

كان برومية على عهد الحواريين، وهو زوج هيلانة أم قسطنطين — الملك.

انظر: نظم الجوهر ١٢٢/١.

(١) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، بها بنيت الكنيسة المعروفة بالرها التي بنتها هيلانة أم قسطنطين.

انظر: نظم الجوهر ١٣٠/١؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨١.

(٢) في هـ (كفرجات) بدلاً من (كفرجاث). وفي نظم الجوهر (كفرفار). وقد قال الحموي: كفرجديا: قرية من قرى الرها كانت ملكاً لولد هشام بن عبد الملك. وقيل من قرى حران.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٦٩/٤.

وعلم قسطنطين بذلك، فهرب من الرها، وذهب إلى مدينة «بزنطية» ووصل إلى أبيه «قسطس» فسلم إليه الملك.

وبعد قليل مات «قسطس» وصب الله على «علانيوس» الملك عللاً عظيمة، حتى تقطع لحمه وتهرأ^(١)، وبقي مطروحاً لا يقدر أحد أن يقترب منه.

فعجب الناس مما ناله، ورحمه أعداؤه مما حل به.

فرجع إلى نفسه وقال: لعل هذا الذي بي مما أقتل النصارى.

فكتب إلى جميع عماله أن يطلقوا النصارى من الحبوس، وأن يكرمهم ولا يؤذوهم، ويسألونهم أن يدعوا له في صلاتهم.

فصلى النصارى على الملك ودعوا له، فوهب الله له العافية ورجع إلى أفضل مما كان عليه من الصحة والقوة.

فلما صح وقوي، رجع إلى أشرم مما كان عليه من الردى.

وكتب إلى جميع عماله أن يقتلوا النصارى ولا يعيش في مملكته نصراني، ولا يسكنوا مدينة ولا قرية له.

فمن كثرة القتلى كانوا يحملون على العجل، ويرمون بهم في البحار والصحارى، وقتل «مارجرس»^(٢) وأخاه^(٣) بمدينة «قبادوقية»^(٤)

(١) في هـ (وانهرا) بدلاً من (وتهرأ).

(٢) انظر: نظم الجوهر ١١٦/١.

(٣) أخو «مارجرس» اسمه: مارمينا.

انظر: المصدر السابق.

(٤) لعلها قبادق، ولاية واسعة في بلاد الروم من مدنها: قونية، وملقونية، معجم البلدان

. ٣٠٣/٤

وهما من أهلها، وقتل «بربارة»^(١)، وذكر حرباً جرت بينه وبين سابور،
لما تنكر سابور، وجاء إليه متنكراً وعرفه^(٢).

قال: وأما مقسطيوس، فكان شريراً على أهل «رومية» واستعبد كل
من كان برومية وخاصة النصارى، فكان ينهب أموالهم، ويقتل رجالهم
ونساءهم وصبيانهم.

فلما سمع أهل رومية بملك «قسطنطين» وأنه مبغض للشر، محب
للخير، وأن أهل مملكته^(٣) معه في هدوء وسلامة، كتب رؤساء رومية
إلى قسطنطين يسألونه ويطلبون إليه أن يخلصهم من عبودية «مقسطيوس»
عدو الله.

فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً، وبقي متحيراً، ولا يدري كيف
يصنع.

فبينما هو متفكر، إذ ظهر له من نصف النهار في السماء صليب
من كواكب تضيء مكتوباً حوله (بهذا تغلب).

فقال لأصحابه: رأيتم ما رأيتم؟ قالوا: نعم.

فآمن من ذلك الوقت بالنصرانية، وذلك لست سنين من بعد موت
أبيه^(٤).

(١) انظر: نظم الجواهر ١١٨/١.

(٢) المقصود هنا هو ما ذكره ابن البطريق مما حصل بين سابور بن هرمز، والقيصر
مكسيميانوس.

انظر: نظم الجواهر ص ١١٩ - ١٢١.

(٣) في هـ (مملكته سالحة) بزيادة (سالحة).

(٤) هو: قسطنطس، وسبقت ترجمته ٢٠٩/٤.

انظر: نظم الجواهر ١٢١/١.

فتجهز قسطنطين، واستعد لمحاربة مقسطيوس ملك رومية، وعمل صليباً كبيراً من ذهب، وصيره على رأس البند، * وخرج يريد مقسطيوس.

فلما سمع مقسطيوس، أن قسطنطين قد وافاه لمحاربته، استعد لحربه، وعقد جسراً على النهر^(١) الذي قدام رومية *^(٢) وخرج مع^(٣) جميع أصحابه يحارب قسطنطين^(٤).

فأعطى قسطنطين النصره عليه، فقتل من أصحاب مقسطيوس مقتلة عظيمة، وهرب مقسطيوس، وغرق هو وأصحابه حتى امتلأ البحر - وهو النهر الذي عند رومية - غرقى وقتلى.

وخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وكل أنواع اللهو واللعب، فلقوا قسطنطين وفرحوا فرحاً عظيماً.

فلما دخل المدينة أمر أن تدفن أجساد النصارى الشهداء المصاليب وكل من كان من النصارى هرب أو نفاه مقسطيوس يرجع إلى بلده * وموضعه ومن أخذ له شيء رد إليه *^(٥).

وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب^(٦) ويفرحون.

فلما سمع الخبر «علانيوس» جمع ما قدر عليه وتجهز لقتال قسطنطين.

(١) انظر: نظم الجواهر ص ١٢١.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك.

(٣) في هـ ، ك (معه) بدلاً من (مع).

(٤) في هـ (مقسطيوس) بدلاً من (قسطنطين).

(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك.

(٦) في هـ ، ك (والصليب) بدلاً من (وللصليب).

فلما عاينه، انهزموا من بين يديه وأخذهم بالسيف، وقتل منهم مقتلة عظيمة ومنهم من أسر، ومنهم من استأمن.

وأفلت علانيوس عرياناً فلم يزل يتقوى موضعاً موضعاً حتى وافى^(١) مدينته فجمع الكهنة^(٢) والسحرة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم، فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين.

وصب^(٣) الله على علانيوس ناراً في جوفه حتى كانت أحشاؤه تتقطع من الحر الذي كان يجده في جوفه، وسقط على الأرض وتهرأ لحمه على عظمه ومات^(٤).

وملك قسطنطين الدنيا في هدوء وسلامة، وذلك في إحدى وأربعين سنة من ملك «سابور» بن هرمز، ملك الفرس.

قال^(٥): وتنصر قسطنطين في مدينة يقال لها (نيقوميديا)^(٦) وذلك في اثني عشرة سنة من ملكه، وأمر ببناء الكنائس في كل بلد، وأن يخرج من بيت المال الخراج مما يعمل به أبنية الكنائس.

(١) في هـ (وافق) بدلاً من (وافى).

(٢) في هـ (كهنة إليه) بدلاً من (الكهنة).

(٣) في ط (وصير).

(٤) في ك (ومات وأهلكه الله تعالى).

(٥) انظر: تاريخ ابن البطريق ص ١٢٣.

(٦) في ط (فيقوميديا) بدلاً من (نيقوميديا).

وهي مدينة قديمة شمال غرب آسيا الصغرى على موقعها اليوم مدينة (أزميت) التركية أعاد تأسيسها نيقوميدس الأول سنة ٢٦٤ ق. م، ودمرها القوط سنة ٢٥٨ ق. م واختارها دقلديانوس عاصمة شرقية، واحتلت القسطنطينية مكانها.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٧.

قال^(١): وفي خمس سنين من ملكه، صير «الألكسندروس» بطريكاً^(٢) على الإسكندرية، وهو تلميذ بطركها بطرس الذي قتل، وهو رفيق «أشلا» فأقام^(٣) ست عشرة سنة، وفي خمس عشرة سنة من رياسته، كان المجمع^(٤) بمدينة «نيقية»^(٥) الذي ربت فيها الأمانة الأرثوذكسية^(٦).

فمنع الألكسندروس بترك الإسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه وقال: إن أريوس ملعون، لأن بطرس البترك قبل أن يستشهد قال لنا: إن الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة.

وكان على مدينة «أسيوط»^(٧) من عمل مصر، أسقف يرى رأي أريوس فلعنه أيضاً.

وكان بالإسكندرية هيكل عظيم كانت «كلاوبطرة»^(٨) الملكة بنته

(١) انظر: نظم الجوهر ١/ ١٢٤.

(٢) في ك، هـ (بطركاً) بدلاً من (بطريكاً).

(٣) في ك، هـ (أقام) بدلاً من (فأقام).

(٤) مجمع نيقية: كان سنة ٣٢٥م عقد النصارى المجمع المسكوني العالمي الأول وأصدر قانون الإيمان العام.

انظر: أقانيم النصارى ص ٥٩ - د. أحمد حجازي السقا - دار الأنصار.
(٥) سبق التعريف بها.

(٦) في ط (الأرثوذكسية) بدلاً من (الأرثوذكسية).

(٧) أسيوط: مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد، كثيرة الخيرات عجيبة المنتزهات وهي أكبر مدن الصعيد وعاصمة محافظة أسيوط، لما صورت الدنيا للرشيد لم يستحسن غير كورة أسيوط، بها خمس وسبعون كنيسة للنصارى.

انظر: معجم البلدان ١/ ١٩٣؛ آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٧؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١٦٤.

(٨) كلاوبطرة: هي كليوبطرة السابعة ابنة بطليموس الثاني عشر، تزوجت أخاها بطليموس الثالث عشر، وارتقى العرش سوياً بمقتضى وصية أبيهما سنة ٥١ ق. م =

على اسم زحل^(١)، وكان فيه صنم من نحاس عظيم يسمى «ميكائيل» وكان أهل الإسكندرية ومصر في اثني عشر يوماً في شهر «هتور»^(٢) وهو «تشرين الثاني» يعيدون لذلك الصنم عيداً عظيماً، ويذبحون الذبائح الكثيرة.

فلما صار هذا بطركاً على الإسكندرية وظهرت النصرانية، أراد أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح.

فامتنع عليه أهل الاسكندرية، فاحتال لهم بأن قال: إن هذا صنم لا منفعة فيه ولا مضرة، فلو صيرتم العيد لميكائيل الملاك، وجعلتم هذه الذبائح له، كان أنفع لكم عند الله، وكان خيراً لكم من هذا الصنم فأجابوه إلى ذلك.

فكسر الصنم، وأصلح منه صليباً وسمى الهيكل «كنيسة ميكائيل» [وهي الكنيسة التي تسمى قيسارية، احترقت بالنار وقت موافاة الجيوش من المغاربة القرامطة^(٣)، مع المسمى

كانت سيدة شجاعة واسعة الثقافة والأطماع قوية الإرادة، سيرتها استرعت انتباه أجيال من الكتاب والشعراء لأنها أثرت الموت على حياة الذل وانتحرت في النهاية، وهي التي بنت هيكلًا عظيمًا وأسمته هيكل زحل.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٧٧؛ ونظم الجوهر ٨٦/١ - ٨٨.

(١) زحل: أحد الكواكب الكبرى - ترتيبه السادس من الشمس - يبلغ حجمه ٧٣٤ مرة حجم الأرض - وكتلته ٩٤,٩ مرة قدر كتلتها - وكتافته $\frac{1}{8}$ كثافتها.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٩٢١.

(٢) هتور: هو الشهر الثالث من التقويم القبطي يتبع النظام المصري القديم، والسنة القبطية تبدأ من - توت، باب، هاتور... إلخ، والشهر ثلاثون يوماً يليها خمسة أوسنة أيام تسمى بالنسيء...

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٣٩.

(٣) القرامطة: هم أصحاب أبي سعيد بن بهرام الجنابي القائم بالبحرين صاحب مذهب القرامطة، كانوا يقولون بنوة عبد الله بن الحارث الكندي، ويعبدونه،

أبو عبيد الله^(١)، وكان معه أمير من أصحابه يسمى حباسة^(٢)، وذلك في خلافة المعتضد بالله^(٣).

وكان عامله على مصريومند، مولاه المعروف «بتكين الحاجب»^(٤)، رجل تركي فنفر إلى المغاربة، وجاءه مدد من الشرق مع الخادم الملقب «مونس»^(٥) الأستاذ.

وعبادتهم له تدل على أنهم اعتقدوه بعد النبوة إلهاً، وفرض عليهم سبع عشرة صلاة لنفسه في اليوم والليلة في كل صلاة ١٥ ركعة وكان يقول بالتناسخ وقد اختلفوا فيما بينهم.

انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٦.

(١) أبو عبيد الله: هو أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب أول وزير للمعتضد بالله مات سنة ٢٢٨ هـ.

انظر: تاريخ الأمم الإسلامية ٣١٥/٢.

(٢) حباسة: وجدنا في شذرات الذهب (في سنة ٣٠٢ هـ عاد المهدي ونائبه حباسة إلى الإسكندرية فتمت وقعة كبيرة قتل فيها حباسة، فرد المهدي إلى القيروان) ٢٣٨/٢ ولم نجد ذكراً لحباسة في سوى ذلك.

(٣) المعتضد بالله: أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم تولى الخلافة بعد المعتضد على الله سنة ٢٧٩ هـ وعمره ٣٧ سنة، قوي القلب جريئاً شجاعاً مهيباً وافر العقل ظاهر الجبروت، من أهم إصلاحاته ما يعرف بالتاريخ المعتضدي وإسقاط المكوس، توفي ببغداد ٢٨٩ هـ.

انظر: تاريخ بغداد ٤٠٣/٤؛ والبداءة والنهاية ٨٦/١١؛ وفوات الوفيات ٧٢/١؛ وشذرات الذهب ١٩٩/٢.

(٤) لعله سبكتكين الحاجب التركي مولى المعز الديلمي وحاجبه، قلده الطائع الإمارة واعطاه اللواء ولقبه بنور الدولة، مات سنة ٣٦٤ هـ.

انظر: البداءة والنهاية ص ٢٨٢/١١.

(٥) مونس الأستاذ: الملقب بالمظفر المعتضدي أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك وكان من خدم المعتضد العباسي وكان أبيضاً فارساً شجاعاً من الساسة الدهاء ولد سنة ٢٣١ هـ وبقي ستين سنة أميراً وندب لحرب المغاربة العبيديين وولى دمشق =

فهرب منه أبو عبيد الله وحباسة وجنودهما^(١)، وصير العيد لميكايل الملك والذبائح .

وإلى اليوم القبط بمصر والإسكندرية يعيدون في هذا اليوم عيد ميكايل الملك، ويذبحون فيه الذبائح الكثيرة، وكذلك الملكية يعيدون في هذا اليوم عيد ميكايل الملك، وصار رسماً إلى اليوم .

قال: فلما منع بترك الإسكندرية «أريوس» من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعداً عليه ومعه أسقفان^(٢)، فاستغاثوا إلى قسطنطين الملك .

وقال: أريوس: إنه تعدى علي وأخرجني من الكنيسة ظلماً .

وسأل الملك أن يشخص «الأكصندروس» بطرك الإسكندرية لينظره قدام الملك :

فوجه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية فأشخص البطرک، وجمع بينه وبين «أريوس» لينظره فقال قسطنطين لأريوس: اشرح مقالتك .

للمقتدر وقد تمرد عليه فلما تولى الخليفة القاهر بالله وقتل مؤنساً وذلك سنة ٣٢١ هـ .

انظر: البداية والنهاية ١١/١٦٣ - ١٧٣؛ والنجوم الزاهرة ٣/٢٣٩؛ والأعلام للزركلي ٨/٢٩٢ .

(١) ما بين القوسين المربعين في الصفحة السابقة وهذه الصفحة. هو من كلام ابن تيمية ولكن لم يفرق بينه وبين كلام ابن البطريق في جميع النسخ، حتى ط .

(٢) أحدهما يسمى (أورمانوس) أسقف مدينة نيقوميديا .

والآخر يسمى (أوسابيوس) أسقف مدينة فيلا .

انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٢٥ .

قال أريوس: أقول: إن الأب كان إذ لم يكن الابن، ثم الله^(١) أحدث الابن، فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى «كلمة» فكان هو خالق السماوات والأرض وما بينهما كما قال في إنجيله، إذ يقول: «وهب لي سلطاناً على السماء والأرض»^(٢) فكان^(٣) هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك.

ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس، فصار ذلك مسيحاً واحداً.

فالمسيح الآن معنيان - كلمة و- جسد، إلا أنهما جميعاً مخلوقان.

قال^(٤): فأجابه عند ذلك بطرك الإسكندرية وقال: تخبرنا الآن أيما^(٥) أوجب علينا عندك، عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟ قال أريوس: بل عبادة من خلقنا.

قال له البطرك: فإن كان خالقنا الابن كما وصفت، وكان «الابن» مخلوقاً، فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بخالق، بل تصير عبادة الأب الخالق للابن كفرًا، وعبادة الابن المخلوق إيمانًا، وذلك من أقبح الأقاويل.

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البطرك، وشنع عندهم

(١) في هـ (أنه) بدلاً من (الله).

(٢) في تاريخ ابن البطريق (قد أعطيت كل سلطان على السماوات والأرض). انظر ١٢٥/٢.

(٣) في هـ (وكان) بدلاً من (فكان).

(٤) انظر: تاريخ ابن البطريق ١٢٥/١.

(٥) في نظم الجواهر (أيهما).

مقالة أريوس، ودار بينهما أيضاً مسائل كثيرة.

فأمر قسطنطين البطررك الأكصندروس أن يلعن «أريوس» وكل من قال بمقالته.

فقال له: بل يوجه الملك فيشخص البطارقة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع، ونضع فيه قضية، ونلعن أريوس، ونشرح الدين ونوضحه للناس.

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان، فجمع البطارقة والأساقفة فاجتمع في مدينة «نيقية» بعد سنة وشهرين، ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً^(١) وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلهان من دون الله، وهم المريمانية^(٢)، ويسمون المريميين.

(١) هو مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥.

وسببه اشتداد الخلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعد مسافات الخلاف تباعداً شديداً لا يمكن أن يكون معه وفاق.

والخلاف دار حول شخص المسيح... أهو رسول من عند الله فقط...؟ أم له صلة بالله أكبر من رسول؟

وجاءت على إثر ذلك مقالة أريوس: إن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذا لم يكن الابن.

وانعقد المجمع على إثر ذلك وتدخل قسطنطين - إمبراطور الرومان - واجتمعوا في نيقية وكان عددهم ٢٠٤٨ من الأساقفة وأجمعوا على لعن أريوس.

انظر: محاضرات في النصرانية للإمام محمد أبوزهرة ص ٢١ - ٢٤.

(٢) هذه الفرقة يطلق عليها البربرانية ويسمون المريميين.

انظر: جـ نظم الجواهر ١/١٢٦.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب، بمنزلة شعلة نار
تعلقت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية منها، وهي مقالة
«سبارينون»^(١) وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: لم تحبل مريم لتسعة أشهر، وإنما مر نور
في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب، لأن «كلمة الله» دخلت من
أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة «ألبان»^(٢)
وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت،
كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون
مخلصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه المحبة
والمشيئة، فلذلك سمي «ابن الله» ويقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم
واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بروح القدس،
وهي مقالة «بولص الشمشاطي» بطرك إنطاكية وأشياعه، وهم
البوليانيون^(٣).

ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة، لم يزل صالح وطالح وعدل
بينهما، وهي مقالة «مريقون»^(٤) وأشياعه.

(١) في نظم الجوهر (سابليوس).

انظر: نظم الجوهر ص ١٢٦.

(٢) ألبان: (ألبان وأشياعه).

انظر: نظم الجوهر ص ١٢٦.

(٣) البوليانيون: سبقت الإشارة ٨٥/٤.

(٤) انظر: نظم الجوهر ١٢٦/١.

وزعموا أن «مريقيون» رئيس الحواريين، وأنكروا «بطرس»^(١) السليح.

ومنهم من كان يقول: ربنا هو المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً.

قال^(٢): فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم، عجب من ذلك وأخلى لهم داراً، وتقدم لهم بالإكرام والضيافة، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه.

فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد، ورأى واحد، فناظروا بقية الأساقفة المختلفين فأفلجوا عليهم حججهم وأظهروا الدين المستقيم، وكان أيضاً باقي الأساقفة مختلفي الأديان والآراء.

وصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً، مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطه، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيه فدفعها إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين.

فباركوا على الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه.

(١) بطرس السليح: اسم يوناني معناه «صخرة أو حجر»، وكان هذا الرسول يسمى أولاً سمعان بن يونا من بيت صيدا، وقد سماه المسيح بهذا الاسم وهو أحد الحواريين الاثنا عشر وكان صياداً ورأس الكنيسة في مهدها، وأقام في أنطاكية ثم نزع إلى روما داعياً، واستشهد هناك له كنيسة باسمه بنيت سنة ٣٢٦م ثم جددت في القرن ١٥. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٤؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ٣٧٨؛ وإنجيل يوحنا - الإصحاح الأول - فقرة ٤٠، ٤١.

(٢) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٦.

ووضعوا له أربعين كتاباً، فيها السنن والشرائع، وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها.

وكان رئيس المجمع والمقدم فيه الأكصندروس بطريرك الإسكندرية، وبطرك^(١) الإنطاكية، وأسقف بيت المقدس^(٢).

ووجه بطرك رومية^(٣) من عنده رجلين^(٤)، فاتفقوا على نفي «أريوس» وأصحابه ولعنوهم، وكل من قال مقالته، ووضعوا الأمانة^(٥) وثبتوا أن الابن مولود من الأب قبل كل الخلائق، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق.

واتفقوا على أن يكون فصح النصارى في يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصح النصارى في يوم واحد، وثبتوا ما وضعه من^(٦) تقدم ذكره من حساب الصوم والفصح،

(١) اسمه (أسطاط).

انظر: نظم الجواهر ١٢٧/١.

(٢) اسمه (مقاريوس).

انظر: المصدر السابق.

(٣) اسمه (سليطرس).

انظر: المصدر السابق.

(٤) قسيسان، أحدهما يسمى (بقر)، والآخر (فيكتيوس).

انظر: المصدر السابق.

(٥) سبقت الإشارة إليها ٢٢٠/٤.

(٦) «من» هنا اسم موصول يقصد بها الذين وضعوا هذه الأمور المذكورة، وهم كما ذكر

ابن البطريق:

أ - بطريرك الإسكندرية (الأكصندروس)، (ديمترىوس).

ب - أسقف بيت المقدس (غايانوس).

ج - بطريرك إنطاكية (مقسيموس) وبطرك رومية (بقر).

انظر: المصدر السابق.

وأن يكون فطر النصارى يوم فصحهم يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود.

لأن النصارى — كما قلنا من قبل — كانوا إذا عيدوا عيد الحميم — وهو عيد الغطاس — صاموا من الغد أربعين يوماً ويفطرون.

فإذا كان عيد اليهود عيدوا معهم الفصح، فصيروا يوم الفصح للفطر، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الحواريين إلى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء، لأنه كان إذا اختير واحد أسقفًا، وكانت له زوجة، تبيت معه ولم تنتح عنه، ما خلا البطارقة، فإنه لم تكن لهم نساء ولا كانوا — أيضاً — يصيرون أحداً بطركاً له زوجة.

قال^(١): وانصرفوا مكرمين^(٢) محظوظين، وذلك في سبع عشرة^(٣) سنة من ملك «قسطنطين».

قال^(٤): وسن قسطنطين الملك ثلاث سنن:

أحدها: كسر الأصنام وقتل كل من يعبدها.

والثانية: أن لا يثبت في الديوان إلا أولاد النصارى، ويكونون أمراء وقواد.

(١) انظر: نظم الجواهر ١/١٢٨.

(٢) الذين انصرفوا مكرمين هم: أعضاء مجمع نيقية وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر.

انظر: المصدر السابق.

(٣) في نظم الجواهر: (تسع عشرة سنة).

انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

والثالثة: أن يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها، لا يعملون فيها عملاً، ولا يكون فيها حرب.

قال^(١): وتقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب، ويبنى الكنائس، ويبدأ ببناء القيامة^(٢) المقدسة.

فقلت «هيلانة» أم قسطنطين للملك^(٣): إني نذرت أن أصير إلى بيت المقدس، فأطلب المواضع المقدسة فأبنيها، فدفع الملك إليها أموالاً كثيرة جزيلة.

وسارت إلى بيت المقدس مع أسقف بيت المقدس، فلما وصلت، لم يكن لها حرص ولا همة، إلا طلب الصليب.

فجمعت اليهود والسكان في بيت المقدس، واختارت منهم عشرة، ومن العشرة ثلاثة، كان واحد منهم يقال له «يهوذا» فسألته أن يدلوها على موضع الصليب، فامتنعوا وقالوا: ليس عندنا علم منه ولا خبرة بالموضع.

فأمرت بهم فطرحتهم في جب ليس فيه ماء، فأقاموا سبعة أيام لم يطعموا ولم يسقوا، فقال أحدهم - الذي اسمه يهوذا - لصاحبيه: إن أباه عرفه بالموضع الذي تطلب هذه المرأة، وإن جده عرف أباه. فصاح الاثنان من الجب: أخرجونا حتى نعلم الملكة بحال هذا الرجل.

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١٢٩.

(٢) في ط (القيامة) بدلاً من (القيامة).

(٣) في ط (الملك) بدلاً من (الملك).

فأخرجوهم، فأخبروا الملكة بما قال لهما «يهوذا» فأمرت بضربه بالسياط، فأقر أنه يعرف الموضع، فخرج حتى جاء إلى الموضع الذي فيه المقبرة والأقرايون، وكانت مزبلة عظيمة هناك، فصلى وقال: اللّهم إن كان في هذا الموضع المقبرة، فأسألك أن تزلزل المكان، وتخرج منه دخاناً حتى نؤمن^(١)، فزلزل الموضع وخرج منه دخان كما سأل فأمن.

فأمرت «هيلانة» بكنس الموضع من التراب، فظهرت المقبرة والأقرايون، ووجد ثلاثة صلبان، قالت «هيلانة»: كيف لنا أن نعلم بصليب^(٢) السيد المسيح؟ وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة، قد يئس منه، فوضع الصليب الأول عليه، والثاني والثالث، فقام المريض وليس به شيء يكره.

فعلمت «هيلانة» أنه الصليب الذي لسيدنا المسيح، فجعلته في غلاف من ذهب، وحملته معها، وجملته بما تقدر عليه، وأظهرت كل ما كان مدفوناً من آثار سيدنا المسيح، وحملته إلى ابنها «قسطنطين» وبنت كنيسة القيامة^(٣) في موضع الصليب والأقرايون وكنيسة قسطنطين وانصرفت وأمرت أسقف بيت المقدس أن يبنى باقي الكنائس، وذلك في اثنين وعشرين سنة^(٤) من ملك قسطنطين.

قال^(٥): فمن ميلاد سيدنا المسيح إلى أن وجد الصليب، ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنة، وذكر^(٦) أنه بعد هذا اجتمعوا بمجمع عظيم ببيت

(١) في ط، ك (يؤمن) بدلاً من (نؤمن).

(٢) في ط (بصلب) بدلاً من (بصليب).

(٣) في ط (القيامة) بدلاً من (القيامة).

(٤) (سنة) ساقطة من هـ، ك.

(٥) انظر: نظم الجوهر ١٣٠/١.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ١٣١.

وكان معهم رجل قد دسه بطرك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بطرك الإسكندرية، وكان هذا الرجل لما رجع إلى الملك أظهر أنه مخالف لأريوس، وكان يرى رأيه ويقول بمقالته. فقام هذا الرجل واسمه «مانئوس»^(٢) فقال: إن أريوس لم يقل إن المسيح خلق الأشياء، ولكن قال به خلقت الأشياء، لأن «كلمة الله» التي بها خلق السماوات والأرض وإنما خلق الله الأشياء بكلمته، ولم تخلق الأشياء كلمته، كما قال سيدنا المسيح في الإنجيل المقدس: «كل بيده كان، ومن دونه لم يكن شيء» فقال: به كانت الحياة، والحياة نور البشر، وقال: في هذا العالم والعالم به تكون، فأخبر أن الأشياء به تكونت ولم يخبر أنها كانت له. قال: فهذه كانت مقالة «أريوس». ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وظلموه وحرموه ظلماً وعدواناً.

فرد عليه بطرك الإسكندرية وقال: أما أريوس فلم يكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه، لأنه إنما قال: إن «الابن» خالق الأشياء دون الأب.

وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الأب لها خالقاً فقد يجب أن يكون ما خلق منها شيئاً، وفي ذلك تكذيب للمسيح، قوله: «الأب يخلق وأنا أخلق»^(٣) وقال: «إن أنا لم أعمل عمل أبي

(١) هذا هو المجمع الثالث ببيت المقدس سنة ٣٢٨ م.

(٢) اسمه (أثناسيوس).

انظر: نظم الجواهر ١/١٣١.

(٣) في إنجيل متى - الإصحاح الخامس: (٢١) - لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء.

انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

فلا تصدقوني»^(١)، وقال: «كما أن الأب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته»^(٢).

فدل على أنه يحيي ويخلق، وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق، وإنما خلقت به دون أن يكون خالقاً له. وأما قولك: إن الأشياء كونت به، فإنما كنا لا نشك أن المسيح حي فعال، وكان قد دل بقوله: (إنما^(٣) أفعال الخلق والحياة)^(٤)، كان قولك: «به كونت الأشياء»، إنما هو راجع في المعنى إلى أنه كونها فكانت به^(٥) مكونة، ولو لم يكن ذلك كذلك لتناقض القولان.

قال^(٦): ورد عليه أيضاً فقال: «أما قول من قال من أصحاب أريوس إن الأب يريد الشيء فيكونه الابن، والإرادة للأب، والتكوين للابن»، فإن ذلك يفسد أيضاً، إذ كان الابن عنده مخلوقاً فقد صار حظ المخلوق في الخلق أوفى من حظ الخالق فيه، وذلك أن هذا أراد وفعل، وذاك أراد ولم يفعل، فهذا أوفر حظاً في فعله من ذاك، ولا بد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك، بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه في الجبر والاختيار، فإن كان

(١) في إنجيل يوحنا - الإصحاح العاشر: (٣٧) - إن كنت لست أعمل عمل أبي فلا تؤمنوا بي).

انظر: العهد الجديد ص ١٦٧.

(٢) في إنجيل متى - الإصحاح الخامس: (٢١) - لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء).

انظر: العهد الجديد ص ١٥٤.

(٣) في هـ (إنني) بدلاً من (إنما).

(٤) لم نعثر على هذا النص في العهد الجديد، لا منسوباً للمسيح ولا لغيره.

(٥) (به) ساقطة من هـ.

(٦) انظر: نظم الظواهر ١٣٢/١.

مجهولاً فلا شيء له في الفعل، وإن كان مختاراً فجائز أن يطاع، وجائز أن يعصى وجائز أن يثاب، وجائز أن يعاقب، وهذا أشنع في القول.

قال^(١): ورد عليه أيضاً وقال: إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق فالمخلوق غير الخالق بلا شك، فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره، والفاعل بغيره محتاج إلى متمم ليفعل به، إذ كان لا يتم له الفعل إلا به، والمحتاج إلى غيره منقوص، والخالق يتعالى عن هذا كله.

قال: فلما دحض بطرك الإسكندرية^(٢) حجج أولئك المخالفين، وظهر لمن حضر بطلان قولهم، تحيروا وخجلوا، فوثبوا على بطرك الإسكندرية فضربوه حتى كاد أن يقتل، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين، وهرب بطرك الإسكندرية^(٣) المحتج على أصحاب «أريوس» وصار إلى بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة. ثم أصلح دهن «الميرون»^(٤) وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار إلى الملك فأعلمه بالخبر فصرفه الملك إلى الإسكندرية.



(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) (بطرك الإسكندرية) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (إسكندرية) بسقوط (ال).

(٤) دهن الميرون: هي مركبات من الدهون لها رائحة عطرية بسبب ما يضاف إليها، وتكون جامدة أو مائعة.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة.

فصل

قال^(١): وأمر الملك أن لا يسكن يهودي بيت المقدس ولا يجوز بها، ومن لم يتنصر يقتل، فتنصر من اليهود خلق كثير، وظهر دين النصرانية.

فقليل لقسطنطين الملك: إن اليهود يتنصرون من فزع القتل، وهم على دينهم، قال الملك: كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟ قال بولس البترك^(٢): إن الخنزير في التوراة حرام، واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، فأمر أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتطعمهم منها، فمن لم يأكل منه علمنا أنه مقيم على دين اليهودية.

فقال الملك: إذا كان الخنزير في التوراة حراماً، فكيف يجوز لنا أن نأكل لحم الخنزير ونطعمه الناس؟ فقال له بولس البترك: إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما في التوراة وجاء بناموس آخر وبتوراة جديدة، وهو الإنجيل، وفي إنجيله المقدس (أن كل ما يدخل البطن ليس بحرام ولا بنجس، وإنما ينجس الإنسان الذي يخرج من فيه)^(٣).

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٣.

(٢) بولس: هو بطريك القسطنطينية مكان (أوصابيوس).

انظر: نظم الجوهر ص ١٣٢.

(٣) في إنجيل متى - الإصحاح الخامس عشر (أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى الخارج وما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذلك ينجس الإنسان * لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل وزنى وفسق وسرقة وشهادة زور وتجديف).

وقال بولس الرسول في رسالته إلى أهل مدينة فورينوس^(١) الأولى^(٢) : (الطعام للبطن آله لها، والبطن للطعام، وله يلعن)^(٣)، ومكتوب في الإبركسس - يعني أخبار الحواريين - أن بطرس رئيس الحواريين كان في مدينة «يافا»^(٤) في منزل رجل دباغ يقال له «سيمون»^(٥) وأنه صعد إلى المنزل ليصلي وقت ست ساعات من النهار، فوقع عليه سبات فنظر إلى السماء قد تفتحت، وإذا إزار قد نزل من السماء حتى بلغ الأرض.

وفيه: كل ذي أربع قوائم على الأرض من السباع والذئاب وغير ذلك من طير السماء. وسمع صوتاً يقول له: يا بطرس، قم فاذبح وكل، فقال بطرس: يا رب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا * وسخاً قط. فجاء

انظر: العهد الجديد ص ٢٨٠؛ وإنجيل مرقس - الإصحاح السابع ص ٦٨.

(١) (إلى أهل مدينة فورينوس) ساقطة من: ه، ك.

(٢) في ه، ك (لما ولي) بدلاً من (الأولى).

(٣) (آله لها، والبطن للطعام، وله يلعن) ساقطة من ه، ك.

وقد وجدنا في رسالة بولس إلى أهل كورنتوس - الإصحاح السادس

(١٣) - الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك).

انظر العهد الجديد ص ٢٧٤.

(٤) يافا: تقع غرب فلسطين على البحر المتوسط وهي ثغر بيت المقدس تبادلها الكابيون

والسوريون - وقد سميت عند قدماء المصريين (يابو) - وغالبية سكانها من العرب

إلى عام ١٩٤٨م حينما وقعت في أيدي اليهود.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٧٧.

(٥) سيمون: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ

(سمعان)، وكان يدهش شعب السامرة بسحره ورأى سيمون المعجزات التي تجري

على يد فيلبس فأيقن أنها تجري بقوة أعظم من سحره واعتمد ولازم فيلبس، وكان

له أتباع يقال لهم السيمونيون.

انظر: العهد الجديد - الإصحاح الثامن - أعمال الرسل ٩/٣٠٣؛ وقاموس الكتاب

المقدس ص ٤٩٧.

صوت ثانٍ: كل ما طهره الله فليس بنجس*^(١)، وفي نسخة أخرى:
ما طهره الله فلا تنجسه أنت.

ثم جاء الصوت بهذا ثلاث مرات، ثم إن الإزار ارتفع إلى
السماء، فعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه^(٢).

فبهذا المنظر وبما قال سيدنا المسيح في إنجيله المقدس أمر
بطرس وبولس أن يأكل كل ذي أربع قوائم من الخنزير وغيره من جميع
الحيوان حلالاً لنا.

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها، وتقطع صغاراً
صغاراً، وتصير على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح،
وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير، فمن لم يأكل
منه يقتل، فقتل لأجل ذلك خلق كثير.

(١) ما بين النجمتين ساقط من ك.

(٢) في سفر أعمال الرسل - الإصحاح العاشر (ثم فيما هم يسافرون ويقتربون إلى
المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة * فجاء كثيراً واشتهى
أن يأكل بينما هم يهينون له وقعت عليه غيبة * فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلاً عليه مثل
ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض * وكان فيها كل دواب
والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار إليه صورة قم يا بطرس اذبح وكل).
انظر: العهد الجديد ص ٢٠٧.

وتكملة للمطلوب:

(فقال بطرس: كلا يا رب لأنني لم أكل قط شيئاً دنساً أو نجساً * فصار إليه أيضاً
صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت * وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء
أيضاً إلى السماء).

انظر: المصدر السابق ص ٢٠٧، ٢٠٨؛ أعمال الرسل - الإصحاح ١١١،
ص ٢١٠.

قال سعيد^(١): وكان لقسطنطين ثلاثة أولاد، أكبرهم قسطنطين^(٢) بن قسطنطين، وذلك حين ملك أزدشير^(٣) بن سابور بن هرمز على الفرس، وملك بعده سابور^(٤) بن سابور لخمس سنين من ملك قسطنطين.

قال^(٥): وفي ذلك العصر اجتمع أصحاب «أريوس» وكل من قال بمقالته إلى الملك قسطنطين، فحملوا له دينهم ومقاتلهم، وقالوا: إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم: إن الابن متفق مع الأب في الجوهر. فتأمر أن لا يقال هذا، فإنه خطأ. فأراد الملك أن يفعل ذلك.

قال^(٦): وفي ذلك العصر ظهر على الأقرانيون - وهو النجلجلة - نصف النهار صليب من نور، من الأرض إلى السماء يفوق ضوؤه ضوء الشمس، فكان يبلغ إلى طور زيتا^(٧)، فرأى ذلك كل من كان في بيت المقدس من كبير وصغير.

(١) يعني: سعيد بن البطريق.

انظر: نظم الجوهر ص ١٣٤.

(٢) والثاني اسمه (قسطس) والثالث اسمه (قطنتيوس).

انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٥.

(٤) انظر: نظم الجوهر ص ١٣٥.

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: نظم الجوهر ١/١٣٥.

(٧) طور زيتا: الجزء الثاني بلفظ الزيت من الأدهان، وفي آخره ألف. علم مرتجل لجبل يقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر، ولذلك سمي طور زيتا، وقد مات فيه سبعون ألف نبي قتلهم الجوع والعري والقمل.

انظر: معجم البلدان ٤/٤٨.

فكتب أسقف بيت المقدس^(١) إلى قسطنطين بن قسطنطين بالخبر وقال: في أيام أبيك السعيد ظهر صليب كواكب من السماء في نصف النهار، وفي أيامك ظهر أيها الملك على الأقرانيون صليب من نور يفوق نوره نور الشمس في نصف النهار.

وكتب إليه أن لا يقبل قول أصحاب أريوس فإنهم حائدون عن الحق، كفار، قد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، ولعنوا كل من يقول بمقاتلتهم. فقبل قوله.

قال^(٢): وفي ذلك الوقت غلبت مقالة «أريوس» على قسطنطينية وأنطاكية، وبابل، والإسكندرية.

فسمى التابعون^(٣) لأريوس والقائلون بمقاتلته «أريوسيين» مشتقاً من اسمه.

قال: وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين، صير على أنطاكية بطرك أريوسي^(٤) ثم بعده آخر أريوسي^(٥)، ثم بعده آخر مناني^(٦)، وصير على قسطنطينية بترك مناني^(٧).

(١) اسمه: كيرلس.

انظر: تاريخ ابن البطريق ١٣٥/١.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في ك (التابعون لذلك) بزيادة (لذلك).

(٤) اسمه: (فبريانوس).

انظر: نظم الجوهر ١٣٥/١.

(٥) اسمه بلاسيوس. المصدر السابق ص ١٣٦.

(٦) اسمه: (أوزكسيو). المصدر السابق.

(٧) اسمه: (أصابيوس). المصدر السابق.

قال: ففي عشر سنين من ملكه صير على قسطنطينية بطرك^(١)، وكان يقول: روح القدس مخلوقة، وأقام^(٢) عشر سنين ومات.

ونقل بعد ذلك أنطاكية فصير على قسطنطينية، وكان منانياً^(٣).

قال^(٤): وأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين ومنانيين، فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها، ووثبوا على بترك الإسكندرية ليقتلوه، فهرب منهم، واستخفى، وصيروا على إسكندرية بتركاً منانياً^(٥).

وفي ذلك الزمان، قدم من القسطنطينية إلى الإسكندرية قائد^(٦) وكان أريوسياً، فنفى الملكي^(٧) وأقام بطركاً أريوسياً^(٨).

فلما خرج القائد قتل الملكيون ذلك البترك الأريوسي وأحرقوه بالنار.

(١) اسمه: (مكدونيوس). المصدر السابق.

(٢) في هـ، ك (أقام) بسقوط (و).

(٣) اسمه: (أوذكسيوس).

انظر: نظم الجواهر ١/١٣٦.

(٤) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٥) اسمه: (إغريفيوريوس).

انظر: نظم الجواهر ١/١٣٦.

(٦) اسمه: (سوبريانوس). المصدر السابق.

(٧) (ملكي) يعني: مناني.

هو: (إثناسيوس).

انظر: نظم الجواهر ١/١٣٦.

(٨) اسمه: (جريج).

انظر المصدر السابق.

ومات الملك قسطنطين بن قسطنطين وله في الملك أربع وعشرون سنة.

وملك بعده يوليانوس^(١) الملك الكافر على الروم سنين^(٢) وأراد أن يرد الناس إلى عبادة الأصنام، وقتل من الشهداء خلقاً كثيراً^(٣).

وفي أول سنة من ملكه وثب الأريوسيون بيت المقدس على أسقفها الملكي^(٤) الذي كتب بظهور الصليب ليقتلوه، فهرب منهم، فصيروا أسقفاً^(٥) أريوسياً.

قال: وفي ثاني سنة من ملكه صير على أنطاكية بطركاً^(٦) على الأمانة، أقام خمساً وعشرين سنة.

وفي إحدى وعشرين سنة من رياسته، كان المجمع الثاني^(٧) بقسطنطينية.

قال: وكان في عصره أهل مدينة «نيريار»^(٨) كلهم صابئون، فوضع

(١) يوليانوس: الملك وكان كافراً وأراد رد الناس إلى عبادة الأصنام.

انظر: ابن البطريق ص ١٣٧.

(٢) في نظم الجواهر ١٣٦/١ (ستين) بدلاً من (سنين).

(٣) كثيراً ساقطة من ط.

(٤) اسمه: (كورللس).

انظر: نظم الجواهر ١٣٧/١.

(٥) اسمه: (أراقليوس) المصدر السابق.

(٦) اسمه: (مليطيانوس). المصدر السابق.

(٧) المجمع الثاني: بالقسطنطينية عام ٥٥٣م، وقد أيد قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول، ومجمع خلقدونية، ولعن وطرده أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح، وأن شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيال.

انظر: مقارنة الأديان المسيحية ١٩٦/٢ — أحمد شلبي — النهضة المصرية.

(٨) في قاموس الكتاب المقدس ثباتيرا: مدينة في آسيا الصغرى ٢٨١ق. م بها إحدى الكنائس السبع ص ٢٣٩، ولم أجد غير ذلك في كتب البلدان.

أسقف «نيريار»^(١) ميمرا^(٢)» في ميلاد المسيح ويقول^(٣) في ابتدائه^(٤) الميمر^(٥): السيد^(٦) ولد مختوناً * فخذوا المسيح من السماء واستقبلوه على الأرض، فلما قرأه عليهم، استهزأوا به، وأقبلوا يضحكون منه، فلما كان عيد الحميم وضع «ميمرا» في عيد الحميم *^(٧) هتك فيه دين الصابئين وفضحهم فيه، ويمكن فيه دين النصرانية.

قال: وكان في عصر يوليانوس الملك الكافر أول راهب^(٨) سكن برية مصر وبني الديارات^(٩)، وجمع الرهبان.

وكان آخر^(١٠) بالشام وهو أول من سكن برية «الأردن» وجمع الرهبان. وبني الديارات.

قال: وخرج هذا الملك الكافر لقتال «سابور» ملك الفرس، فلسوء مذهبه، ورداءة دينه، وما أراد أن يأخذ بعبادة الأصنام، ظفر به ملك

(١) (نيريار) ساقطة من هـ ، ك.

(٢) في ط (وأميمرا) بدلاً من (ميمرا).

(٣) (ويقول) ساقطة من ك.

(٤) في هـ (ابتداءه).

(٥) (الميمر) ساقطة من ط.

(٦) في هـ ، ك (المسيح) بدلاً من (السيد).

(٧) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك.

(٨) اسمه: (أنبا أنطون).

انظر: نظم الجوهر ١/ ١٣٧.

(٩) الديارات: جمع دير — أماكن للعبادة يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال.

انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٥.

(١٠) اسمه: (أنبا إيلاريون).

انظر: نظم الجوهر ١/ ١٣٧.

الفرس فقتله، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة^(١).

وذكر أسقف^(٢) «قيسارية» أنه كان جالساً في محرابه، وحذاؤه لوح، فيه صورة «ماري مركورس»^(٣) الشاهد، فنظر إلى اللوح فلم ير فيه صورة الشاهد، فعجب من ذلك إذ غابت، فلم يكن إلا ساعة، حتى عادت صورة الشاهد إلى اللوح، وفي طرف الحربة المصورة التي في يد الشاهد شبيه بالدم، فتعجب من ذلك وبقي متحيراً، حتى بلغه أن الملك الكافر قتل في الحرب.

فعلم أن «ماري مركوس» الشاهد قتله، لشدة بغضه الذي^(٤) كان للنصارى، وما كان عزم عليه من عبادة الأصنام.

وذكر^(٥) بعد هذا جماعة من البتاركة والأساقفة، كان بعضهم أريوسياً، وبعضهم منانياً، وبعضهم ملكياً، وذكر فتناً بينهم وتعصب كل طائفة لبتاركها، حتى يقتل بعضهم بعضاً، وينفي بعضهم بعضاً.

وذكر^(٦) أنه اختلفت آراء النصارى، وكثرت مقالاتهم، وغلبت عليهم مقالة «أريوس» وأنهم ملكوا عليهم ملكاً اسمه «تدوس»^(٧)، وأن

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٣٨

(٢) اسمه: (باسيليوس).

انظر: نظم الجوهر ١٣٨/١.

(٣) في نظم الجوهر ١٣٨/١ (مرقوريوس الشهيد).

(٤) (الذي) ساقطة من هـ، ك.

(٥) هذا كلام ابن تيمية عن ابن البطريق.

انظر: تاريخ ابن البطريق: آخر ١٣٨/١ وما بعدها.

(٦) ما حكاه ابن تيمية عن ابن البطريق موجود في تاريخه ١٤٠/١ وما بعدها.

(٧) في هـ (تدرس) بدلاً من (تدوس).

وفي نظم الجوهر: (ثاوذوسيوس).

الوزراء والقواد اجتمعوا إليه، ذاكرين أن مقالات الناس اختلفت وفسدت وغلبت عليهم مقالة «أريوس» و«مقدينوس»^(١)، فينظر الملك في هذا ويدب عن النصرانية، ويوضح الأمانة المستقيمة.

وكتب إلى بطرك إسكندرية^(٢)، وأنطاكية^(٣)، ورومية^(٤)، وأسقف بيت المقدس^(٥)، فحضروا مع أساقفتهم بقسطنطينية، إلّا بطرك رومية فإنه كتب وأنفذ بالأمانة المستقيمة.

فاجتمع بقسطنطينية مائة وخمسون أسقفًا^(٦)، وكان المقدم البطارقة الثلاثة^(٧)، فدفع الملك إليهم كتاب بطرك رومية، فكان صحيحاً موافقاً^(٨)، وكان يزعم أن روح القدس إله، ولكن مخلوق مصنوع.

فقال بطرك الإسكندرية: ليس روح القدس عندي معنى غير

(١) في هـ (مقدونوس) بدلاً من (مقدينوس).

وهو: (مكدونيوس) كما سماه ابن البطريق.

(٢) اسمه: (ثيموثاوسيوس).

انظر: نظم الجوهر ١/١٤٤.

(٣) اسمه: (ملاثيوس).

انظر: المصدر السابق.

(٤) اسمه: (دامسيوس). المصدر السابق.

(٥) اسمه: (كيرللس). المصدر السابق.

(٦) هذا هو المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م، وقرار المجمع هو: لعن (مقدونيوس).

انظر: نظم الجوهر ١/١٤٥؛ ومحاضرات في النصرانية - أبوزهرة - ص ١٣٢.

(٧) وهم: بطريك الإسكندرية، وبطريك إنطاكية، وأسقف بيت المقدس، الذين استجابوا لدعوة الملك، وقد سبق ذكر أسماءهم.

(٨) هنا كلام ساقط اختل بموجبه المعنى وهو: (ونظروا في مقالة «مكدونيوس»).

انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٤٥.

حياته، فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي، فقد كفرنا، ومن كفر وجب عليه اللعن.

فاتفقوا على لعن مقدونيوس، فلعنوه وأشياعه، ولعنوا البطارقة الذين كانوا بعده يقولون بقوله، ولعنوا أسقف^(١) لونية^(٢) وأشياعه، ولعنوا بوليناريوس وأشياعه^(٣)، لأنه كان يقول: إن الأب والابن وجه واحد. ولعنوا بوليناريوس وأشياعه لأنه كان يقول: إن جسد سيدنا المسيح بغير فعل^(٤).

وثبتوا أن روح القدس خالقة غير مخلوقة، إله حق، وأن طبيعة الأب والابن جوهر واحد، وطبيعة واحدة.

وزاد^(٥) في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في مدينة نيقية^(٦): (وبروح القدس المحيي، المميت، المنبثق، من الأب)^(٧).

(١) اسمه (أسابليوس). المصدر السابق.

(٢) في نظم الجواهر: (لوية). المصدر السابق.

(٣) هكذا في جميع النسخ، لكن هذا الكلام زائد على ما في نظم الجواهر ١٤٥/١ - منه ولعل الصحيح حذفه، لأن ذكر بوليناريوس جاء في الفترة التي بعدها، والكلام الذي بعد الجملة الزائدة منسوب لأسقف لونية وأشياعه. والله أعلم.

(٤) في نظم الجواهر (بلا عقل).

انظر: نظم الجواهر ١٤٥/١.

(٥) في نظم الجواهر (وزادوا) وهو أصح.

(٦) المجمع الأول. راجع ص ٧٤٧.

(٧) في نظم الجواهر: (وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له وممجّد).

وثبتوا أن الأب وحده والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة^(١) وجوه، وثلاثة خواص في وحدانية واحدة، وكيان واحدة، وثلاثة أقانيم إله واحد جوهر واحد، طبيعة واحدة.

وثبتوا أن جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة عقلية^(٢).

قال: فمن المجمع الأول إلى هذا المجمع الثاني، ثمان وخمسون سنة.

قال: وأطلق بطرك الإسكندرية للبطاركة والأساقفة والرهبان، أكل اللحم من أجل المنانية، ليعرف المناني منهم، لأن المنانية لا يرون أكل اللحم، ولا شيئاً من الحيوان البتة.

وكان أكثر أساقفة مصر منانية، فأكل بطاركة مصر وأسقفهم اللحم^(٣).

وأما بطاركة رومية وقسطنطينية وأساقفتها ورهبانها، فلم يأكلوا اللحم، وأكلوا بدل اللحم السمك، وأقاموه مقام اللحم إذ كان حيواناً^(٤).

قال سعيد بن البطريق^(٥): لم يطلق أكل اللحم على أنهم يعتاضون منه بالسمك، إذ ليس بذبيحة، ويمنعون أكل اللحم، إذ كان قد أخطأ الذين أقاموا السمك مقام اللحم، وسيدنا المسيح فقد أكل

(١) في ط (ذو ثلاثة) بدلاً من (وثلاثة).

(٢) في نظم الجواهر (عاقلة ناطقة).

انظر: نظم الجواهر ١/١٤٦.

(٣) انظر: نظم الجواهر ١/١٤٦.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في ط (ابن البطريك) بدلاً من (ابن البطريق).

اللحم، فوجب - ضرورة - أكل اللحم، اقتداء بالسيد المسيح، ولو يوماً واحداً في السنة، ليزيلوا الشك من مذهب المنانية.

قال: وفي الأبركسس مكتوباً، ما نظره بطرس السليح^(١) بـ «يافا»^(٢) من تنزل السبئية^(٣)، وفيها كل ذي أربع قوائم^(٤)، ولهذا^(٥) الحكم كل من لم يأكل اللحم مخالف لشريعة النصرانية، ومضاهاه لمذهب الصابئة الروم، وهم لا يغتسلون إلى اليوم، لأن المنانية لا يرون الغسل بالماء، فلما طال بهم الزمان أقاموه على هذه السنة.

وقال قوم: إنما تركوا الغسل بالماء لشدة برد بلادهم وبرد الماء عندهم، وأنه لا يتهيأ لهم بالجملة أن يقربوا الماء في الشتاء، لثلجه وبرده، فصار سنة جارية، شتاء وصيفاً.

والمنانية صنفان: السماعون^(٦)، والصديقون.

فالسماعون: يصومون في كل شهر أياماً معلومة.

والصديقون: يصومون الدهر كله، ولا يأكلون إلا ما نبت من الأرض.

(١) في هـ (المليج) بدلاً من (السليح).

وهو: رئيس الحواريين.

(٢) في هـ (ينا) بدلاً من (يافا).

(٣) في هـ (السمة) بدلاً من (السبئية).

ولعلها: (السمينية) نسبة إلى سيمون صاحب الدار.

(٤) في تاريخ ابن البطريق (١٤٧/١) ذكر قصة بطرس رئيس الحواريين التي رأى فيها رؤيا عند ما كان في يافا في سطح منزل رجل دباغ... إلخ.
راجع ٢٣١/٤.

(٥) في هـ (وبهذا) بدلاً من (ولهذا).

(٦) في نظم الجوهري (١٤٨/١): (السماكون).

فلما تنصروا خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيعلم بهم، فجعلوا لأنفسهم صياماً، فصاموا الميلاد والحواريين^(١).

فلما طال بهم الزمان وتربوا في هذا الصوم، أكلوا اللحم، فتبعتهم في ذلك النساطرة، واليعاقبة، والمارونية^(٢)، وصارت سنة، استحسنتها الملكية فتبعوهم، وخاصة المقيمون ببلاد الإسلام^(٣).

وأما الروم فما تركوا أكل اللحم في أيام صوم الميلاد وصوم الحواريين، وتلك الأيام التي يظن^(٤) أنها من جملة الصوم الكبير.

فمن أحب أن يصوم الميلاد والحواريين والسيدة ولا يأكل لحماً، فليس بواجب وليس لأحد قطع اللحم طول السنة إلا في صوم الأربعين المقدسة فقط، ومن فعل بضد ذلك مخالف راجع إلى أصحاب الآراء المختلفة.

قال: وفي ثمان سنين من ملك «ثدوس» ظهرت الفتية^(٥) الذين كانوا هربوا من «ذاقيوس»^(٦) الملك، واختفوا^(٧) في الكهف^(٨).

(١) في نظم الجوهري: (الميلاد والسيدة والحواريين) وبعدها جملة أغفلها ابن تيمية هي (مع الأرثوذكسيين وتركوا في هذه الأصوام أكل السمك).

(٢) في نظم الجوهري: (النسطوريون، واليعقوبيون، والمارونيون).

(٣) في هـ (سلام) بسقوط (الأ).

في ط (الشام) بدلاً من (الإسلام).

في نظم الجوهري (بأرض الإسلام).

(٤) في ط (نظن) بدلاً من (يظن).

(٥) في ط (فتية) بسقوط (ال).

(٦) سبق ذكره في أول كلام ابن البطريق ١٢٥/٤ من كتابنا هذا، واسمه هناك

(داقيوس)، وقال وهو (دقيانوس).

(٧) في هـ (واختلفوا) بدلاً من (واختفوا).

(٨) ارجع لصفحة ١٢٦/٤ من كتابنا هذا حيث ذكر أول القصة.

وذلك أن الرعاة - على طول الزمان - كانوا إذا جازوا بذلك
الموضع الذي هو الكهف قلعوا الطوب المبنى على باب الكهف، حتى
عاد مفتوحاً كالباب.

فلما انتبهت الفتية توهّموا أنهم كانوا نياماً ليلة واحدة، فقالوا
لصاحبهم الذي كان يذهب يبتاع لهم الطعام: امض واشتر لنا طعاماً
واستعلم خبر «ذاقنوس».

فلما خرج إلى باب الكهف نظر إلى البنيان والهدم، ثم مضى
حتى بلغ باب المدينة وهي «أفسس» فرأى باب المدينة عليه صليب كبير
منصوب فأنكر ذلك في نفسه، وقال: أحسب أنني نائم، فأقبل يمسح
عينيه، وينظر يميناً وشمالاً: هل يرى من يعرفه، فلم ير. فبقي متحيراً
وقال: لعلّي أخطأت الطريق، ولعل هذه مدينة أخرى.

ثم دخل^(١) المدينة فدفّع دراهم مما كان معه، عليها صورة
«ذاقيوس» الملك، فأنكر عليه، وقالوا: لعله أصاب كنزاً، ثم قالوا: من
أين لك هذه الدراهم، وإلاً قتلناك فلم يكلمهم.

وصاح^(٢) الناس، فاجتمع إليه خلق كثير وكلموه فلم يكلمهم،
فصاروا به إلى بطريق المدينة^(٣)، وكلمه فلم يتكلم، فهدده فلم يتكلم،
فجاء إليه أسقف المدينة^(٤)، فكلمه وخوفه وقال: إنك إن لم تكلمني
وتقل لي من أين لك هذه الدراهم وإلاً قتلتك.

(١) في ك (دخل) بسقوط (ثم).

(٢) في هـ (فصاح) بدلاً من (وصاح).

(٣) اسمه: أنثييطرس.

انظر: نظم الجواهر ١/١٥١.

(٤) اسمه: (مرقس). المصدر السابق.

وإنما كان يمتنع من الكلام خوفاً من «ذاقيوس» الملك .

فقالوا له : إنه قد مات وملك بعده جماعة ملوك ، فضربوه حتى ألمه الضرب ، فخيرهم بحاله على جليتها .

فقالوا له : إن «دقيانوس»^(١) قد مات وملك بعده ملوك كثيرة ، والملك اليوم «ثدوس» الكبير ، وقد ظهر دين النصرانية .

ثم سار معهم إلى الكهف فنظروا إلى أصحابه والصندوق النحاس الذي فيه الصحيفة الرصاص مكتوب فيها قصتهم وخبرهم .

فكثر تعجبهم وكتبوا إلى الملك يعلمونه بخبرهم ، فركب وسار إلى مدينة أفسس فنظر إليهم وكلمهم .

وبعد ثلاثة أيام دخل إليهم فوجدهم أمواتاً^(٢) ، فأمر أن يتركوا في الكهف ولا يخرجوا ، ولكن يدفنوا فيه وتبنى عليهم كنيسة ، وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد^(٣) في كل سنة في ذلك اليوم ، وانصرف إلى قسطنطينية .

قال : فمن وقت هرب الفتية من ذاقويس إلى الكهف ، إلى الوقت الذي ظهروا فيه وماتوا ، مائة وسبع ، أو تسعة وأربعون سنة^(٤) .

قلت^(٥) : هذا مما أخطأ فيه ، فإن الله تعالى أخبر أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً .

(١) في ط (ذاقيوس) بدلاً من (دقيانوس) .

(٢) في نظم الجواهر : (قد تنيحوا) .

(٣) في نظم الجواهر : (ويعيدوا لهم عيداً) .

(٤) في نظم الجواهر (١/١٥١) : ثلاث مائة واثنين وسبعين سنة .

وهذا التاريخ وكذلك التاريخ المثبت في النص أعلاه مخالفان لما في القرآن - كما سيوضحه المؤلف بعد ذلك .

(٥) كلام ابن تيمية .

لكن بعض المفسرين، زعموا أن هذا قول بعض أهل الكتاب لقوله: (الله أعلم بما لبثوا) وليس كذلك، فإن الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب، بل ذكره كلاماً منه تعالى.

(١) قال سعيد^(٢): وفي زمنه^(٣) كانت قصة بترك قسطنطينية «يوحنا» الملقب بـ «فم الذهب»^(٤) وتولى بعده ابنه «ثدوس»^(٥) الصغير اثنين وأربعين سنة لإحدى عشرة سنة من ملك «يزدجرد بن بهرام».

وفي زمنه جعل «نسطورس»^(٦) الذي تنسب إليه مقالة النسطورية بطركاً على قسطنطينية.

قال: وكان نسطورس يقول: إن مريم العذراء ليست بوالدة إلهاً على الحقيقة، ولذلك كان اثنان:

أحدهما: الذي هو إله مولود من الأب، والآخر: الذي هو إنسان مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول: إنه مسيح بالمحبة متوحد مع ابن إله، ويقال له إله وابن إله، ليس بالحقيقة، ولكن موهبة، واتفاق الإسمين والكرامة شبيهاً بأحد الأنبياء.

فبلغ قوله بطرك الإسكندرية^(٧) فأنكر ذلك، وكتب إليه يقبح عليه

(١) سقط من النقل: (مات «طاوذوسيوس» وملك بعده ابنه «أركاديوس»).

انظر: نظم الجواهر ١/١٥٢.

(٢) سعيد) ساقطة من ك.

(٣) المقصود زمن (أركاديوس).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ثدوس: هذا حفيد (ثدوس) أو (تاوذوسيوس) الكبير الذي اكتشف في زمنه أهل الكهف.

(٦) سبقت الإشارة إليه ص ٢٨/٣.

(٧) اسمه: (كرلس).

انظر: نظم الجواهر ١/١٥٦.

فعله ومقالته، ويعرفه فساد ما هو عليه ويسأله الرجوع إلى الحق، فجرت بينهما رسائل كثيرة، ولم يرجع نسطورس عن مقالته.

فكتب^(١) إلى بطرك أنطاكية يسأله أن يكتب إلى نسطورس ويعرفه قبح فعله ورأيه وفساد مقالته، ويسأله الرجوع إلى الحق.

فكتب^(٢) إلى نسطورس: إن هو لم يرجع اجتمعوا ولعنوه، وجرت بينهما رسائل كثيرة، فلم يرجع^(٣).

فكتبوا إلى بطرك رومية وأنطاكية، وبطرك بيت المقدس أن يجتمعوا في مدينة «أفسس» لينظروا في مقالة نسطورس.

فاجتمع^(٤) بالمدينة مايتا أسقف، مقدمهم بطرك الإسكندرية، وتأخر بطرك أنطاكية فلم ينتظروه، وبعثوا إلى نسطورس فلم يحضر معهم، فنظروا في مقالته وأوجبوا عليه اللعن، فلعنوه ونفوه، وثبتوا أن مريم العذراء والدة الإله، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحدة في الأقنوم.

وهذا هو خلاف المحبة لأن نسطورس كان يقول: إن التوحيد (أي الاتحاد) اتفاق الوجهين، وأما التوحيد (أي الاتحاد المستقيم) فإنما هو أن يكون أقنوماً واحداً من طبيعتين.

فلما لعنوا نسطورس، قدم يوحنا بطرك أنطاكية، فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره، غضب وقال: ظلمتم نسطورس ولعنتموه باطلاً،

(١) الذي كتب هو بطرك أنطاكية الإسكندرية إلى بطرك أنطاكية المسمى (يوحنا). المصدر السابق.

(٢) الذي كتب هو بطرك أنطاكية. (٣) فلم يرجع) ساقطة من ك.

(٤) في ك (فأجمع) بدلاً من (فاجتمع). وهذا هو مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م.

انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة ص ١٣٥.

وتعصب مع نسطورس، فجمع الأساقفة الذين قدموا معه، فقطع بطرك
إسكندرية وقطع أسقف أفسس.

فلما رأى أصحاب بطرك إسكندرية قبح فعاله وقع بينهم شر
عظيم، وخرجوا من أفسس، وصار أصحاب بطرك إسكندرية والمشرقيون
حزينين، فلم يزل ثدوس الملك حتى أصلح بينهم.

وكتب المشرقيون صحيفة وثبتوا فيها الأمانة الصحيحة، وقالوا
فيها: إن مريم العذراء القديسة ولدت إلهاً ربنا يسوع المسيح^(١)، الذي
هو مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس^(٢) في الناسوت، وأقروا بطبيعتين
ووجه واحد، وأقنوم واحد، ولعنوا نسطورس، ووجهوا بالصحيفة إلى
بطرك إسكندرية فقبل الصحيفة، وأجابهم عنها بموافقتهم على ذلك.

وقال قوم: لما قبل صحيفة المشرقيين بدا له، ولم يقبل طبيعتين،
ووجهاً واحداً.

قال^(٣) سعيد بن البطريق: وهم في ذلك كاذبون، لأن كتبه تنطق
بذلك^(٤).

ثم أرسل نسخة صحيفة المشرقيين إلى جماعة من الأساقفة
يعلمهم أن المشرقيين رجعوا إلى الإيمان، وأنهم غير موافقين
لنسطورس.

قال: فمن المجمع الثاني إلى المائة والخمسين أسقفاً المجتمعين
بمدينة قسطنطين، ولعنوا مقدونيوس إلى هذا المجمع المائتين أسقفاً
المجتمعين بأفسس على نسطورس، إحدى وخمسون سنة.

(١) (المسيح) ساقطة من ط.

(٢) في ط (الناسوت) بدلاً من (الناس).

(٣) في ط (وقال) بزيادة (و).

(٤) انظر: نظم الجواهر ١٥٨/١.

قال: ولما نفي نسطورس صار إلى مصر، فأقام بضیعة في صعيد مصر يقال لها «أخميم»^(١) ومات ودفن بها.

وكانت مقالته قد اندرست فأحيها من بعده بزمان طويل مطران «نصيبين»^(٢) في عصر بوسيطيانوس^(٣) ملك الروم، و«قباد بن فيروز»^(٤) ملك الفرس، فبثها بالمشرق، فلذلك كثر النسطورية بالمشرق، وخاصة أرض فارس^(٥) بالعراق والموصل، ونصيبين، والفرات والجزيرة. قال سعيد بن البطريق^(٦): رأيت أن أرد على النسطورية في هذا الموضع وأبين بطلان قولهم وفساده، لأن النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم، وزعموا أن نسطور كان يقول: إن المسيح جوهران وأقنومان، إله تام بأقنومه وجوهره، وإنسان تام بأقنومه وجوهره. وإن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، لأن الأب عندهم ولد إلهاً ولم يلد إنساناً، ومريم ولدت إنساناً ولم تلد إلهاً.

(١) أخميم: مدينة بصعيد مصر على الشاطئ الشرقي للنيل تجاه سوهاج، وهي مركز بمحافظة جرجا، اشتهرت في العصر المسيحي بأديرتها الكثيرة وينسب إليها ذو النون المصري.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٣٩؛ والموسوعة العربية الميسرة

ص ٦٦.

(٢) اسمه: (برصوما).

انظر: نظم الجواهر ١/١٥٨.

(٣) بوسيطيانوس: هو بوسيتيانوس ملك الروم.

انظر: نظم الجواهر ص ١٥٨.

(٤) قباد بن فيروز: هو قباد بن فيروز ملك الفرس.

انظر: نظم الجواهر ص ١٥٨.

(٥) في ط (أهل فارس) بزيادة (أهل).

(٦) في ط (ابن البطريق) بسقوط (سعيد).

انظر: نظم الجواهر ١/١٥٩.

فيقال لهم: إن كان الأمر على ما تقولون، فالمسيح مسيحان وابنان فمسيح إله، وابن إله، ومسيح إنسان، وابن إنسان، لأنه^(١) لا بد لمريم من أن تكون ولدت المسيح، أو لم تلده.

فإن كانت ولدته، فلا بد أن يكون^(٢) ولاداً روحانياً أو^(٣) جسمانياً. فإن كان جسمانياً، فهو غير الذي ولده الأب، وذلك يوجب أن يكون مسيحان.

وإن كان روحانياً، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد.

والدليل على ذلك صفيحة الحديد التي تتحد بها النار، فإنها سيف واحد تحرق، وتمنع، وتقطع، وتضيء^(٤).

ولا^(٥) يجوز أن يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة من غير جهة النار إذ كان ما لم يكن فيه نار من الحديد غير محرق.

ولا الجهة النارية هي القاطعة المانعة، إذ كان شأن النار الإضاءة والإحراق، لا القطع.

فقد ثبت بهذا وصح ما تعتقده الملكية من أن المسيح أقنوم واحد، وبان زيف قول النسطورية: إن المسيح أقنومان^(٦).

(١) (لأنه) ساقطة من ك.

(٢) في ط (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) (أو) ساقطة من ك.

(٤) في نظم الجوهر ١٥٩/١ (تحرق، وتقطع، وتضيء، وتلمع).

(٥) في ط، ك (لا) بسقوط (و).

(٦) انتهى كلام ابن البطريق.

قلت^(١) : يقال لهذا^(٢) : إن قول النسطورية والملكية، وإن كانا باطلين، فقول الملكية أشد بطلاناً وأعظم كفراً وتناقضاً، وما ذكره هذا^(٣) باطل.

أما قوله : لو كان الأمر على ما تقولون، فالمسيح مسيحان.

فيقال له : هذا إنما يلزم أن لو كان اللاهوت بمجرد يسمي مسيحاً فإن النسطورية وافقوهم على باطل، وهو أن الرب ولد إلهاً، وهذا باطل.

ولم يقل أحد قط من الأنبياء، لا في الإنجيل ولا غيره : إن صفة الله القائمة به مولودة، ولا أن الرب له مولود قديم أزلي.

ولكن إذا قدر أن الأمر كذلك، فصفة الله لم يسمها أحد مسيحاً.

فإذا قدر أن اللاهوت والناسوت جوهران أقنومان لا اتحاد بينهما، لم يلزم أن يكون اللاهوت مسيحاً، ولا هناك مسيح هو إله، ولا مسيح هو ابن إله.

وقد تقدم عن نسطور أنه كان يقول : إن هذا الإنسان الذي نقول : إنه مسيح متوحد بالمحبة مع ابن إله ويقال له إله وابن إله، ليس^(٣) بالحقيقة^(٤)، ولكن موهبه^(٥).

* فقد صرح بأن المسيح هو الإنسان فقط دون اللاهوت، وأن

(١) هذا جواب ابن تيمية.

(٢) يعني : (سعيد بن بطريق).

(٣) (ليس) ساقطة من ك.

(٤) في ك، هـ، (في الحقيقة) بدلاً من (بالحقيقة).

(٥) (ولكن موهبه) ساقطة من ك، و ط.

المسيح ليس بإله ولا ابن إله في الحقيقة* (١).

فبطل ما ألزمه إياه، من أنه يلزم أن يكون هنا مسيحان.

وأما قوله: لا بد لمريم من أن تكون ولدت المسيح، أولم تلده.

فيقال: بل ولدت المسيح وهو الإنسان، وهو غير اللاهوت الذي تزعمون أن الأب ولده، وليس في ذلك مسيحان، بل مسيح واحد إنسان مخلوق.

وأيضاً فقوله: فإن كان ولدته فلا بد أن يكون ولاداً روحانياً أو جسمانياً فإن كان روحانياً، فالمسيح ابن واحد، أقنوم واحد، مسيح واحد. تقسيم باطل، وحجة فاسدة داحضة.

فإن مريم لم تلد ولادة روحانية، بل خرج الولد من فرجها كما تخرج أولاد النساء من فروجهن، سواء كانت عذرتها (٢) باقية أولم تكن. وأما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد، فلو قدر أنه مثل مطابق لم يدل على صحة قولهم، بل غايته أنه يدل على إمكانه.

فأين الدليل على أن هذا هو الواقع؟ فليس فيه ما يدل على صحة قول الملكية وفساد قول خصومهم، فكيف وهو تمثيل غير مطابق؟

فإن الحديد إذا اتحدت به (٣) النار، كان الحديد قد استحال (٤) عن صفته، فلم يبق حديداً محضاً، وليست ناراً محضاً، والخشب (٥)

(١) ما بين النجيتين ساقط من هـ، ك.

(٢) عذرتها) ساقطة من ك.

والمقصود (عذرتها) أي بكارتها.

(٣) في هـ (بها) بدلاً من (به).

(٤) في ط، ك (استحالت) بدلاً من (استحال).

(٥) في هـ (كالخشب) بدلاً من (والخشب).

وغيره إذا أحرق^(١) وصار ناراً، فليس هو خشباً محضاً، وليس هو ناراً محضة بسيطة.

فمن شأن الشيئين - إذا اتحدا - أن يستحيل كل منهما إلى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة، ليست لا هذا ولا هذا، كالماء واللبن إذا اتحدا، فإن ذلك يصير جوهرًا ثالثًا وطبيعة ثالثة، لا لبنًا محضاً، ولا ماء محضاً وكذلك النار مع الحديد أو الخشب أو غير ذلك، فإن ذلك يصير جوهرًا ثالثًا، ليس حديدًا محضاً ولا خشباً محضاً، ولا ناراً محضة، لكن الحديد إذا برد هو حديد، لكنه تغيرت حقيقته، فالنار تلينه وتذهب خبثه، ولا يبقى - بعد اتحاده بالنار - كما كان قبل، والخشب يصير فحمًا وهو جوهر ثالث، إذ كان من طبع النار أنها تؤثر في كل جسد بحسبه، فتؤثر^(٢) في الحديد بحسبه، وفي الخشب بحسبه.

وكل شيئين اتحدا فإنهما يصيران جوهرًا ثالثًا وأقنومًا^(٣) ثالثًا وطبيعة ثالثة.

فإن كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا - كما زعموا - فقد استحالت صفة اللاهوت، واستحالت صفة الناسوت، فلم يبق اللاهوت لاهوتًا، ولا الناسوت ناسوتًا، بل صارا جوهرًا ثالثًا، لا لاهوت ولا ناسوت، وهم ينكرون هذا القول، وهو باطل.

فإن رب العالمين لا يتبدل، ولا تستحيل^(٤) صفاته بصفات^(٥)

(١) في هـ (أحرق) بدلاً من (أحرق).

(٢) في ك (فيؤثر) بدلاً من (فتؤثر).

(٣) في ك (وقنومًا) بدلاً من (وأقنومًا).

(٤) (وتستحيل) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي أن يقال (ولا تستحيل).

(٥) في هـ (إلى صفات) بدلاً من (بصفات).

المحدثات، ولا ينقلب القديم ولا شيء من صفاته محدثاً، ولا يستحيل القديم الرب الخالق، والمخلوق المحدث إلى شيء ثالث.

بل صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها^(١) لا تتبدل، ولا تنقلب، ولا تستحيل، فضلاً عن أن تستحيل إلى أمر ثالث.

ثم هذا الثالث، إن كان قديماً خالقاً، صار هنا خالقين قديمين. وإن كان مخلوقاً محدثاً، كان الخالق قد صار مخلوقاً محدثاً، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر^(٢) أو إلى مخلوق، ممتنع ظاهر الامتناع.

ومما يوضح هذا، أن ما مثلوا به من الحديدية المحمأة بالنار هي جوهر ثالث، يجري على نارها ما يجري على حديدها، فإذا طرقت، فالتطريق واقع على نارها كما هو واقع على حديدها، وكذلك إذا مدت، وكذلك إذا بصق عليها، وكذلك إذا ألقيت في الماء.

فإن كان هذا التمثيل مطابقاً، لزم أن يكون ما حل بالناسوت قد حلّ باللاهوت.

فيكون رب العالمين، هو الذي يأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وهو الذي صفع عندهم، وبصق في وجهه، وجعل الشوك على رأسه، وضرب بالسياط، وصلب ومات، وتألم، كما يحكى مثل هذا عن اليعقوبية.

وهذا لازم لكل من قال بالاتحاد، حتى النسطورية إن قالوا: إنهما

(١) (التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها) ساقطة من ك، هـ.

(٢) في ط (آخره).

متحدان^(١) بالمشيئة، بمعنى أن مشيئة هذا عين^(٢) مشيئة هذا.

بخلاف ما إذا قالوا: إن مشيئته موافقة لمشيئته ليست إياها، ولهذا

قال - تعالى - :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكٍ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۚ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌُ وَحْدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتُمْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّ يُؤَفَّكُونَ ۝٧٥﴾ (٣).

* فذكر - سبحانه وتعالى - : أنهما كانا يأكلان الطعام * (٤) لأن

ذلك من أظهر الأدلة على أنهما مخلوقان مربوبان، إذ الخالق أحد صمد^(٥) لا يأكل ولا يشرب.

وذكر مريم مع المسيح لأن من النصارى من اتخذها إلهاً آخر، فعبدها كما عبد المسيح.

والذين لا يقولون بهذا: كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب

(١) في ط (متحدون) بدلاً من (متحدان).

(٢) (عين) ساقطة من هـ.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٢ - ٧٥.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (إذ كان هو الخالق أحداً صمداً) بدلاً من (إذ الخالق أحد صمد).

من الله، حتى يقول لها: اغفري لي وارحميني، وغير ذلك، بناء على أنها تشفع في ذلك إلى ابنها.

فتارةً يقولون: يا والدة الإله، اشفعي لنا إلى الإله، وتارةً يسألونها الحوائج التي تطلب من الله ولا يذكرون شفاعته، وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح.

وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم، لما ذكر اجتماعهم عند قسطنطين بـ «نيقية»^(١).

قال: وكانوا مختلفي الآراء، مختلفي الأديان.

فمنهم من يقول: المسيح وأمه إلهان من دون الله، وهم: (المريمانيون، ويسمون المريمانية)^(٢)، كذلك قال ابن حزم^(٣)، وقد قال - تعالى - :

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۖ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۖ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ ﴿١١٧﴾﴾

وهو - سبحانه - لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل

(١) سبقت الإشارة إلى هذا المجمع ص ٧٤٧.

(٢) ما بين القوسين كتب في هـ. (وهم المريمانية وبسموم المريمانيين) وسبق التعريف بهم.

(٣) سبقت الإشارة إليه ص ٦١٩.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧. في هـ، ك (إذ قال الله) بسقوط (و).

المسيح سؤالاً يقرع به من اتخذه وأمه إلهين من دون الله .

قال ابن البطريق^(١) : ويقال للنسطورية أيضاً، أخبرونا عن الناسوت (التي اتحدت بها اللاهوت وسمى)^(٢) مسيحاً، هل لم يزل مسيحاً منذ كان في بطن مريم إلى حين وضعته^(٣) وأرضعته وشب^(٤) وصلب وقتل، أم كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً؟

فإن قالوا: لم يكن مسيحاً وهو في بطن مريم، وإنما ولدت مريم إنساناً كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً، تركوا قولهم وكذبوا الإنجيل وبولص، وجميع كتب الكنيسة، وخرجوا عن مقالة النصرانية .

وإن قالوا: إن اللاهوت اتحد^(٥) في الناسوت^(٦) عند الحمل، وأنه كان مسيحاً وهو محمول ومولود ومرضع إلى أن صلب وقتل، قد أقروا أن مريم ولدت إلهاً مسيحاً واحداً، أقنوماً واحداً^(٧) .

فيقال^(٨) له : هذا التقسيم يدل على بطلان قول النصراني الذي ابتدعه طوائفهم الثلاثة وغيرهم، فإن الاتحاد يزعمون أنه كان من حين حملت به مريم، وأنه كان ينمو قليلاً قليلاً، كنمو جسد المسيح،

(١) انظر: نظم الجوهر ص ١٥٩ .

(٢) في هـ (الذي اتحد به المسيح اللاهوت وسمى) .

(٣) في هـ (حيث ولدته) بدلاً من (حين وضعته) .

(٤) في هـ (وسب) بدلاً من (وشب) .

(٥) في ك (اتحدت) بزيادة (ت) .

(٦) في هـ ، ك (بالناسوت) بدلاً من (في الناسوت) .

(٧) انتهى كلام ابن البطريق .

(٨) هذا جواب ابن تيمية - رحمه الله - .

والاتحاد باطل، كما قد قرر غير مرة، ولو قدر أنه ممكن، لظهر أثر ذلك.

فإن الله لما كلم موسى من الشجرة، ظهر من الآيات والعظمة ما دل على ذلك. ولذلك كان إذا كلم موسى يظهر آيات ذلك.

وكذلك ما أخبر به في التوراة وغيرها من مصاحبته لبني إسرائيل، وهو مما ظهر أثره، وإن لم يكن متحداً ولا حالاً في شيء من ذلك.

ولما تجلى من طور سيناء وأشرق من «ساعير» واستعلن من جبال «فاران» بما أنزله من كتبه، ظهر آثار ذلك، وإن لم تكن ذاته متحدة ولا حالة بفاران ولا طور سيناء، باتفاق الأمم.

فكيف تكون ذاته متحدة بما في بطن مريم، أو حالة فيه، ولا يظهر أثر ذلك؟

وأيضاً فيقال له: قد يقول النسطورية له: الناسوت كان مسيحاً من حين الحمل، بمعنى أنه كان طاهراً مقدساً لا بمعنى اتحاد اللاهوت به.

وإن قالوا: المسيح اسم اللاهوت والناسوت جميعاً، فيقال: ليس في كتب الأنبياء ما يقتضي هذا، والنسطورية يسلمون ذلك، لكن قد يقولون: إن المسيح اسم لهما كما أن الإنسان اسم للروح والجسد.

ثم قد يقال لجسد الإنسان الميت: هذا الإنسان، فيقال وهو في بطن مريم أمه قبل نفخ الروح فيه: هذا الجنين وهذا الحمل. فكذلك إذا قيل له: مسيح بدون اللاهوت.

وأيضاً فقد تقول النساطرة باقتران اللاهوت من حين الحمل، ولا يلزم أن يكون قد ولدت إلهاً، إذ لم يقولوا بالاتحاد، بل قالوا: هما

جوهرا نأقنومان ، ولدت أحدهما ولم تلد الآخر ، كما تقول الملكية معهم : إنه صلب أحدهما ولم يصلب الآخر ، ومات أحدهما ولم يمت الآخر ، وتألم أحدهما ولم يتألم الآخر .

فكيف جوز الملكية حين الموت أن يحل الموت والصلب ، والأكل والشرب^(١) ، وسائر الأمور البشرية بأحد الجوهرين دون الآخر ، ولم يجوزوا – حين الولادة – أن تلد مريم أحد الجوهرين دون الآخر؟ وهل هذا إلا من تناقضهم؟ كقولهم جميعاً : إنه صعد إلى السماء ، وقعد عن يمين أبيه مع قولهم : إن اللاهوت مع الناسوت^(٢) قعد عن يمين الأب .

ويقولون مع ذلك : إن اللاهوت القاعد عن يمين^(٣) الآخر هو ذلك الآخر ، وهما جوهر واحد ، وإله واحد ، مع قوله : إنه إله حق من إله حق ، فمناقضتهم كثيرة .

ولا ريب أن قول النسطورية أيضاً متناقض ، لكن لا يمكن أن نصحح قول الملكية دون قولهم ، بل قول الملكية أعظم فساداً وتناقضاً .

فالنسطورية يقولون : الإله لم يولد ولم يصلب .

واليعقوبية يقولون : ولد وصلب .

والملكية يقولون : ولد ولم يصلب .

ومتى جاز أن يولد ، جاز أن يموت ويصلب ، وإن لم يجز أن يصلب ويموت ، لم يجز أن يولد .

(١) (والأكل والشرب) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) في هـ (الناسوت من إله حق) بزيادة (من إله حق) .

(٣) في هـ (يمين الله) بزيادة (الله) .

فتجوز أحدهما ومنع الآخر، تناقض.

ويقال للملكية: أنتم تقولون: إن اللاهوت اتحد بالناسوت عند الحمل، وكان مسيحاً وهو مصفوع ومصلوب وميت ومتألم، وتقولون^(١): هذا كان بالناسوت دون اللاهوت، فهذا التناقض من جنس تناقض النساطرة^(٢).

قال ابن البطريق^(٣): ويقال للنساطرة أيضاً: متى اتحدت الكلمة بالإنسان؟ أقبل الولادة أم في حال الولادة؟

فإن قالوا: قبل الولادة، قلنا لهم: قبل الولادة، قبل الحمل، أو قبل الولادة وهو حمل؟

فإن قالوا: قبل الولادة وقبل الحمل، فقد زعموا أنه اتحد قبل أن يكون إنساناً وقبل أن يصور^(٤). فإن كان ذلك كذلك فسد قول النسطورية: إن القديم اتحد بإنسان جزئي، لأن الإنسان الجزئي إنما كان إنساناً جزئياً لما صار مصوراً بشرياً^(٥).

فيقال^(٦) له: هذا السؤال لازم للطوائف الثلاثة، فإنهم يقولون بالاتحاد أعظم من النساطرة.

فإن قيل: هم يقولون: إنه اتحد بإنسان كلي، كان هذا من أفسد الأقاويل، فإن المسيح بشر معين جزئي، يمنع تصويره من وقوع الشركة فيه، لم يكن إنساناً كلياً.

(١) في هـ (ويقولون) بدلاً من (وتقولون).

(٢) انتهى جواب المؤلف.

(٣) انظر: نظم الجوهر ١/١٦٠.

(٤) هنا زيادة (وقولك) في جميع النسخ.

(٥) انتهى كلام ابن البطريق.

(٦) هذا جواب ابن تيمية.

ثم قال^(١): ويلزمهم، أن يزعموا أن اللاهوت قد كان حل مع الناسوت تسعة أشهر ونحوها من بدء الحمل مقيماً معه في الموضع الذي يحمل فيه الجنين، ثم ولدا معاً، وهذا خلاف قولهم: إن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته^(٢).

فيقال^(٣): قد يقولون: إنه ولد الناسوت دون اللاهوت، كما يقول الملكية: إنه صلب الناسوت دون اللاهوت.

وإن كان هذا متناقضاً، فالنساطرة أقل تناقضاً، لأن الملكية يقولون: إنهما شخص واحد، أقنوم واحد، فقد اتحد أحدهما بالآخر.

فإذا جاز مع هذا أن يفارق أحدهما الآخر في الأكل والشرب والصلب والموت، فمن قال: إنهما جوهران أقنومان، هو أولى أن يقول ولدت أحدهما دون الآخر^(٤).

ثم قال: وإن قالوا: اتحد به وهو حمل صورة تامة.

قلنا لهم: فقد كان الإله حملاً قبل الولادة، وإذا جاز أن يحمل، جاز أن يولد^(٥).

فيقال^(٦): هم لا يقولون: بأنهما صارا شخصاً واحداً، أقنوماً واحداً، بل يقولون: جوهران أقنومان وحيثذا قلا يقولون: حملت بإله،

(١) كلام ابن البطريق. نظم الجوهر ١٦٠/١.

(٢) انتهى كلام ابن البطريق.

(٣) هذا جواب ابن تيمية.

(٤) انتهى جواب المؤلف، وبدأ بعده كلام ابن البطريق.

انظر: نظم الجوهر ١٦٠/١.

(٥) انتهى كلام ابن البطريق.

(٦) هذا جواب ابن تيمية.

ولا ولدت إلهاً، كما لا يقول الملكية: صلب اللاهوت، ومات اللاهوت، مع قولهم بأن اللاهوت والناسوت اتحدا^(١).

قال: فإن قالوا: كان الاتحاد في حال الولادة.

قلنا: فقد ولدت مريم الكلمة إذا مع الإنسان، والكلمة عندنا وعندهم إله، فقد ولدت مريم إلهاً.

فإن قالوا: نعم، قلنا: فإذا جاز أن يولد، فلم لا يجوز أن يكون حملاً؟ فإذا أجازوا ذلك، تركوا قولهم، وإن لم يجيزوه قلنا: فما الفرق بين أن يكون مولوداً، وبين أن يكون محمولاً؟ فإن قالوا: ليس الإله مولوداً، ولم يكن الاتحاد قبل الولادة، وهو أن يكون محمولاً ولا في حال كونه ولدًا في حال الولادة.

قلنا: فهذا نقض قولكم: إن مريم ولدت المسيح، لأن المسيح — عندكم — ليس هو الإنسان وحده، ومريم — عندكم — إنما ولدت الإنسان وحده.

وإذا كان المسيح ليس هو الإنسان وحده، وعندكم إنما ولدت الإنسان وحده قبل الاتحاد، فإنما ولدت إذاً، ما ليس بمسيح، إذ كان إنما كان مسيحاً بالاتحاد، وكان الاتحاد بعد الولادة فإنما كان مسيحاً بعد الولادة.

فإذا كان هذا — عندكم — فاسداً، وكانت مريم ولدت المسيح، فمريم لم تلد الإنسان وحده، وهذا يوجب أنها قد ولدت الإله مع الإنسان، ويوجب أن الاتحاد كان قبل الولادة.

(١) انتهى جواب المؤلف، وبدأ بعده كلام لابن البطريق.

انظر: نظم الجواهر ١/١٦٠.

قال: فقد تبين زائف ما تعتقده النسطورية، من أن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وصح أن مريم ولدت إلهاً مسيحاً واحداً.

قال: ويقال لهم: إذا زعمتم أن المسيح جوهران، جوهر قديم وجوهر محدث، ثم زعمتم أن مريم ولدت المسيح، فقد أقررتم أن مريم ولدت هذين الجوهرين اللذين هما المسيح، وإذا ولدتهما، وأحدهما إله، فقد ولدت إلهاً قديماً، ولا يجوز أن تلد إلا ما كان محمولاً، فهذا يوجب أنها قد كانت حاملة لذلك الإله.

فقد تبين زائف^(١) ما تعتقده النسطورية، أن مريم لم تحمل إلهاً، ولم تلده، وصح ما تعتقده الملكية أن مريم ولدت إلهاً مسيحاً واحداً، وابناً واحداً، أقنوماً واحداً^(٢).

فيقال له^(٣): ليس هذا التناقض من النسطورية بأعظم من تناقض الملكية فإنهم - مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت، وأنهما شخص واحد - يقولون: إن أحدهما كان يأكل ويشرب، ويصوم ويصلي ويتصرف، وأنه أخذ وصفع، ووضع الشوك على رأسه وصلب وتألم، ومات دون الآخر.

فإذا كان قول النسطورية متناقضاً، فقول الملكية أعظم تناقضاً، فإذا منعوا أن تحمل^(٤) المرأة وتلد الناسوت دون اللاهوت لأجل الاتحاد الذي بينهما، وجب أن يمنعوا أن يأكل ويشرب، ويصلب ويقتل أحدهما

(١) في نظم الجوهر ١/١٦١: (فساد) بدلاً من (زائف).

(٢) انتهى كلام ابن البطريق.

(٣) هذا جواب ابن تيمية.

(٤) في هـ (تحيل) بدلاً من (تحمل).

دون الآخر لأجل الاتحاد بطريق الأولى .

وكون الصلب والقتل أعظم منافاة للربوبية من حمل مريم به وولادته إياه، لا يمنع كون كل ذلك ممتمناً على الله .

ومن جوز عقله أن يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهي بكر، فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير، وهذا أعظم ما يكون من الإمتناع .

ومن جوز عليه هذا، جوز عليه أن يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب وأكبر منه، وجوز أن يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه، ومن شقوق الأبواب وغير ذلك من الثقوب .

وإن قالوا: ذاك مكان طاهر، قيل: أفواه الأنبياء والصالحين أطهر من كل فرج في العالم، فيجوز أن يخرج من فم كل نبي وولى الله ومن أذنه، ومن أنفه، فإن هذه الخروق والثقوب أفضل من فروج النساء، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فهؤلاء النصارى يقولون: إن كون الله مولوداً من فرج مريم، غير كونه مولوداً في الأزل من الأب، بل هما ولادتان، روحانية، وجسمانية .

وهم إذا طولبوا بتفهم ما يقولونه وقيل لهم: هذا لا يتصور أن يكون رب العالمين يخرج من ثقب ضيق، لا فرج، ولا فم، ولا أذن، ولا غير ذلك من الأثقاب، قالوا: هذا فوق العقل، واعترفوا بأن هذا لا يتصوره العقل .

فيقال لهم: هذا الكلام لم يقله نبي من الأنبياء، ولم ينطق به^(١) نبي من الأنبياء بأن مريم حملت برب العالمين وولده، بل ولا نطق

(١) (به) ساقطة من ط، ك .

نبي من الأنبياء بأن الله مولود ولا شيء من صفاته مولود، لا علمه، ولا حياته، ولا غير ذلك.

ولا نطق نبي من الأنبياء لا المسيح ولا غيره بأن الله اتحد بشيء من المخلوقات.

وليس في الإنجيل وغيره مما ينقل عن الأنبياء شيء من ذلك، بل غاية ما فيها كلمات مجملة متشابهة، كقوله: (أنا وأبي واحد)^(١)، كما قال الله لمحمد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٢).

وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣).

فإذا قال بعض ملاحة المسلمين من الشيعة^(٤)، أو المتصوفة^(٥)،

(١) سبقت الإشارة إلى هذا النص ٣/٣٣٨.

(٢) سورة الفتح: من الآية ١٠.

(٣) سورة النساء: من الآية ٨٠.

(٤) ملاحة المسلمين من الشيعة، فمن الزيدية: أبو خالد الواسطي ومنصور بن الأسود وهارون بن سعد المعجل وغيرهم، ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة سالم بن أبي الجعد وسالم بن أبي حفصة وغيرهم، ومن مؤلفي كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور وغيرهم، ومن المتأخرين أبو جعفر الطوسي.
انظر: الملل والنحل ص ١٩٠.

(٥) المتصوفة: هم فرقة ابتدعوا في دين الله، وساروا خلف مشايخهم في الأعمال والأقوال التي لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا إجماع، ومن آخر مراحلهم مرحلة «وحدة الوجود» التي هي عندهم عبادة باطنها الكفر والإلحاد وإباحة المحظورات.

انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢؛ ومقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣؛ والصلة بين التصوف والتشيع - د. مصطفى كامل ص ٣٧٦.

أو غيرهم : إن الله ^(١) اتحد بمحمد ، لقوله :

﴿ إِنِّ الَّذِيكُ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ .

كان هذا من جنس قول النصارى .

والآية لم تدل على ذلك ، بل مبايعة الرسول مبايعة الله ، لأن الرسول أمر بما أمر الله ، ونهى عما نهى الله عنه .

فليس في كلام الأنبياء أن الله ولا شيئاً ^(٢) من صفاته ، مولود الولادة التي يسمونها ولادة عقلية وروحانية ، ولا في كتبهم أن شيئاً من صفات الله تسمى ابناً لله ، ولا أن اللاهوت ابن الله ، فضلاً عن أن ينطقوا بأن الله مولود من امرأة ولادة ، وخرج من فرجها ، فيكون مولوداً ولادة جسمانية .

ولهذا لما تنازعت النصارى في ذلك لم يكن لمن ادعاه على من نفاه حجة من نصوص الأنبياء ، غاية ما عندهم التمسك بألفاظ متشابهة وتغيير ^(٣) ألفاظ صريحة محكمة ، تبين أن المولود إنما هو بشر .

فإذا قالوا في الألفاظ المتشابهة : لا نعلم مراد الرسول بها ، كان هذا مما قد يعذرون به ، فإن المتشابهة ^(٤) من النصوص لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم .

فإذا قالوا : لسنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله ،

(١) (الله) مكررة في ط .

(٢) في ه ، ك (ولا شيء) بدلاً من (ولا شيئاً) .

(٣) في ه ، ك (معها) بدلاً من (وتغيير) .

(٤) في ط ، هـ (المتشابهة) بدلاً من (المتشابه) .

كانوا شاهدين على أنفسهم بعدم العلم، وشهادة الإنسان على نفسه مقبولة.

بخلاف القول الذي تكلموا به هم، وزعموا أن معناه يدل عليه كلام الأنبياء، أو يدل عليه العقل، فإن عليهم أن يبينوا معناه الذي عنوه به، وعليهم أن يبينوا أنه قد دل على ذلك شرع أو عقل.

فإذا قالوا: نفس الكلام الذي قلناه لا نتصور معناه، كانوا معترفين أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، وهذا حرام عليهم.

وإن قالوا: إن كلام الأنبياء دل على ذلك، كان غاية ما عندهم التمسك بالمتشابه، وحينئذ فيطالبون بتفسير المتشابه، والجمع بينه وبين المحكم على وجه صحيح معلوم، وإلا فإذا قالوا: هذا فوق العقل لا نفهمه.

قيل لهم: فدعوا المتشابه لا تحتجوا به، ولا تذكروا^(١) له معنى، تزعمون أنكم لا تعقلونه.

* فمتى ثبت عن الأنبياء قول وقال قوم: إنا لا نفهمه، فإنهم يصدقون على أنفسهم.

وأما إذا فسروا كلام الأنبياء بقول عبروا به على مراد الأنبياء وقالوا: هذا مرادهم مع تعبيرهم عنه بعبارات أخرى، طولبوا بأن يبينوا ذلك المعنى، وقيل لهم: إن فهمتم ما قلتموه فينبوه، وإن لم تفهموه فلا تتكلموا بلا علم*^(٢).

(١) في ط (ولا تذكرون) بدلاً من (ولا تذكروا). وقبلها (ولا تحتجون) بدلاً من (لا تحتجوا).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من ك.

قال سعيد بن البطريق^(١): أن أئمة الضلالة - أعني نسطوريوس^(٢) وأرطيسيوس^(٣) وديسقورس^(٤) وسورس^(٥) ويعقوب البرادعي^(٦) وأشياهم - الذين أرادوا أن يقيموا الزيف والمحال ولم يرجعوا^(٧) إلى خشية الله وزاغوا عن سبيل الحق لسوء رأيهم، فقد تورطوا في بحر الضلالة.

وهم - جميعاً - فيما ارتطموا فيه من ضلالتهم يضمرون جهلاً منهم باتحاد لاهوت سيدنا المسيح بناسوته، ويتورط كل واحد منهم في وجه من وجوه الخلطة، ويتمسك به.

فقد رأيت أن أوضح وجه الخلطة، وأبين ذلك لتقف على فساد قولهم: إن من عظيم تدبير الله وكمال عدله وجليل رحمته، أن بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء. وهي التي^(٨) من جوهره ليست مخلوقة، ولكن مولودة منه قبل كل الدهور، ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة برية منه قط، ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت، الذي لم يزل ولا يزال، فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦١.

(٢) في هـ (نسطورس) - بدلاً من - (نسطوريوس).

انظر: نظم الجوهر ١/١٦١.

(٣) أرطيسيوس. انظر: المرجع السابق.

(٤) ديقورس. انظر: المرجع السابق.

(٥) اسمه (سورس) المصدر السابق.

(٦) انظر: المصدر السابق.

(٧) في ط (يراجعوا) بدلاً من (يرجعوا).

(٨) (وهي التي) ساقطة من جميع النسخ.

انظر: تاريخ ابن البطريق ١/١٦١.

مختارة من نسل داود، اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين، وطهرها بروح القدس، روحه^(١) الجوهرية، حتى جعلها أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية بها، فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقتة لنفسها، بمسرة الأب وموازرة روح القدس، خلقاً جديداً من غير نطفة آدمية جرت عليها الخطيئة، ومن غير مجامعة بشرية ولا انفكاك عذرة تلك الجارية المقدسة، فهو إنسان تام بجسده ونفسه الدموية وروحه الكلمانية التي من صورة الله في الإنسان وشبهه، فكانت مسكناً لله في حلولة واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم.

واعلم أنه لا يرى شيء من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه فيما يظهر لأهل الأثقال من غليظ الخلق.

وإنا وجدنا روح الإنسان العاقلة الكلمانية ألطف من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولى خلق الله بحجاب الله، فكانت لها حجاباً ولمن هو ألطف منها، وكانت النفس الدموية لها حجاباً، والجسد الغليظ حجاباً.

فعلى هذا، خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله بقوامها قواماً لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله إياها، لأنها لم تخلق ولم تك شيئاً إلا بقوام^(٢) من كلمة الله الذي خلقها وكونها

(١) في ط (وروحه) بزيادة (و).

(٢) في ط (ألا يقول) بدلاً من (إلا بقوام).

انظر: نظم الجوهر ١٦٢/١ (إلا بقوام).

لا من شيء لا^(١) سبق قبل ذلك في بطن مريم ولا من شيء^(٢) كان لها من نطفة ولا من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس لما ضم إليه وخلقه له، التحم به من جوهر الإنسان، فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد، قوام لكلمة الله الخالقة، واحد في التثليث بجوهر لاهوته، واحد في الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين، ولكن واحد مع الأب والروح، وهو إياه، واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد، قوام الكلمة التي هي الابن المولود من الله قبل الأدهار كلها، وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الأب ولا من روح القدس^(٣).

قلت^(٤): فهذا كلام سعيد بن البطريق الذي قرر به دين النصراني، وفيه من الباطل ما يطول وصفه، لكن نذكر من ذلك وجوها:
الوجه الأول: قوله: إن من عظيم تدبير الله أن بعث كلمته الخالقة، التي بها خلق كل شيء من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منه^(٥)، فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم، فالتحمت من مريم العذراء.

فيقال: قد جعلت الكلمة الخالقة، وقلت - بعد هذا - :
ولا كانت الكلمة برية منه، ولا من روحه الخالقة، وقلت - بعدها - :

(١) في نظم الجوهر: (سبق).

(٢) في هـ، ك (سبب) بدلاً من (شيء).

(٣) انتهى كلام ابن البطريق ١٦٣/١.

(٤) هذا جواب ابن تيمية.

(٥) في ط (منها) بدلاً من (منه).

فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقتة لنفسها بمسرة^(١) الأب ومؤازرة روح القدس جميعاً، خلقاً جديداً.

فيقال لهم: أخالق العالم - عندكم - خالق واحد وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون؟

فإن قالوا: إن الخالق واحد، وهم ثلاثة آلهة^(٢) خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة، وثلاثة خالقين، ثم يقولون: إله واحد، وخالق واحد.

فيقال: وهذا تناقض ظاهر، فإما هذا، وإما هذا.

وإذا قلت: الخالق واحد، له ثلاث صفات، لم ننازعكم في أن الخالق له صفات، لكن لا يختص بثلاثة.

فإن قالوا بثلاثة آلهة خالقين، كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم بأن كفرهم وعظم شركهم، وبأن أن شركهم أعظم من كل شرك في العالم فغاية المجوس الثنوية^(٣)، إثبات اثنين، نور، وظلمة، وهؤلاء يشبثون بثلاثة.

ثم الأدلة السمعية في التوراة والإنجيل والزبور وسائر كلام الأنبياء مع الأدلة العقلية المبينة لكون الخالق واحداً، كثيرة جداً، لا يمكن حصرها هنا.

وإن قالوا: إن الخالق واحد، له صفات، قيل لهم: فهذا مناقض لقولكم: إنه بعث كلمته الخالقة، وقولكم: «ولا كانت الكلمة بريئة منه

(١) في هـ (ثمرة) بدلاً من (بمسرة).

(٢) (آلهة) ساقطة من هـ، ك.

(٣) سبق التعريف بها.

ولا من روحه الخالقة» وقولكم: «فهيبت الكلمة الخالقة» وقولكم: «فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق، خلقتة لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة الروح». فهذا يقتضي أن الكلمة خالقة وأن الروح خالقة، وأنها خلقت بمسرة الأب الخالق ومؤازرة الروح الخالقة، وهذا الخالق هيبت، والأب لم يهيبت.

فإذا كان الخالق واحداً له صفات، لم يكن هنا إلا خالق واحد.

الوجه الثاني: قولكم: «بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء»، وقد نطقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه فيقول لها: (كن فيكون) هكذا في القرآن^(١)، والتوراة^(٢)، وغيرهما.

لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه، ليس كلامه خالقاً.

ولا يقول أحد قط: إن كلام الله خلق السماوات والأرض.

والتوراة كلام الله، والإنجيل كلام الله، ولا يقل أحد: إن شيئاً من ذلك خلق السماوات والأرض، ولا يقول أحدٌ: يا كلام الله اغفر لي وارحمني.

فقول هؤلاء: إن كلمته هي الخالقة وإنه خلق بها، كلام متناقض.

فإنها إن كانت هي الخالقة^(٣)، لم تكن هي المخلوق به، فالمخلوق به ليس هو الخالق.

الوجه^(٤) الثالث: أن يقال: قولكم: «كلمة الله الخالقة» أهي

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾، سورة يس: من الآية ٨٤.

(٢) إشارة إلى ما ورد في أول سفر التكوين بالعهد القديم (ليكن كذا وليكن كذا).

(٣) في هـ، ك (الخالق) بدلاً من (الخالقة).

(٤) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

كلام الله كله، أم هي بعض كلام الله، أم هي المعنى القائم بالذات القديم الأزلي^(١)، الذي يثبت ابن كلاب^(٢)، أم حروف وأصوات قديمة أزلية كما يقوله بعض الناس، أم هي الذات المتكلمة؟

فإن كانت هي الذات المتكلمة، فهي الأب والرب، وتكون هي الموصوفة بالحياة، فلا يكون هناك كلام مولود، ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكره، وهذا خلاف قولهم كلهم، فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم.

وإن قالوا: بل هي كلام الله كله.

قيل لهم: فيكون المسيح هو التوراة، والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله. وهذا لا يقولونه، ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل.

وإن قالوا: إنها هي المعنى الواحد القديم الأزلي، أو الحروف^(٣) والأصوات القديمة الأزلية.

قيل لهم: هذان القولان، وإن كانا باطلين، فإن قلتم بهما، لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله، فإن هذين — عند من يقول بهما — هما جميع كلام الله.

والتوراة، والإنجيل وسائر كلام الله، عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله، وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين.

(١) في هـ، ك (الأزل) بدلاً من (الأزلي).

(٢) ابن كلاب: هو عبد الله بن سعيد بن كلاب من أهل البصرة، كان نصرانياً فأسلم وفارق قومه، له مذهب في الكلام مشهور.

انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ١٩.

(٣) في هـ (والحروف) بسقوط (أ).

وإن قلتم: إن المسيح بعض كلمات الله، فحينئذٍ لله كلمات أخرى غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقاً، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً، إذ كنتم تقولون: «الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها فقولوا عن سائر كلمات الله: إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذٍ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله.

وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان الخلق خالقون لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر.

وبالجملة أي شيء فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه، ويقولون الكذب والكفر المتناقض، وإنما عندهم تقليد من أضلهم، كما قال - تعالى - :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(١).

الوجه^(٢) الرابع: أن يقال لهم: ما^(٣) لم يعلم^(٤) بالمعقول، فليس في المنقول^(٥) ما يدل عليه، وأنتم لا تدعون أنكم عرفتموه بالعقل، لكن بما نقل عن الأنبياء، وأنتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته، وروح القدس بحياته، فمن أي نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه، وأنه يسمى ابناً، وأن علمه أو حكمته خلق كل شيء، وأن حياته خلقت كل شيء، وأن علمه خالق وإله ورب، وحياته خالقة وإله ورب، وليس

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

(٢) الوجه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ (هذا الكلام) بدلاً من (ما).

(٤) في ك (علم) بدلاً من (ما لم يعلم).

(٥) في هـ (العقول) بدلاً من (المنقول).

في الأنبياء^(١) من سمى شيئاً من صفات الرب ولدّاً له ولا ابناً، ولا ذكر أن الله ولد شيئاً من صفاته. فدعواكم أن صفته القديمة الأزلية ولدت مرتين، مرة ولادة قديمة أزلية، وولادة حادثة من فرج مريم، كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم: إن الله ولد، ولا إن شيئاً من صفاته ولده، لا ولادة روحانية، ولا ولادة جسمانية.

وهذا وإن أبطل قول الملكية، فهو لقول^(٢) اليعقوبية، أشد إبطالاً، وهو مبطل أيضاً لقول النسطورية، فإنهم يقولون: بالأمانة التي فيها أنه مولود قديم أزلي، فإن طوائفهم الثلاثة متفقون على الأمانة التي ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من المسيح.

الوجه^(٣) الخامس: قولكم بعث كلمته الخالقة، فهبطت كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء، ليست مخلوقة، ولكن مولودة منه، ولم يكن الله بلا كلمته، ولا روحه قط.

من قال من الأنبياء: أنه لم يكن بلا روحه قط، أو أن روحه صفة له قديمة، أو أنها حياته؟

وكلام الأنبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو ما ينزله على الأنبياء، كالوحي والتأييد، أو الملائكة، فليست روح الله صفة قائمة به ولا غيرها، ولكنها أمر بائن عنه.

الوجه^(٣) السادس: أنه إذا كان قد بعث كلمته الخالقة وهبطت والتحمت من مريم، فهو نفسه رب العالمين، هبط والتحم من مريم أم

(١) في هـ (الأشياء) بدلاً من (الأنبياء).

(٢) في هـ (كقول) بدلاً من (لقول).

(٣) (الوجه) ساقطة من هـ، ك.

رب العالمين نفسه، لم يهبط ولم يلتحم^(١) من مريم، وإنما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها.

فإن قلتم: هو نفسه هبط والتحم، كان الأب الوالد للكلمة، هو الذي هبط والتحم، وكان الأب هو الكلمة، وهذا مناقض لأقوالكم.

وإن قلتم: إن المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الأب، بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق، فيكون هناك خالقان، خالق أرسل فهبط والتحم، وخالق أرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم، وقد أثبتم خالقاً ثالثاً، وهو الروح، وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين.

الوجه السابع: أنه قال: إن الله بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء فمع كونه جعلها خالقة، جعل أنه بها خلق كل شيء، والذي خلق بها كل شيء هو خالق، فجعلها خالقة، وجعل خالقاً آخر، وجعل أحد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء، وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذي به خلق كل شيء، وجعل الكلمة الخالقة احتجبت بإنسان مخلوق خلقتة لنفسها بمسرة الأب ومؤازرة روح القدس خلقاً جديداً.

وإذا كانت هي الخالقة بمسرة الأب الخالق على الخلق، فالأب لم يخلقه، بل سر بذلك، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق.

ومعلوم أنه إذا كان للخالق من يوازره على الخلق، لم يكن مستقلاً بالخلق، بل يكون له فيه شريك.

فهذه الكلمة، تارةً يقولون: هي الخالقة، وتارةً يقولون: خلق بها

(١) في هـ (يلحم) بدلاً من (يلتحم).

الخالق فخلقت، وتارة يقولون: إن روح القدس وازرها في الخلق، فهذه أربعة أقوال ينقض بعضها بعضاً.

فإن كان الله هو الخالق لكل شيء فالخالق واحد، فليس هناك خالق آخر ولا شريك له في الخلق.

والخالق إذا خلق الأشياء بقوله: «كن» لم يكن كلامه خالقاً، ولو كانت كل كلمة إلهاً خالقاً، لكان الآلهة الخالقون كثيرين لا نهاية لهم.

ثم قال: ليست بمخلوقة ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور.

فيقال: من من الأنبياء سمى شيئاً من صفات الله مولوداً قديماً أزلياً^(١)؟ فكيف يكون مولود قديم أزلي^(٢)؟ وهل يعقل مولود إلاً محدثاً^(٣)؟

وأيضاً فإذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه، فكذلك حياته^(٤) مولودة منه، وإن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه.

فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من^(٥) الأزل غير منبثقة، والأخرى ليست مولودة من الأزل. بل منبثقة، مع كونه باطلاً، فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين.

فإنه إن جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية: إنها مولودة منه فالحياة مولودة.

(١) في هـ (مولوداً له وأيضاً) بدلاً من (مولوداً قديماً أزلياً).

(٢) في ك، هـ (أزل) بدلاً من (أزلي).

(٣) في ك (إلاً محدثاً) غير ظاهرة.

(٤) في ط، ك (تكون) بدلاً من (حياته).

(٥) في هـ (هي) بدلاً من (من).

وإن جاز أن يقال : إنها منبثقة ، فالكلمة منبثقة .

وأيضاً فكون الصفة إلهاً خالقاً ، وإثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم : إن الخالق واحد ، تناقض آخر .

وأيضاً فقولهم : « ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط » إن أراد بروحه حياته ، فهذا صحيح ، لكن من من الأنبياء سمي حياة الله روحه ؟ ومن الذي جعل الله روحاً قديمة أزلية ؟ وهل هذا إلا افتراء على الأنبياء ؟ وليس لقائل أن يقول : إن هذا نزاع لفظي فلا اعتبار به ، لأن هذا تفسير لكلام الأنبياء ، فهم الذين تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك ، ولم يرد أحد بذلك حياة الله قط .

فتسمية حياة الله روحاً ، وتفسير مراد الأنبياء بذلك ، افتراء على الله ورسله .

الوجه الثامن : قوله : « فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول ، فالتحمت من مريم العذراء ، وهي جارية طاهرة ، مختارة من نسل داود ، اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس ، روحه الجوهرية ، التي جعلها أهلاً لحلول كلمة الله الجوهرية بها ، فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقتة لنفسها ، بمسرة الأب ، ومؤازرة روح القدس ، خلقاً جديداً » .

فيقال : إن الكتب دلت على أن المسيح تجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء البتول ، وهكذا هو في الأمانة التي لهم ، وبهذا أخبر القرآن حيث أخبر في غير موضع ، أنه نفخ في مريم من روحه مع إخباره أنه أرسل إليها روحه .

قال — تعالى — :

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِيَّ بِشَرٍّ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴿٢٣﴾﴾ (١).

وقال - تعالى - :

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (٢).

وقال - تعالى - :

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظُّلُمَاتُ ﴿٢٥﴾﴾ (٣).

فالكتب الإلهية يصدق بعضها بعضاً.

لكن دعواكم أن روح القدس، روح الله الجوهرية (أي حياته القديمة الأزلية) أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه.

فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة الله، لا جوهرية، ولا غير

(١) سورة مريم: الآيات ١٦ - ٢٣.

في هـ، ك (ليهب) بدلاً من (لأهب).

(٢) سورة الأنبياء: من الآية ٩١.

(٣) سورة التحريم: من الآية ١٢.

جوهريّة ولا قديمة، ولا غير قديمة، ولا أرادوا بذلك حياة الله .

فقولكم هذا، تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله، كما أنكم في قولكم إن كلمة الله أو علمه، أو حياته، مولودة منه، وإن صفته القديمة الأزلية هي ابنه مما^(١) حرّفتُم فيه كلام الأنبياء، فلم يرد أحد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط، ولم يطلق في جميع الكتب التي عندكم لفظ الابن المولود، إلّا على محدث مخلوق لا على شيء قديم أزلي، لا موصوف ولا صفة، لا علم ولا كلام، ولا حكمة، ولا غير ذلك .

وكل ولادة في الكتب الإلهية التي عندكم وغيرها، فهي ولادة حادثة زمانية، وكل مولود، فهو محدث مخلوق^(٢) زمني، ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم أزلي، كما أنكم ذكرتم ذلك في أمانتكم وغيرها .

فلو كان ما ذكرتموه ممكناً في العقول، لم يجز أن تجعلوه^(٣) موجوداً واقعاً، وتقولوا: الأنبياء أرادوا ذلك، إلّا أن يكونوا بينوا أن ذلك مرادهم .

فإذا كان كلامهم صريحاً في أنهم لم يريدوا ذلك، والمعقول الصريح يناقض ذلك، كان ما قلتموه كذباً على الله وعلى أنبيائه ورسله ومسيحه، وكان باطلاً في المعقول، وكنتم ممن قيل فيه :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٤) .

(١) في ط، ك (ما) بدلاً من (مما) .

(٢) في هـ (مخلوق محدث) بزيادة (محدث) .

(٣) في هـ ، ك (تجعله) بدلاً من (تجعلوه) .

(٤) سورة الملك: من الآية ١٠ .

ثم يقال: أنتم قلتم: «إن الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم، واحتجبت بإنسان مخلوق خلقتة لنفسها»، وقلتم: «إن مريم حملت بالإله الخالق وولدت، الذي هو الابن».

فإذا جوزتم أن تكون مريم هي أمّاً للخالق الذي هو الابن حملته وولدت فلم لا يجوز أن تكون زوجة للخالق الذي هو الأب، مع أن الخالق التحم من مريم؟ وقد قلتم: لم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط، ولا كانت الكلمة برية منه قط، ولا من روحه الخالقة، ولا من جوهره؟

فجعلتم الروح خالقة، والله الذي هو الأب خالقاً، والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم، فكما^(١) أن مريم أمه، فالروح الخالقة بمنزلة أبيه.

وأيضاً فمريم، لها اتصال بالأب وبروح القدس، وكلاهما أب للمسيح على ما ذكرتموه.

فإذا كانت مريم متصلة بكل واحد ممن جعلتموه أباً للمسيح، وقلتم إن الخالق التحم من مريم، فهذا أبلغ ما يكون من جعل الخالق زوج مريم.

ومهما فسرتم به اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح المخلوق منها، كانت تفسير التحام اللاهوت بناسوت مريم حتى يصير زوجاً لمريم أولى وأحرى، وليس في ذلك نقص ولا عيب إلا وفي كون اللاهوت ابن مريم، ما هو أبلغ منه في النقص والعيب.

ومعلوم أن أم^(٢) الإنسان أعلى قدراً عنده من زوجته، وأن تسلطه

(١) في هـ (وكما) بدلاً من (فكما).

(٢) (أم) ساقطة من ط .

على زوجته أعظم منه على أمه، فإن الرجل مالك للزوجة، قوام عليها والمرأة أسيرة عند زوجها، بخلاف أمه.

فإذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الأزلي ابناً لناسوت مريم بحكم الاتحاد مع كونه خالقاً لها بلاهوته وابتناً لها بناسوته، ولم يكن هذا ممتنعاً عندكم ولا قبيحاً، فإن تكون مريم صاحبة له وزوجة وامراً بحكم الالتحام بالناسوت أولى وأحرى.

وإن كان هذا ممتنعاً وقبيحاً، فذاك أشد امتناعاً وقبحاً.

* ولهذا ذهب طوائف من النصارى إلى أن مريم امرأة الله وزوجته^(١) وقالوا: أبلغ^(٢) من ذلك، حتى ذكروا شهوته للنكاح^(٣).

ولقد قال بعض *^(٤) أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانياً: إنهم كانوا إذا «نبهوا على قولهم: إن عيسى ابن الله لم يفهم»^(٥) من ذلك إلا أن الله أحبل أمه وولدت له^(٦) المسيح ابنه *^(٧) كما يحبل الرجل المرأة وتلد له الولد، فيكون قد انفصل من الله جزء في مريم بعد أن نكحها، وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم، ولدته مريم، كما تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها، وقد قالت الجن المؤمنون:

﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^(٨).

(١) في هـ (زوجة الله وصاحبه) بدلاً من (امرأة الله وزوجته).

(٢) في ط (إنما هو أبلغ) بزيادة (إنما هو).

(٣) في ط (شهرة النكاح) بدلاً من (شهوته للنكاح).

(٤) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك.

(٥) في ط (يفهموا) بدلاً من (يفهم).

(٦) (الله أحبل أمه وولدت له) ساقطة من هـ.

(٧) ما بين النجمتين غير ظاهر في ك.

(٨) سورة الجن: من الآية ٣.

فنزوه عن هذا وهذا، وهؤلاء الجن المؤمنون أكمل عقلاً وديناً من هؤلاء النصارى.

وقال - تعالى - :

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

فقلوه: «أنى يكون له ولد» تقديره من أين يكون له ولد؟ فـ (أنى) في اللغة بمعنى «من أين ذلك» وهذا استفهام إنكار.

فبين - سبحانه - أنه يمتنع أن يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، مع أنه خالق كل شيء، وأن هذا الولد يمتنع أن يكون، وأن هذا الامتناع مستقر^(٢) في صريح المعقول.

ثم إذا كانت الكلمة التي هي الخالق المخلوق به، قد حلت في جوف مريم، والتحمت من مريم وخلقت منها إنساناً هو المسيح خلقتة لنفسها واحتجبت به واتحدت به، فهل كان خلقها لهذا الإنسان قبل الاتحاد والاحتجاب أم حين ذلك؟

فإنه بعد ذلك ظاهر الامتناع، محال^(٣) أنها بعد الاحتجاب به والاتحاد خلقتة بل لا بد أن تكون^(٤) خلقتة قبله أو معه.

فإن كان معه، لزم كون المخلوق متحداً بالخالق دائماً، لم تمر

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.

في ط ذكر أن هذه الآية في سورة المائدة.

(٢) (مستقر) ساقطة من ك.

(٣) في هـ (بحال) بدلاً من (محال).

(٤) في هـ (يكون) بدلاً من (تكون).

عليه لحظة إلا وهو^(١) متحد به .

فإذا أمكن أن يقارن المخلوق خالقه – وعندهم أنه أقام تسعة أشهر حملاً كعامة الناس ، وقد ذكر ذلك^(٢) سعيد بن البطريق هذا – فإذا كان كذلك ، كان الرب متحداً بالمضغة والجماد ، الذي لا روح فيه .

وإذا جاز عليه هذا ، جاز أن يتحد بسائر الجمادات ، وهذا على قول الأكثرين^(٣) الذين يقولون : إن الروح ، إنما نفخت فيه بعد أربعة أشهر * ومن قال أنها نفخت فيه من حين أخذ الجسد من مريم *^(٤) وهذا يشبه^(٥) قول جمهور النصارى الذين يقولون : إن المسيح مات وصلب وفارقه الروح^(٦) الناطقة^(٧) المنفوخة فيه ، والإله المتحد به لم يفارقه أبداً^(٨) ، فإنهم^(٩) يقولون : إنه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه ، بل هو الآن متحد به ، وهو في السماء قاعد عن يمين أبيه ، وذلك القاعد هو الخالق القديم ، والأب هو الإله الخالق القديم الأزلي ، وهما مع ذلك إله واحد .

والمقصود هنا أنهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت إلى أن قام من قبره ، فعادت^(١٠) الروح إليه ، وحينئذ

(١) في هـ (هو) بسقوط (و) .

(٢) (ذلك) ساقطة من ط .

(٣) في هـ (للكثرين) بدلاً من (الأكثرين) .

(٤) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك .

(٥) في هـ ، ك (أشبهه) بدلاً من (يشبهه) .

(٦) في هـ ، ك (مستقر الروح) بزيادة (مستقر) .

(٧) في ط (الباطلة) ، وفي ك (غير ظاهرة) بدلاً من (الناطقية) .

(٨) (أبداً) ساقطة من هـ ، ك .

(٩) (فإنهم) ساقطة من ك .

(١٠) في هـ (فعاد) بسقوط (ت) .

لم يظهر من تلك المضغة^(١) شيء^(٢) من العجائب.

وهم يستدلون على إلهية المسيح بالعجائب، مع أنه كان الإله متحداً به قبل أن يظهر العجائب، وحينئذٍ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شيء، الجزم بأن الرب لم يتحد به مع إمكان الاتحاد.

ويلزم أن كل جامد وحي ظهرت منه العجائب، أن يكون ذلك دليلاً على أن الرب اتحد به.

وحينئذٍ فعباد العجل أعذر من النصارى، وإن كان من عباد الأصنام من يقول: إن الصنم خلق السماوات والأرض، فهو أعذر من النصارى، لأن ظهور العجائب من الحيوان الأعجم والجماد، أعظم من ظهورها من الإنسان الناطق، لا سيما الأنبياء والرسل، فإن الأنبياء والرسل، معروفون بظهور العجائب على أيديهم. فإذا ظهرت على يد من يقول: إني نبي مرسل، كانت دليلاً على نبوته، لا على إلهيته.

والمسيح كان يقول: إني نبي مرسل، كما ذكر ذلك في الإنجيل في غير موضع، فأما الحيوان الأعجم والجماد، فلا يجوز أن يكون نبياً.

فإن جاز الاتحاد بالمضغة والجسم المقبور الذي لا روح فيه، فاتحاده بالعجل وبالصنم أولى، وحينئذٍ فخوار العجل عجيب منه.

فاستدلال عباد العجل بذلك على أنه إله، خير من استدلال النصارى على إلهية المضغة إن قدر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها.

(١) في هـ (الصفة) بدلاً من (المضغة).

(٢) (شيء) ساقطة من ط، ك.

وإن كانت تلك لا تدل إلا على نبوته - صلى الله عليه وسلم - تسليماً - .

الوجه التاسع: قوله: «فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق خلقته لنفسها»، وقوله: «فكانت^(١) مسكناً في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم».

يقال لهم - أولاً - : من أين لك أن روح الإنسان أَلطف من جميع المخلوقات؟ وأنها أَلطف من الملائكة والروح الذي قال الله فيه:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾^(٢).
وإنها أَلطف من الروح التي نفخ في آدم منه بقوله:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٣).

وبتقدير أن تكون^(٤) أَلطف، فأنت لا تقول: إن الاحتجاب والاتحاد كان بروح الإنسان مجردة، بل بالجسد الناسوتي الدموي الغليظ، وتقول^(٥): «إن الخالق التحم من مريم العذراء» فتجعل^(٦) الخالق قد التحم من لحم^(٧) مريم، ومن^(٨) رحمها الذي هو لحم ودم،

(١) في هـ (وكانت) بدلاً من (فكانت).

(٢) سورة النبأ: من الآية ٣٨.

(إلا من أذن له الرحمن) ناقصة من هـ.

(٣) سورة ص: من الآية ٧٢، وسورة الحجر: من الآية ٢٩.

(٤) في هـ (يكون) بدلاً من (تكون).

(٥) في هـ (ويقول) بدلاً من (وتقول).

(٦) في هـ (فجعل) بدلاً من (فتجعل).

(٧) (من لحم) ساقطة من هـ.

(٨) في هـ (من) بسقوط (و).

وهذه أجساد كثيفة، بل جمهورهم يقول: إنه^(١) اتحد بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت وقبل أن يقوم من قبره.

وحينئذٍ فقولك: «فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع ما لطف من الخلائق كلهم» وصف ممنوع، والتعليل به باطل، فإنه لو كان مسكناً للطفه، لم يجوز أن يسكن إلا في الروح اللطيفة، فلما أثبت اتحاداً بالجسد الكثيف، بطل قولك: «إنه اتحد بالإنسان للطفه».

الوجه العاشر: قولكم^(٢): «واعلم أنه لا يرى شيئاً^(٣) من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه».

يقال لهم: إما أن يكون الله لما اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس وعينوه، أو لم يره أحد.

فإن قلت: قد رآه الناس وعينوه، فهذا مخالف^(٤) للحس والشرع والعقل.

أما الحس، فإن أحداً ممن رأى المسيح لم ير شيئاً يتميز^(٥) به المسيح عن^(٦) غيره من البشر، غير العجائب التي ظهرت على غيره، منها ما هو أعظم مما ظهر عليه، ولم ير إلا بدن المسيح الظاهر، لم ير باطنه، لا قلبه ولا كبده ولا طحاله، فضلاً عن أن يرى روحه، فضلاً عن

(١) (إنه) ساقطة من ط، ك.

(٢) في هـ، ك (قولك) بدلاً من (قولكم).

(٣) في أشياء.

(٤) (مخالف) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ (يميز) بدلاً من (يتميز).

(٦) في هـ (من) بدلاً من (عن).

أن يرى الملائكة الذين يوحون إليه، فضلاً عن أن يرى الله، إن قدر أنه كان متحداً به، أو حالاً فيه.

فدعوى المدعي أن من رأى المسيح، فقد رأى الله عياناً ببصره في غاية المباهة والمكابرة والكذب، لو قدر أن الله حال فيه، أو متحد به.

فإنه من المعلوم أن الملائكة تنزل^(١) على المسيح وغيره، وتتصل بأرواحهم، والناس لا يرون الملائكة، بل الجن تدخل في بني آدم والناس لا يرونهم، وإنما يرون جسد المصروع.

وكل إنسان معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو - نفسه - لا يرى ذلك، ولا يراه من حوله.

وتحضره الملائكة وقت الموت، ولا يراهم من حوله، مع أنه هو يراهم، قال - تعالى - :

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرَ لَكُمْ ۖ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾﴾.

فإذا كانت هذه المخلوقات، التي اتفق أهل الملل على اقترانها بالإنسان واتصالها بهم، وأن رؤيتها ممكنة، لا يراها الناس، فكيف يقال: إن المسيح الذي لم ير الناس منه إلا ما رأوه من أمثاله من الرسل كإبراهيم، وموسى، ولم يكن له قط شيء يتميز به عن جنس الرسل، فكيف يقال: إن الذين رأوه، رأوا الله عياناً بأبصارهم؟

(١) في هـ - (نزلت) بدلاً من (تنزل).

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٨٣ - ٨٧.

في ط (بلغت الروح الحلقوم) بزيادة (الروح) وهو خطأ.

وأما الشرع، فموسى، والمسيح وغيرهما من الأنبياء، أخبروا أن أحداً لا يرى الله في الدنيا.

وأما العقل، فإن رؤية بعض ملائكة الله، أو بعض الجن يظهر لرائيها من الدلائل والأحوال ما يطول وصفه، فكيف بمن رأى الله؟ والذين رأوا المسيح، لم يكن حالهم إلا كحال سائر من رأى الرسل، منهم الكافر به المكذب له، ومنهم المؤمن به، المصدق له، بل هم يذكرون من إهانة ناسوته ما لا يعرف عن نظرائه من الرسل، مثل ضربه، والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه وغير ذلك. وأيضاً، فمعلوم أن من رأى الله، إما أن يعرف أنه الله، أو لا يعرف.

فإن عرف أنه رأى الله، كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنه الله، ولو علموا ذلك، لحصل^(١) لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب. وإن كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار رب العالمين لا يميز بينه وبين غيره من مخلوقاته، بل يكون كواحد منهم، ولا يميز بينه وبينهم، ولا يعرف الرائي أن هذا هو الله. ولوازم هذا القول الفاسدة^(٢) كثيرة جداً.

وإن قالوا: إن الله لم ير، لما اتحد بالمسيح * وإنما رئي جسد المسيح الذي احتجب به الله *^(٣) فقولهم بعد ذلك: «واعلم أنه لا يرى شيء من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق، ولا يرى ما هو لطيف من

(١) في هـ (لم يحصل) بدلاً من (لحصل) ..

(٢) في هـ (الفاسد) بسقوط (ة).

(٣) ما بين النجمتين ساقطة من ك.

اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه» كلام لا فائدة فيه . إذ كان هذا مثلاً ضربوه لله ، ليبينوا أنه يرى^(١) .

فإذا سلموا أنه لم يرَ، لم يكن في هذا المثل فائدة، بل كان هذا^(٢) استدلالاً على شيء يعلمون أنه باطل .

وأيضاً فما ذكروه، من أن اللطيف لا يرى إلا في الغليظ، باطل، فإن اللطيف كروح الإنسان، لا ترى في الدنيا وإن علم وجودها، وأحس الإنسان بروحه وصفاتها، فرؤيتها بالبصر غير هذا . يبين ذلك :

الوجه الحادي عشر : قولهم : «وإننا وجدنا روح الإنسان العاقلة الكلمانية – يعنون النفس الناطقة – ألطف من لطيف الخلق، فلذلك كانت أولى^(٣) خلق الله بحجاب الله، فكانت له حجاباً، وكانت النفس الدموية لها حجاباً، والجسد الغليظ حجاباً .

فعلى هذا خالطت كلمة^(٤) الله الخالقة نفس الإنسان الكاملة لجسدها^(٥) ودمها، وروحها العاقلة الكلمانية، وصارت كلمة الله، بقوامها، قواماً لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله إياها، لأنها لم تخلق، ولم تك شيئاً إلا بقول من كلمة الله الذي خلقها وقومها، لا من شيء سبق قبل ذلك في بطن مريم، ولا من سبب كان لها من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي .

(١) في هـ (رى) بسقوط (يـ) .

(٢) (هذا) ساقطة من هـ .

(٣) في هـ (أول) بدلاً من (أولى) .

(٤) في هـ (كلمات) بدلاً من (كلمة) .

(٥) في هـ (بجسدها) بدلاً من (لجسدها) .

فيقال لهم: هذا الكلام يقتضي أن الخالق احتجب بالنفس الناطقة والنفس الناطقة اجتجبت بالبدن.

وأنتم تصرحون^(١) بأن نفس الكلمة التي هي الخالق، وهي الله عندكم، التي خلقت لنفسها إنساناً اجتجبت به، وقلتم: هو إنسان تام بجسده ونفسه الدموية، وروحه الكلمانية، أي نفسه الناطقة التي هي صورة الله في الإنسان وشبهه، فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه.

فصرحتم بأن البدن مع الروح، مسكن لله في حلوله واحتجابه، وأنه هو الذي خلق ذلك البدن والروح، وقلتم: إن هذه الكلمة الخالقة المحتجبة التي قلتم: إنها الله، التحمت من مريم العذراء.

فإذا كان الله الخالق قد التحم من مريم العذراء، فمعلوم أن ذلك قبل نفخ النفس الناطقة التي سميتموها، الروح الكلمانية في المسيح.

وإذا كان الخالق - تعالى - ، قد التحم بجسد لا روح فيه، والتحامه به أبلغ من حلوله فيه، ثم اتخذ^(٢) الجسد حجاباً قبل نفخ الروح الكلمانية فيه، فكيف يقال: إنما حل في الروح لا في البدن، وهو قد التحم بالبدن واتخذ منه جزءاً مسكناً له وحجاباً قبل أن ينفخ فيه الروح الكلمانية؟

وقلتم أيضاً: فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الإنسان الكاملة، بجسدها ودمها، وروحها العاقلة الكلمانية.

وهذا^(٣) تصريح بأن الخالق خالط الإنسان بجسده ودمه وروحه.

(١) في هـ ، ك (مصرحون) بدلاً من (تصرحون).

(٢) في هـ ، ك (اتحد) بدلاً من (اتخذ).

(٣) في ط، ك (هذا) بسقوط (و).

فكيف تقولون^(١): إنما احتجبت بالروح اللطيفة، مع تصريحكم بأن الخالق اختلط بالجسد والدم.

وهذا أيضاً يناقض قول من قال: إنه اتحد به اتحاداً برياً من الاختلاط.

فقد صرحتم هنا أنه اختلط به، وسيأتي نظائر هذا في كلامهم، يصرحون فيه باختلاط اللاهوت بالناسوت.

الوجه الثاني عشر: قولكم: «غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو أحد التثليث الإلهي، فذلك القوام معدود معروف مع الناس، لما ضم إليه وخلقه له التحم به من جوهر الإنسان، فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام الكلمة^(٢) الله^(٣) الخالقة، واحد في التثليث بجوهر لاهوته، واحد من الناس بجوهر ناسوته، وليس باثنين، ولكن واحد مع الأب والروح، وهو إياه واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين، من جوهر اللاهوت الخالق، وجوهر^(٤) الناسوت المخلوق، بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة، التي هي الابن المولود من الله من قبل كل الدهور وهو إياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الأب، ولا من روح القدس».

فيقال: في هذا الكلام، بل فيما تقدم ذكره، ما يطول تعداده ووصفه من التناقض والفساد، والكلام الباطل، والكلام الذي تكلم به قائله، وهو لا يتصور ما يقول مع سوء التعبير عنه، كقوله: «وهو إياه»

(١) في ط، (وتقولون) بزيادة (و).

(٢) في هـ (الكلمة) بزيادة (ا).

(٣) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ.

(٤) في ط (وهو) بدلاً من (وجوهر).

فيضع الضمير المنفصل موضع المتصل، ويعطف أحدهما على الآخر بلا واو عطف إلى أمثال ذلك مما^(١) يطول ذكر معانيه، وذلك أن قولهم في نفسه باطل لا حقيقة له، وهم لم يتصوروا معنى معقولاً، ثم عبروا عنه، حتى يقال: قصروا في التعبير، بل هم في ضلال وجهل لا يتصورون معقولاً، ولا يعرفون ما يقولون، بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه في المسيح، بل مهما قالوه من بدعهم كان باطلاً، وكانوا هم معترفون بأنهم لا يفقهون ما يقولون.

لهذا يقولون: «هذا فوق^(٢) العقل» ويقولون: «قد اتحد به بشر لا يدرك» فما لا يدرك وما هو فوق العقل، ليس لأحد أن يعتقده ولا يقوله برأيه.

لكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الإنسان عنه، علم صدقهم، وإن نقل عنهم ناقل ما يعلم بصريح العقل بطلانه، علم أنه يكذب عليهم، إما في اللفظ والمعنى، وإما في أحدهما.

وأما إذا كان هو يقول القول الذي يذكر أنه علم صحته، أو أنه فسر به كلام الأنبياء، وهو لا يتصور ما يقوله ولا يفقهه، فهذا قائل على الله وعلى رسله ما لا يعلم، وهذا قد ارتكب أعظم المحرمات، قال - تعالى - :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ (٣).

(١) في هـ (ما) بدلاً من (مما).

(٢) في هـ (قول) بدلاً من (فوق).

(٣) سورة الأعراف: من الآية ٣٣.

في كـ (بغير حق) بدلاً من (بغير الحق). في هـ (به سلطاناً قال وأن...) بزيادة (قال).

* وقال - تعالى (١) - عن الشيطان :

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) * (٣).

وقال - تعالى - :

﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ
فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ
سُبْحَنَهُ ۚ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ
يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ
أَسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٤).

وقد (٥) اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام،
والله - سبحانه - نهاهم أن يقولوا على الله إلا الحق، فكان هذا نهياً أن
يقولوا الباطل، سواء علموا أنه باطل أو لم يعلموا.

فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل، فلم يعلموا أنه حق أيضاً، إذ الباطل
يُمْتَنَعُ أن يعلم أنه حق، وإن اعتقد معتقداً فاسداً أنه حق، فذلك

(١) (تعالى) ساقطة من هـ .

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٦٩ .

(٣) ما بين هذه النجمتين ساقط من ك .

(٤) سورة النساء: الآيات ١٧١ - ١٧٣ .

في ك (فيزيدهم) بدلاً من (ويزيدهم).

(٥) (قد) ساقطة من هـ ، ك .

ليس بعلم، فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون.

وإن علموا أنه باطل، فهو أجدر أن لا يقولوه.

وعامة النصارى ضلال لا يعلمون أن ما يقولونه حق، بل يقولون على الله ما لا يعلمون.

والمقصود أن الباطل في كلامهم كثير، كقولهم: «فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد، قوام لكلمة الله الخالقة».

والمسيح عندهم اسم للاهوت والناسوت جميعاً، اسم للخالق والمخلوق، وأحدهما متحد بالآخر، فهو بتوحيد ذلك القوام، قوام لكلمة الله الخالقة.

وسواء أريد بذلك أن الناسوت واللاهوت قوام للاهوت أو أن الناسوت^(١) قوام للاهوت، وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد، فيكون كما لو قيل: إن الجسد والروح، أو الجسد قوام^(٢) للروح، أو النار والحديد^(٣)، أو الحديد قوام للنار.

فيقال: الخالق الأزلي الذي لم يزل ولا يزال، هل يكون المحدث المخلوق قواماً له؟ فيكون المخلوق المصنوع المحدث المفتقر إلى الله من كل وجه قواماً للخالق الغني عنه من كل وجه؟ وهل هذا إلا من أظهر الدور الممتنع؟

فإنه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء، أن المخلوق

(١) في هـ (والناسوت) بدلاً من (أو أن الناسوت).

في ك (أو الناسوت) بسقوط (أن).

(٢) في هـ، ك (قواماً) بدلاً من (قوام).

(٣) في هـ، ك (أو الحديد) بدلاً من (والحديد).

لا قوام له إلا بالخالق، فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق، لزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر، فيكون كل منهما محتاجاً إلى الآخر، إذ ما كان قوام الشيء به، فإنه^(١) محتاج إليه.

وهذا - مع كونه يقتضي أن الخالق يحتاج إلى مخلوقه - وهو من الكفر الواضح، فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل، وهذا لازم للنصارى، سواء قالوا^(٢) بالاتحاد أو بالحلول بلا اتحاد، وإن كانت فرقهم الثلاث يقولون بنوع من الاتحاد، فإنه مع الاتحاد كل من المتحدين لا بد له من الآخر، فهو محتاج إليه كما يمثلون به في الروح مع البدن والنار مع الحديد.

فإن الروح التي في البدن محتاجة إلى البدن، كما أن النار في^(٣) الحديد محتاجة إلى الحديد.

وكذلك الحلول، فإن كل حال محتاج إلى محلول^(٤) فيه، (وهو من الكفر الواضح فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل)^(٥).

فإن ذلك المخلوق إن قدر أنه موجود بنفسه قديم أزلي، فليس هو مخلوقاً، ومع هذا فيمتنع أن يكون كل من القديمين^(٦) الأزليين^(٧) محتاجاً إلى الآخر، سواء قدر أنه فاعل له، أو تمام الفاعل له، أو كان

(١) في هـ، ك (فإن الشيء) بدلاً من (فإنه).

(٢) في هـ (قالوه) بدلاً من (قالوا).

(٣) في هـ (والنار التي في) بدلاً من (كما أن النار في).

(٤) في هـ (محله) بدلاً من (محلول).

(٥) ما بين القوسين ساقط من هـ، ك.

(٦) في ك (القديم) بدلاً من (القديمين).

(٧) في ك (الأزلي) بدلاً من (الأزليين).

مفتقراً إليه بوجه من الوجوه، لأنه إذا كان مفتقراً إليه بوجه من الوجوه، لم يكن موجوداً إلاً به .

فإن الموجود لا يكون موجوداً إلاً بوجود لوازمه، ولا يتم وجوده إلاً به . فكل ما قدر أنه محتاج إليه لم يكن موجوداً إلاً به .

فإذا كان كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر، لزم أن لا يكون هذا موجوداً إلاً بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر، وأن لا يكون هذا موجوداً إلاً بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر .

والخالق لا يكون خالقاً، حتى يكون موجوداً، ولا يكون موجوداً إلاً بلوازم وجوده، فيلزم أن لا يكون هذا موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، ولا يكون ذاك موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، إذ كان جعله لما لم يتم به وجوده، يتوقف وجوده عليه، فلا يكون موجوداً إلاً به فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده إلاً به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلاء .

وأما الدور المعني، وهو أنه لا يوجد هذا إلاً مع هذا، ولا هذا إلاً مع هذا كالأبوة مع البنوة، وكصفات الرب بعضها مع بعض، وصفاته مع ذاته، فإنه لا يكون عالماً إلاً مع كونه قادراً، ولا يكون عالماً قادراً إلاً مع كونه حياً، ولا يكون حياً إلاً مع كونه عالماً قادراً، ولا تكون صفاته موجودة إلاً بذاته، ولا ذاته موجودة إلاً بصفاته، فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران إلى الخالق الذي يحدثهما جميعاً كالأبوة والبنوة، وجائز في الرب الملازم لصفاته — تعالى — .

وأما إذا قدر قديمان أزليان ربان فاعلان، امتنع أن يكون أحدهما محتاجاً إلى الآخر، إذ كان وجوده لا يتم إلاً بما يحتاج وجوده إليه، ولا يكون فاعلاً لشيء إن لم يتم وجوده، فيمتنع مع نقص كل منهما عن

تمام وجوده، أن يكون فاعلاً لغيره تمام وجود ذلك الغير، ولهذا لم يقل بهذا أحد من الأمم.

ولكن الذي قاله النصارى أنهم جعلوا قوام الخالق - تعالى - بالمخلوق.

فيقال لهم: هذا أيضاً ممتنع في صريح العقل، أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر، وإن كان هذا أيضاً ممتنعاً فإن المخلوق مفتقر في جميع أموره إلى الخالق، فيمتنع - مع فقره في وجوده وتمام وجوده إلى الخالق - أن يكون قوام الخالق به، لأن ذلك يقتضي أن يكون مقيماً له، وأن يكون تمام وجوده به، فيكون المخلوق لا وجود لشيء منه إلا بالخالق.

فالقدر الذي يقال: إنه يقيم به الخالق هو من الخالق والخالق خالقه، وخالق كل مخلوق، فلا وجود له ولا قيام إلا بالخالق، فكيف يكون به قيام الخالق؟

وليس هذا كالجوهر وأعراضه اللازمة، أو كالمادة والصورة عند من يزعم أن الصورة جوهر إذا كانا متلازمين، فإن هذا من باب الدور المعني، كالنبوة مع الأبوة، وهذا جائز كما تقدم، إذ كان الخالق لهما جميعاً هو الله.

وأما مع كون كل منهما هو الخالق، فهو ممتنع، ومع كون أحدهما خالقاً، والآخر مخلوقاً، فهو أشد امتناعاً.

والرب - تعالى - غني عن كل ما سواه من كل وجه، وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه، وهذا معنى اسمه «الصمد» فإن الصمد الذي يصمد إليه كل شيء، لافتقاره إليه، وهو غني عن كل شيء لا يصمد

إلى شيء، ولا يسأله شيئاً - سبحانه وتعالى - ، فكيف يكون قوامه
بشيء من المخلوقات؟

وهذا الاتحاد الخاص من النصارى يشبه - من بعض الوجوه -
قول أهل الوحدة والاتحاد العام، الذين يقولون كما يقوله ابن عربي^(١)
صاحب «الفصوص»^(٢) و«الفتوحات المكية»^(٣): إن أعيان المخلوقات
ثابتة في العدم، ووجود الحق فاض عليها، فهي مفتقرة إليه من حيث
الوجود المشترك العام، وهو وجوده، وهو مفتقر إليها من حيث الأعيان
الثابتة في العدم، وهو ما يختص به كل عين عين، فيجعل كل واحد من
الخالق والمخلوق مفتقرة إلى الآخر.

ويقولون: الوجود واحد، ثم يثبتون تعدد الأعيان، ويقولون: هي
مظاهر ومجالي.

فإن كان المظهر والمجلى غير الظاهر، فقد ثبت التعدد، وإن كان

(١) ابن عربي: هو محمد بن علي بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي
المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة
المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ وانتقل إلى الشام
وبلاد الروم والعراق والحجاز ماراً بمصر فأنكر عليه أهلها بعض الشطحات التي
صدرت عنه فعمل بعضهم على إراقة دمه كالحلاج، وحبس ثم تخلص فنجاً،
واستقر في دمشق حتى مات بها سنة ٦٣٨هـ، وهو شيخ أهل وحدة الوجود وكان
زكياً حافظاً، وله مؤلفات صوفية كثيرة من أضخمها «الفتوحات المكية». قال ابن كثير
فيها ما يعقل وما لا يعقل، وله كتابه المسمى «فصوص الحكم»، فيه أشياء كثيرة
ظاهرها كفر صريح، وله تصانيف كثيرة غير ذلك.

انظر: البداية والنهاية ١٣/١٥٦؛ وفوات الوفيات ٣/١٠٤٣٥؛ وشذرات الذهب
١٩٠/٥، وميزان الاعتدال ٣/١٠٨؛ والأعلام للزركلي ٧/١٧٠.

(٢) الفصوص: كتاب من مؤلفات ابن عربي، مطبوع باسم (فصوص الحكم).

(٣) الفتوحات المكية: كتاب من مؤلفات ابن عربي. مطبوع.

هو إياه، فلا تعدد، فلهذا يضطرون إلى التناقض كما يضطر إليه
النصارى، حيث^(١) يثبتون الوحدة مع الكثرة، وينشدون (فيعبدني وأعبد
ويحمدني وأحمده)^(٢)، وهؤلاء بنوا قولهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن أعيان الممكنات ثابتة في العدم، كقول من يقول من
أهل الكلام: إن المعدوم شيء ثابت في العدم، وهذا القول فاسد عند
جماهير العقلاء.

وإنما حقيقة الأمر أن المعدوم يراد إيجاداً ويتصور ويخبر به
ويكتب قبل وجوده، فله وجود في العلم والقول والخط. وأما في
الخارج، فلا وجود له.

والوجود هو الثبوت، فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي،
وإنما ثبوته في العلم، أي يعلمه العالم قبل وجوده.

والأصل الثاني: أنهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق
القديم الأزلي الواجب بنفسه، هو نفس وجود المربوب المصنوع
الممكن، كما قال ابن عربي: * ومن عرف ما قرناه في الأعداد وأن
نفيها عين^(٣) إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه. فالأمر

(١) (حيث) ساقطة من هـ .

(٢) هذا بيت من قصيدة لابن عربي في كتابه فصول الحكيم - فص حكمة مهيمية في
كلمة إبراهيمية، ومنها:

فيحمدني وأحمده	ويعبدني وأعبد
ففي حال أقربه	وفي الأعيان أجده
فيعرفني وأنكره	وأعرفه فأشده

راجع شرح هذه الأبيات: شرح الدكتور عفيفي للفصوص ص ٦٥؛ شرح القاشاني
للفصوص ص ٢٤ .

(٣) في هـ (عن) بدلاً من (عين).

للخالق هو المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة * وهو «يا أبتِ افعل ما تؤمر»^(١) إلى أن قال وما ذبح سوى نفسه : وما نكح سوى نفسه^(٢).

وقال : ومن أسمائه الحسنی العلي ، على من يكون علياً وما هو إلا هو؟ أو عن ماذا يكون علياً وما ثم إلا هو؟ فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها ، وليست إلا^(٣) هو.

وقد نقل عن أبي سعيد الخراز^(٤) أنه قيل له : بماذا عرفت ربك؟ قال : بجمعه بين الأضداد وقرأ قوله :

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥).

أراد بذلك أنه مجتمع^(٦) في حقه - سبحانه - ، ما يتضاد في حق غيره ، فإن المخلوق لا يكون أولاً آخرأ ، باطناً ظاهراً^(٧).

وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول : «أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك

(١) ما بين النجمتين ساقط من هـ ، ك.

(٢) ذكر هذا الكلام في كتاب فصوص الحكم لابن عربي من ص ٧ - ٧٧.

(٣) (إلا) ساقطة من ط ، ك.

(٤) هو : أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز ، شيخ الصوفية وأحسنهم كلاماً ، أول من

تكلم في علم الفناء والبقاء . توفي سنة ٢٨٦ هـ .

انظر : شذرات الذهب ٢/ ١٩٢ ؛ والبداية والنهاية ١١/ ٨١.

(٥) سورة الحديد : من الآية ٣.

(٦) في هـ (يجتمع) بدلاً من (مجتمع).

(٧) في هـ (ظاهراً باطناً) تقديم وتأخير.

شيء»^(١)، فجاء هذا الملحد^(٢) وفسر قول أبي سعيد بأن المخلوق هو الخالق. فقال: قال أبو سعيد، وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من بطن عنه سواه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عن نفسه، وهو المسمى أبو سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات ولهذا قال بعض النصارى لمن يقول مثل هذا ويحكيه عن شيوخه ويقول إنه مسلم: «أنتم كفرتمونا لأجل أن قلنا: إن الله هو المسيح، وشيوخكم يقولون: إن الله هو أبو سعيد الخراز، والمسيح خير من أبي سعيد»^(٣).

وهؤلاء يجيبون النصارى بجواب يتبين به أنهم أعظم إلحاداً من النصارى.

فيقولون للنصارى: «أنتم خصصتموه بالمسيح، ونحن نقول: هو وجود كل شيء، لا نخص المسيح».

ولهذا قال بعضهم لأحذق هؤلاء «التمساني»^(٤) الملقب بالعفيف: أنت نصيري.

(١) انظر:

* صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب ١٧ - حديث رقم ٦١ - عن سهيل، قال: كان أبو صالح يأمرنا - الحديث بلفظه.
* مسند الإمام أحمد ٤٠٤/٢ - عن أبي هريرة - الحديث بلفظه.
* سنن الترمذي - دعوات باب ١٣٨/١٩ - حديث رقم ٣٤٦٠ - عن أبي هريرة الحديث بلفظه.

(٢) يقصد: ابن عربي الطائفي.

(٣) أبي سعيد - الخراز. راجع الصفحة السابقة هامش (٤).

(٤) العفيف التلمساني: سبقت الإشارة إليه ١٨٦/٣.

فقال نصير جزء مني، فإن النصيرية^(١) أتباع أبي شعيب «محمد بن نصير» يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح، كذلك سائر الغلاة في علي، أو في أحد من أهل بيته، أو في الإسماعيلية^(٢) بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر^(٣)، كالحاكم^(٤) وغيره،

(١) النصيرية: لم ينسبوا إلى شيخ، وهم القائلون بآلهية علي - رضي الله عنه - ويسبون فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - بكل قبيح - لعنهم الله - ويسبون الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ويقولون أن خير الناس عبد الرحمن بن ملجم - قاتل علي - رضي الله عنه - قالوا: لأنه خلص روح اللاهوت من الجسد والتراب، وقد غلبوا على الأردن ومدينة طبرية في زمن متقدم. انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٣٧.

(٢) الإسماعيلية: هم المنتسبون إلى محمد بن إسماعيل - وليسوا على دينه - بل قالوا: إنه الذي إليه كنتم السر الباطن عندهم - الذي أنزل الله - تعالى - على رسوله - صَلَّى الله عليه وسلّم - وأمره بكنتمه عن الناس إلا عن وصيه وخليفته علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قالوا: إنه - سبحانه - أمره أن يختار من أمته أفضلهم ويعلمه شطر ما اطلع عليه من أنوار ذلك العلم، فاختار علياً واستكنتمه ألا يخرج منه ذلك إلا لمن يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته حتى انتهى ذلك إلى محمد بن إسماعيل.

انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٧.

(٣) محمد بن إسماعيل بن جعفر: هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسيني الطالبي الهاشمي إمام عند القرامطة، وترى الطائفة الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه، ويقال بأنه مات في فرغانة أو في نيسابور، والقرامطة تعتبره من أهل العزائم. أما الدروز فيطلقون عليه الناطق السابع ويقولون إنه رفع التكليف الظاهرية ومن الباطنية من يعتقد أنه نبي نسخ شريعة محمد - صَلَّى الله عليه وسلّم - . انظر: منهاج السنة؛ وتلبس إبليس؛ والأعلام للزركلي ٢٥٨/٦.

(٤) الحاكم: هو منصور بن نزار بن معد بن إسماعيل بن العبيدي الفاطمي، أبو علي الحاكم بأمر الله، ويقال له العبيدي، والحاكم بأمره، متقلب غريب الأطوار من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، ولد سنة ٣٧٥هـ بالقاهرة وتولى الحكم وعمره إحدى عشرة =

أو في الحلاج^(١)، أو في بعض من الشيوخ الذين يقولون في واحد من هؤلاء باتحاد اللاهوت به أو حلوله فيه، نظير ما تقوله النصارى في المسيح. وهؤلاء^(٢) يقولون بأن الحلول والاتحاد محدث، وأن القديم حل أو اتحد بالمحدث بعد أن لم يكونا متحدين.

وأما أولئك^(٣) فيقولون بالوحدة المطلقة، فمحققوهم يقولون: إنه وجود كل شيء، لا يقولون باتحاد وجودين، ولا بحلول أحدهما بالآخر.

بل قد يقولون: إن الوجود هو ثبوت^(٤) وجود الحق، وثبوت الأشياء اتحاداً، وكل منهما مفتقر إلى الآخر.

فالحق إذا ظهر كان عبداً، والعبد إذا بطن كان رباً.

ويقولون: إذا حصل لك التجلي الذاتي، وهو هذا، لم تضرك عبادة الأوثان ولا غيرها، بل يصرحون بأنه عين الأوثان والأنداد، وأن

سنة بعد وفاة أبيه، وأعلنت الدعوة إلى تأليهه سنة ٤٠٧ هـ، وقام بدعوته محمد بن إسماعيل الدرزي، وحسن بن حيدرة الفرغاني، وكادا يفسلان، ولكن ظهر حمزة بن علي بن أحمد، ففقت الدعوة به، وكان الحاكم متناقضاً سفاكاً للدماء يمشي وحده أحياناً كثيرة، وكان غالباً ما يركب حماراً، وذاق الناس منه في مدة حكمه بلاءً ومحنًا وفتناً، واستهتر في أعوامه الأخيرة إلى أن فقد في إحدى الليالي سنة ٤١١ هـ، ويقال أن رجلاً اغتاله غيرة لله وللإسلام، ويقال أن أخته ست الملك دست له من اغتاله، أما أتباعه فيشيعون أنه احتجب وسعود. انظر: وفيات الأعيان ٢٩٢/٥؛ البداية والنهاية ٩/١٢؛ وشذرات الذهب ١٩٢/٣؛

(١) الحلاج: سبقت الإشارة إليه ٣٨٦/٣.

(٢) يعني: النصارى.

(٣) يعني: أهل وحدة الوجود.

(٤) في هـ (والثبوت)، وفي ك (هو الثبوت).

أحداً لم يعبد غيره، كما يقول ابن عربي مصوباً لقوم نوح^(١) الكفار (ومكروا مكرًا كباراً)، قال^(٢) لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، فإنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية «ادعوا إلى الله» فهذا عين المكر، فأجابوه «مكرًا» كما دعاهم «مكرًا» فقالوا في مكرهم: «لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سوعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً» إذا تركوهم^(٣) جهلوا عن الحق على قدر^(٤) ما تركوا من هؤلاء.

فإن للحق في كل معبود وجهاً، يعرفه من عرفه، ويجهله من جهله، كما قال في المحمدين: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^(٥)، أي حكم^(٦) فما^(٧) حكم الله بشيء إلا وقع. فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصور الروحانية، فما عبد غير الله في كل معبود.

وصوب هذا الملحد فرعون^(٨) في قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾^(٩)

(١) نوح: سبقت الإشارة إليه ١٥٧/٣.

(٢) (قال) ساقطة من ط، ك.

(٣) في هـ (إذا تركوا هؤلاء) بدلاً من (إذا تركوهم).

(٤) في هـ (بقدر) بدلاً من (على قدر).

(٥) سورة الإسراء: من الآية ٢٣.

(٦) (أي حكم) ساقطة من ط، ك.

(٧) في هـ (وما) بدلاً من (فما).

(٨) فرعون: كلمة مصرية معناها (البيت الكبير)، وهو لقب لملوك مصر، ومن الفراعنة

المذكورين في العهد القديم عدد من بينهم فراعنة إبراهيم ويوسف والتسخير

والخروج، والمقصود به هنا فرعون مصر الذي أرسل إليه موسى — عليه السلام —.

انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٦، وانظر: قصة موسى في كتب التفسير.

(٩) سورة النازعات: من الآية ٢٤.

قال: ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أي وإن كان الكل أرباباً بنسبةٍ ما، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم.

قال: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك وقالوا له: إنما تقضي هذه الحياة الدنيا (فاقض ما أنت قاض) فالدولة لك.

قال: فصح قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) وإن كان فرعون عين الحق.

وصوب أيضاً أهل العجل في عبادتهم العجل، وزعم أن موسى رضي بذلك. فقال: ولما كان موسى أعلم بالأمر من هارون، لعلمه بأن الله قضى أن لا نعبد إلا إياه، وما حكم الله^(١) بشيء إلا وقع، كان^(٢) عتبه^(٣) على هارون لإنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل من^(٤) يراه عين كل شيء.

ومن هؤلاء طائفة لا يقولون بثبوت الأعيان في العدم، بل يقولون ما ثم وجود إلا وجود الحق.

لكن يفرقون بين المطلق والمعين فيقولون: هو الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة، كالحيوانية الثابتة في كل حيوان، والإنسانية الثابتة في كل إنسان، وهذا الذي يسمى الكلي الطبيعي.

(١) لفظ الجلالة (الله) ساقط من هـ .

(٢) في هـ (وكان) بزيادة (و) .

(٣) في ط، ك (عييه) بدلاً من (عتبه) .

(٤) (من) ساقطة من ط .

ويسمون هذا الوجود، الإحاطة فيقولون: هو^(١) الوجود المطلق إما بشرط الإطلاق عن كل قيد، وهذا يسمى الكلي العقلي .

وهذا عند عامة العقلاء، لا يوجد إلا في الذهن لا في الخارج، ولكن يحكى عن شيعة «أفلاطون»^(٢) أنهم أثبتوا هذه الكليات^(٣) المجردة عن الأعيان في الخارج، وقالوا: إنها قديمة أزلية إنسانية مطلقة، وحيوانية مطلقة، ويسمونها المثل الأفلاطونية، والمثل المعقدة.

وقد رد ذلك عليهم إخوانهم «أرسطو»^(٤) وشيعته، وجماهير العقلاء وبينوا أن هذه إنما هي متصورة في الأذهان لا موجودة في الأعيان، كما يتصور الذهن عدداً مطلقاً ومقادير مطلقة، كالنقطة، والخط، والسطح، والجسم التعليمي ونحو ذلك مما يتصوره الذهن، وليس من^(٥) ذلك شيء في^(٦) الموجودات الثابتة في الخارج.

وهذا المطلق بشرط الإطلاق، يظن هؤلاء ثبوته في الخارج^(٧)، وقد يسمونه الإحاطة، وهو الوجود المجرد عن جميع القيود، ثم بعده الوجود المطلق لا بشرط، وهو العام المنقسم^(٨) إلى واجب وممكن،

(١) (هو) ساقطة من ط، ك.

(٢) أفلاطون: سبقت الإشارة إليه ٢٨٥/٣.

(٣) في ط، ك (الكلمات) بدلاً من (الكليات).

(٤) أرسطو: هو أرسطوطاليس بن نيقوب خوس، ولد سنة ٣٨٤ ق. م، فيلسوف وحكيم مشهور، تتلمذ على أفلاطون، وله كتب كثيرة في مختلف الفنون من المنطق والطبيعات والإلهيات والأخلاق. مات سنة ٣٢٢ ق. م.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٣٦٢/٢.

(٥) في ط، ك (في) بدلاً من (من).

(٦) في ط، ك (من) بدلاً من (في).

(٧) (في الخارج) ساقطة من ط .

(٨) في هـ (والوجود العام المطلق ينقسم) بدلاً من (وهو العام المنقسم).

إلى قديم وحادث ونحو ذلك، كانقسام الحيوان إلى ناطق وأعجم.

وهذا المطلق لا بشرط يوجد في الخارج، فإن الاسم * المفرد يصدق عليه فيقال هذا حيوان، هذا إنسان، وإن كان الاسم *^(١) العام شامل لأنواعه وأشخاصه لكن لا يوجد في الخارج إلاً مقيداً معيناً.

ومن قال: إنه يوجد في الخارج كلياً، فقد غلط، فإن الكلي لا يكون كلياً قط إلاً في الأذهان لا في الأعيان، وليس في الخارج إلاً شيء معين، إذا تصور منع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه، ولكن العقل يأخذ القدر المشترك الكلي بين المعينات، فيكون كلياً مشتركاً في الأذهان.

وهؤلاء يجعلون الوجود الواجب هذا، وقد يجعلونه بعد هذا، فيقولون: هذا فرق الواجب.

وهذا الوجود الكلي إذا قيل: إنه لا يوجد في الخارج إلاً معيناً، فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخصة، بما فيها من الصفات القائمة بها.

وإن قدر وجوده في الخارج، فهو إما جزء من المعينات، وإما صفة لها.

فعلى الأول، لا يكون في الخارج موجود هو رب الموجودات المعينة.

وعلى الثاني يكون رب الموجودات جزءها أو صفة لها.

ومعلوم بصريح العقل أن صفة الشيء القائمة به، لا تخلق

(١) ما بين النجمتين ساقط من ط، ك.

الموصوف وأن جزء الشيء لا يخلق الشيء، بل جزء الشيء، جزء^(١) من الشيء. فإذا كان هو الخالق للجملة، كان خالقاً لنفسه، وكان بعض الشيء^(٢) خالقاً لكله.

ومن هؤلاء من يقول: إن الرب في العالم كالزبد في اللبن، والدهن في السمس ونحو ذلك، فيجعلونه جزءاً من العالم المخلوق^(٣). ونفس تصور هذا يكفي في العلم بفساده.

لكن هؤلاء يقولون: لمن تبعهم^(٤) إن لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق والتجلي^(٥) الذي حصل لنا، ويقولون: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل.

فقلت لبعضهم: إن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه^(٦) أكمل الناس كشفاً، وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف في عقولهم أنه باطل، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

فمن دونهم إذا أخبر عن شهود وكشف، يعلم بصريح العقل بطلانه علم أن كشفه باطل.

وأما إن كان لم يعلم بطلانه، فهذا قد يمكن فيه^(٧) إصابته، وقد

(١) في هـ (بعض) بدلاً من (جزء).

(٢) في ط (شيء) بسقوط (ال).

(٣) (المخلوق) ساقطة من هـ.

(٤) (لمن تبعهم) ساقطة من ط، ك.

(٥) (التجلي) ساقطة من ط، ك.

(٦) (وسلامه) ساقطة من ط، ك.

(٧) (فيه) ساقطة من ط، ك.

يمكن خطؤه، لأن غير الأنبياء ليس بمعصوم^(١).

وهؤلاء سمعوا باسم الله وقصدوا عبادته ومعرفته، فوقفوا على أثره في مصنوعاته، فظنوا أنه هو، كمن سمع بالشمس، فلما أن رأى الشعاع المنبسط في الهواء والأرض، ظن أن ذلك هو الشمس، ولم يصعد بصره وبصيرته إلى الشمس التي في السماء.

وكذلك هؤلاء لم تصمد بصائر قلوبهم إلى رب العالمين، الذي فوق كل شيء، المباين لمخلوقاته.

وسر ذلك، أنهم يشهدون بقلوبهم وجوداً مطلقاً بسيطاً، ليس له اسم خاص، كالحَي، والعليم، والقدير. ولا له صفة، ولا يتميز^(٢) فيه شيء عن شيء، وهذا هو الوجود المشترك.

لكن هذا الشهود هو في نفوسهم، لا حقيقة له في الخارج، وكثير ممن يخاطبهم لا يتصور ما يشهدونه، فيظنون أنه لم يفهم ما شهدوه.

وقد خاطبت غير واحد منهم، وبينت له أن هذا الذي يشهدونه هو في الذهن، وبتقدير أن يكون موجوداً في الخارج، فهو صفة للموجودات، أو جزء منها، ويظنون مع ظنهم أنه موجود في الخارج، أنه لم يبق في الخارج غير ما شهدوه، فإنهم يغيبون عن الحس الذي يدرك المعينات ويغيبون عقولهم عن تصورهما، حتى لا يميزوا بين موجود وموجود، ويقولون: الحس فيه تفرقة، ثم^(٣) يشهدون هذا الوجود

(١) في هـ (لم يكن معصوماً) بدلاً من (ليس بمعصوم).

(٢) في هـ (تميز) بدلاً من (يتميز).

(٣) في هـ (لم) بدلاً من (ثم).

المطلق مع عزلهم الحس، فيظنون أن هذا المطلق هو نفس المعينات، وأنه ما بقي موجوداً أصلاً.

فيقال لهم: لو قدر أن الوجود الكلي ثابت في الخارج كلياً، وأنكم شهدتم ذلك، فمعلوم عند كل عاقل أن وجود^(١) الكلي المشترك، لا يناقض وجود المعين المختص.

فالحوانية، والإنسانية المشتركة المطلقة، لا تناقض أعيان الحيوان وأعيان الإنسان، وحينئذ ثبوت أعيان الموجودات حاصل في الخارج.

وهب أنكم غبتم عن هذا ولم^(٢) تشهدوه، فالغيبة عن شهود الشيء لا يوجب عدمه في نفسه.

فإذا لم يشهد العبد الشيء، أو لم يرده، أو لم يعلمه، أو لم يخطر بقلبه^(٣) أو فنى عن شهوده، أو اصطلم، أو غاب، لم يلزم من ذلك أن يكون الشيء صار في نفسه^(٤) معدوماً فانياً لا حقيقة له، بل الفرق ثابت بين أن يعدم الشيء في نفسه ويفنى ويتلاشى، وبين أن يعدم شهود الإنسان له وذكره ومعرفته.

وهؤلاء^(٥) - من ضلالهم - يظنون أنه إذا فنى شهودهم للموجودات، كانت فانية في أنفسها^(٦)، فلم يكن^(٧) موجوداً إلاً

(١) في هـ (الوجود) بزيادة (ال).

(٢) في هـ (لم) بسقوط (و).

(٣) في هـ (عليه) بدلاً من (بقلبه).

(٤) في هـ (في نفسه صار) بزيادة (صار).

(٥) يقصد أهل وحدة الوجود.

(٦) في هـ (نفسها) بدلاً من (أنفسها).

(٧) (يكن) ساقطة من ك.

في هـ (يبقى) بدلاً من (يكن).

ما تخيلوه^(١) من الوجود المطلق.

ويقولون: الكثرة والتفرقة^(٢) في الحس، فإذا فنى شهود القلب عن الحس، لم يبق تفرقة ولا كثرة، ويظنون أن شهود الحس حينئذ خطأ، والعقل هو الذي يشهد الكليات، والمطلقات دون الحس، فإذا أبطلوا ما شهدته الحس لم يبق معهم إلا الوجود الكلي.

ثم يظنون - مع ذلك - أنه هو الله، فيبقى الرب - عندهم - وهماً وخيلاً في نفوسهم لا حقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهم وهو التستري^(٣) صاحب ابن سبعين^(٤) (وهمك هو بتشخيص ما تحته

(١) في ط (ما يخیلونه) بدلاً من (تخیلوه). (٢) في هـ (التفرقة والكثرة).

(٣) في ط، ك (الششتري) بدلاً من (التستري).

التستري: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عبد الله التستري العابد الزاهد المشهور لقي ذا النون المصري بمكة المكرمة، ولد بتستر من بلاد الأهواز سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٣هـ بالبصرة وقد تخرج على خاله محمد بن سوار وكان متصوفاً له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، قال صاحب شذرات الذهب طريقة سهل تشبه طريق الملامية.

انظر: وفيات الأعيان ٤٢٩/٢؛ وحلية الأولياء ١٨٩/١٠؛ وشذرات الذهب ١٨٢/٢؛ والبداية والنهاية ٧٤/١١.

(٤) ابن سبعين: هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي أبو محمد من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود، ولد في مرسية بالأندلس سنة ٦١٤هـ ودرس العربية والأدب بها وانتقل إلى سبتة وحج مراراً واشتهر أمره وكفره كثير من الناس، وقال الذهبي عنه اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي، وأعظم من هذا قوله في الله - تبارك وتعالى - (إنه حقيقة الموجودات) وله مؤلفات كثيرة منها الحروف الوضعية في الصور الفلكية وشرح كتاب إدريس - عليه السلام -، وقد فصد بمكة، فترك الدم ينزف منه حتى مات سنة ٦٦٩هـ.

انظر: فوات الوفيات ٢٥٣/٢؛ والبداية والنهاية ٢٦١/١٣؛ وشذرات الذهب ٣٢٩/٥.

شيء^(١)، وقال :

تري^(٢) الوجود واحداً^(٣) وأنت ذاك وليس عليك زائد ما ثم سواك^(٤)

وقلت لبعض حذاقهم : هب أن هذا الوجود المطلق ثابت في الخارج وأنه عين الموجودات المشهودة، فمن أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وكل شيء؟

فاعترف بذلك وقال : هذا ما فيه حيلة .

والحس الباطن أو الظاهر إن لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره وإلا دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم والممرور^(٥)، والمبرسم^(٦)، وغيرهم، ممن يحكم بمجرد الحس الذي لا عقل معه .

والبهائم قد تكون أهدى من هؤلاء، كما قال - تعالى - :

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَآلُ نَعَمٍ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾

(١) هذا الكلام نسبه الشيخ إلى التستري، وقد بحثنا عنه فلم نهتد إليه .

(٢) في ط، ك (يرى) بدلاً من (تري) .

(٣) في ط، ك (واحد) بدلاً من (واحداً) .

(٤) هذا البيت جزء لم نعثر عليه .

(٥) الممرور: الذي غلبت المرة، وهي إحدى الطبائع والأمزجة البدنية، لسان العرب ٤٦٦/٣ .

(٦) المبرسم: قال في مختار الصحاح للرازي «البرسام علة معروفة وقد برسم الرجل فهو مبرسم» ص ٤٨ . والذي نعرفه أن البرسام نوع من الجنون أو نحوه . والله أعلم .

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٧٩ .

وهؤلاء يصرحون برفض السمع والعقل ، فدخلوا في قوله :

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١).

ويلزمون أنفسهم الغيبة عن العقل والحس الظاهر والشرع ،
فلهذا (٢) يقول أحذقهم التلمساني :

فقل لحسك غب وجداً وذب طرباً فيها وقل لزوال العقل لا تنزل
واصمت إلى أن تراها فيك ناطقة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل (٣)

وهؤلاء ، لبسط الكلام عليهم موضع آخر .

والمقصود - هنا - أن النصاري زعموا أن اللاهوت محتاج إلى
ما اتحد به من الناسوت ، وهؤلاء زعموا أن رب العالمين محتاج إلى كل
ما سواه من الأعيان الثابتة في العدم .

فإن كل من قال : إن رب العالمين اتحد بغيره ، فكل من
المتحدين مفتقر إلى (٤) الآخر ، مع استحالة كل منهما ، وتغير حقيقته ،
ولا (٥) كذلك الحلول المعقول ، فإن الحلول لا يعقل إلا إذا كان
الحال قائماً بالمحل (٦) محتاج إليه ، سواء أريد بذلك حلول الصفات
والأعراض في الموصوفات والجواهر ، أو أريد به حلول الأعيان .

(١) سورة الفرقان : من الآية ٤٤ .

(٢) في هـ - (ولهذا) بدلاً من (فلهذا) .

(٣) هذه الأبيات : نسبها المؤلف للتلمساني .

ولم نعثر على مكانها بالرغم من شدة البحث .

(٤) في ط (عليه) بدلاً من (إلى) .

(٥) (لا) ساقطة من هـ .

(٦) (والقائم بالمحل) ساقطة من ط ، ك .

فإن كون أحد الجسمين محلاً للآخر، كحلول الماء في الظرف، هو يوجب افتقاره إليه .

وما يحل في قلوب المؤمنين من معرفة الرب والإيمان به، هو قائم بقلوبهم محتاج إليه .

وكذلك ما يشته (١) الفلاسفة من الهيولي (٢) والصورة (٣)، ويقولون: إن الهيولي محل للصورة، ويعترفون (٤) - مع ذلك - بأن الصورة محتاجة إلى الهيولي .

والقائلون بوحدة الوجود، قد يجعلون الخالق مع المخلوقات كالصورة مع الهيولي، «كما يشير إليه ابن سبعين» (٥) ويقول (٦) هو في الماء ماء، وفي النار نار، وفي كل شيء بصورة ذلك الشيء، كما قد (٧) بسط الكلام على هؤلاء في مواضع غير هذا الكتاب (٨) .

وإذا قالوا: إن الرب حل في المسيح، كما حل في غيره، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم، حيث قالوا: أنت تحل في قلوب القديسين (٩)، فقد عرف أن هذا حلول الإيمان به ومعرفته وهده

(١) في هـ (تشته) بدلاً من (يشته) .

(٢) الهيولي: كلمة يونانية يراد بها المادة الأولى وهي كل ما يقابل الصورة .

انظر: المعجم الفلسفي ص ٢٠٨؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٣٣ .

(٣) الصورة: مصطلح فلسفي يراد به ما يقابل المادة .

انظر: المعجم الفلسفي ص ١٠٧؛ والموسوعة العربية الميسرة ص ١١٣٦ .

(٤) في هـ (يعترفون) بسقوط (و) .

(٥) (كما يشير إليه ابن سبعين) ساقطة من هـ .

(٦) في هـ (ويقولون) بدلاً من (ويقول) .

(٧) في هـ (وقد) بدلاً من (كما قد) .

(٨) (الكتاب) ساقطة من هـ .

(٩) لم نعثر على هذا النص في مزامير داود، ولا في العهد القديم .

ونوره والمثال العلمي ، كما قد بسط في موضع آخر ، ولهذا يسمى ظهوراً والشعاع الحال على الأرض والهواء ، عرض قائم بذلك ، وهو مفتقر إلى الأرض والهواء .

والرسل - صلوات الله عليهم - ، أخبروا بأن الله فوق العالم بعبارات متنوعة ، تارة يقولون : هو العلي وهو الأعلى ، وتارة يقولون : هو في السماء كقوله :

﴿ أَمْ أَمْنُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ ﴾ (١) .

وليس مرادهم بذلك أن الله في جوف السماوات ، أو أن الله يحصره شيء من المخلوقات ، بل كلام الرسل كله يصدق بعضه بعضاً ، كما قال - تعالى - :

﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وقد قال - تعالى - :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأن الآخر فليس بعدك شيء و » (٤) أنت

(١) سورة الملك : الآية ١٧ .

(فيإذا هي تمور) ساقطة من ط ، ك .

(٢) سورة الصافات : الآيات ١٨٠ ، ١٨٢ .

(٣) سورة الحديد : من الآية ٣ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ط ، ك .

الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء^(١)، فأخبر أنه لا يكون شيء فوقه.

ولهذا قال غير واحد من أئمة^(٢) السلف: إنه ينزل إلى السماء^(٣) الدنيا، ولا يخلو العرش منه، فلا يصير تحت المخلوقات وفي جوفها قط، بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق، فلا يكون الرب إلاً عالياً عليه.

وقول الرسل «في السماء» أي في العلو، ليس مرادهم أنه في جوف الأفلاك بل السماء العلو، وهو إذا كان فوق العرش، فهو العلي الأعلى وليس هناك مخلوق، حتى^(٤) يكون الرب محصوراً في شيء من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة، بل ليس موجوداً إلاً الخالق والمخلوق، والخالق بائن عن مخلوقاته، عال عليها، فليس هو في مخلوق أصلاً، سواء سمي ذلك المخلوق جهة أو لم يسم جهة.

ومن قال: إنه في جهة موجودة تعلو عليه، أو تحيط به، أو يحتاج إليها بوجه من الوجوه، فهو مخطيء.

كما أن من قال: ليس فوق السماوات رب، ولا على العرش إله، ومحمد لم يُعرج به إلى ربه، ولا تصعد الملائكة إليه، ولا تنزل الكتب منه، ولا يقرب منه شيء، ولا يدنو إلى شيء، فهو أيضاً مخطيء.

ومن سمي ما فوق العالم جهة، وجعل العدم المحض جهة، وقال

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث في ٤٩١/٣.

(٢) أئمة ساقطة من ط، ك.

(٣) في ط، ك (سمااء) بسقوط (ال).

(٤) (حتى) ساقطة من هـ.

هو في جهة - بهذا المعنى - أي هو نفسه فوق كل شيء، فهذا معنى صحيح.

ومن نفى هذا المعنى بقوله: ليس في جهة فقد أخطأ.

بل طريق الاعتصام أن ما أثبتته الرسل لله، أثبت له، وما نفته الرسل^(١) عن الله، نفى عنه.

والألفاظ التي لم تنطق^(٢) الرسل فيها بنفي، ولا إثبات كلفظ «الجهة» «والحيز» ونحو ذلك لا يطلق نفيًا، ولا إثباتًا إلا بعد بيان المراد.

فمن أراد بما أثبت معنى صحيحًا، فقد أصاب في المعنى، وإن كان في اللفظ خطأ.

ومن أراد بما نفاه معنى صحيحًا، فقد أصاب في المعنى، وإن كان في لفظه خطأ.

وأما من أثبت بلفظه حقًا وباطلاً، أو نفى بلفظه حقًا وباطلاً، فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق، مخطيء فيما عناه من الباطل، قد لبس الحق بالباطل، وجمع في كلامه حقًا وباطلاً.

والأنبياء كلهم متطابقون على أنه في العلو.

وفي القرآن والسنة ما يقارب ألف دليل على ذلك، وفي كلام الأنبياء المتقدمين ما لا يحصى.



(١) (الرسل) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ (ينطق) بدلاً من (تنطق).

فصل

قال سعيد بن البطريق^(١): وذلك مثل ما أن الشعاع المولود من عين الشمس، الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره، من غير مقارنة لعين الشمس التي تولد منها حقاً^(٢)، لأنه لم ينقطع من العين، ولا من الضوء، فكذلك سكن الله^(٣) في الناسوت من غير أن يفارقه الأب، فهو مع الناسوت، وهو مع الأب وروح القدس حقاً^(٤).

فيقال^(٥): هذا التمثيل لو قدر أنه صحيح، فإنما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول: إنه بذاته في كل مكان، كشعاع الشمس، الذي يظهر في الهواء والأرض.

وأما النصارى، فإنهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواصيت ولو مثل^(٦) بهذا من يقول: إنه بذاته في كل مكان، لكان باطلاً، فكيف النصارى؟ فإن الضوء إنما يكون في الهواء وسطح الأرض، لا يكون تحت السقوف، والغيران وباطن الأرض.

(١) انظر: نظم الجوهر ١/١٦٣.

(٢) حقاً ساقطة من هـ.

(٣) في نظم الجوهر ١/١٦٣ (ابن الله) بدلاً من (الله).

(٤) انتهى كلام ابن البطريق.

(٥) هذا جواب ابن تيمية.

(٦) في هـ، ك (قال) بدلاً من (مثل).

ثم هذا التمثيل^(١) باطل من وجوه:

أحدها: أن الشعاع ليس متولداً من جرم الشمس، ولا شعاع النار متولد من جرم النار، بل هو حادث بائن عن جرم الشمس، ولكنها سبب في حصوله.

ولهذا يشبه به العلم الحاصل في قلب المتعلم بسبب تعلم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم.

ولهذا يشبه علم العالم بالسراج الذي يقتبس كل أحد من نوره، وهو لم ينقص.

بخلاف تولد المولود عن والده، فإنه متولد من عينه.

والشعاع القائم بالهواء والأرض، ليس هو قائماً بذات الشمس والنار، بل هو عرض قائم بمحل آخر، والعرض الواحد لا يكون في محلين.

والنصارى يقولون: إن الكلمة التي هي علم الله أو حكمته، متولدة منه، وهي قديمة أزلية، والصفة قائمة بالموصوف، فالصفة مثل ما يقوم بذات الشمس من استدارة وضوء، فذاك صفة لها، وهو غير الشعاع القائم بالهواء، فإن ذاك بائن عنها، فكيف يجعل هذا هو هذا؟

فإن قالوا: نحن مقصودنا أن حكمة الله وعلمه ونوره أنزله إلى المسيح وأفاضه على المسيح، كما يفيض الشعاع عن الشمس.

قيل لهم: فهذا قدر مشترك بين المسيح وسائر الأنبياء، فلا اختصاص للمسيح بذلك.

(١) في هـ، ك (تمثيل) بسقوط (ال).

الوجه الثاني: قولهم: الذي يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نوراً، وفي بيت من البيوت يكون فيه حقاً من غير مقارنة لعين الشمس التي تولد منها حقاً.

فيقال لهم: الشعاع الذي بين السماء والأرض، هو الضوء، وهو النور.

فقولكم: إن الشعاع يملأ ضوءه ما بين السماء والأرض نوراً، يقتضي أنه شعاع، وضوء شعاع، ونور حدث^(١) عن ذلك، وهذا غلط، بل ليس هنا إلا جرم الشمس، التي في السماء وشعاعها، وهو الضوء والنور الذي ما بين السماء والأرض.

الثالث: قولكم: «من غير مفارقة عين الشمس» يقتضي أن هذا الشعاع هو نفس ما قام بالشمس، وهذا مكابرة للحس والعقل، بل الشعاع الذي قام بالهواء والأرض، عرض لم يقم بالشمس فقط.

وكل شعاع بقعة، فليس هو عين الشعاع الذي في البقعة الأخرى، وإن كان هو نظيره ومثله، وجنس الشعاع يجمعهما، كما أن شعاع هذا السراج، ليس هو شعاع هذا السراج وإن قدر اختلاطهما حتى يقوى^(٢) الضوء، ولا حركة هذا الهواء هي حركة هذا الهواء، ونظائر ذلك متعددة.

الرابع: قولكم: «كذلك الله سكن في الناسوت»^(٣) من غير أن يفارقه الأب» تمثيل باطل.

(١) في هـ، ك (صدر) بدلاً من (حدث).

(٢) في هـ، ك (يرى) بدلاً من (يقوى).

(٣) في هـ (بالناسوت) بدلاً من (في الناسوت).

فإن الشمس نفسها لم تكن في الهواء والأرض، وإنما سكن شعاعها.

فوزانه أن يقال^(١): فكذلك سكن نور الله وبرهانه، وهده، وروحه.

وهذا إذا قلته، فهو منقول عن الأنبياء، تنطق كتبهم بأن نور الله وروحه وهده في قلوب المؤمنين، لكن لا اختصاص للمسيح بذلك.
قال الله - تعالى - :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾^(٢).

قال أبي بن كعب^(٣): مثل نوره في قلب المؤمن^(٤).

وفي الترمذي عن أبي سعيد^(٥)، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»، ثم قرأ قوله:

(١) في هـ، ك (يقول) بدلاً من (يقال).

(٢) سورة النور: من الآية ٣٥.

(٣) في هـ (أبي بن أبي كعب).

أبي بن كعب: هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل شهد بدرًا وما بعدها وكان - رضي الله عنه - ممن جمع القرآن الكريم، وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة عشرين، وقيل اثنتين وعشرين، وقيل ثلاثين من الهجرة.

انظر: تهذيب التهذيب ١/١٨٧؛ وأسد الغابة ١/٤٩.

(٤) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه ٣/١٤٥.

(٥) أبي سعيد الخدري: سبق التعريف به.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(١).

الخامس: إنكم إذا جعلتم الله نفسه ساكناً في المسيح، فوزانه أن تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الأرض.

وهذا التمثيل يبطل قولكم: (إن الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر)^(٢)، والله أجل وأكبر وأعظم من كل شيء، والشمس آية من آياته، ومخلوق من مخلوقاته، ومع هذا فلو قال قائل: إن الشمس سكنت في جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المرأة، لكان كل عاقل يعلم فساد قوله، وينسبه إلى الجهل العظيم، أو الجنون، وسواء قال: إن الشمس نفسها نزلت أولم تنزل.

وأنتم تقولون: إن رب العالمين سكن في بطن مريم، ويقول أكثركم - كالملكية واليعقوبية - : إنه خرج من فرج مريم.

ولو قال قائل عما هو من أصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة: إن ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدعي مثل ذلك في رب العالمين؟

وإذا قالوا: إن الله نزل إلى السماء الدنيا، أو نزل إلى الطور وكلم موسى من العليقة، أو في عمود الغمام ونحو ذلك، فليس في شيء من

(١) سورة الحجر: من الآية ٧٥.

انظر: الحديث في سنن الترمذي - كتاب التفسير - سورة الحجر - حديث رقم ٥١٣٣ - عن أبي سعيد الخدري.

وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ١٤٦/٣.

(٢) ما بين القوسين ساقط من هـ، ك.

ذلك أنه اتحد بمخلوق، لا سماء، ولا طور، ولا شجرة، ولا كان كلامه قائماً بشيء مخلوق، لا شجرة ولا غيرها.

وعندهم أنه اتحد بالمسيح، وكان صوت المسيح القائم به، هو صوت رب العالمين بلا واسطة.



فصل

قال سعيد بن البطريق^(١): ومثلما أن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في قرطاس، فهي في القرطاس كلها حقاً من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت، ولا يفارقها العقل الذي ولدها، لأن العقل بالكلمة يعرف، لأنها فيه، والكلمة كلها في^(٢) العقل الذي ولدها، وكلها في نفسها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به، فكذلك كلمة الله، كلها في الأب الذي ولدت منه، وكلها في نفسها وفي الروح، وكلها في الناسوت التي حلت فيها والتحمت بها^(٣).

فيقال^(٤): هذا التمثيل حجة عليكم، وعلى فساد قولكم، لا حجة لكم، وذلك يظهر بوجوه:

أحدها: أن يقال: إن كان حلول كلمة الله — التي هي المسيح — في الناسوت، مثل كتابة الكلام في القرطاس، فحيثُ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله، كالتوراة، وزبور داود، والإنجيل، والقرآن، وغير ذلك، فإن هذا كله كلام الله، وهو مكتوب في القراطيس باتفاق أهل

(١) في هـ، ك (بطريق) بسقوط (ال).

انظر: تاريخ سعيد بن البطريق (نظم الجواهر) ١٦٣/١.

(٢) في هـ (من) بدلاً من (في).

(٣) (بها) ساقطة من هـ.

وانتهى كلام ابن البطريق.

(٤) هذا جواب ابن تيمية.

الملل، بل الخلق كلهم متفقون على أن كلام كل متكلم يكتب في القراطيس، وقد قال - تعالى - في القرآن :

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٦١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٦٢﴾﴾ (١).
وقال - تعالى - :

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٢).
وقال :

﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾﴾ (٣).
وقال :

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ (٤).
وقال - تعالى - :

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾﴾ (٥).

وإذا كانت الكلمة التي هي (٦) المسيح عندكم هكذا، فمعلوم أن كلام الله المكتوب في القراطيس، ليس هو إلهاً خالقاً، وهو كلام كثير، لا ينحصر في كلمة، ولا كلمتين.

ولو قال قائل: يا كلام الله اغفر لي وارحمي، أو يا تورا،

(١) سورة البروج. الآيتان ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٧٧ - ٧٩.

(٣) سورة البينة: الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة عبس: الآيات ١١ - ١٦.

في هـ، ك (إنه تذكرة) بدلاً من (إنها تذكرة).

(٥) سورة الطور: الآيات ١ - ٣.

(٦) في هـ، ك (الذي هو) بدلاً من (التي هي).

أويا إنجيل، أويا قرآن اغفر لي وارحمني، كان قد تكلم بباطل عند جميع أهل الملل والعقلاء.

وأنتم تقولون: المسيح إله خالق، وهو يدعى ويعبد، فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس؟

الثاني: أن الكلام المكتوب صفة للمتكلم، يقوم^(١) به^(٢) ويكتب^(٣) في القراطيس^(٤) عند سلف أهل الملل وجماهيرهم. وعند بعضهم، هو عرض مخلوق، يخلقه في غيره^(٥).

فالجميع متفقون، على أن الكلام صفة تقوم بغيرها، ليس^(٦) جوهرًا قائمًا بنفسه.

والمسيح — عندكم — لاهوته جوهر قائم بنفسه، وهو إله حق من إله حق وهو — عندكم^(٧) — إله تام وإنسان تام.

فكيف تجعلون الإله الذي هو عين قائمة بنفسها، كالصفة التي لا تقوم إلا بغيرها.

الثالث: قولكم: «إن كلمة الإنسان مولودة من عقله» لو كان صحيحاً فالتولد لا يكون إلا حادثاً.

وأنتم تقولون: إن كلمة الله القديمة الأزلية، متولدة منه قبل

(١) في هـ (تقوم) بدلاً من (يقوم).

(٢) (به) ساقطة من ط، ك.

(٣) في هـ (تكتب) بدلاً من (ويكتب).

(٤) في ك، هـ (القرطاس) بدلاً من (القراطيس).

(٥) يشير إلى مذهب المعتزلة بهذا الكلام.

(٦) في هـ، ك (ليس صفة) بزيادة (صفة).

(٧) (عندكم) ساقطة من هـ.

الدهور، وتقولون - مع هذا - هي إله^(١).

وهذا كما أن بطلانه معلوم بصريح العقل، فهي بدعة وضلالة^(٢) في الشرع، فإنه لم يسم أحد من الأنبياء شيئاً من صفات الله ابناً له، ولا قال: إن صفته متولدة منه، ولفظ «الابن» لا يوجد عندكم عن الأنبياء إلا اسماً لناسوت مخلوق، لا^(٣) لصفة الله القديمة، فقد بدلتكم كلام الأنبياء بهذا الافتراء.

الرابع: قولكم «مولودة من عقله» إن أردتم «بعقله» العين القائمة بنفسها التي يسميها^(٤) قلباً وروحاً ونفساً، أو نفساً ناطقة، فتلك إنما تقوم بها المعاني، وأما الألفاظ فإنما تقوم بفمه ولسانه. وإن أردتم «بعقله» مصدر عقل يعقل عقلاً، فالمصدر عرض قائم بالعقل، وهو عرض^(٥) من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح.

وإن أردتم بالعقل، الغريزة التي في الإنسان، فهو أيضاً عرض. الخامس: أن تسميتكم تكلم الإنسان بالمعنى أو اللفظ تولداً، أمر اخترعتموه، لا يعرف عن نبي من الأنبياء، ولا أمة من الأمم، ولا في لغة من اللغات. وإنما ابتدعتم هذا لتقولوا: إذا كان كلام الإنسان متولداً منه، فكلام الله متولد منه.

ولم ينطق أحد من الأنبياء بأن كلام الله تولد منه، ولا أنه ابنه ولا أن علمه تولد منه، ولا أنه ابنه.

(١) في هـ (هذا) بدلاً من (إله).

(٢) في هـ (وضلال) بدلاً من (وضلالة).

(٣) في ط (ولا) بزيادة (و).

(٤) في هـ (تسميها) بدلاً من (يسميها).

(٥) (عرض) ساقطة من هـ، ك.

السادس: قولكم: «إن كلمة الإنسان المولودة من عقله تكتب في القرطاس، فهي في القرطاس كلها حقاً، من غير أن تفارق العقل الذي منه ولدت»، إلى قولكم: «الكلمة كلها في العقل الذي ولدها، وكلها في القرطاس الذي التحمت به» مكابرة ظاهرة معلومة الفساد بصريح العقل، فإن وجود الكلام في القلب واللسان، ليس هو عين وجوده مكتوباً في القرطاس بل القائم بقلب المتكلم معان: طلب، وخبر، وعلم، وإرادة، والقائم بنفسه، حروف مؤلفة هي أصوات مقطعة، أو هي حدود أصوات مقطعة، وليس في قلب الإنسان ولا فمه، مداد كالمداد الذي في القرطاس.

والكلام مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء، مع علمهم بأنه ليس في القرطاس علم وطلب وخبر قائم به، كما تقوم^(١) بقلوب المتكلم، ولا قام به أصوات مقطعة مؤلفة، ولا^(٢) حروف^(٣) كالأصوات القائمة بضم المتكلم، بل لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب: إما المداد المصور، وإما صورة المداد وشكله. ويقال على الحرف المنطوق: إما الصوت المقطع، وإما حد الصوت ومقطعة وصورته.

وكل عاقل يميز بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم، وبين المداد المرئي بالبصر، ولا يقول عاقل: إن هذا هو هذا، ولا يقال: إن هذا وهذا هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم، فكيف تقولون^(٤): إن الكلمة في القرطاس كلها، وكلها في العقل الذي ولدها، وكلها في نفسها؟

(١) في هـ (يقوم) بدلاً من (تقوم).

(٢) (ولا) ساقطة من هـ، وممحوة من ك.

(٣) في سائر النسخ (حروفاً) ومن المفروض أن تكون (حروف).

(٤) في ط (يقولون) بدلاً من (تقولون).

السابع : أن حرف «في» التي يسميها النحاة ظرفاً، يستعمل في كل موضع بالمعنى المناسب لذلك الموضع .

فإذا قيل : إن الطعم واللون والريح ، حال في الفاكهة ، أو العلم والقدرة ، والكلام حال^(١) في المتكلم ، فهذا معنى معقول .

وإذا قيل : إن هذا حال في داره ، أو إن الماء حال في الظرف فهذا معنى آخر .

فإن ذاك حلول صفة في موصوفها ، وهذا حلول عين قائمة ، تسمى جسماً وجوهرأً ، في محلها ، ومنه يقال لمكان القوم : المحلة ، ويقال : فلان حل بالمكان الفلاني .

وإذا قيل : الشمس والقمر في الماء ، أو في المرأة ، أو وجه فلان في المرأة ، أو كلام فلان في هذا القرطاس ، فهذا له معنى يفهمه الناس ، يعلمون أنه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه في المرأة ، ورؤيت فيها ، وأنه لم يحل بها ذات ذلك ، وإنما حل فيها مثال شعاعي عند من يقول ذلك .

وكذلك الكلام إذا كتب في القرطاس ، فالناس يعلمون أنه مكتوب فيه ومقروء فيه ، ومنظور فيه ، ويقولون : نظرت في كلام فلان وقرأته وتدبرته وفهمته ورأيت ونحو ذلك ، كما يقولون : رأيت وجهه في المرأة وتأملتة ونحو ذلك .

وهم — في ذلك كله صادقون — يعلمون ما يقولون ، ويعلمون أن نفس جرم الشمس والقمر والوجه لم يحل في المرأة ، وأن نفس ما قام به من المعاني والأصوات لم تقم^(٢) بالقرطاس ، بل كانت المرأة واسطة

(١) (حال) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ (يقم) بدلاً من (تقم) .

في رؤية الوجه فهو المقصود بالرؤية، وكان القرطاس واسطة في معرفة الكلام، فهو المقصود بالرؤية^(١)، ويعلمون أن حاسة البصر باشرت ما في المرآة من الشعاع المنعكس، ولكن المقصود بالرؤية، هو^(٢) الشمس، وحاسة البصر باشرت ما في القرطاس من المداد المكتوب، ولكن المقصود بالرؤية هو^(٣) الكلام المكتوب.

ويعلمون أن نفس المثال الذي في المرآة ليس هو الوجه، وأن نفس المداد المكتوب به، ليس هو الكلام المكتوب، بل يفرقون بينهما كما قال - تعالى - :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾^(٣).

ففرق - سبحانه - بين الكلمات وبين المداد، الذي يكتب به الكلمات.

فكيف يقال: إن هذا هو هذا، وأن الكلمة في القرطاس كلها وهي في المتكلم كلها؟

الثامن: أن الكلام له معنى في المتكلم، يعبر عنه بلفظه، واللفظ يكتب في القرطاس، فالمكتوب في القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى، لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ الذي كتب بالخط، ليعرف ما كتب.

فدعوى هؤلاء أن نفس المعنى الذي في القلب كله، هو في القرطاس كله جعل لنفس المعنى هو الخط، وهذا باطل.

(١) في ط (بالرؤية وكان) بزيادة (وكان).

(٢) (هو) ساقطة من هـ .

(٣) سورة الكهف: من الآية ١٠٩.

التاسع : أنه لا ريب أن كلام المتكلم يقال : إنه قائم به .

ويقال — مع ذلك — إنه مكتوب في القرطاس ، ويقال : هذا هو كلام فلان بعينه ، وهذا هو ذاك ، ونحو ذلك من العبارات التي تبين^(١) أن هذا المكتوب في القرطاس ، هو هذا^(٢) الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه ، لم يزد فيه ولم ينقص ، لم يكتب كلام غيره .

ولا^(٣) يريدون بذلك أن نفس الخط نفس الصوت ، أو نفس المعنى . فإن هذا لا يقوله عاقل .

فإن قيل : ففي المسلمين من يقول : إن كلام الله القديم الأزلي ، أو كلام الله ، الذي ليس بمخلوق ، هو حال في الصدور والمصاحف من غير مفارقة .

ومن هؤلاء من يقول : إنه يسمع من الإنسان الصوت القديم ، أو الصوت الذي ليس بمخلوق .

ومنهم من يقول : إن الحرف القديم ، أو الذي ليس بمخلوق ، هو في القرطاس ، وحكى عن بعضهم أنه يقول ذلك في المداد .

ومن هؤلاء من يقول : إن القديم حل في المصحف ونحو ذلك . فتقول النصارى : نحن مثل^(٤) هؤلاء .

قيل : الجواب من وجوه :

أحدهما : أن المقصود بيان الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل

(١) في ط (تبيين) بزيادة (ت) .

(٢) (هذا) ساقطة من هـ ، ك .

(٣) في هـ ، ك (لا) بسقوط (و) .

(٤) (مثل) ساقطة من ط .

به كتبه، والرد على من خالف ذلك من النصارى وغيرهم.

ونحن لا ننكر أن في المتسبين إلى الإسلام طوائفاً^(١)، منهم منافقون ملحدون وزنادقة، ومنهم جهال ومبتدعة^(٢)، ومنهم من يقول مثل قول النصارى، ومنهم من يقول شراً منه، فالرد على هؤلاء كلهم، والعصمة ثابتة لكتاب الله وسنة رسوله.

وما اجتمع عليه عباده المؤمنون. فهذا لا يكون إلا حقاً، وما تنازع فيه المسلمون، ففيه حق وباطل.

الوجه الثاني: أن يقال هؤلاء الذين قالوا في القرآن ما قالوه، ليس قولهم مثل قول النصارى.

فإن النصارى جعلوا لله ولداً قديماً أزلياً سموه «كلمة» وقالوا: إنه إله يخلق ويرزق، وإنه اتحد بالمسيح، فجعلوا المسيح – الذي هو الكلمة عندهم – إلهاً يخلق ويرزق.

وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول: إن كلام الله إله يخلق ويرزق.

ولكن محمد وغيره من الرسل، – عليهم السلام^(٣) – ، بلغوا إلى الخلق كلام الله الذي تكلم به.

فكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن القرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلام الله، هو كلام الله الذي تكلم به، وأن الله أنزله وأرسل به ملائكته، ليس هو مخلوقاً بائناً عنه خلقه في غيره.

(١) طوائفاً ساقطة من ط .

(٢) في ط، ك (مبتدعة) بسقوط (و).

(٣) عليهم السلام) ساقطة من هـ ، ك.

ويقولون: إن هذا القرآن هو كلام الله، الذي بلغه رسوله، والمسلمون يقرؤونه، ويسمع من القارئ كلام الله، لكن يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم، ويسمعونه من القارئ الذي يقرؤه بصوت نفسه، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ.

ويقولون: إن الله تكلم به، وكلم به موسى، وأن موسى سمع نداء الله بأذنه فكلمه الله بالصوت الذي سمعه موسى، كما بين ذلك في كتب الله، القرآن، والإنجيل^(١)، والتوراة وغير ذلك.

فحدث بعد الصحابة، وأكابر التابعين طائفة معطلة يقولون: إن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، فقتل المسلمون مقدمهم «الجعد»^(٢) وصار لهم مقدم يقال له «الجهنم»^(٣) فنسبت إليهم الجهمية^(٤)، نفاة الأسماء والصفات.

تارة يقولون: إن الله لم يتكلم ولم يكلم موسى، وإنما أطلق ذلك مجازاً.

(١) (الإنجيل) ساقطة من هـ، ك.

(٢) الجعد: الجعد بن درهم من الموالي كان مؤدياً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ولكنه أظهر القول بخلق القرآن بعد أن أخذه عن أبان بن سمعان اليهودي، قال عنه الذهبي: مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، وكان الجعد زنديقاً شهد عليه الناس بذلك وطلبه الخليفة هشام بن عبد الملك وسيره إلى خالد بن عبد الله القسري والي العراق فقتله في عيد الأضحى سنة ١١٨ هـ أمام الناس بعد أن قال: «أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً» ثم نزل فذبحه.

انظر: ميزان الاعتدال ٣٩٩/١؛ والبداية والنهاية ٣٥٠/٩؛ الأعلام للزركلي ١١٤/٢؛ والكامل لابن الأثير ١٦٠/٥.

(٣) الجهنم: سبقت الإشارة إليه ٢٩٤/٣.

(٤) سبق التعريف بها.

وتارة يقولون: تكلم ويتكلم حقيقة، ولكن معنى ذلك أنه خلق كلاماً في غيره، سمعه موسى، لا أنه نفسه قام به كلام، وهذا قول من يقوله من المعتزلة^(١) ونحوهم.

وزين هذا القول بعض ذوي الإمارة^(٢)، فدعوا^(٣) إليه مدة وأظهروه وعاقبوا من خالفهم، ثم أطفئ ذلك، وأظهر ما كان عليه سلف الأمة، أن القرآن، والتوراة، والإنجيل، كلام الله، تكلم هو به. منه بدا، ليس ببائن منه، وليس بمخلوق خلقه في غيره.

ولما أظهر الله هذا، والناس يتلون قول الله - تعالى - :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٤).

صار بعض أهل الأهواء يقول^(٥): إنما يسمع صوت القارىء، وصوته مخلوق، وهو كلام الله، فكلام الله مخلوق.

ولم يميز هذا، بين أن يسمع الكلام من المتكلم به، كما سمعه موسى من الله بلا واسطة، وبين أن يسمع من المبلغ عنه.

ومعلوم أنه لو سمع كلام الأنبياء وغيرهم من المبلغين، لم يكن صوت المبلغ هو صوت المبلغ عنه، وإن كان الكلام كلام المبلغ عنه، لا كلام المبلغ.

فكلام الله إذا سمع من المبلغين عنه، أولى أن يكون هو كلام الله

(١) سبق التعريف بها.

(٢) المقصود به: (المأمون الخليفة العباسي) والخلفاء الذين جاؤا بعده، ونصروا رأيه في خلق القرآن.

(٣) في هـ (ودعوا) بدلاً من (فدعوا).

(٤) سورة التوبة: من الآية ٦.

(٥) (يقول) ساقطة من هـ.

لا كلام المبلغين، وإن بلغوه بأصواتهم.

فجاءت طائفة ثانية فقالوا: هذا المسموع ألفاظنا وأصواتنا وكلامنا، ليس هو كلام الله، لأن هذا مخلوق، وكلام الله ليس بمخلوق. وكان مقصود هؤلاء تحقيق أن كلام الله غير مخلوق، فوقعوا في إنكار أن يكون هذا القرآن كلام الله، ولم يهتدوا إلى أنه - وإن كان كلام الله، فهو كلام الله مبلغاً عنه - ليس هو كلامه مسموعاً منه، ولا يلزم إذا كانت أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ليست هي كلام الله، أن يكون الكلام الذي يقرؤونه بأفعالهم وأصواتهم كلامهم، ويكون مخلوقاً ليس هو كلام الله.

وهؤلاء^(١) الذين قالوا: ليس هذا كلام الله، منهم من قال: هو حكاية لكلام الله، وطرّدوا ذلك في كل من بلغ كلام غيره أن يكون ما بلغه حكاية لكلام المبلغ عنه لا كلامه.

وأهل الحكاية منهم من يقول: إن كلام الرب يتضمن حروفاً مؤلفة، إما قائماً بذاته على قول بعضهم، أو مخلوقة في غيره على قول بعضهم، والقائم بذاته معنى واحد.

ومن هؤلاء من قال: الحكاية تماثل المحكي عنه، فلا نقول هو حكاية بل هو عبارة عنه، والتقدير عندهم «فأجره حتى يسمع كلام»^(٢) عبارته أو حكايته».

فجاءت طائفة ثالثة، فقالت: بل قد^(٣) ثبت أن هذا المسموع^(٤)

(١) في ط (وتم هؤلاء) بزيادة (ثم).

(٢) (كلام) ساقط من هـ، ك.

(٣) (قد) ساقطة من هـ، ك.

(٤) (المسموع) ساقطة من ط.

كلام الله ، وكلام الله ليس بمخلوق^(١) ، وهذا المسموع هو الصوت ،
فالصوت غير مخلوق .

ثم من هؤلاء من قال : إنه قديم ، ومنهم من قال : ليس بقديم ،
ومنهم من قال : يسمع صوت الرب والعبد ، ومنهم من قال : إنما يسمع
صوت الرب .

ثم منهم من قال : إنه قديم ، ومنهم من قال : إنما يسمعه من
العبد .

وهؤلاء منهم من قال : إن صوت الرب حل في العبد ، فضأهوا
النصارى .

ومنهم من قال : بل نقول^(٢) : ظهر فيه من غير حلول . ومنهم من
يقول^(٣) : لا يطلق لا^(٤) هذا ولا هذا .

وكل هذه الأقوال محدثة مبتدعة ، لم يقل شيئاً منها^(٥) أحد من
الصحابة ولا^(٦) التابعين لهم بإحسان ، ولا إمام من أئمة المسلمين
كمالك^(٧) ، والثوري^(٨) ،

(١) في هـ (مخلوق) بسقوط (ب) .

(٢) في هـ (هو) بدلاً من (نقول) .

(٣) في هـ (من قال) بدلاً من (من يقول) .

(٤) (لا) ساقطة من ط ، ك .

(٥) في ط (منها شيئاً) تقديم وتأخير .

(٦) (لا) ساقطة من ط ، ك .

(٧) سبقت ترجمته .

(٨) الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بن عبد مناة أبو عبد الله - أجمع
الناس على دينه وورعه وزهده - ولد بالكوفة سنة ٩٧هـ ونشأ بها وطلبه المنصور
للقضاء فأبى وسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتواري إلى أن مات بالبصرة سنة =

والأوزاعي^(١)، والليث بن سعد^(٢)، وأبي حنيفة^(٣)، وأبي يوسف^(٤) ومحمد^(٥)،

١٦١هـ له من الكتب الجامع الكبير، والجامع الصغير في الحديث: وكان آية في الحفظ.

انظر: وفيات الأعيان ٢/٢٨٦؛ وتهذيب التهذيب ٤/١١١؛ والبداية والنهاية ١٠/١٣٤؛ وشذرات الذهب ١/١٦١؛ وسير أعلام النبلاء ٧/٢٢٩.

(١) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد - ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ ونشأ في البقاع وسكن بيروت وعرض عليه القضاء فامتنع، وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، وكان بارعاً في الكتابة مسترسلاً، وقد نقل عنه أنه أجاب في سبعين مسألة من مسائل العلم - وهو عالم أهل الشام في زمانه - مات سنة ١٥٧هـ في بيروت.

انظر: وفيات الأعيان ٣/١٢٧؛ وسير أعلام النبلاء ٧/١٠٧؛ وحلية الأولياء ٦/١٣٥؛ وشذرات الذهب ١/٢٤١؛ وتهذيب التهذيب ٦/٢٣٨؛ والبداية والنهاية ١٠/١١٥.

(٢) الليث بن سعد: هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمي بالولاء إمام أهل مصر في عصره وعالم حافظ، ولد في قلقشندة قرية من قرى الوجه البحري في مصر سنة ٩٤هـ وقد حج وسمع من نافع مولى ابن عمر وكان له في كل يوم أربعة مجالس وله مؤلفات كثيرة - توفي في القاهرة سنة ١٧٥هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٣/٣؛ وحلية الأولياء ٧/٣١٨؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٥٩؛ ووفيات الأعيان ٤/١٢٧؛ وسير أعلام النبلاء ٨/١٣٦.

(٣) أبو حنيفة: سبقت ترجمته.

(٤) أبو يوسف: سبقت ترجمته ٣/٣٤٢.

(٥) محمد بن الحسن: هو محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء أبو عبد الله الفقيه الحنفي - أصله من قرية علي باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرست وفد أبوه من الشام إلى العراق فولد محمد بواسط سنة ١٣١هـ ونشأ بالكوفة وطلب العلم والحديث وسمع من أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة - تولى القضاء للرشد فترة - مات بالري سنة ١٨٩هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٤/١٨٤؛ وسير أعلام النبلاء ٩/١٣٤؛ وتاريخ بغداد ٢/١٧٢؛ وشذرات الذهب ١/٣٢١؛ والبداية والنهاية ١٠/٢٠٢.

والشافعي^(١)، وأحمد بن حنبل^(٢)، وإسحاق بن راهويه^(٣)، وابن عينة^(٤) وغيرهم.

بل هؤلاء كلهم متفقون على أن القرآن منزل غير مخلوق، وأن الله أرسل به جبريل، فنزل به جبريل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -، فبلغه محمد إلى الناس فقرأه الناس بحركاتهم وأصواتهم، وليس شيء من أفعال العباد وأصواتهم قديماً ولا غير مخلوق، ولكن كلام الله غير مخلوق، ولم يكن السلف يقولون: القرآن قديم.

ولما أحدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم أنه مخلوق بائن من الله، قال السلف والأئمة: إنه كلام الله غير مخلوق.

(١) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة المجتهدين والمتبوعين وإليه تنسب الشافعية، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وحمل منها إلى مكة وهو ابن ستين وزار بغداد مرتين، ثم قصد مصر وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٥٦/٢؛ والبداية والنهاية ٢٥١/١٠؛ ووفيات الأعيان ١٦٣/٤؛ وطبقات الحنابلة ٢٨٠/١؛ وشذرات الذهب ٩/٢؛ وتهذيب التهذيب ٢٥/٩؛ وسير أعلام النبلاء ٥/١٠.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) ابن عينة: هو أبو محمد سفيان بن عينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم الكوفي ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ، ونقله أبوه إلى مكة كان إماماً عالمياً ثباً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته وحج سبعين حجة، وقد أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين فحمل عنهم علماً جماً وأتقن وجود وجمع وصنع وعمر دهره وازدحم الخلق عليه وانتهى إليه علواً الإسناد وتوفي بمكة ١٩٨ هـ ودفن - رحمه الله - بالحجون.
انظر: وفيات الأعيان ٣٩١/٢؛ وسير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨؛ وتاريخ بغداد ١٧٤/٩؛ وميزان الاعتدال ١٧٠/٢؛ وتهذيب التهذيب ١١٧/٤؛ وشذرات الذهب ٣٥٤/١.

ولم يقل أحد من السلف: إن الله تكلم بغير قدرته ومشئته، ولا أنه معنى واحد قائم بالذات، ولا أنه تكلم بالقرآن^(١) أو التوراة أو الإنجيل^(٢) في الأزل بحرف وصوت قديم، فحدث بعد ذلك طائفة فقالوا: إنه قديم.

ثم منهم من قال: القديم هو معنى واحد قائم^(٣) بالذات، هو معنى جميع كلام الله.

وذلك المعنى إن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، والأمر والنهي والخبر صفات له لا أنواع له.

ومن هؤلاء من قال: بل هو قديم، وهو حروف، أو حروف وأصوات أزلية قديمة، وأنها هي التوراة والإنجيل والقرآن.

فقال الناس لهؤلاء: خالفتم الشرع والعقل في قولكم: إنه قديم، وابتدعتم بدعة لم يسبقكم إليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وفررتم من محذور إلى محذور، كالمستجير من الرمضاء^(٤) بالنار.

ثم قولكم: إنه معنى واحد، وهو مدلول جميع^(٥) العبارات، مكابرة للعقل والشرع فإننا نعلم - بالاضطرار - أنه ليس معنى آية

(١) في ط (به القرآن) بدلاً من (بالقرآن).

وفي ك (به القرآن) بزيادة (به).

(٢) في هـ (الإنجيل به) بزيادة (به).

(٣) (قائم) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ (بالرمضاء) بدلاً من (من الرمضاء).

(٥) في ط (لجميع) بزيادة (ل).

الكرسي، هو معنى آية الدين ولا معنى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ هو معنى^(١) سورة الإخلاص.

والتوراة إذا عربناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمد، وكذلك إذا ترجمنا القرآن بالعبرية، لم يكن هو توراة موسى.

وقول من قال منكم: إنه حروف، أو حروف وأصوات أزلية، ظاهر الفساد، فإن الحروف متعاقبة، فيسبق بعضها بعضاً، والمسبوق بغيره لا يكون قديماً لم يزل، والصوت المعين لا يبقى زمانين، فكيف يكون قديماً أزلياً؟

والسلف والأئمة لم يقل أحد منهم بقولكم، لكن قالوا: إن الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة، وإن الله نادى موسى بصوت سمعه موسى بأذنه، كما دلت على ذلك النصوص.

ولم يقل أحد منهم: إن ذلك النداء الذي سمعه موسى قديم أزلي، ولكن قالوا: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء، لأن الكلام صفة كمال لا صفة نقص، وإنما تكون صفة كمال إذا قام به، لا إذا كان مخلوقاً بئناً عنه، فإن الموصوف إلا بما قام به، لا يتصف بما هو بائن عنه، فلا يكون الموصوف حياً عالماً قادراً متكلماً رحيماً مريداً، بحياة قامت بغيره، ولا بعلم وقدرة قامت بغيره. ولا بكلام ورحمة وإرادة قامت بغيره.

والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته أكمل ممن لا يكون بمشيئته وقدرته.

وأما كلام يقوم^(٢) بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته، فإما أنه ممتنع

(١) معنى ساقطة من ط.

(٢) في ط (قائم يقوم) بزيادة (قائم).

وفي ك (قائم) بدلاً من (يقوم).

أو هو صفة نقص كما يدعى مثل ذلك في المصروع .

وإذا كان كمالاً ، فدوام الكمال له وأنه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال ، أكمل من كونه صار متكلماً بعد أن لم يكن ، لو قدر أن هذا ممكن ، فكيف إذا كان ممتنعاً؟

وكان أئمة السنة والجماعة ، كلما ابتدع في الدين بدعة ، أنكروها ولم يقروها ، ولهذا حفظ الله دين الإسلام ، فلا يزال في أمة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصوره .

بخلاف أهل الكتاب ، فإن النصارى ابتدعوا بدعاً خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم ممن كان متمسكاً بشرع المسيح ، حتى لم يبق حين^(١) بعث الله محمداً من هو متمسك بدين المسيح ، إلا بقايا من أهل الكتاب كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح : «إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب»^(٢) .

فلما أظهر قوم من الولاة أن القرآن مخلوق ودعوا الناس إلى ذلك ، ثبت الله أئمة السنة وجمهور الأمة ، فلم يوافقوهم ، وكان المشار إليه من الأئمة إذ ذاك أحمد بن حنبل .

ثم بقي ذلك القول المحدث ، ظاهراً ، نحو أربع عشر سنة وأئمة الأمة وجمهورها ينكرونه^(٣) ، حتى جاء من الولاة من منع^(٤) ، من إظهاره

(١) في هـ (حتى) بدلاً من (حين) .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ١٦/٣ .

(٣) في هـ (منكره) ، وفي ك (تنكره) بدون فقط .

(٤) يشير إلى الخليفة العباسي «المتوكل على الله» .

انظر : البداية والنهاية ٣٣٧/١٠ .

والقول به، فصار مخفياً كغيره من البدع، وشاع عند العامة والخاصة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

فأراد بعض الناس أن يجيب عن شبهة من قال: إن هذا الذي يقوم بنا مخلوق، فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، ولكن ألفاظنا به مخلوقة، وتلاوتنا له مخلوقة.

وربما قالوا: هذا الذي نقرأه مخلوق، أو هذا ليس هو كلام الله فقصدوا معنى صحيحاً، وهو كون صفات العباد وأصواتهم^(١) وأفعالهم مخلوقة.

لكن غلطوا حيث أطلقوا القول، أو أفهموا الناس بأن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون مخلوق، ولم يهتدوا إلى^(٢) أنا إذا أشرنا إلى كلام متكلم قد بلغ عنه، فقلنا مثلاً لما روي عن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - كقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٣): هذا كلام رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم -^(٤)، أو لقول الشاعر: «ألا

(١) (وأصواتهم) ساقطة من هـ، ك.

(٢) (إلى) ساقطة من هـ.

(٣) انظر:

* الإمام البخاري - في عدة مواضع من صحيحه - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - منها كتاب بدء الوحي - باب ١ - بلفظه.

* الإمام مسلم - في عدة مواضع من صحيحه - عن عمر بن الخطاب - منها كتاب الإمارة - باب ٣ - ٥ - بلفظه.

* سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب النية ٢١ - حديث رقم ٤٢٢٧ - عن عمر بن الخطاب - بلفظه.

(٤) (- صَلَّى الله عليه وسلّم -) ساقطة من ط، ك.

كل شيء ما خلا الله باطل»^(١)، هذا كلام^(٢) لبيد بن ربيعة^(٣)، ونحو ذلك.

فإننا نشير إلى نفس الكلام معانيه ونظمه وحروفه، لا إلى ما يختص بالمبلغ من حركته وصوته، بل ولا صوت المبلغ عنه وفعله.

فإن كون الحي متحركاً أو مصوتاً، قدر مشترك بين الناطق والأعجم، وليس هذا صفة له^(٤).

والكلام الذي^(٥) يتميز به^(٦) الناطق عن الأعجم، إنما يتميز بالمعاني القائمة به. وباللفظ المطابق لها. من الحروف المنظومة بالأصوات المقطعة.

وهذا أمر يختص به المتكلم بالكلام، لا المبلغ عنه، فليس للمبلغ^(٧) إلا تأدية ذلك.

ولهذا لو قال قائل لشعر لبيد: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» فقال: هذا شعري أو كلامي لكونه أنشده بصوته، لكذبه الناس.

ولو قال: هذا الذي أقوله، مثل شعر لبيد لكذبه الناس^(٨)، وقالوا بل هو شعره^(٩) نفسه، ولكن أديته بصوتك.

(١) هذا صدر بيت للبيد وعجزه قوله: «وكل نعيم لا محالة زائل».

(٢) في هـ، ك (شعر) بدلاً من (كلام).

(٣) لبيد بن ربيعة: سبقت الإشارة إليه ٢٦٧/٣.

(٤) في هـ (الكمال) بدلاً من (له).

(٥) في ط، ك (التي) بدلاً من (الذي).

(٦) في ط، ك (بها) بدلاً من (به).

(٧) في ط (الجميع) بدلاً من (للمبلغ).

(٨) (الناس) ساقطة من ك.

(٩) في هـ (شعر) بسقوط (هـ).

بخلاف ما إذا قال قائل (١)، قولاً نظماً أو نثراً، وقال آخر مثله، فإن الناس يقولون: هذا مثل قول فلان، كما قال — تعالى — :

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ (٢).

وقال عن القرآن:

﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (٣).

ولهذا لو قال قارئ: أنا آتي بقرآن مثل (٤) قرآن محمد وتلاه نفسه وقال: هذا مثله. لأنكر الناس ذلك وضحكوا منه، وقالوا: هذا القرآن الذي جاء به هو (٥)، ليس هو كلام آخر مماثل له.

فإذا كان القرآن الذي يقرؤه المسلمون، هو كلام الله الذي بلغه الرسول، لم يجوز أن يقال: ليس هو بكلام الله، بل هو مثل (٦) له، أو حكاية عنه، أو عبارة.

وإذا كان معلوماً إنما هو كلام الله، فقد تكلم الله (٧) به — سبحانه — ، لم يخلقه بائناً عنه، ولم يجوز أن يقال لما هو كلامه: إنه مخلوق.

فإذا قيل عن ما يقرؤه المسلمون: إنه مخلوق، والمخلوق بائن

(١) قائل) ساقطة من هـ .

(٢) سورة البقرة: من الآية ١١٨ .

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٨٨ .

(٤) في هـ (بمثل) بزيادة (ب) .

(٥) (هو) ساقطة من هـ .

(٦) في ط (مثله) بدلاً من (مثل) .

(٧) لفظ الجلالة (الله) ساقطة من هـ .

عن الله، ليس هو كلامه، فقد جعل مخلوقاً ليس هو بكلام الله، فصار^(١) الأمة يقولون: هذا كلام الله، وهذا غير مخلوق، لا يشيرون بذلك إلى شيء من صفات المخلوق، بل إلى كلام الله الذي تكلم به وبلغه عنه رسوله.

والمبلغ إنما بلغه بصفات نفسه، والإشارة في مثل هذا، يراد بها الكلام المبلغ، لا يراد بها ما به وقع التبليغ.

وقد يراد بهذا، الثاني، مع التقييد كما في مثل الاسم إذا قيل: عبدت لله، ودعوت الله، فليس المراد أن المعبود المدعو، هو الاسم الذي^(٢) هو اللفظ، بل المعبود المدعو هو المسمى باللفظ، فصار بعضهم يقول الاسم هو غير المسمى، حتى قيل لبعضهم: أقول دعوت الله، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل دعوت المسمى بالله، وظن هذا الغالط أنك إذا قلت ذلك، فالمراد دعوت هذا اللفظ، ومثل هذا يرد عليه في اللفظ الثاني.

فما من شيء عبر عنه باسم، إلا والمراد بالاسم هو المسمى، فإن الأسماء لم تذكر إلا لبيان المسميات، لا أن الاسم نفسه هو ذات المسمى.

فمن^(٣) قال: إن اللفظ والمعنى القائم بالقلب هو عين المسمى، فغلطه واضح.

ومن قال: إن المراد بالاسم في مثل قولك: دعوت الله وعبدته،

(١) في ط (فضار) بدلاً من (فصار).

(٢) (هو الاسم الذي) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (وإن) بدلاً من (فمن).

هو نفس اللفظ، فغلطه واضح، ولكن اشتبه على الطائفتين ما يراد بالاسم ونفس اللفظ.

كذلك أولئك اشتبه عليهم نفس كلام المتكلم المبلغ عنه الذي هو المقصود بلفظ^(١) المبلغ وكتابته بنفس صوت المبلغ ومداده.

والفرق بين هذا وهذا، واضح عند عامة العقلاء.

وإذا كتب كاتب اسم الله في ورقة، و^(٢)نطق باسم الله في خطابه وقال قائل: أنا كافر بهذا ومؤمن بهذا، كان مفهوم كلامه أنه مؤمن أو كافر بالمسمى المراد باللفظ والخط، لا أنه يؤمن ويكفر بصوت أو مداد.

فكذلك من قال لما يسمعه من القراء ولما يكتب في المصاحف: أن هذا كلام الله.

أو قال لما يسمع من جميع المبلغين لكلام غيرهم ولما يوجد في الكتب: هذا كلام زيد^(٣)، فليس مرادهم ذلك الصوت والمداد، إنما هو المعنى واللفظ الذي بلغه زيد بصوته وكتب في القرطاس بالمداد.

فإذا قيل عن ذلك: إنه مخلوق، فقد قيل: إنه ليس كلام الله، ولم يتكلم به.

ومن قصد نفس الصوت أو المداد، وقال: إنه مخلوق، فقد أصاب، كما أن من قصد نفس الصوت أو الخط وقال: ليس هذا هو كلام الله، بل هو مخلوق، فقد أصاب، لكن ينبغي أن يبين مراده بلفظ لا لبس فيه.

(١) في ط (بلفظ) بدلاً من (بلفظ).

(٢) في هـ (أو) بزيادة (أ).

(٣) في ط (الله) بدلاً من (زيد).

(زيد) ساقطة من ك.

فلهذا كان الأئمة كأحمد بن حنبل وغيره، ينكرون على من أطلق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، ويقولون: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع*^(١) ومن قال: إنه مخلوق هنا، فقد يقولون: ليس هو كلام الله، وهذا خلاف المتواتر عن الرسول، وخلاف ما يعلم بمثل ذلك بصريح المعقول.

فإن الناس يعلمون — بعقولهم — أن من بلغ كلام غيره، فالكلام كلام المبلغ عنه الذي قاله مبتدئاً أمراً بأمره مخبراً بخبره، لا كلام من قاله مبلغاً عنه مؤدياً.

ولهذا كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول في المواسم^(٢):
«ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»^(٣) رواه أبو داود وغيره، عن جابر.

ولما أنزل الله — تعالى —^(٤):

﴿الْمَ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٥).

(١) ابتداء من هنا وحتى نهاية هذا الفصل مفقود من ك.

(٢) في هـ (الموسم) بدلاً من (المواسم).

(٣) انظر:

* سنن ابن ماجه — المقدمة — باب ١٣ — حديث رقم ٢٠١ — عن جابر بن عبد الله بلفظه من دون جملة «لأبلغ كلام ربي» الأولى.

* وسنن الترمذي — أبواب فضائل القرآن — باب ٢٣ — حديث رقم ٣٠٩٣ — عن جابر — رضي الله عنه — بلفظ ابن ماجه.

* ومسنند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣٩٠ — عن جابر بن عبد الله — من حديث طويل بمعناه.

(٤) — (تعالى) — ساقطة من هـ.

(٥) سورة الروم: الآيات ١ — ٣.

قال بعض الكفار لأبي بكر الصديق^(١): هذا كلامك أم^(٢) كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله.

فلهذا اشتد به^(٣) إنكار أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الإسلام، وبالغ قوم في الإنكار عليهم وقالوا: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وأطلقوا عبارات تتضمن و^(٤)تشعر أن يكون شيء من صفات العباد غير مخلوقة، فأنكر ذلك أحمد وغيره، كما أنكر ذلك ابن المبارك^(٥)، وإسحاق بن راهويه^(٦)، والبخاري^(٧) وغير هؤلاء من أئمة السنة، وبينوا: أن الورق والمداد وأصوات العباد وأفعالهم مخلوقة، وأن كلام الله الذي يحفظه العباد ويقرؤونه ويكتبونه غير مخلوق.

فكلام^(٨) أئمة السنة والجماعة كثير^(٩) في هذا الباب، متفق غير مختلف وكله صواب.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في هـ (أو) بدلاً من (أم).

(٣) (به) ساقطة من هـ.

(٤) (تتضمن و) ساقطة من ط.

(٥) ابن المبارك: هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، أبو عبد الرحمن مولى بني حنظلة، ولد سنة ١١٨، وجمع بين العلم والزهد وتفقه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع في الخلوات، وكان شاعراً، قصر شعره على الزهد والحث على الجهاد، قدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن وسمع كثيراً، وكان ثقة مأموناً إماماً حجة كثير الحديث، توفي سنة ١٨١هـ بقرية هيث على شاطئ الفرات.

انظر: تاريخ بغداد ١٥٢/١٠؛ وحلية الأولياء ١٦٢/٨؛ والبداية والنهاية ١٧٧/١٠؛

وسير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨.

(٦) ابن راهويه: سبقت ترجمته.

(٧) البخاري: سبقت ترجمته.

(٨) (كثير) ساقطة من هـ.

ولكن قد يبين بعضهم في بعض الأوقات ما لا يبينه غيره لحاجته في ذلك .

فمن ابتلي بمن يقول: ليس هذا كلام الله كالإمام أحمد، كان كلامه في ذم من يقول: هذا مخلوق، أكثر من ذمه لمن يقول: لفظي مخلوق .

ومن ابتلي بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق، كالبخاري صاحب الصحيح، كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غير مخلوق أكثر مع نص أحمد والبخاري وغيرهما، على خطأ الطائفتين .



فصل

قال سعيد بن البطريق^(١): وليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت، عن انتقال ولا تغير ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كثافة، فلا الإلهي احتال أن يكون إلهاً خالقاً، ولا الناسي احتال عن أن يكون ناسياً مخلوقاً.

والاحتيال والتغير، إنما يلزم الخلطة إذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين، مثل الماء والخمر، أو الماء^(٢) والعسل، أو السمن^(٣) والعسل، والذهب والورق والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك، لأن كله^(٤) ثقيل غليظ، وكل ثقل تخالطه ثقله لا محالة، يلزمه التغير حتى يصير إلى ما كانت عليه الأثقال^(٥)، فلا الخمر خمراً، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما - ولكنهما احتالا جميعاً عن جوهرهما، فصارا إلى أمر متغير، ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالص من الفساد والاحتيال عن حاله.

فأما إذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ، لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال، مثل خلطة النفس والجسد إنساناً واحداً،

(١) انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ١٦٣/١.

(٢) في هـ (والماء) بسقوط (أ).

(٣) في هـ، ك (والسمن) بسقوط (أ).

(٤) في هـ (كل) بدلاً من (كله).

(٥) في هـ، ك (الأفعال) بدلاً من (الأثقال).

أحدهما يلتحم^(١) بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت، أي استحالت عن جوهرها أن^(٢) تكون نفساً تعرفها بفعالها، ولا الجسد تغير ولا احتال عن حاله وأفعاله، ومثل ما كان تخالط^(٣) النار والحديد، فيلتحمان جميعاً، فيكونان جمرة واحدة، من غير أن تكون النار قد تغيرت إلى أن تكون حديدة ثقيلة تشج^(٤) وتقطع، ولا الحديد تغيرت واحتالت إلى^(٥) أن تكون ناراً تحرق، فكذاك تفعل كل خلطة مؤلفة من شيئين مختلفين، أحدهما روحاني لطيف، والآخر ثقلي^(٦) غليظ، مثل النفس والجسد والنار والحديد، ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي لا تتغير ولا تحتال عن نورها ونقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد وسخ، وبتن ونجس.

قال^(٧): والخلطة تكون على ثلاثة أوجه:

أحدها: خلطة باختلاط من الطبعيتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما، مثل خلطة الخمر والماء، والخل والعسل، والذهب والورق والرصاص^(٨) والنحاس، فإن في ذلك كله وما أشبهه، احتيلاً وفساداً، لأن مزاج الخمر والماء، ليس بخمر ولا ماء، لاحتياال كل واحد منهما عن طبعه، واختلاطهما بفسادهما وتغيرهما عن حالهما.

(١) في ط (ملتحمًا).

(٢) في هـ، ك (أي) بدلاً من (أن).

(٣) في هـ (يخالطه) بدلاً من (تخالط).

(٤) في هـ (تشرح) بدلاً من (تشج).

(٥) في هـ (إلاً) بدلاً من (إلى).

(٦) في هـ (ثقليل) بدلاً من (ثقلي).

(٧) انظر: تاريخ ابن البطريق ١٦٤/١ وما بعدها.

(٨) (والرصاص) ساقطة من هـ.

وكذلك خلطة الخل والعسل، قد صارت لا خلاً ولا عسلاً،
لاحتيال كل واحد منهما، وخلطة الذهب والورق على مثل ذلك صارت
على غير صحة لا من الذهب ولا من الورق، وخلطة الورق والنحاس
على غير صحة، لا من الورق ولا من النحاس. فهذا وجه من الوجوه
الثلاثة.

والوجه الثاني: خلطة^(١) افتراق من الطبيعتين الثقيلتين، وقد
تعرف من تلك الخلطة كل واحدة من الطبيعتين ثابتة في الأخرى،
بقوامها ووجهها، مثل الزيت والماء في قنديل واحد، ومثل الكتان والقز
في ثوب واحد منسوج بكتان مضلع بقز، ومثل صنم نحاس، رأسه من
ذهب وما أشبه ذلك، مما لا ينبغي^(٢) أن يسمى خلطة مع افتراق
الطبيعتين والقوامين، مثل ما لا ينبغي أن يكون بين الماء والقلة التي هو
فيها خلطة، لأن طبيعة القلة فخار، قوامها قلة، وليس بينهما وبين الماء
خلطة، بل أشد الفرقة.

وكذلك الماء والزيت، لولا أن وعاء القنديل الذي هما فيه ضمهما
ما اجتمعا.

وكذلك الكتان والقز، ليس بينهما خلطة، وإن كانا في ثوب واحد
ولا بين الذهب والنحاس ولم يسبكا، خلطة، وإن جمعهما صنم واحد.
فهاتان الخلطتان لا تكونا أبداً إلا في أثقال جسمانيات غليظة.

فإن التحم بعضهما ببعض مثلما يذاب الذهب والنحاس ويفرغان
جميعاً، وقعت في وجه خلطة الاحتيال والفساد، لأن تلك النقرة ليست
بذهب صحيح، ولا بنحاس صحيح.

(١) في ط (خطه) بدلاً من (خلطة).

(٢) في هـ (ينفي) بدلاً من (ينبغي).

فإن لم تلحم وألزم بعضها بعضاً، مثل طوق يكون من نحاس وذهب، وقعت من وجه خلطة الافتراق التي لا يحق لها أن تسمى خلطة.

وفي هذين الوجهين: وقع نسطورس وأشياعه، فلزموا خلطة الاحتيال والفساد. فزعموا أن الطبيعة الإلهية، والطبيعة الناسية اختلطا في المسيح الواحد. فهو ذو^(١) قوام واحد بطبيعة واحدة، مختلطة من طبيعتين مختلفتين، إلهية وناسية، فأقروا^(٢) أنها قد احتالا، والاحتيال فساد.

وألزموا على هذا القول الكافر، طبيعة الله المصائب والموت، وصيروا المسيح لا إلهاً صحيحاً، ولا إنساناً، مثل الذهب والنحاس.

فنسطورس وأشياعه لزموا خلطة الفرقة والانقطاع، فزعموا: أن المسيح الواحد ذو طبيعتين مختلفتين، الإلهية وناسية، وذو قوامين معروفين، إلهي، وناسي، فصيروا الفرقة خلطة، كالطوق الملون نصفين، أحدهما ذهب، والآخر نحاس، والثوب المبطن، ظاهره خز، وباطنه قطن، ليس بينهما خلطة في طبيعة ولا قوام.

وليس لهم — على هذا — أن يؤمنوا بمسيح واحد، لأن الطوق الملون طوقان، والثوب المبطن ثوبان.

فالمسيح مثل ذلك، مسيحيان، واحد إلهي بطبيعته وقوامه، مثل قضيب الذهب في الطوق الملون، ومثل ظهارة الخز في الثوب المبطن.

والآخر ناسي، مثل قضيب^(٣) النحاس في الطوق، وبطانة القطن في الثوب.

(١) في هـ (ذر) بدلاً من (ذو).

(٢) في هـ (فأقروا) بدلاً من (فأقروا).

(٣) في هـ (فضة) بدلاً من (قضيب)، في ك (فضة) بدلاً من (قضيب).

والعجب كل العجب كيف لم يفصل^(١) أهل الخلاف والشقاق بين^(٢) الصنفين كليهما^(٣)، ولم يفهموا أن هاتين الخليقتين أنهما خلقتان ذواتا أثقال جسمانية غليظة، ليس فيهما شيء من الخلق الروحاني اللطيف الخفيف ولذلك لا تقدر الأثقال الغليظة على الخروج من هذين الوجهين من وجوه الخلطة، لأنهما إن اختلطا خلطة ملتحمة ممتزجة، صارت إلى احتيال وفساد، وإن قامت على حالها، لا تلتحم، ولا يمتزج بعضها ببعض، فهي على وجه خلطة^(٤) الافتراق، ومنقطعة بعضها من بعض، وإن جمعها صنم واحد أو ثوب واحد، فليس يوجد شيء من الأثقال الجسمانية وجه خلطة، سوى هذين الوجهين أبداً، إما فساد، وإما انقطاع، إلا أن تكون الخلطة في اثنين، أحدهما ثقيل جسماني، والآخر لطيف روحاني، فإن ذلك هو:

الوجه الثالث من الخلطة: وهي خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع، لكنها نفاذ الطبيعة الروحانية في الطبيعة الثقيلة السفلية حتى تنتشر في جميعها وتحل بكلها، فلا يبقى موضع من الطبيعة الثقيلة السفلية خلواً من الطبيعة الروحانية، ولا احتيال من الثقيلة الجسمانية عن طبيعتها الغليظة الثقيلة ولا تغيير ولا فساد لإحداهما مثل خلطة النفس والجسد، ومثل خلطة النار والحديد في قوام جمرة واحدة، فهي جمرة واحدة بالقوام من^(٥) طبيعة نار ملتحمة، مخالطة لطبيعة الحديد بلا فرقة من انقطاع، ولا تخليط احتيال وفساد،

(١) في هـ، ك (يعقل) بدلاً من (يفصل).

(٢) في هـ (من) بدلاً من (بين).

(٣) في هـ، ك (كلاهما) بدلاً من (كليهما).

(٤) خلطة) ساقطة من هـ، ك.

(٥) في هـ، ك (في) بدلاً من (من).

وقد انتشرت النار^(١) في جميع الحديدية، ولبستها، وأنالت النار الحديدية من قوامها وقوتها حتى أنارت الحديدية وأحرقت، ولم تنل النار من ضعف الحديدية شيئاً من السواد ولا البرودة^(٢).

فعلى هذا الوجه من الخلطة دبرت كلمة الله الخالقة خلطتها للطبيعة البشرية:

فهو مسيح واحد ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الأدهار، كلها نور من نور، إله حق من إله حق، مولود ليس بمخلوق من سوس أبيه وجوهره وطبيعته، وهو إياه من مريم العذراء المولود منها في آخر الزمان بقوام واحد، قوام ابن الله الوحيد الجامع للطبعتين كليهما، الإلهية التي لم تنزل في البدء قبل كل بدء، والناسية التي كونت في آخر الزمان المقوم بالقوام الأزلي.

فهو مسيح واحد، بقوام واحد أزلي ذو طبيعتين: إلهية لم تنزل، وناسية خلقها له والتحم بها من مريم العذراء، فقوامه ذلك، قوام الطبيعة الإلهية والطبيعة الناسية، جامعاً لهما بلا اختلاط، ولا فساد، ولا فرقة انقطاع، لم يزل قوام الطبيعة الإلهية، ثم هو قوام الطبيعة الناسية، قد خلقها وكونها وقومها بقوامه، الذي لم يزل يقيم إلأً به، ولم يعرف إلا له^(٣).

والجواب^(٤) عن هذا الكلام — بعد * أن يقال: إنه تناقض،

(١) (النار) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ (البرودة) بدلاً من (البرودة) .

(٣) انتهى كلام ابن البطريق في نظم الجوهر ١٦٧/١ .

(٤) هذا جواب ابن تيمية .

فجعل^(١) هذا تارةً اختلاطاً، وتارةً يقول: ليس هو^(٢) اختلاطاً*^(٣) — أن يقال: إنه — أولاً —^(٤) قد يجعل^(٥) هذا الحلول والالتحام اختلاطاً، ويقول: إنه لا يكون فيه استحالة ولا تغير، ويقول^(٦): * الاستحالة والتغير إنما يلزم الخلطة، إذا كانت من خلقيين غليظين كالماء والخمر*^(٧)، فأما إذا كانت من لطيف وكثيف لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال — أي استحالة — ، ويقول: والخلطة تكون على ثلاثة أوجه، ثم يقول^(٨): أحدهما كالخمر والماء، والثاني كالزيت والماء، والكتان والقز. ثم يقول: وما أشبه ذلك مما لا ينبغي أن يسمى خلطة مع افتراق الطبيعتين فيجعله من أقسام الخلطة، ثم يقول: ولا ينبغي أن يسمى خلطة.

وليس المقصود المنازعات اللفظية، بل يقول: دعواه أن أحد نوعي الاختلاط يكون عن تغير واستحالة، بخلاف النوع الآخر الذي هو اختلاط لطيف وغليظ، دعوى ممنوعة، ولم يُقَم عليها دليلاً، بل يقول: هي باطلة، بل لا يكون الاختلاط بين شيئين إلا مع تغير واستحالة.

وما ذكره من الأمثال والشواهد فهي حجة عليه لقوله: «فأما إذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ، لم يخالط تلك الخلطة تغير

(١) في هـ (لجعل) بدلاً من (فجعل).

(٢) في هـ (هذا) بدلاً من (هو).

(٣) ما بين النجمة والنجمة التي في الصفحة السابقة.

(٤) (أن يقال: إنه — أولاً —) ساقطة من هـ.

(٥) في هـ، ك (جعل) بسقوط (ب).

(٦) في هـ، ك (وقال) بدلاً من (ويقول).

(٧) ما بين هذه النجمتين ساقطة من هـ، ك.

(٨) (ثم يقول) ساقطة من هـ، ك.

ولا احتيال، مثل خلطة النفس والجسد إنساناً واحداً، أحدهما ملتحم بالآخر من غير أن تكون النفس تغيرت واحتالت عن جوهرها، أن تكون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير واستحال عن حاله وفعاله».

فيقال: هذا قول باطل ظاهر البطلان لكل من تصوره، فإن الجسد إذا خلا عن النفس، مثل ما يكون قبل نفخ الروح فيه، وما يكون بعد مفارقة الروح له بالموت، بل آدم — عليه السلام — أبو البشر، خلق من تراب وماء، وصار صلصالاً كالفخار، ثم نفخت فيه الروح، فصار جسداً هو لحم وعظم وعصب ودم.

فهل يقول عاقل: إن جسد آدم^(١) قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم يتغير ولم تستحل، وذريته من بعده يخلق أحدهم من نطفة ثم^(٢) علقه ثم مضغة، فيكون جسداً ميتاً، ثم ينفخ فيه الروح، فيصير الجسد حياً بعد أن كان ميتاً؟

وأي تغيير أعظم من انتقال الجسد من الموت إلى الحياة؟ ومعلوم بالحس والعقل، الفرق بين الحي والميت، كما قال — تعالى — :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(٣).

والجسد إذا لم ينفخ فيه الروح فهو موات ليس له حس ولا حركة إرادية، ولا يسمع ولا يبصر^(٤)، ولا ينطق ولا يعقل، ولا يبطش ولا يأكل،

(١) في هـ، ك (هذا دم) بدلاً من (جسد آدم).

(٢) ثم ساقطة من هـ.

(٣) سورة فاطر: من الآية ٢٢.

(٤) في هـ (ولا سمع ولا بص) بدلاً من (ولا يسمع ولا يبصر).

ولا يشرب، ولا يمني، ولا ينكح، ولا يتفكر، ولا يحب ولا يبغض،
ولا يشتهي، ولا يغضب.

فإذا اتصلت به النفس تغيرت^(١) أحواله واستحالت صفاته، وصار
حساساً متحركاً بالإرادة، فكيف يقال مثل خلطة النفس والجسد إنساناً
واحداً، أحدهما يلتحم بالآخر، من غير أن تكون النفس تغيرت
واستحالت عن جوهرها، أن تكون نفساً يعرفها بفعالها، ولا الجسد تغير
ولا استحال عن حاله وأفعاله؟

فهل يقول عاقل يتصور ما يقول: إن الجسد كان حاله وفعاله مع
مفارقة النفس له، كحاله وفعاله مع مخالطتها له؟

وهل يقول عاقل: إن الجسد بعد موته ومفارقة النفس له، حاله
وفعاله، كحاله وفعاله إذا كانت النفس مختلطة به، وهو إذا مات،
كالجماد لا يسمع ولا يبصر، ولا ينطق ولا يبطش ولا يمشي، قد جمد
دمه وأسود، ولم يبق سائلاً، وتغير سحنته^(٢) ولونه؟ وتغير الجسد بالحياة
بعد الموت، وبالموت بعد الحياة، من أعظم التغيرات والاستحالات.

وكذلك النفس، فإن النفس — عند اتصالها بالبدن — تلتذ بلذته،
وتتألم بألمه.

فإذا أكل البدن، وشرب ونكح واشتم، التذت النفس، وإذا ضرب
البدن، وصفع وأهين، وحط الشوك على رأسه وبصق في وجهه، تألمت
النفس بذلك.

فإذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح باتحاد النفس بالبدن، وهم

(١) في ط (وتغيرت) بزيادة (و).

(٢) في ط (سحنته)، وفي هـ (سحنته) بدلاً من (سحنته).

يقولون: إن المسيح وكل أحد إذا ضرب وصفع وصلب فتألم بدنه، تألمت نفسه أيضاً.

فإن كل الألم^(١) مع نفس المسيح وجسده، كالنفس مع الجسد، وجب أن يكون الرب يتألم بتألم الناسوت، ويجوع بجوعه، ويشبع بشبعه، فإن ألم الجوع ولذة الشبع، يحصل للنفس إذا جاع البدن وشبع.

وأيضاً فالمسيح عندهم إله تام وإنسان تام، والإله إله^(٢) قبل الاتحاد والإنسان إنسان قبل الاتحاد.

فهم يقولون: إنهما بعد الاتحاد إله تام كما كان، وإنسان تام كما كان.

فنظير هذا أن يكون الإنسان المركب من بدن ونفس، نفساً تامة وبدناً تاماً، وأن تكون الحديدية^(٣) المحماة، حديداً تاماً، وناراً تامة^(٤) وهو^(٥) باطل. بل الإنسان مركب من نفس وبدن، والإنسان اسم لمجموع، ليس الإنسان روحاً والإنسان بدنًا.

فلو كان الاتحاد حقاً، لوجب أن يقال: إن المسيح نصفه لاهوت ونصفه ناسوت، وهو مركب من هذا وهذا.

ولا يقال: إن المسيح نفسه إنسان تام، والمسيح نفسه إله تام، فإن تصور هذا القول على الوجه التام يوجب العلم الضروري، حيث جعلوا

(١) في هـ (الإله) بدلاً من (الألم).

(٢) في هـ (الذي) بدلاً من (إله).

(٣) في هـ (الجمرة) بدلاً من (الحديدية).

(٤) في هذا المكان، في هـ زيادة (وخشبة تامة وناراً تامة).

(٥) في هـ (وهذا) بدلاً من (وهو).

المسيح الذي هو المبتدأ، الموضوع المخبر عنه المحكوم عليه، هو إنسان تام وإله تام، يوجب أن يكون نفس الإنسان هو نفس الإله.

ولو قيل هذا في مخلوقين، فقليل: نفس الملك نفس البشر، لكان ظاهر البطلان، فكيف إذا قيل في رب العالمين؟ لا سيما وكثير من النصارى لا يقولون: إن جسد المسيح مخلوق، بل يصفون الجميع بالإلهية^(١) وهذا مقتضى قول أئمتهم القائلين: إن المسيح إله تام لكنهم تناقضوا فقالوا - مع ذلك - وهو إنسان تام، فكأنهم قالوا: هو الخالق ليس هو الخالق، هو مخلوق ليس هو مخلوق، فجمعوا بين النقيضين^(٢). وهذا حقيقة قول النصارى، لا سيما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح - عندهم - اتحاد لازم لم يفارقه البتة، فيكون ذلك أبلغ من الاتحاد العارض، ومن^(٣) أن الرب كان متحداً بجسد لا روح فيه، ثم بالجسد مع نفخ الروح فيه، ثم بالجسد بعد مفارقة الروح له، وحيث دفن في القبر ووضع التراب عليه.

ومعلوم أن الإنسان إذا كانت فيه النفس وجعلت في التراب معه^(٤)، تألمت النفس ألماً شديداً، ثم^(٥) تفارق البدن.

ومن العجائب أنهم يقولون: إن المسيح صلب ومات، ففارقته النفس الناطقة، وصار الجسد لا روح فيه، واللاهوت - مع هذا - متحد لم يفارقه وهو في القبر، واللاهوت متحد به، فيجعلون اتحاده به أبلغ من اتحاد النفس بالبدن.

(١) في هـ (باللاهوتية) بدلاً من (بالإلهية).

(٢) في هـ (وهذا جمع بين النقيضين) بدلاً من (فجمعوا بين النقيضين).

(٣) في هـ، ك (في) بدلاً من (من).

(٤) (معه) ساقطة من ط.

(٥) في هـ، ك (لم) بدلاً من (ثم).

والنفس - عند اتصالها بالبدن - تتغير وتتبدل صفاتها وأحوالها،
ويصير لها من الصفات والأفعال ما لم يكن بدون البدن، وعند مفارقة
البدن تتغير صفاتها وأفعالها.

فإن كان تمثيلهم مطابقاً، . لزم أن يكون الرب قد تغيرت أوصافه
وأفعاله لما اختلط بالمسيح، كما تتغير صفات النفس وأفعالها، ويكون
الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجردة التي لم تقتزن^(١) بدن.
وأيضاً فالنفس والبدن شريكان في الأعمال الصالحة والفسادة،
لهما الثواب وعليهما العقاب، والثواب والعقاب على النفس، أكمل منه
على البدن فإن كان الرب كذلك، كان جميع ما يفعله المسيح باختياره
فعل الرب، كما أن جميع ما يفعله البدن باختيار فعل النفس عن التي
تخاطب بالأمر والنهي^(٢)، فيقال لها: كلي واشربي، وانكحي،
ولا تأكلي^(٣) ولا تشربي ولا تنكحي.

فإن كان الرب مع الناسوت كذلك، كان الرب هو المأمور والمنهي
بما يأمر به المسيح، وكان الرب هو المصلي الصائم العابد الداعي،
وبطل قولهم: يخلق ويرزق بلاهوته، ويأكل ويعبد بناسوته.

فإن النفس والبدن لما اتحدا كانت جميع الأفعال الاختيارية
للنفس والبدن، فإذا صُلِّي الإنسان وصام ودعا، فالنفس والبدن يوصفان
بذلك جميعاً، بل النفس أخص بذلك، وكذلك إذا أمر أو نهى .
فكلاهما موصوف بذلك^(٤)، وكذلك إذا ضرب، فألم الضرب يصل

(١) في هـ (تصرف) بدلاً من (لم تقتزن).

(٢) (النهي) ساقطة من هـ .

(٣) (واشربي وانكحي ولا تأكلي) ساقطة من ك .

(وانكحي) ساقطة من هـ .

(٤) (بذلك) ساقطة من هـ .

إليهما كما تصل إليهما لذة الأكل والجماع.

بل أبلغ من ذلك أن الجنى إذا دخل في الإنسي وصرعه وتكلم على لسانه، فإن الإنسي يتغير، حتى يبقى الصوت والكلام الذي يسمع منه، ليس هو صوته وكلامه المعروف.

وإذا ضرب بدن الإنسي فإن الجنى يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذلك ما لا يحصى، (ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه)^(١).

فإذا كان الجنى تتغير صفاته وأحواله لحلوله في الإنسي، فكيف بنفس الإنسان؟

وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أتم وأكمل من اتحاد النفس بالجسد.

فهل يقول عاقل - مع هذا الاتحاد - : إنهما جوهران، لكل منهما أفعال اختيارية لا يشركه الآخر فيها؟

ويقولون - مع قولهم بالاتحاد - : إن الذي كان يصلي ويصوم ويدعو ويتضرع ويتكلم^(٢) ويتألم ويضرب ويصلب، هو نظير البدن، والذي كان يأمر وينهي ويخلق ويرزق، هو نظير النفس.

هذا مع قولهم : إن مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت، وإنه اتحد به مع كونه حياً وقبل حياته وعند مماته، والجسد في ذلك كله كسائر أجساد آدميين، لم يظهر فيه شيء من خصائص الرب أصلاً، بل ولا بعد إتيانه بالآيات، فإن تلك كان يجري مثلها وأعظم منها على يد

(١) ما بين القوسين ساقط من هـ ، وغير واضح في ك.

(٢) في ط (يتعلم) بدلاً (يتكلم).

الأنبياء، فهذا أقرب أمثالهم وقد ظهر فسادهم.

وأبعد منه وأشد فساداً، تمثيلهم ذلك بالنار والحديد.

ومعلوم عند كل من له خبرة، أن النار إذا اتصلت بشيء من الأجسام الحيوانية والنباتية والمعدنية^(١)، مثل جسد الإنسان وغيره، ومثل الخشب والقصب والقطن وغيره، ومثل الحديد والذهب والفضة، فإنها تغير ذلك الجسد وتبدل صفاته عما كانت، فتحرقه أو تذيبه أو تليينه. والنار المختلطة به لا تبقى ناراً محضة بل تستحيل وتتغير أيضاً.

فقول هؤلاء: «ومثل ما تختلط النار والحديد، فيلتحمان جميعاً، فيكونان جمرة واحدة من غير أن تكون النار تغيرت إلى أن تكون حديدة ثقيلة تشج وتقطع، ولا الحديدة تغيرت واستحالت إلى أن تكون ناراً تحرق» كلام باطل ملبس، فإن الجمرة ليست حديدة محضة ولا ناراً محضة بل نوعاً ثالث.

وقوله: «لم تتغير النار إلى أن تصير حديدة، ولا الحديدة إلى أن تصير ناراً» تلبس.

فإن الاختلاط لا يتضمن الاستحالة، والتغير، كاختلاط الكثيفين الذي سلمه مثل الماء والخمر، والماء والعسل، والسمن والعسل، والذهب والورق، والنحاس والرصاص قد قال فيه: إنه لا الخمر خمر، ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما استحالا جميعاً عن جوهرهما، فصارا إلى أمر متغير ليس هو أحدهما بعينه، ولا أحدهما خالصاً من الفساد والاستحالة عن حاله.

فيقال له: فهذا الذي سلمت فيه الفساد والاستحالة، لم يصر

(١) في ط (والجمادية) بدلاً من (والمعدنية).

الخمير فيه ماء، ولا الماء فيه خمراً^(١)، فكذلك مورد النزاع إذا لم تصر النار حديدة، ولا الحديد ناراً، لم ينفعك هذا النفي، ولم يكن هذا مانعاً من الاستحالة إلى نوع ثالث، ومن الاستحالة والفساد كما ذكرته في اختلاط الكثيفين. فإنه معلوم أن ما خالطته النار واتحدت به، غيرته وأحاله وأفسدت صورته الأولى. والنار الملتحمة به ليست ناراً محضة.

ومعلوم أيضاً أن الجمرة التي ضربتها مثلاً للمسيح فقلت: إن الله وعيسى اتحدا كاتحاد النار والحديد حتى صارا جمرة، فمعلوم أن الجمرة إذا ضربت بالمطرقة أو وضعت في الماء، أو مدت، فإن هذه الأفعال تقع بالمجموع لا تقع على حديدة بلا نار، ولا نار بلا حديدة.

فيلزم من ذلك أن يكون ما حل بالمسيح من ضرب وبصاق في الوجه ووضع الشوك على الرأس، ومن أكل وشرب وعبادة، ومن مشى وركوب، ومن حمل وولادة، وغير ذلك مما حل بالمسيح، ومن موت، إما متقدم وإما متأخر إذا نزل إلى الأرض، ومن صلب - على قولهم - : أن يكون جميع ذلك حل بالمسيح الذي هو عندهم إله تام وإنسان تام، من غير فرق بين لاهوته ولا^(٢) ناسوته، كما يكون ما يحل بجمرة النار، من حمل ووضع وطرق بالمطرقة، ومد وتصوير بشكل^(٣) مخصوص، وإلقاء في الماء، وغير ذلك حال بمجموع^(٤) الجمرة، لا يقول عاقل: إن ذلك يحل بالحديد دون النار، بل هو حال بالجمرة المستحيلة من حديدة ونار، ومن خشبة ونار، وليست حديدة محضة،

(١) (ولا الماء فيه خمراً) ساقطة من ك.

(له) ساقطة من هـ.

(٢) (لا) ساقطة من ط، ك.

(٣) في هـ (وقد تصور بشكل) بدلاً من (ومد وتصوير بشكل).

(٤) في هـ، ك (مجموع) بسقوط (ب).

ولا ناراً محضة، ولا مجموع حديد محض، ونار محضة، بل جوهر ثالث مستحيل من^(١) حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط إلى حقيقة ثالثة.

فلا فرق بين^(٢) الشيئين إذا اتحدا واختلطا وصارا شيئاً واحداً من أن يكونا كثيفين، أو يكون أحدهما كثيفاً والآخر لطيفاً، لا بد في ذلك كله أن يحصل لكل منهما من التغير والاستحالة ما يوجب الاتحاد، وأن يكون المتحد المختلط المركب منهما شيئاً ثالثاً، ليس هو أحدهما فقط، ولا هو مجموع كل منهما على حاله.

فقولهم: «إنه مع الاتحاد إنسان تام وإله تام، كلام فاسد^(٣) معلوم الفساد بصريح العقل.

وكلما ضربوا له مثلاً، كان المثل حجة على فساد قولهم، بل مع الاتحاد ليس بإنسان تام ولا إله تام^(٤)، لكنه شيء ثالث مركب من إنسان^(٥) استحالة وتغير، وإله استحالة وتغير.

وإذا كان كل من هذين باطلاً — بل إنسانية المسيح باقية تامة كما كانت لم تستحل ولم تتغير، ورب العالمين باق بصفات كماله، لم يستحل ولم يتصف بشيء من خصائص المخلوقات، ولا استحالة عما كان عليه قبل ذلك — كان قولهم ظاهر الفساد.

(١) في هـ، ك (عن) بدلاً من (من).

(٢) في هـ، ك (في) بدلاً من (بين).

(٣) (فاسد) ساقطة من هـ، ك.

(٤) (تام) ساقطة من ك.

(٥) في ط (إنسان ثالث) بزيادة (ثالث).

فهذا مثلهم الثاني الذي ضربوه لله حيث شبهوا المسيح أو^(١) الله مع الإنسان بالنفس مع الجسد، وشبهوه بالنار مع الحديد، وهذا المثل أشد فساداً وأظهر^(٢).

وأما المثل الثالث - وهو تمثيل ذلك بالشمس مع الماء والطين - فهو أشد فساداً، فإنهم قالوا كما تقدم: «ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة، فهي^(٣) لا تتغير ولا تستحيل عن نورها وبقائها وضوئها، مع مخالطتها كل سواد ووسخ وnten ونجس».

فيقال: أما جرم الشمس الذي في السماء فلم يخالط شيئاً من الماء والطين، ولا اتحد به ولا حل فيه بوجه من الوجوه، بل بينهما من البعد ما لا يقدر قدره إلا الله، والله - تعالى - أجل وأعظم وأبعد من مخالطة الإنسان من الشمس للماء والطين.

فإذا كانت الشمس نفسها لم تتحد^(٤) ولم تختلط، ولا حلت^(٥) في الماء والطين، بل ولا بغيرها من المخلوقات. فرب العالمين أولى أن ينزه عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات.

ولكن شعاع الشمس حل بالماء والطين والهواء وغير ذلك مما يقوم به الشعاع، كما يحل شعاع النار في الأرض والحيطان، وإن كان نفس جرم النار القائم بنفسه الذي في ذبالة المصباح هو جوهر قائم بنفسه، لم تحل ذاته في شيء من تلك المواضع.

(١) (المسيح أو) ساقطة من هـ .

(٢) (وأظهر) ساقطة من هـ .

(٣) في هـ (فمتى) بدلاً من (فهى).

(٤) في ك (تحد) بسقوط (ت).

(٥) في هـ (ولا حل)، وفي ك (بما حل) بدلاً من (ولا حلت).

ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء بنفسه المستنير^(١)
كالشمس والقمر والكائنات، قال - تعالى - :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٢).

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾^(٣).

وسمى - سبحانه - الشمس سراجاً وضياءً، لأن فيها - مع الإنارة والإشراق - تسخيناً وإحراقاً، فهي بالنار أشبه، بخلاف القمر فإنه ليس فيه - مع الإنارة - تسخيناً، فلهذا قال: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾.

والمقصود هنا، أن لفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء المستنير^(٤) المضيء القائم بنفسه، كالشمس والقمر والنار، ويراد به الشعاع الذي يحصل بسبب ذلك في الهواء والأرض، وهذا الثاني عرض قائم بغيره ليس هو الأول، ولا صفة قائمة بالأول، ولكنه حادث بسببه.

فالشعاع الذي هو الضوء والنور الحاصل على الماء والطين والهواء وغير ذلك، هو عرض قائم بغيره، وليس هو متحداً به البتة.

فهذا المثل لو ضربته النسطورية، الذين يقولون: «إن الناسوت واللاهوت جوهران بطبيعتين»^(٥)، حل أحدهما بالآخر» لكان تمثيلاً باطلاً، فإن الشمس لم تحل بغيرها، ولا صارت مشيئتها ومشيتها غيرها

(١) في هـ (المستدير) وهي غير ظاهرة في ك.

(٢) سورة يونس: من الآية ٥.

(٣) سورة النبأ: من الآية ١٣.

(٤) في هـ (المستدير) بدلاً من (المستنير).

(٥) في هـ، ك (بطبيعتان) بدلاً من (بطبيعتين).

واحدة كما تقوله النسطورية، بل شعاعها حل بغيره، والشعاع حادث وكائن عنها.

فيذا قيل: إن ما يكون عن الرب من نوره وروح قدسه وهده وكلامه^(١) ومعرفته، يحل بقلوب أنبيائه والمؤمنين من عبادته، ومثل ذلك بحلول الشعاع بالأرض، كان أقرب إلى العقول، ولهذا قال - تعالى - :

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾^(٢).

قال أبي بن^(٣) كعب: مثل نوره في قلوب المؤمنين بهذا^(٤).

وكذلك إذا قيل: نوره أو هده أو كلامه، وسمي ذلك روحاً، يحل في قلوب المؤمنين، فهو بهذا الاعتبار، والله قد سمي ذلك روحاً فقال - تعالى - :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٥).
وقال - تعالى - :

﴿يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهُ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٦).

(١) (وكلامه) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) سورة النور: من الآية ٣٥ .

(٣) في ط (من) بدلاً من (بن) .

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر ١٤٥/٣ .

(٥) سورة الشورى: من الآية ٥٢ .

(٦) سورة غافر: من الآية ١٥ .

وقال - تعالى - :

﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنَّا﴾^(١).

وما جاء في الكتب المتقدمة من أن روح الله أرواح القدس يحل في الأنبياء والمؤمنين ، فهو حق بهذا الاعتبار .

وإذا قيل : كلام الله يحل في قلوب القارئ . فهو حق بهذا الاعتبار .

وأما نفس ما يقوم بالرب ، فلا يتصور أن يقوم هو نفسه بغير الرب ، بل ما يقوم بالمخلوق من الصفات والأعراض ، يمتنع أن يقوم هو نفسه بغيره .

فيمتنع في صفات الشمس القائمة بها ، من شكلها واستدارتها وما قام بها من نور أو غيره ، أن يقوم بغيرها ، وكذلك ما قام بجرم النار من حرارة وضوء ، فلا يقوم بغيرها ، بل إذا جاورت النار ، هواء^(٢) أو غير هواء^(٢) ، حصل في ذلك المحل سخونة أخرى ، غير السخونة القائمة بنفس النار ، تسخن الهواء الذي يجاورها^(٣) ، كما تسخن القدر الذي يوقد تحتها النار فيسخن ثم يسخن الماء الذي فيها ، مع أن سخونة النار باقية فيها^(٤) ، وسخونة القدر باقية فيها ، وسخونة الماء سخونة^(٥) أخرى حصلت في الماء ، ليست واحدة من تينك ، وإن كانت حادثة عنها ، وجنس السخونة يجمع ذلك كله .

(١) سورة المجادلة : من الآية ٢٢ .

(٢) في هـ (هذا) بدلاً من (الهواء) .

(٣) في ط (يجاوره) بدلاً من (يجاورها) .

(٤) (فيها) ساقطة من هـ .

(٥) في هـ (بسخونة) ، وفي ط (به سخونة) بدلاً من (سخونة) .

ولهذا ذكر الإمام أحمد عن السلف أنهم كرهوا أن يتكلم أحد^(١) في حلول كلام الله في العباد بنفي أو إثبات، فإن لفظ «الحلول» لفظ مجمل يراد به معنى باطل، ويراد به معنى حق.

وقد جاء في كلام الأنبياء لفظ «الحلول» بالمعنى الصحيح، فتأوله من في قلبه زيغ، كالنصارى وأشباههم على^(٢) المعنى الباطل، وقابلهم آخرون، أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه، وكلا الأمرين باطل.

وقد قدمنا أن الناس يقولون: أنت في قلبي، أو ساكن في قلبي، وأنت حال في قلبي ونحو ذلك، وهم لا يريدون أن ذاته حلت فيه، ولكن يريدون أن تصوره وتمثله وحبه وذكره حل في قلبه كما تقدم نظائر ذلك.

والمقصود هنا أن النسطورية لو شبهوا ما يدعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين، كان تمثيلهم باطلاً، فكيف بالملكية الذين هم أعظم باطلاً وضلاً. فقولهم^(٣): «ومثل^(٤) الشمس المخالطة للطين والماء وكل رطوبة وحمأة» تمثيل باطل من وجوه:

منها: أن الشمس نفسها لم تتحد ولم تحل بغيرها، بل ذلك شعاعها.

ومنها: أن الشعاع نفسه لم يتحد بالماء والطين، ولكن حل به وقام به.

(١) (أحد) ساقطة من ط .
(٢) في ط (عن) بدلاً من (على).
(٣) في ط (بقولهم) بسقوط (ف).
(٤) في هـ ، ك (مثل) بسقوط (و).

ومنها: أن ذلك عام في المخلوقات من وجه وعباده^(١) المؤمنين من وجه لا يختص المسيح به^(٢)، فالمخلوقات كلها مشتركة في أن الله خلقها بمشيئته وقدرته، وأنه لا قوام لها إلاّ به، فلا حول ولا قوة إلاّ به، وهي كلها مفتقرة إليه، محتاجة إليه، مع غناه عنها، ولهذا كانت من آيات ربوبيته وشواهد^(٣) إلهيته.

ومن سماها، مظاهر، ومجالي، بمعنى أن ذاته نفسها تظهر^(٤) فيها، فهو مظهر على الله. ومن أراد بذلك أنه أظهر^(٥) بها مشيئته وقدرته وعلمه وحكمته، فأراد بالمظاهر والمجالي ما يراد بالدلائل والشواهد، فقد أصاب.

وكذلك إذا قال: هي آثاره، ومقتضى أسمائه وصفاته.

وأما المؤمنون، فإن الإيمان بالله^(٦) ومعرفته ومحبه ونوره وهواه يحل في قلوبهم وهو المثل الأعلى والمثال العلمي، فلا اختصاص للمسيح بهذا^(٧)، وكذلك كلامه في قلوب عباده المؤمنين، لا اختصاص للمسيح بذلك.

ومنها: أن الشعاع لم يخالط الماء والطين، ولا يخالط شيئاً من الأعيان، ولا ينفذ فيه ولا يتحد به، بل يكون على سطحه الظاهر فقط. لكن الشعاع يسخن ما يحل فيه، فإذا سخن ذلك، سخن جوفه

(١) في هـ (ويعتاده) بدلاً من (ويعباده).

(٢) في هـ (بشيء) بدلاً من (به).

(٣) في ك (شواهد) بسقوط (و).

(٤) في ط (يظهر) بدلاً من (تظهر).

(٥) في هـ، ك (ظهر) بسقوط (أ).

(٦) (بالله) ساقطة من هـ.

(٧) في ط (بهذه) بدلاً من (بهذا).

بالمجاورة، كما يسخن الماء بسخونة القدر من غير أن تكون النار خالطت القدر ولا الماء.

فأين هذا من قولهم: «إن رب العالمين اتحد بابن امرأة، فصار إلهاً تاماً وإنساناً تاماً؟».

وهل يقول عاقل: إن الماء والطين صار شعاعاً تاماً، وطيناً تاماً؟ بل الطين طين، لكن أثر الشعاع فيه بتجفيفه، لم يتحد به الشعاع، ولا نفذ فيه، ولا حل في باطنه.

فهذا المثل أبعد عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار مع الحديد، ومن تمثيلهم بالنفس مع الجسد، فإن هناك اتصالاً بباطن الحديد والبدن، وهنا لم يتصل الشعاع إلا بظاهر الطين وغيره.

وأيضاً فالنفس جوهر قائم بنفسه، والشعاع عرض، وكذلك النار جوهر. فالشمس هنا لم تتحد ولم تحل بالطين، بل شعاعها، بل^(١) ولا يوصف الطين باتحاده بالشعاع، ولا باختلاط الشعاع بباطنه، ولا بحلول الشمس نفسها فيه.

وحينئذ^(٢) فقول القائل: «إن الشمس^(٣) لم تتغير ولم تستحل عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كل وسخ ورتن ونجس». إن أريد به نفس الشمس أو صفاتها القائمة بها، فتلك لم تتحد بغيرها ولا حلت فيه ولا قامت بغيرها.

فإذا كانت الشمس كذلك — والله المثل الأعلى — فهو أولى أن لا يتحد بغيره ولا يحل فيه ولا يقوم به.

(١) (بل) ساقطة من ط، ك.

(٢) في أ (فحينئذ) بدلاً من (وحينئذ).

(٣) في ط (الشمس) بدلاً من (الشمس).

وإن أريد شعاعها^(١) فشعاعها ليس هو الشمس، فلا ينفعهم التمثيل به، فإنهم يقولون: إن الله نفسه اتحد بالمسيح، والمسيح — عندهم — هو رب العالمين مع أنه إنسان تام، فهو — عندهم — إله تام، إنسان تام، والطين ليس بشعاع تام ولا طين تام^(٢) والشعاع نفسه لا يخالط شيئاً، ولكن يقوم به، وقيام العرض بالمحل غير مخالطته له، فإن المخالطة تكون باختلاط كل من الأمرين بالآخر، كاختلاط الماء بالطين ونحو ذلك.

وأما ما يقوم بالسطح الظاهر فلا يقال: إنه مخالط بجميع الأجزاء، فلا يقال للشعاع الذي على الجبال والبحر: إنه مخالط لجميع الجبال والبحر، ولا لشعاع النار: إنه مخالط للحيطان وداخل للأرض، وقد تقدم أنهم قسموا هذا الباب ثلاثة أقسام:

أحدها: اختلاط أحد الشئين^(٣) بالآخر كالماء والخمر.

والثاني: اتصال من غير اختلاط، كالماء والزيت، والإناء الذي بعضه فضة وبعضه ذهب: وقالوا: إن هذا لا ينبغي أن يسمى اختلاطاً مع افتراق الطبيعتين والقوامين. مثل^(٤) ما لا^(٥) ينبغي أن يكون بين الماء والقلة التي هو^(٦) فيها خلطة، لأن طبيعة الفخار ليس بينها وبين الماء خلطة.

وهذا الفرق^(٧) موجود في الشعاع والطين، بل بينهما من الفرق

(١) في هـ (شعاعها) بزيادة (ب).

(٢) (ولا طين تام) ساقطة من ط.

(٣) في هـ (السبين) بدلاً من (الشئين).

(٤) في هـ (بل) بدلاً من (مثل).

(٥) (لا) ساقطة من هـ، ك.

(٦) في ك (هي) بدلاً من (هو).

(٧) في هـ، ك (فرق) بسقوط (ال).

أشد مما بين الماء والقلة، فإن الماء جرم قائم بنفسه، وهذا عرض قائم بغيره والجسم بالجسم أشبه من الجسم بالعرض.

والإله — عندهم — مخالط لجميع ناسوت المسيح، لم يخل جزء منه من اتحاد الإله به، فأين هذا من هذا؟

وإذا قيل: إن الشعاع لم يستحل عن نوره ونقائه وضوئه مع مخالطته كل سواد ووسخ وتتن ونجس، لم يكن مثلاً يطابقه^(١)، مع أنه لم يخالط الشعاع غيره.

ثم يقال: إن أراد بما لم يتغير نفس الشعاع القائم بالمحل، فهذا ممنوع، فإن الشعاع يتغير بتغير محله، فيرى في الأحمر أحمر، وفي الأسود أسود، وفي الأزرق أزرق، حتى أن الزجاج المختلف الألوان إذا صار مطروحاً للشعاع، ظهر الشعاع متلوناً بتلون الزجاج، فيرى أحمر وأزرق وأصفر.

وقد ضرب أهل الإلحاد القائلون بوحدة الوجود، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، لله أمثالاً باطلة شر من أمثال النصارى، ولهم مثل السوء، ولله المثل الأعلى، وكان مما ضربوه لله من الأمثال أن شبهوه بالشعاع في الزجاج.

فالأعيان الثابتة في العدم — عندهم — هي الممكنات، ووجود الحق قاضٍ عليها، فشبهوا وجوده بالشعاع، وأعيانهم بالزجاج، وهذا باطل من وجوه:

منها: أن القول بأن أعيان الممكنات ثابتة في العدم قول باطل.

(١) في هـ (مطابقة) بدلاً من (يطابقه).

ومنها: أن قولهم: إن وجود الخالق هو عين وجود المخلوق، هو^(١) أيضاً باطل.

ومنها: أن حلول الشعاع بالزجاج يقتضي حلول أحدهما بالآخر، وهم ينكرون الحلول، ويقولون: الوجود واحد.

ومنها: أن الشعاع الذي على نفس الزجاج، ليس وجوده وجود الزجاج، وعندهم وجود الرب وجود الممكنات.

ومنها: أن الشعاع الحال بهذا الزجاج ليس هو بعينه ذلك^(٢) الشعاع الحال بالزجاج الآخر، وإن كان نظيره، وهؤلاء عندهم أن الوجود واحد بالعين لا يتعدد.

ومنها: أن الشعاع عرض مفتقر إلى الزجاج، فهو مفتقر إليه افتقار العرض إلى محله، فيلزم إذا مثلوا به الرب أن يكون الرب مفتقراً إلى كل ما سواه، مع غنى كل ما سواه عنه، وهذا قلب كل حقيقة، وأعظم كفر بالخالق - تعالى - ، فإنه - سبحانه - الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه.

وكل من قال بحلول الله في شيء من المخلوقات من النصارى وغيرهم يلزمهم أن يكون مفتقراً إلى ما حل فيه، فإنه لا حقيقة للحلول إلا هذا.

ولهذا كان ما حل بقلوب المؤمنين من الإيمان والهدى والنور والمعرفة مفتقراً إلى قلوب المؤمنين، ولا يقوم إلا بها.

(١) (هو) ساقطة من هـ، ك.

(٢) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

وجميع الصور الذهنية القائمة بالأذهان مفتقرة إلى^(١) الأذهان لا تقوم إلا بها، والشعاع مفتقر إلى محله. لا يقوم إلا به. وهكذا سائر النظائر.

وهؤلاء الذين شابهوا النصارى وزادوا عليهم من الكفر بقولهم: إن وجود الخالق وجود كل مخلوق. وإنه قائم بأعيان الممكنات. يقولون: إنه مفتقر إلى الأعيان في وجوده. وهي مفتقرة إليه في ثباتها^(٢). فيجعلون الخالق محتاجاً إلى كل مخلوق. والمخلوق محتاجاً إلى الخالق. ويصرحون بذلك كما يصرح بعض النصارى، بأن اللاهوت محتاج إلى الناسوت، والناسوت محتاج إلى اللاهوت.

ومعلوم أن الله غنى عن كل ما سواه، وكل ما سواه^(٣) فقير إليه من كل وجه، فهو الصمد المستغني عن كل شيء. وكل شيء متفقر إليه.

فمن قال: إنه مفتقر إلى مخلوق بوجه ما، فهو كاذب مفتري كافر، فكيف بمن قال: إنه مفتقر إلى كل شيء؟

والمثل الذي ضربوه له، يقتضي^(٤) أن يكون مفتقراً إلى غيره، وغيره مستغن عنه، كالمثل الذي ضربه النصارى له، لما مثله بشعاع الشمس مع محله، فإن محل الشعاع مستغن عن الشعاع، والشعاع مفتقر إلى محله.

فمقتضى هذا التمثيل أن الإله محتاج إلى الإنسان، والإنسان

(١) (إلى) ساقطة من هـ.

(٢) في هـ، ك (ثبوتها) بدلاً من (ثباتها).

(٣) (وكل ما سواه) مكررة في ط.

(٤) في هـ، ك (ينبغي) بدلاً من (يقتضي).

مستغني عن الله ، — تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً — :

﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١) .

• • •

(١) سورة الإسراء : من الآية ٤٤ .

في ط (تسبح له السماوات والأرض) بسقوط (السبع) .

فصل (١)

وهذا الذي (٢) قد ذكره هذا البترك «سعيد بن البطريق» المعظم عند النصارى، المحب لهم، المتعصب لهم في أخبارهم، التي بين بها أحوالهم في دينهم، معظماً لدينهم، مع ما في بعض الأخبار من زيادة فيها تحسين لما فعلوه، وكثير من الناس ينكر ذلك ويكذبه، مثل ما ذكره من ظهور الصليب، ومن مناظرة أريوس وغير ذلك، فإن كثيراً من الناس يخالفه فيما ذكر، ويذكر (٣) أن أمر ظهور الصليب كان بتدليس وتلبيس وحيلة ومكر، ويذكر أن أريوس لم يقل قط: إن المسيح خالق (٤).

بيان أن عامة دين
النصارى ليس
مأخوذاً عن
المسيح، بل هو
من ابتداع طوائف
منهم

ولكن المقصود أنه إذا صدق هذا فيما ذكره، فإنه بين أن عامة الدين الذي عليه النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو مما ابتدعه طائفة منهم وخالفهم في ذلك آخرون، وأنه كان بينهم من العداوة والاختلاف في إيمانهم وشرائعهم ما يصدق قوله - تعالى - :

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعَزَّ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٥).

(١) هذا الفصل بكامله ساقط من هـ .

(٢) يشير ابن تيمية إلى ما سبق أن نقله عن ابن البطريق في الصفحات الماضية من كتاب نظم الجواهر .

(٣) (ويذكر) ساقطة من ك .

(٤) (خالق) ساقطة من ك .

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٤ .

والنصارى يقرون بما ذكره هذا البترك أن أول ملك أظهر دين النصارى، هو قسطنطين، وذلك بعد المسيح بأكثر من من ثلاثمائة سنة، وهو نصف الفترة التي بين المسيح ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - ، فإنها كانت ستمائة سنة، أو ستمائة وعشرين^(١).

وإذا كان النصارى مقرين بأن ما هم عليه من الإيمان صنعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه ليس منقولاً عن المسيح، وكذلك ما هم عليه من تحليل ما حرمة الله ورسوله، وكذلك قتال من خالف دينه وقتل من حرم الخنزير، مع أن شريعة الإنجيل تخالف هذا، وكذلك الختان وكذلك تعظيم الصليب.

وقد ذكروا مستندهم في ذلك أن قسطنطين رأى صورة صليب كواكب.

ومعلوم أن هذا لا يصلح أن ينبني عليه شريعة، فإن مثل هذا يحصل للمشركين عباد الأصنام والكواكب ما هو أعظم منه، وبمثل هذا بدل دين الرسل وأشرك الناس بربهم، وعبدوا الأوثان، فإن الشيطان يخيّل هذا وأعظم منه.

وكذلك الإزار الذي رآه من رآه، والصوت الذي سمعه، هل يجوز لعاقل أن يغير شرع الله الذي بعث به رسله، بمثل هذا الصوت والخيال الذي يحصل للمشركين عباد الكواكب والأصنام ما هو أعظم منه؟ مع أن هذا الذي ذكره عن «بطرس» رئيس الحواريين، ليس فيه

(١) يشير عامة المؤرخين إلى أن مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان عام ٥٧١م، وقد أوحى إليه بعد الأربعين فيكون تاريخ بعثته - صلى الله عليه وسلم - سنة ٦١١ ميلادية وهو وسط بين ما ذكره المؤلف هنا.
انظر: سيرة ابن هشام ١٦٧/١ طبعة بيروت.

تحليل كل ما حرم بل قال : « ما طهره الله فلا تنجسه » وما نجسه الله في التوراة فقد نجسه ولم يطهره إلا أن ينسخه المسيح . والحواري لم يبح لهم الخنزير وسائر المحرمات إن كان قوله معصوماً كما يظنون .

والمسيح - صَلَّى الله عليه وسلّم - لم يحل كل ما حرمه الله في التوراة وإنما أحل بعض ما حرم عليهم ، ولهذا كان هذا من الأوصاف المؤثرة في قتال النصارى ، كما قال - تعالى - :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

وقد ذكر من لعن بعض طوائف النصارى لبعض في مجامعهم السبعة وغير مجامعهم ما يطول وصفه ، ويصدق قوله - تعالى - :

﴿ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ (٢) .
وحيثُ فقول هؤلاء : « من خالفنا لعناه » كلام لا فائدة فيه ، فإن كل طائفة منهم لاعنة ملعونة .

فليس في لعنتهم لمن خالفهم إحقاق حق ولا إبطال باطل ، وإنما يحق الحق بالبراهين والآيات التي جاءت بها الرسل ، كما قال (٣) - تعالى - :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ

(١) سورة التوبة : من الآية ٢٩ .

(٢) سورة المائدة : من الآية ١٤ .

(٣) (قال) ساقطة من ك .

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾ .

وقد تقدم ما ذكره سعيد بن البطريق من أخبارهم أنه كان يأتي البترك العظيم منهم إلى كنيسة مبنية لصنم من الأصنام، يعبد المشركون، فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه، كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء. كما كان بالاسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه «ميكائيل» فجعلها النصارى كنيسة باسم ميكائيل الملك، وصاروا يعبدون الملك بعد أن كانوا يعبدون الصنم، ويذبحون له.

وهذا نقل لهم من الشرك (٢) بمخلوق، إلى الشرك بمخلوق أعلى منه، أولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الأصنام بأسماء الكواكب كالشمس والزهرة وغير ذلك.

فنقلهم المبتدعون من النصارى إلى عبادة بعض الملائكة أو بعض الأنبياء ولهذا قال - تعالى - :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة: من الآية ٢١٣ .

(٢) في ك (الأشراك) بدلاً من (الشرك).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠ .

وقال — تعالى — :

﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا ﴾ (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١﴾ .



(١) سورة الإسراء: الآيتان ٥٦، ٥٧ .

في ط (إن عذاب ربك كان محذراً) بدلاً من (إن عذاب ربك كان محذوراً) .

فصل

وقد حصل بما ذكرناه^(١) الجواب عن قولهم^(٢): «وعلى هذا المثال نقول: في السيد المسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتية التي هي طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت^(٣) من مريم العذراء واتحدت به».

بيان أن كل ما نقله المؤلف عن الحسن بن أيوب وابن البطريق إنما هو رد على أن في المسيح طبيعتين

وعرف أن هذا قول من أقوال النصارى، وأن لهم أقوالاً أخرى تناقض هذا.

وكل فريق منهم يكفر الآخر إذ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين، بل هي مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم، فضلوا بها وأضلوا كما قال - تعالى - :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٤).

فذكر - سبحانه - أنهم أضلوا من قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - .

(١) يشير المؤلف بما ذكره من جواب الحسن بن أيوب، ثم كلام سعيد بن البطريق أنه رد على قول النصارى في رسالة بولس الإنطاكي التي هي مدار جواب الشيخ في هذا الكتاب.

(٢) الضمير في (قولهم) يعود إلى علماء النصارى الذين حاورهم بولس الإنطاكي في رحلته إلى قبرص وبلاد الملافة.

(٣) في هـ، ك (أخذ) بسقوط (ت).

(٤) سورة المائدة: من الآية ٧٧.

والنصارى أمة^(١) يلزمهم الضلال الذي أصله^(٢) الجهل.

ولا يوجد قط من هو نصراني باطناً وظاهراً، إلا وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لا يعرف من يعبد، ولا بماذا يعبد، مع اجتهد من يجتهد منهم في العبادة والزهد ومكارم الأخلاق.

ثم يقال: على هؤلاء: قولهم: «طبيعتان» ويقولون أيضاً: «له مشيئتان» ويقولون أيضاً: «إنه شخص لم يزد عدده» فإنهم يقولون: «إنهما اتحدا» كما ذكروه في كتابهم هذا^(٣)، لا يقولون بشخصين لئلا يلزمهم القول بأربعة أقانيم.

ومنهم من يقول: «هما جوهران» ومنهم من يقول^(٤) «جوهر واحد».

فإن قالوا: «هو»^(٥) جوهر واحد» صار قولهم من جنس قول اليعقوبية، لا سيما وهم يقولون: «إن مريم ولدت اللاهوت والناسوت، وإن المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وهو إله تام وإنسان تام».

فإذا كان جوهرًا واحدًا لزم من^(٦) ذلك أن يكون اللاهوت قد استحال وتغير، وكذلك الناسوت، فإن الاثنين إذا صارا شيئاً واحداً فذلك الشيء الثالث ليس هو إنساناً محضاً، ولا إلهاً محضاً، بل اجتمعت فيه الإنسانية والإلهية، مع^(٧) أنه قد^(٨) كان الإنسان والإله اثنين

(١) في ط (وأيضاً فإنه) بدلاً من (والنصارى أمة).

(٢) في ط، ك (أصله) بدلاً من (أصله).

(٣) يشير إلى رسالة بولس الإنطاكي.

(٤) في ط (يقولون) بدلاً من (يقول).

(٥) (هو) ساقطة من هـ.

(٦) (من) ساقطة من ط، ك.

(٧) في ط، ك (ومع) بزيادة (و).

(٨) (أ) في هـ (وقد) بزيادة (و).

متباينين - وهما في اصطلاحهم^(١) - جوهران، فإذا صار الجوهران جوهرًا واحدًا، لا جوهرين فقد لزم ضرورة، أن يكون هذا الثالث ليس هو إلهًا محضًا ولا إنسانًا محضًا ولا جوهران، إنسانًا وإلهًا، فإن هذين جوهران لا جوهر واحد، بل هو شيء ثالث، اختلط وامتزج^(٢) واستحال من هذا وهذا، فتبدلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت، حتى صار هذا الجوهر الثالث الذي ليس لاهوتًا محضًا ولا ناسوتًا محضًا كسائر ما يعرف من الاتحاد.

فإن كل اثنين اتحدا فصارا جوهرًا واحدًا، فلا بد في ذلك من الاستحالة كما^(٣) في اتحاد الماء واللبن والخمر، وسائر ما يختلط بالماء، بخلاف الماء والزيت فإنهما جوهران كما كانا، لكن الزيت لاصق بالماء وطفأ عليه لم يتحد به، ومثل اختلاط النار والحديد فإن الحديد استحال عما كان، ولهذا إذا برد عاد إلى ما كان. وهكذا اتحاد الهواء مع الماء والتراب حتى يصير بخارًا أو غبارًا، وأمثال ذلك.

وفي الجملة فجميع ما يعرفه^(٤) الناس من الاتحاد إذا صار الاثنان^(٥) واحدًا وارتفعت الثنوية، فلا بد من استحالة الاثنين.

وإذا قيل: فيه طبيعة الاثنين، ومشية الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن.

قيل: لا بد - مع ذلك - أن تتغير كل قوة عما كانت عليه

(١) في هـ (اصطلاحكم) بدلاً من (اصطلاحهم).

(٢) في هـ (وامتزج لا جوهر واحد) بزيادة (لا جوهر واحد).

(٣) (كما) ساقطة من ط، ك.

(٤) في هـ (ما تعرفه) بدلاً من (ما يعرفه).

(٥) في ك، هـ (الاثنين) بدلاً من (الاثنان).

فتتكسر^(١) الأخرى، كما يعرف في سائر صور الاتحاد، (إذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما)^(٢) قوة الآخر عما كانت عليه.

كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت، فيبقى المتحد^(٣) مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض.

وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.

وعلى هذا، فيجب إذا اتحد أن تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيتته عما كانت، وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيتته عما كانت عليه، ويبقى هذا المتحد ممتزجاً من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن.

فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم من نقص اللاهوت وسلب كماله الذي يختص به، وبطلان صفاته التامة بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد، وإلا فإن كان اللاهوت كما كان، فلا اتحاد بوجه من الوجوه، بل الناسوت كما كان.

ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صاراً شيئاً واحداً.

وأيضاً فمع كون الجوهر واحداً يجب أن تكون مشيته واحدة، وطبيعته واحدة، فإنه لو كان مشيئتين، لكان محل إحدى المشيئتين، (إن كان هو محل الأخرى مع تضاد موجب المشيئتين)^(٤)، لزم اجتماع

(١) في هـ (فيكسر) بدلاً من (فتتكسر).

(٢) في هـ (إذا لم يجد هذا مع هذا كسر كل واحد منهما).

(٣) (المتحد) ساقطة من هـ، وغير ظاهرة في ك.

(٤) ما بين القوسين غير ظاهر في ك.

الضدين في محل واحد.

فإن الإرادة الناسوتية، تطلب الأكل والشرب، وأن تعبد وتصوم وتصلي.

واللاهوتية، توجب امتناعه من إرادة هذه الأشياء.

وإرادته أن يخلق ويرزق ويدبر العالم. والناسوتية تمتنع من هذه الإرادة.

فإذا قامت الإرادتان^(١) والكراهتان^(٢) بمحل واحد، لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريداً للشيء ممتنعاً من إرادته غير مريد له كارهاً للشيء غير كاره له، وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة.

ويمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه، أو كراهتان^(٣) جازمتان للشيء أو نقيضه، والفعل لا يقع إلا بإرادة جازمة مع القدرة، فاللاهوت ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومتى شاء شيئاً مشيئة^(٤) جازمة فإنه على ما شاء قادر.

والناسوت لا يفعل شيئاً من خصائص البشرية حتى يريد ذلك إرادة جازمة.

والناسوت يمتنع أن يريد إرادة اللاهوت ويكره ذلك، فيصير الشيء الواحد مريداً للشيء إرادة جازمة، قادراً عليه ليس مريداً له إرادة جازمة، بل هو عاجز عنه.

(١) في هـ، ك (الإراديات) بدلاً من (الإرادتان).

(٢) في هـ، ك (الكراهييات) بدلاً من (الكراهتان).

(٣) في ط، ك (كراهيان) بدلاً من (كراهتان).

(٤) في هـ، ك (مشيئة) بدلاً من (مشيئة).

ويلزم أيضاً إذا كانا جوهرًا واحدًا، وقد^(١) ولد وصفع، وضرب
وصلب، ومات، وتألّم أن يكون^(٢) نفس اللاهوت ضرب وصلب ومات
وتألّم، كما تقوله اليعقوبية، وهذا لازم لجميع النصارى وهو موجب
عقيدة إيمانهم.

فإن قالوا: بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصاً واحداً
لا تعدد فيه، كما يقوله من يقوله من الملكية^(٣)، كان هذا كلاماً
متناقضاً، فإن الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه، جوهر واحد، ولهذا
حد بأنه جسم.

وإن شبهوا ذلك بالنفس مع الجسد، لزمهم المحدود.

فإن الإنسان كما يقال فيه: إنه شخص واحد، يقال: إنه جوهر
واحد، بما بينهما من الاتحاد، ولهذا يحد بأنه جسم حساس، تام^(٤)،
متحرك بالإرادة، ناطق، هذا يتناول جسده وروحه، وللنفس^(٥) والبدن
مشيئة واحدة.

ومتى شاء الإنسان الفعل مشيئة جازمة مع قدرته عليه فعله
ولم يكن معه جوهر آخر له مشيئة غير مشيئته.

فإذا شبهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا، لزمهم أن يكونا جوهرًا
واحدًا، ومشيئة واحدة، وهذا قول اليعقوبية.

ولهذا تألّم النفس بما يحدث في الجسد من الآلام، ويتألّم

(١) في هـ (قد) بسقوط (و).

(٢) في ط، ك (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) في هـ (الملكانية) بدلاً من (الملكية).

(٤) في ط (تام) بدلاً من (تام).

(٥) في هـ (النفس) بدلاً من (للنفس).

الجسم الذي هو القلب الصنوبري، بما يحدث في النفس من الآلام.

فإذا تألمت النفس، تألم قلب الجسد وغير قلب الجسد، وكذلك إذا تألم الجسد، وإذا صفع الجسد وصلب^(١) وبصق في وجهه، ووضع الشوك عليه وتألم ومات^(٢)، كان ذلك كله حالاً بالنفس، ونالها من إهانة الصفع^(٣) وألم النزع ما ينالها، (كما يسلمون لله^(٤)) أنه حل بنفس المسيح وبدنه، فإنهم لا يتنازعون أن الإله حل ببدن المسيح ونفسه، وإنما يتنازعون في اللاهوت مع^(٥) أن النفس^(٦) مفارقة للبدن بالموت.

واللاهوت — عندهم — لم يفارق الناسوت بالموت، بل صعد إلى السماء.

والمسيح الذي هو إله تام وإنسان تام، يقعد عن يمين أبيه، وكذلك يجيء يوم القيامة.

وأيضاً فالبدن إذا كانت فيه النفس. تتغير صفاته وأحكامه، وتختلف أحواله، باجتماعها وافتراقها، والنفس إذا كانت في البدن تختلف صفاتها وأحكامها.

فيلزم أن يكون ناسوت المسيح مخالفاً في الصفات والأحكام لسائر النواصيت، وأن يكون اللاهوت لما اتحد به، تغيرت صفاته وأحكامه وهذا هو الاستحالة والتغير والتبدل للصفات، مع أن ناسوت

(١) في ط، ك (وصلب وصفع) بزيادة (وصفع).

وفي هـ (وصلب وتألم ومات) بزيادة (وتألم ومات).

(٢) (وتألم ومات) محذوفة من هـ.

(٣) (الصفع) ساقطة من ك.

(٤) في هـ (هو) بدلاً من (لله).

(٥) ما بين القوسين غير ظاهر في ك.

(٦) في ك (مع أنها) بدلاً من (أن النفس).

المسيح كان من جنس نواسيت البشر، لم يظهر عليه إلا ما ظهر مثله على غيره، بل ظهر على غيره من خوارق العادات أكثر مما ظهر عليه. وبالجملّة فأى مثل ضربوه للاتحاد، كان حجة عليهم، وظهر به فساد قولهم.

وإن قالوا: هذا أمر لا يعقل، بل هو فوق العقول، كان الجواب من وجهين:

أحدهما: أنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوّره ومعرفته.

فالأول: من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني.

وأما الأول: فلا يقوله إلا كاذب، ولو جاز أن يقول هذا، لجاز أن يقال: إن الجسم الواحد يكون أبيض أسود في حال واحدة، وإنه — بعينه — يكون في مكانين، وإن الشيء الواحد يكون موجوداً معدوماً في حال^(١) واحدة، وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه.

وقول النصارى مما يعلم بصريح العقل أنه باطل، ليس هو مما يعجز عن تصوّره.

يوضح هذا، أنه لو قال قائل في مريم أم المسيح «امرأة الله وزوجته» وأنه^(٢) نكحها نكاحاً عقلياً كما يقولون: إن المسيح ولده ولادة عقلية. لم يكن هذا القول أفسد في العقل من قولهم في المسيح، كما

(١) في هـ (حاله) بدلاً من (حال).

(٢) في ط (فإنه) بدلاً من (وإنه).

قد^(١) بسطناه في موضعه^(٢) ، وهم يكفرون من يقول ذلك ، ويحتجون بالعقل على فساده .

وإذا قال : « هذا فوق العقل » لم يقبلوه^(٣) ، وكذلك كل طائفة من^(٤) طوائفهم احتجت على الأخرى بالعقل ، وإذا قالوا : « قولنا فوق العقل » لم يقبلوا هذا الجواب .

فإن كان هذا جواباً صحيحاً ، فيجب أن لا يبحث في شيء من الإلهيات بالعقل ، بل يقول كل مبطل ما شاء من الباطل ، ويقول : كلامي فوق العقل ، كما يقول أصحاب الحلول والاتحاد والوحدة ، الذين يقولون : إن وجود الخالق وجود المخلوق ، ويقولون : إن هذا فوق العقل وإنه^(٥) يعلم^(٦) بالذوق لا بالسمع ولا بالعقل .

الوجه^(٧) الثاني : أن يقال ما يعجز العقل عن تصويره إذا أخبرت به الأنبياء — عليهم السلام — قبل منهم ، لأنهم يعلمون ما يعجز غيرهم من معرفته .

وهذه الأقوال لم يقل الأنبياء شيئاً منها ، بل نفس فرق النصارى قالوها بأرائهم ، وزعموا أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب .
فيقال لمن قالها منهم : أنت تتصور ما تقول أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله ؟

(١) قد ساقطة من هـ .

(٢) كما قد بسطناه في موضعه ساقطة من ك .

(٣) لم يقبلوه ساقطة من ك .

(٤) (من) ساقطة من ك . (٦) في ط ، ك (نعلم) بدلاً من (يعلم) .

(٥) (إنه) ساقطة من ط ، ك . (٧) (الوجه) ساقطة من هـ ، ك .

فإن قال: لا أتصور ما أقول ولا أفقهه^(١) ولا أعقله، قيل له: فقد قلت على الله ما لا تعلم، وقفوت ما ليس لك به علم.

ومن أعظم القبائح المحرمة في جميع الشرائع أن يقول الإنسان برأيه على الله قولاً لا يتصوره ولا يفهمه^(٢).

وجميع العقلاء يعلمون أن من قال قولاً وهو لا يتصوره ولا يفقهه^(٣) فإن قوله مردود عليه غير مقبول منه، وإن قوله من الباطل المذموم.

وإن قال قائلهم: إني أفقه ما أقول وأتصوره وأعقله، قيل له: بينه لغيرك حتى يفقهه ويعقله ويتصوره، ولا تقل: «هو فوق العقل، بل هو قول قد عقلته وفقته». وهذا تقسيم لا محيد لهم عنه.

فإنهم إن كانوا يفقهون ما يقولون ويعقلونه، لزم أن يكون معقولاً.

وإن كانوا لا يفقهونه ولا يعقلونه، لزم أنهم قالوا على الله ما لا يفقهونه، ولا يعقلونه، قولاً برأيهم وعقلهم لا نقلاً لألفاظ الأنبياء، فإن من نقل ألفاظ الأنبياء الثابتة عنهم، لم يكن عليه أن يفقه ويعقل ما يقول.

ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «نضر الله امرءاً، سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٤). فقد يحفظ الرجل كلاماً، فيبلغه غيره وهو لا يفقه معناه ولا يعقله.

(١) في هـ (أفهمه) بدلاً من (أفقهه).

(٢) (ولا يفهمه) ساقطة من هـ.

(٣) (لا) ساقطة من هـ، ك.

(٤) سبق تخريجه.

فمن نقل لفظ التوراة أو الإنجيل أو القرآن أو ألفاظ سائر الأنبياء،
لم نطالبه ببيان معناه .

بخلاف من ادعى أنه فهم ما قاله الأنبياء وعبر عن ذلك بعبارة
أخرى، فإنه يقال له: إن كنت فهمت ما قالوه، فهو معنى واحد، عبروا
عنه بعبارة، وعبرت^(١) عنه بعبارة أخرى، كالترجمان^(٢)، فهذا يعقل
ما يقول ويفقهه .

وإن قال: إني لم أفهم كلامهم، أو لم أفهم ما قلته، فقد اعترف
بجهله وضلاله وأنه من الذين لم يفهموا كلام^(٣) الأنبياء - عليهم
السلام - ، ولم يفقهوا^(٤) ما قالوه هم .

فلو قالوا: لم نفهم كلام الأنبياء وسكتوا، لكانوا أسوأ أمثالهم من
الجهال بمعاني كلام الأنبياء .

وأما إذا وضعوا عبارة وكلاماً ابتدعوه، وأمروا الناس باعتقاده
وقالوا: هذا هو الإيمان والتوحيد، وقالوا: إنّا - مع هذا - لا نتصور
ما قلناه ولا نفقهه ولا نعقله، فهؤلاء من الذين يقولون على الله
ما لا يعلمون، ويفترون على الله وعلى كتب الله وأنبياء الله بغير علم،
بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح، ويقولون مع^(٥) ذلك: إنا لا
نعقله، وهذا حال النصارى بلا ريب .

وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس: غالية غلت في

(١) في ط، ك (عبرت) بسقوط (و) .

(٢) كالترجمان) غير واضحة في ك .

(٣) في ك (كلام الله عز وجل) بزيادة (الله عز وجل) .

(٤) في هـ (يفهموا) بدلاً من (يفقهوا) .

(٥) (مع) ساقطة من ط .

المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولاً من المعقول، وقدمته على
الحس ونصوص الرسول.

وطائفة جفت عنه، فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها
ما ظنته من السمعيات والحسيات.

وهكذا الناس في السمعيات نوعان، وكذلك هم^(١) في الحسيات
الباطنة والظاهرة نوعان.

فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه
بعضاً.

بخلاف الباطل، فإنه مختلف متناقض، كما قال - تعالى - في
المخالفين للرسول:

﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ ﴿٧﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مِنْ أُفْكَ﴾^(٢).

وإن ما علم بمعقول صريح، لا يخالفه قط، لا خبر صحيح،
ولا حس صحيح.

وكذلك ما علم بالسمع الصحيح، لا يعارضه عقل ولا حس.

وكذلك ما علم بالحس الصحيح، لا يناقضه خبر ولا معقول.

والمقصود هنا، الكلام مع من يعارض المعقولات بسمع أو حس.

فنقول لفظ «المعقول» يراد به المعقول^(٣) الصريح الذي يعرفه

الناس بفطرهم التي فطروا عليها، من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض،

(١) (في السمعيات نوعان، وكذلك هم) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ٧ - ٩.

(٣) في هـ (العقول) بدلاً من (المعقول).

كما يعلمون تماثل المتماثلين، واختلاف المختلفين - أعني اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد^(١) والتباين - فإن لفظ «الاختلاف» يراد به هذا وهذا.

وهذه المعقولات في العلميات والعمليات هي التي ذم الله من خالفها بقوله:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢).

وقوله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ

بِهَا﴾^(٣)

وأما ما يسميه بعض الناس «معقولات» ويخالفه فيه كثير من العقلاء، مثل القول بتماثل^(٤) الأجسام، وبقاء الأعراض، وأن^(٥) الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة، التي لا تقبل القسمة، أو من المادة والصورة، وأن ما لا يتناهى من الأمور المتعاقبة شيئاً بعد شيء (يمتنع وجوده، إما في الماضي)^(*) والمستقبل، أو في الماضي فقط، أو أن الكليات موجودة (في الخارج جواهر قائمة بأنفسها)^(*) أو أن لنا دهرأ أو مادة هي جوهر عقلي قائم بنفسه، (أو أنه يمكن وجود جوهر قائم بنفسه)^(*) لا يشار إليه، ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظر، أنه عقليات^(٦)

(١) في هـ، ك (التضاد) بدلاً من (التضاد).

(٢) سورة الملك: من الآية ١٠.

(٣) سورة الحج: من الآية ٢٤٦.

في هـ، ك (أولم) بدلاً من (أفلم) وهو مخالف للمصحف.

(٤) في هـ، ك (في تماثل) بدلاً من (بتماثل).

(٥) في ط (فإن) بدلاً من (وأن).

(٦) في هـ (عقلياً) بسقوط (ت).

(وينازعهم فيه آخرون) (*).

فليس هذا هو العقليات التي لا يجب لأجلها رد الحس والسمع،
(وتبنى^(١) عليها علوم بني آدم) (*) بل المعقولات الصحيحة الدقيقة
الخفية ترد إلى معقولات (بديهية أولية، بخلاف) (*) العقليات الصريحة،
مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين (في وقت واحد
معاً)^(٢) (*). فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها.

فإذا جاء في الحس (أو الخبر الصحيح ما يظن) (*) أنه يخالف
ذلك، مثل أن يرى الشخص الواحد في «عرفات» وهو في بلده لم يبرح
(أو يرى^(٣) قاعداً) (*) في مكانه، وهو في مكان آخر، أو يرى^(٤) أنه
أغاث من استغاث به، أو جاء طائراً في الهواء^(٥)، مع العلم بأنه في
مكانه لم يتغير منه، فهذا إنما هو جني تصور بصورة ذلك الشخص ليس
هو نفسه، فهذا يشبهه ليس هو إياه^(٦).

والحسيات إن لم يميز بينها بالعقل، وإلا فالحس يغلط كثيراً،
فكذلك من ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمراً يخالف
صريح العقل يعلم أنه غلط فيه، كمن قال من القائلين بوحدة الوجود:
«إني أشهد بباطني وجوداً مطلقاً مجرداً عن الأسماء والصفات،

(*) هذه أواخر أسطر ممحوة تماماً من ك

(١) في ط (وتبنى) بدلاً من (تبنى).

(٢) (معاً) ساقطة من ط.

(٣) (أو يرى) ساقطة من هـ.

(٤) في ط، ك (أو يرى) بدلاً من (ترى).

(٥) في ك (الهوى) بدلاً من (الهواء).

(٦) في ط (إياه) بدلاً من (إياه).

(*) هذه أواخر أسطر ممحوة تماماً من ك.

لا اختصاص فيه ولا قيد البتة^(١)»^(٢)، فلا يتنازع في هذا، كما قد ينازعه بعض الناس.

لكن يقال له: من أين لك أن هذا هو رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض؟ فإن كون ما شهدته بقلبك هو الله، أمر لا يدرك بحس القلب، وإذا ادعيت أنه حصل لك في الكشف ما يناقض صريح العقل علم أنك غلط، كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني:

يا صاحبي أنت تنهاني وتأمري والوجد أصدق نهاء وأمار
فإن أطعك وأعص الوجد عدت عما عن العيان إلى أوهام أخبار
وعين ما أنت تدعوني إليه إذا حققت فيه تراه النهي يا جار^(٣)

فيقال له: وجدك وذوقك لم يفدك إلا شهود وجود مطلق بسيط، لكن من أين لك أن هذا هو رب العالمين؟ بل من أين لك أن هذا ثابت في الخارج عن نفسك كلياً مطلقاً مجرداً؟ بل^(٤) إنما تشهده كلياً مطلقاً مجرداً في نفسك.

ولست تعلم بحس ولا عقل ولا خبر أن هذا هو في الخارج.

كما أن النائم إذا شهد حسه الباطن أشياء لم يكن معه يقين أن هذا في الخارج.

فإذا عاد إليه عقله علم أن هذا كان في خياله في المنام.

(١) في هـ، ك (ولا مبدأ له) بدلاً من (ولا قيد البتة).

(٢) هذا النقل يظهر لي أنه من كتب الصوفية أو كلامهم لكن لم أعثر على مكانه.

(٣) هذه الأبيات نسبها المؤلف للتلمساني، وقد اجتهدنا في البحث عنها فلم أهتد إلى مكانها.

(٤) في هـ، ك (أنك) بدلاً من (بل).

وكذلك السكران وغيره ممن يضعف عقله فهذا يشهد^(١) بحسه الباطن، أو الظاهر أشياء وقد ضعف عقله عن كنه ذلك لما ورد^(٢) عليه، وإذا ثبت إليه عقله، علم أن ما شاهده كان في نفسه وخياله لا في الخارج عن ذلك.

فكل من أخبر بما يخالف^(٣) صحيح المنقول أو صريح المعقول^(٤) يعلم أنه^(٥) وقع له غلط، وإن كان صادقاً فيما يشهده في الحس الباطن أو الظاهر، لكن^(٦) الغلط وقع في ظنه الفاسد المخالف لصريح العقل لا في مجرد الحس، فإن الحس ليس فيه^(٧) علم بنفي أو إثبات. فمن رأى شخصاً، فليس في الحس إلا رؤيته.

وأما كونه زيداً أو عمرأ^(٨)، فهذا لا بد فيه من^(٩) عقل يميز بين هذا وهذا، ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيم^(١٠) والسكران والنائم ونحوهم، لهم حس، ولكن لعدم العقل لا يميزون أن هذا المشهود هو كذا أم كذا، بل قد يظنون ظنوناً غير مطابقة.

قال - تعالى - :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كُرَابٌ يَقِيعَةٌ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ

(١) في هـ ، ك (شاهد) بسقوط (ب).

(٢) في هـ ، ك (ورد).

(٣) (عن ذلك. فكل من أخبر بما يخالف) ساقطة من ك.

(٤) في هـ ، ك (صريح المعقول أو صحيح المنقول) تقديم وتأخير.

(٥) (يعلم أنه) ساقطة من ك.

(٦) (لكن) ممحوة من ك.

(٧) (ليس فيه) ممحوة من ك.

(٨) (زيداً وعمرأ) ممحوة من ك.

(٩) (من) ساقطة من ك.

(١٠) في هـ (البهيمة) بدلاً من (البهيم).

لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾ .

فالظمآن، يرى أن ما ظنه ماء ولم يكن ماء لاشتباهه بالماء والحس لم يغلط، لكن غلط عقله.

والأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - ، معصومون، لا يقولون على الله إلا الحق، ولا ينقلون^(٢) عنه إلا الصدق.

فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول، كان كاذباً، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح، أو ذلك المنقول ليس بصحيح.

فما علم يقيناً أنهم أخبروا به، يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه.

وما علم يقيناً أن العقل حكم به، يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه.

وقول أهل الاتحاد^(٣) من النصارى وغيرهم - سواء ادعوا الاتحاد العام أو الخاص - قد علم بصريح العقل بطلانه، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء، بل الأنبياء - عليهم السلام - قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

ومن سوى الأنبياء ليس معصوماً، فقد يغلط ويحصل له في كشفه وحسه وذوقه وشهوده أمور يظن فيها ظنوناً كاذبة.

(١) سورة النور: من الآية ٣٩.

(٢) في هـ (ولا يتلقون) بدلاً من (ينقلون).

(٣) في ط (الإلحاد) بدلاً من (الاتحاد).

فإذا أخبر مثل هذا بشيء، علم بطلانه بصريح العقل، علم أنه غلط.

وإذا أخبر غير الأنبياء بما يعجز عقل كثير من الناس عن معرفته، لم يلزم أن يكون صادقاً ولا كاذباً، بل لا نحكم بصدقه ولا كذبه إلاً بدليل لاحتمال أن يكون غلطاً، واحتمال أن يكون قد علم ما يعجز^(١) غيره عن معرفته.

وإذا قال القول المعلوم فساده بصريح العقل من ليس بنبي، وقال: إن هذا فوق العقل، أو هذا وراء طور العقل والنقل، أو هذا لا نعرفه إن لم نترك العقل والنقل، أو قال:

هم معشر حلوا النظام وأحرقوا^(٢) الـ سياج فلا فرض لديهم ولا نفل مجانين إلا أن سر^(٣) جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل^(٤)

قيل: وهذا يمتنع أن يقوله نبي، أو ينقله صادق عن نبي، فإن أقوال الأنبياء لا تناقض العقل الصريح، فكيف يقبل هذا ممن ليس بنبي؟

وإن قال كما يقوله النصارى^(٥) أو غيرهم: إن هذا دل عليه كلام الأنبياء، أو فهمناه من كلام الأنبياء.

قيل لهم: الكلام في معاني الألفاظ التي نطقت بها الأنبياء شيء والكلام الذي^(٦) فهتمموه عنهم شيء آخر.

(١) في هـ (لعجزه) بدلاً من (يعجز).

(٢) في كـ (وأحرقوا) بدلاً من (وأحرقوا).

(٣) في هـ (ستر) بدلاً من (سر).

(٤) هذه الأبيات لم نثر على قائلها بالرغم من دقة البحث وسؤال أهل الشأن.

(٥) (النصارى) ممحوة من كـ.

(٦) (الذي) ممحوة من كـ. في هـ (فيما) بدلاً من (الذي).

ولو قدر أن ما ذكرتموه أنتم أو غيركم، فهتمموه^(١) من كلام الأنبياء ليس مخالفاً لصريح العقل، لم نجزم بأن قائل ذلك يتصور ما قال^(٢)، بل قد يكون فهم من كلامهم ما لم يريدوه.

فكيف إذا كان هو — نفسه — لم يتصور ما قال؟ بل هم معترفون بأنه غير معقول له، وهو لا يفهمه، فكيف إذا كان الذي قاله معلوم الفساد بصريح العقل.

فهذه ثلاث مقدمات لو فهمه ثم قال: إني فهمت كلامه، لم يكن فهمه حجة.

فكيف إذا قال: إني لم أفهمه، وإن هذا فوق طور العقل؟

ولو قال هذا: لم يكن قوله حجة، ولم يجب تصديقه من أن الأنبياء عنوا بكلامهم المعنى الذي اعترف^(٣) أنه فوق طور^(٤) العقل، فكيف إذا عرف أن ذلك المعنى باطل، يمتنع أن يقوله عاقل، لا نبي ولا غير نبي؟



(١) في هـ، ك (فهموه) بدلاً من (فهتمموه).

(٢) في هـ (مصيب في فهمه) بدلاً من (يتصور ما قال).

(يتصور ما قال) ساقطة من ك.

(٣) في ط (اعترفوا) بدلاً من (اعترف).

(٤) (طور) ساقطة من هـ، ك.

فصل

قال الحاكي^(١) عنهم: فقلت لهم: إنهم يقولون لنا: إذا كان اعتقادكم في الباري - تعالى - أنه واحد، فما حملكم على أن تقولوا أب وابن وروح قدس فتوهمون السامعين أنكم تعتقدون في الله ثلاثة أشخاص مركبة، أو ثلاثة آلهة، أو ثلاثة أجزاء، وأن له ابناً؟ ويظن من لا يعرف اعتقادكم أنكم تريدون بذلك، ابن المباشعة والتناسل^(٢)، فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم منها بريئون؟

قالوا: وهم أيضاً^(٣)، لما كان اعتقادهم في الباري جلت عظمته أنه غير ذي جسم، وغير ذي جوارح وأعضاء، وغير محصور في مكان، فما حملهم^(٤) على أن يقولوا^(٥): إن له عينين يبصر بهما، ويدين يسطهما، وساق ووجهه يوليه إلى كل مكان، وجنب، وأنه يأتي في ظلل من الغمام فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم، وذو أعضاء وجوارح، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان في ظلل من الغمام، فيظن من لا يعرف اعتقادهم أنهم يجسمون الباري، حتى إن قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً، ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه.

(١) المقصود به: بولس الإنطاكي أسقف صيدا، وكاتب الرسالة التي يرد عليها المؤلف في هذا الكتاب.

(٢) في هـ (المناسلة) بدلاً من (التناسل).

(٣) (وهم أيضاً) يقصد المسلمون.

(٤) في ك (حملكم) بدلاً من (حملهم).

(٥) في ك (تقولوا) بدلاً من (يقولوا).

قال: فقلت لهم: إنهم يقولون: إن العلة في قولهم هذا، أن الله له عيانان ويدان ووجه وساق وجنب، وأنه يأتي في ظلل من الغمام، فهو أن القرآن نطق به، وأن ذلك غير ظاهر اللفظ، وكل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ، ويعتقد أن الله له عيانان ويدان ووجه وجنب وجوارح وأعضاء وأن ذاته تنتقل، فهم يلعنونه ويكفرونه، فإذا كفروا من يعتقد هذا، فليس لمخالفهم^(١) أن يلزموهم هذا بعد أن لا يعتقدوه.

قالوا: وكذلك نحن أيضاً النصارى، العلة^(٢) في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب، وابن، وروح قدس، أن الإنجيل نطق به، والمراد بالأقانيم^(٣) غير الأشخاص المركبة، والأجزاء والأبعاد وغير ذلك مما يقتضي الشرك والتكثير^(٤)، وبالأب والابن غير أبوة وبنوة نكاح أو تناسل، أو جماع، أو مباضعة.

وكل من يعتقد أن الثلاثة أقانيم ثلاثة آلهة مختلفة، أو ثلاثة آلهة متفقة، أو ثلاثة أجسام مؤلفة، أو ثلاثة أجزاء متفرقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة، أو أعراض، أو قوى، أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه، أو بنوة نكاح، أو تناسل، أو مباضعة، أو جماع أو ولادة زوجة، أو من بعض الأجسام، أو من بعض الملائكة، أو من بعض المخلوقين، فنحن نلعنه ونكفره ونجرمه.

وإذا لعنّا أو كفرنا من يعتقد ذلك، فليس لمخالفينا أن يلزمونا بعد أن لا نعتقده، وإن ألزمونا الشرك والتشبيه لأجل قولنا: أب وابن وروح

(١) (لمخالفهم) ساقطة من ك.

(٢) (العلة) ساقطة من ك.

(٣) (الأقانيم) ساقطة من ك.

(٤) (التكثير) ساقطة من ك.

قدس، لأن ظاهر ذلك يقتضي التكثير والتشبيه. ألزمنهم أيضاً
 — نحن — التجسيم والتشبيه لقولهم: إن الله له عيان ويدان ووجه وساق
 وجنب، وأن ذاته تنتقل من مكان إلى مكان، وأنه استوى على العرش
 من بعد أن لم يكن عليه، وغير ذلك مما يقتضي ظاهره التجسيم
 والتشبيه^(١).

والجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: من آمن بما جاءت به الرسل وقال^(٢) ما قالوه
 من غير تحريف للفظه ولا معناه، فهذا لا إنكار عليه، بخلاف من ابتدع
 أقوالاً لم تقلها الرسل، بل هي تخالف ما قالوه، وحرف ما قالوه، إما لفظاً
 ومعنى، وإما معنى فقط، فهذا يستحق الإنكار عليه باتفاق الطوائف.

وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في
 كتبه، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير
 تكيف ولا تمثيل، بل يثبتون له — تعالى — ما أثبتته لنفسه، وينفون عنه
 ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف
 أقوال الرسل، كما قال — تعالى — :

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣).

أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل:

﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤).

(١) انتهى كلام الحاكي عنهم، وهذا موجود في مخطوطة رسالة بولس الإنطاكي،
 ص ١٣، المتحف القبطي. وهو آخرها.

(٢) (قال) ساقطة من هـ، ك.

(٣) سورة الصافات: من الآية ١٨٠.

(٤) سورة الصافات: من الآية ١٨١.

لسلامة ما قالوه من النقص والعيب:

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل.

فمن نفى^(٢) عنه ما أثبتته لنفسه من الصفات، كان معطلاً، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين، كان ممثلاً، والمعطل يعبد عدماً، والممثل يعبد^(٣) صنماً.

وقد قال - تعالى - :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

وهو رد على الممثلة^(٤)،

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

وهو رد على المعطلة^(٥).

(١) سورة الصافات: من الآية ١٨٢.

(٢) في ك (نفا) بدلاً من (نفي).

(٣) (يعبد) ساقطة من ط.

(٤) الممثلة: فرقة شبهت صفات الله بصفات المخلوق، وهم صنفان: الأولى: تشبه ذاته بغيره من الذوات، والثاني تشبه صفاته بصفات غيره.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٥؛ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٥.

(٥) المعطلة: فرقة تتكون من الجهمية والمعتزلة نفت صفات الله على أصلين فاسدين.

(١) أنها من المتشابه. (٢) أن المتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله. وهم متناقضون في بدعهم.

انظر: جامع الرسائل لابن تيمية ص ١٥٣؛ ولوامع الأنوار البهية ١/١٢٨.

فوصفته الرسل بأنه حي منزّه عن الموت، عليم منزّه عن الجهل،
 قدير قوي عزيز، منزّه عن العجز والضعف والذل واللغوب^(١)، سميع
 بصير منزّه عن الصم والعمى، غني منزّه عن الفقر، جواد منزّه عن
 البخل، حكيم^(٢) حلیم^(٣)، منزّه عن السفه، صادق منزّه عن الكذب،
 إلى سائر صفات الكمال مثل وصفه بأنه ودود رحيم لطيف، وقد^(٤) قال
 - تعالى - :

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾^(٥).

فالصمد اسم يتضمن إثبات صفات الكمال ونفي النقائص،
 وهو^(٦) العليم الكامل في علمه، القدير الكامل في قدرته، الحكيم
 الكامل في حكمته.

ولنا مصنف^(٧) مبسوط في تفسير هذه السورة، وآخر^(٨) في بيان
 أنها تعادل ثلث القرآن، وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة
 والتابعين في معنى «الصمد» وأن عامة ما قالوه حق، كقول من قال

(١) (اللغوب) ساقطة من ك.

في هـ (اللغوب والذل) تقديم وتأخير.

(٢) (حكيم) ساقطة من هـ.

في ط (حكم) بدلاً من (حكيم).

(٣) (حلیم) ساقطة من ك.

(٤) (قد) غير ظاهرة في ك.

(٥) سورة الإخلاص كلها.

(٦) في هـ (فإنه) بدلاً من (وهو).

(٧) (لنا مصنف) غير ظاهرة في ك.

(٨) يقصد به كتاب (جواب أهل العلم والإيمان، فيما أخبر به رسول الرحمن من أن قل

هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن)، وقد طبع مراراً في القاهرة.

منهم: «إن الصمد الذي لا جوف له» ومن قال منهم: «إنه السيد الذي انتهى سؤدده» كما قيل: «إنه المستغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه»، وكما قيل: «إنه العليم الكامل في علمه، والقدير الكامل في قدرته» إلى سائر صفات الكمال.

وذكر - تعالى - في هذه السورة أنه أحد ليس، له كفواً أحد، فنفي بذلك أن يكون شيئاً من الأشياء له كفواً، وبين أنه أحد لا نظير له.

وقال في آية أخرى:

﴿فَاعْبُدْهُ وَأَصْطَبِرْ لِعَذَابِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (١).

وقال:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٢).

وقال:

﴿فَلَا تَضُرُّهُ أَمْثَالٌ﴾ (٣).

وقال (٤):

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ (٥).

وما ورد في القرآن والسنة من إثبات صفات الله، فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك.

فهو أمر اتفقت عليه الرسل، وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين.

(١) سورة مريم: من الآية ٦٥.

(٢) سورة الشورى: من الآية ١١.

(٣) سورة النحل: من الآية ٧٤.

في هـ، ك (ولا) بدلاً من (فلا).

(٤) (وقال) ساقطة من ط.

(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٢.

وإذا كان كذلك، فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء^(١).

فليس في كلام الأنبياء - لا المسيح ولا غيره - ذكر أقانيم الله، لا ثلاثة ولا أكثر، ولا إثبات ثلاث صفات، ولا تسمية شيء من صفات الله، ابناً لله، ولا رباً، ولا تسمية حياته روحاً، ولا أن لله ابناً هو إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، وأنه خالق كما أن الله خالق، إلى غير ذلك من الأقوال المتضمنة لأنواع من الكفر، لم تنقل عن نبي من الأنبياء.

فقالوا: في شريعة إيمانهم: نؤمن بالله الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وهذا حق.

ثم قالوا: وبالرب الواحد يسوع^(٢) المسيح ابن الله الواحد، بكر الخليق كلها، مولود ليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، نور من نور، مساوٍ للأب في الجوهر الذي^(٣) بيده أتقنت العوالم وخلق^(٤) كل شيء، الذي من أجلنا - معشر الناس - ومن أجل خلاصنا نزل من^(٥) السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء البتول، وصار إنساناً وخبل به وولد من مريم البتول^(٦) وتألم وصلب ودفن، وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى

(١) (بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء) ساقطة من ك.

(٢) في ك، هـ (يسوع) بزيادة (أ).

(٣) في ط (الذي الجوهر) تقديم وتأخير.

(٤) في ط، ك (خلق) بسقوط (و).

(٥) (من) ساقطة من ط.

(٦) (البتول) ساقطة من ط.

السماء، وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارةً أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القدس المحيي^(١)، وروح الحق المنبثق من أبيه، أو الذي خرج من أبيه روح محييه.

فأين في كلام الأنبياء أن شيئاً^(٢) من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه: إنه أقنوم، وإنه حق من إله حق، من جوهر أبيه، وإنه مساوٍ لله في الجوهر، وإنه خالق خلق^(٣) كل شيء، وإنه قعد^(٤) عن يمين الله فوق العرش، وإنه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة؟

وأين في كلام الأنبياء أن الله ولدأ قديماً أزلياً؟

ومن الذي سمى كلام الله أو علمه أو حكمته، مولوداً له أو ابناً له أو شيئاً من صفاته مولوداً له أو ابناً له؟

ومن الذي قال من الأنبياء: إنه مولود، وهو - مع ذلك - قديم أزلي؟

وأين في كلامهم أن الله أقنوماً ثالثاً هو حياته، ويسمى بروح القدس وأنه أيضاً رب حي^(٥) محيي^(٦)؟

فلو^(٧) كان النصراني آمنوا بنصوص الأنبياء، كما آمن المؤمنون،

(١) في هـ (الواحد) بدلاً من (المحيي).

(٢) شيئاً غير ظاهرة في ك.

(٣) (خلق) ساقطة من هـ ، ك.

(٤) في هـ (جالس) بدلاً من (قعد).

(٥) في هـ ، ك (حق) بدلاً من (حي).

(٦) (محيي) ساقطة من ك.

(٧) (فلو) ساقطة من ك.

لم يكن عليهم ملام^(١).

ومن اعترض على نصوص الأنبياء، كان لفساد فهمه ونقص معرفته.

ولكن هم ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصة عن أحد من الأنبياء - عليهم السلام - ، وفيها كفر ظاهر وتناقض بين.

فلو قدر أنهم أرادوا بها معنى صحيحاً، لم يكن لأحد أن يبتدع كلاماً لم يأت به نبي يدل على الكفر المتناقض الذي يخالف الشرع والعقل، ويقول: إني أردت به معنى صحيحاً من غير أن يكون لفظه دالاً على ذلك، فكيف والمراد الذي يفسرون به كلامهم فاسد متناقض كما تقدم؟

فهم ابتدعوا أقوالاً منكراً وفسروها بتفسير منكر، فكان الرد عليهم من كل واحد من الوجهين، وهم - في ذلك - نظير بعض ملاحدة المسلمين الذين يعتقدون إلهية بعض أهل البيت، أو بعض المشايخ، ويصفون الله بصفات لم ينطق بها كتاب، وهؤلاء ملحدون عند المسلمين.

بخلاف المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله، الذين آمنوا بما قالت الأنبياء: ولم يبتدعوا أقوالاً لم يأت بها الأنبياء، وجعلوها أصل دينهم.

الوجه الثاني: أن يقال: ما ذكرتموه^(٢) عن المسلمين كذب ظاهر عليهم.

فهذا النظم الذي ذكروه ليس هو في القرآن، ولا في الحديث،

(١) في ك (كلام) بدلاً من (ملام).

(٢) في هـ (ذكروه) بدلاً من (ذكر).

ولا يعرف عالم مشهور من علماء المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائفهم، يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين، حيث قالوا عنهم: «إنهم يقولون: إن الله عيّن يبصر بهما، ويدين يبسطهما، وساقاً ووجهاً يوليه إلى كل مكان، وجنباً.

ولكن هؤلاء ركبوا من ألفاظ القرآن - بسوء تصرفهم وفهمهم^(١)، تركيياً زعموا أن المسلمين يطلقونه.

وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه فإن الله - تعالى - قال في كتابه:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٢).

واليهود أرادوا بقولهم: (يد الله مغلولة): أنه بخيل، فكذبهم الله في ذلك، ويُنَّ أنه جواد لا يبخل، فأخبر أن يديه مبسوطتان، كما قال:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣).

فبسط اليدين، المراد به الجواد والعطاء، ليس المراد (ما توهموه من بسط مجرد)^(٤).

ولما كان العطاء باليد يكون ببسطها، صار من المعروف في اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء.

(١) (فهمهم) ساقطة من هـ، ك.

(٢) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٢٩.

(٤) في ط (ما أوهموه من بسطه المجرد).

وفي ك (ما أوهموه من بسط مجرد).

فلما قالت اليهود: (يد الله مغلولة) وأرادوا بذلك أنه بخيل، كذبهم الله في ذلك، وبيّن أنه جواد ماجد. وإثبات اليمين له موجود في التوراة، وسائر النبوات، كما هو موجود في القرآن.

فلم يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل، وقد قال - تعالى - لإبليس:

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ﴾ (١).

فأخبر أنه خلق آدم بيديه، وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك (٢).

وأما لفظ «العينين» (٣) فليس هو في القرآن، ولكن جاء فيه حديث.

وذكر الأشعري (٤) عن أهل السنة والحديث (٥) أنهم يقولون: إن لله عينين.

ولكن الذي جاء في القرآن:

﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنَيَّ﴾ (٦)،

﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ (٧)،

(١) سورة ص: من الآية ٧٥.

(٢) (وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط، ك (عينين) بسقوط (الـ).

(٤) الأشعري: سبقت الإشارة إليه ٢٩٤/٣.

(٥) في ط (حيث) بدلاً من (والحديث).

(٦) سورة طه: من الآية ٣٩.

(٧) سورة هود: من الآية ٣٧.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴿١﴾﴾ .

وأما قولهم: «له وجه يوليه إلى كل مكان» فليس هذا في القرآن ولكن في القرآن:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾﴾ .

وقوله:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾﴾ .

وقوله:

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ .

وهذا قد قال فيه طائفة من السلف: فثم قبله الله، أي فثم جهة الله، والجهة، كالوعد والعدة، والوزن والزنة.

والمراد بوجه الله وجهة الله، الوجه، والجهة والوجهة الذي لله يستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية:

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴿٥﴾﴾ .

ثم قال:

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴿٦﴾﴾ .

كما قال — تعالى — :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٠﴾﴾ .

(١) سورة القمر: الآيتان ١٣، ١٤ .

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧ . (٤) سورة البقرة: من الآية ١١٥ .

(٣) سورة القصص: من الآية ٨٨ . (٥) سورة البقرة: من الآية ١٤٢ .

فإذا كان الله المشرق والمغرب، ولكل وجهة هو موليها، وقوله: موليها، أي متوليها أو مستقبلها، فهذا كقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فِثْمَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، أي فأينما تستقبلوا فِثْمَ وجهه^(١) الله، وقد قيل: إنه يدل على صفة الله لكن يدل على أن ثم وجه لله، وأن العباد أينما يولون، فثم وجه الله، فهم الذين يولون ويستقبلون، لا أنه هو يولي وجهه إلى كل مكان، فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب على المسلمين.

ومن قال بالقول الثاني من المسلمين، فإن ذلك يقتضي^(٢) أن الله محيط بالعالم كله، كما قد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضع. إذ المقصود هنا بيان ضلال هؤلاء في دينهم فيما ابتدعوا^(٣) من الكفر والتثليث والاتحاد، دون الذين آمنوا بالله ورسله، وما أخبرت به الرسل عن الله - تبارك وتعالى - .

وأما قولهم (وجنب) فإنه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا الله جنباً^(٤)، نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^(٥).

فليس^(٦) في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله

(١) في هـ (وجه) بدلاً من (وجهة).

(٢) في هـ (يقضي) بدلاً من (يقضي).

(٣) في هـ، ك (ابتدعوه) بدلاً من (ابتدعوا).

(٤) (لله جنباً) ممحوة من ك.

(٥) سورة الزمر: من الآية ٥٦.

(٦) في هـ (وليس) بدلاً من (فليس).

صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة^(١) له باتفاق الخلق، كقوله - تعالى - : ﴿بِيتِ اللَّهِ﴾، و﴿نَاقَةِ اللَّهِ﴾، و﴿عِبَادِ اللَّهِ﴾، بل وكذلك ﴿رُوحِ اللَّهِ﴾ عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم.

ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة^(١) لغيره، مثل كلام الله وعلم الله، ويد الله^(٢) ونحو ذلك، كان صفة له. وفي القرآن ما يبين^(٣) أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب الإنسان فإنه قال:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾.

والتفريط ليس في شيء من صفات الله - عز وجل - .

والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه، لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق، لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن ظاهره في حق الله، أن التفريط كان في ذاته.

وجنب الشيء وجانبه، قد يراد به متناه وحده، ويسمى جنب الإنسان جنباً بهذا الاعتبار، قال - تعالى - :

(١) في هـ (صفة) بسقوط (ب).

(٢) في هـ (وقدرة الله) بدلاً من (يد الله).

(٣) (القرآن ما يبين) غير ظاهرة في ك.

نَحْنُ جَانِبٌ لِحُجُوبِهِمْ عَنِ الْمَضْجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا (١)

لَمْ يَدْعُوا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ - وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَخُوفُ اللَّهَ كَخُوفِ الْوَحْدَانِ

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ (٢)

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِعِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ (٣):

«صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلِي جَنْبًا» (٤)

وإذا قدر أن الإضافة هنا تتضمن صفة الله، كان الكلام في هذا

الكلام في سائر ما يضاف إليه - تعالى - من الصفات، وفي التوراة من

ذلك نظير ما في القرآن.

وهذا يتبين بالوجه الثالث: وهو أن يقال ما في القرآن والجديد

عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، من وصف الله بهذه الصفات التي

يسمى بها بعض الناس تجسيمًا، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأنبياء،

وهذا (٥) الذي في التوراة وكتب الأنبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب.

سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

(١) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٢) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٣) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٤) سورة السجدة: من الآية ١٦. (٥) سورة السجدة: من الآية ١٦.

ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك، ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم، لكان النبي - صَلَّى الله عليه وسلَّم - ذمهم على ذلك، كما ذمهم على ما وصفوه به من النقائص في مثل قوله^(١) - تعالى - :

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٢).
وقوله :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(٣).
وقال - تعالى - :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٤).

نفى عنه اللغوب الذي يظن في لفظ الاستراحة الذي في التوراة، فإن فيها أن الله خلق العالم في ستة أيام، ثم استراح في يوم السبت^(٥)، فظن بعض الناس أنه تعب فاستراح.

ثم من علماء المسلمين من قال^(٦) : إن^(٧) هذا اللفظ حرفوا معناه دون لفظه، وهذا^(٨) لفظ التوراة المنزلة. قاله ابن قتيبة^(٩) —

(١) هكذا في سائر النسخ، وأرى أن سلامة التعبير (قول الله تعالى) لأن المذكور بعد ذلك آية من كلام الله، وليس حديثاً للرسول - صَلَّى الله عليه وسلَّم - .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٨١.

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٤) سورة ق: من الآية ٣٨.

(٥) ورد في ذلك في سفر التكوين من العهد القديم.

(٦) في هـ (ويقول) بدلاً من (قال).

(٧) (إن) ساقطة من هـ .

(٨) في ك (وهو) بدلاً من (وهذا).

(٩) ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن =

وغيره^(١)، وقالوا^(٢): معناه ثم ترك الخلق، فعبّر عن ذلك بلفظ استراح^(٣).
ومنهم من قال: بل حرفوا لفظه، كما قال أبو بكر الأنباري^(٤)
وغيره.

وقالوا: ليس هذا^(٥) لفظ^(٦) التوراة^(٧) المنزلة، وأما ما في التوراة
من إثبات الصفات، فلم ينكر النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - شيئاً من
ذلك، بل كان علماء اليهود إذا ذكروا شيئاً من ذلك يقرهم عليه،
ويصدقهم عليه^(٨)، كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود^(٩)، أن
حبراً من اليهود جاء إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - فقال:
«يا محمد إن الله - عز وجل - يوم القيامة يحمل السماوات على إصبع،

المصنفين الكثيرين، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، وتوفي بها سنة ٢٧٦ وتولى قضاء
الدينور فترة من الزمن فنسب إليها، وكان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن
إسحاق بن راهويه وغيره، وله مصنفات كثيرة من أشهرها كتاب مشكل القرآن وكتاب
مشكل الحديث وكتاب عيون الأخبار والشعر والشعراء وغيرها كثير كأدب الكاتب.
انظر: وفيات الأعيان ٤٢/٣؛ وتاريخ بغداد ١٧٠/١٠؛ والبداية والنهاية ٤٨/١١؛
وميزان الاعتدال ٥٠٣/٢؛ وتاريخ العلماء النحويين ص ٢٠٩؛ وشذرات الذهب
١٦٩/٢؛

(١) لفظ التوراة المنزلة. قاله ابن قتيبة وغيره) غير ظاهر في ك.

(٢) في هـ، ك (قالوا) بسقوط (و).

(٣) في ك (الاستراح) بزيادة (ال).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في هـ، ك (ليست هذه) بدلاً من (ليس هذا).

(٦) في ك (ألفاظ) بدلاً من (لفظ).

(٧) (التوراة) غير ظاهرة في ك.

(٨) (ويصدقهم عليه) ساقطة من ط، ك.

(٩) في هـ، ك (ابن) بزيادة (ا).

عبد الله بن مسعود: سبقت الإشارة إليه ١٨٠/٣.

والأرض (١) على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والسماء والبرق على إصبع، وسائر الخلق (٢) على إصبع، ثم يهرق (٣) فيقول: أنا الملك قال: فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بيدت

نواجهكم تعجباً وتصديقاً لقول الجبر، ثم قرأنا ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ (٥) الله رسياً : إماماً

وَمَا خَلَقُوا إِلَٰهًا فَلْيَدْعُوا إِلَهُهُم ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا حِجَابًا مِّنْ بَيْنِهِمْ ۚ إِنَّمَا يُدْعِيهِمْ إِلَىٰ الْكُفْرِ ۚ وَكَذَٰلِكَ يَخْلَعُونَ ۚ

١٥. وفي التوراة: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَةَ بِأَصْفَحِهِ»^(٨)، و«فِي يَدِ هَارُونَ كَهَنَةِ إِسْرَائِيلَ»^(٩).

وإذا ثبت أن مثل هذه النصوص في التوراة والكتب المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَمَا يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ الرُّسُلِ بَنَظِيرٌ

ذلك، وترك إنكاره لما في التوراة، وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من

فذلك لم يكن المسلمون مختصين / بذكر ما سجدوا تحسباً ، بل يلزم أهل

الكتاب = اليهود والنصارى - من ذلك نظير ما يلزم المسلمين.

[illegible]

٨٢٨ (الخلق) حفاظة من كتاب: ١٠٧١/١، تاريخ خزانة: ٦١٢٣، تاريخ تأليف: ١٢٨٤

(٣) مملو في تله، بك (فيكره)، ج. من صناعا، دلمعا، حيلى لق ٢\٢٠٥٤ لاسنه لا ناسيه
 (٤) سودة الزم : من الة ٦٧

انظر الحديث: ثلاثة يهلك بهم الرجل (مريضه) طيبة بها حالة . فانيما قال بيتا لحفاة (1)

* صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب ١٩، (٢٤: ٣٩٤) (عن عبد الله بن مسعود)

* وصحيح مسلم - كتاب المنافع - باب ٥٠ - صفات المنافق - (الحكماء)

حديث رقم ١٩ - عن عبد الله بن (محمود بن كنانة) (عليه السلام) انه قال: ما من رجل منكم

* وسنن الترمذي - أبواب التفسير - تفسير سورة الترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) (ص ١٢٠)

(٥) في سفر الخروج - الإصحاح الثاني والثلاثون: (١٠) أعطني موسى حقدواؤه (١١)

الكلام معه في جبل سيناء لوعي الشهادة لوعي حجر المكنونين (يا صريح). ر. س. ١٤ (أ)

انظر: العهد القديم ص ١٣٩، ٨٦-٧٤ في تفسير الكتاب المقدس

وقد اختلف أهل الكتاب في ذلك، كما اختلف فيه المسلمون، منهم الغالي في النفي والتعطيل، ومنهم الغالي في التشبيه والتمثيل.

والمسلمون - أئمتهم وجمهورهم - مقتصدون بين التعطيل والتمثيل، وكذلك طائفة من أهل الكتاب.

والمقصود أنه إذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الإلهية، التوراة وغيرها، كما جاءت في القرآن لم يكن للمسلمين

بذلك اختصاص. فاما ذلك لميلد مسبقا رخصه : فاما ذلك لميلد مسبقا رخصه

ولم يجز للنصارى أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصاصوا به من التثليث والاتحاد فإن ذلك مختص بهم.

وهذه الصفات قد اشترك فيها أهل الملل الثلاث، لأن التثليث والاتحاد ليس منصوصاً عن أحد من الأنبياء - عليهم السلام - وهذه الصفات منصوصة في القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الأنبياء فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا؟

(٨) فاما ذلك لميلد مسبقا رخصه

الوجه الرابع: قولهم: «فيوهمون السامعين أن الله ذو جسم وأعضاء وجوارح» كلام باطل، وذلك أن الله سمي نفسه وصفاته بأسماء،

وسمى بعض عباده^(١) وصفات عباده بأسماء، هي في الحقيقة في نظير تلك^(٢) الأسماء في حقه، - سبحانه وتعالى -

٨٢١ قولا نه : ولعلنا قومه (٢)

٨٢٢ قولا نه : تاتي اننا قومه (٣)

(٤) نه كالم (٥) نه كالم (٦) نه كالم

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ (٣) والأيمة كالم (٤) نه كالم

٨٢٢ قولا نه : قوما قومه (٥)

(٦) نه كالم (٧) نه كالم (٨) نه كالم

(٩) نه كالم (١٠) نه كالم (١١) نه كالم

٨٢٢ قولا نه : تاتي اننا قومه (١٢)

(١) في هـ (عباده بأسماء) بزيادة (بأسماء).

(٢) تلك) ساقطة من ك.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ...﴾ (١).

وسمى بعض عباده حياً، كقوله:

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ (٢).

مع العلم بأنه ليس الحي كالحي، وسمى نفسه عليماً، كقوله:

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

وسمى بعض عباده عليماً، كقوله: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٤).

مع العلم (٥) بأنه ليس العليم كالعليم.

وسمى نفسه حليماً بقوله:

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٦).

وسمى بعض عباده (٧) حليماً، بقوله:

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (٨).

(١) سورة الفرقان: من الآية ٥٨.

(٢) سورة يونس: من الآية ٣١، وكذلك سورة الروم: من الآية ١٩.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٢٨.

(٤) سورة الذاريات: من الآية ٢٨.

في ط (وبشرناه) بدلاً من (بشروه).

(٥) في ط (فاعلم) بدلاً من (مع العلم).

(٦) سورة البقرة: من الآية ٢٦٣. ٠١

في هـ، ك (إن الله) بدلاً من (والله).

(٧) في ك (نفسه) بدلاً من (بعض عباده).

(٨) سورة الصافات: من الآية ١٠١.

وسمى نفسه رؤوفاً رحيماً، بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكِ لِرَأْوْفٍ رَحِيمٍ﴾^(١).

وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيماً، بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وليس الرؤوف كالرؤف، ولا الرحيم كالرحيم.

وكذلك سمي نفسه ملكاً جباراً متكبراً عزيزاً، وسمى بعض عباده ملكاً، وبعضهم عزيزاً، وبعضهم جباراً متكبراً، وليس هو في ذلك مماثلاً لخلقه.

وكذلك سمي بعض صفاته علماً وقوة وأيداً، وقدرة ورحمة، وغضباً ورضى ويداً، وغير ذلك، وسمى بعض صفات عباده بذلك، وليس علمه كعلمهم، ولا قدرته كقدرتهم^(٣)، ولا رحمته وغضبه، كرحمتهم وغضبهم، ولا يده كأيديهم.

وكذلك ما أخبر به عن نفسه من استوائه على العرش، ومجيئه في ظلل من الغمام، وغير ذلك من هذا الباب، ليس استواؤه كاستوائهم، ولا مجيئه كمجيئهم.

وهذه المعاني التي تضاف إلى الخالق تارة وإلى المخلوق أخرى، تذكر على ثلاثة أوجه:

تارة تقيد بالإضافة إلى الخالق أو بإضافته إليها، كقوله

(١) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٢٨.

(٣) في هـ، ك (ولا قوته كقوتهم) بدلاً من (ولا قدرتهم).

— تعالى (١) — : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (٢) الآية

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ﴾ (٣)

وتارة تنقيد بالخلق، كقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَتَى لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ رَسُولٌ﴾

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (٤)

وتارة تطلق مجردة.

فإذا قيدت بالخالق، لم تذكر على شيء مما من خصائص المخلوقين.

فإذا قيل: علم الله وقدرته واستواؤه ومجيبته وهذه ونحو ذلك، كانت هذه الإضافة توجب ما يختص به الرب الخالق، وتمنع أن يدخل فيها ما يختص به المخلوق.

وكذلك إذا قيل: ﴿وَالسَّابِقُ السَّابِقُ﴾ (٥)

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمِنْ مَعِكَ عَلَى الْفَلَكِ﴾ (٥)

كانت هذه الإضافة توجب ما يختص به العبد، وتمنع أن يدخل في ذلك ما يختص بالرب — عز وجل —

وهذا هو الجود اللفظي عن القيود المذكورة بوصفها العموم والإطلاق، تناول

الأمرين كسائر الألفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوقين جميعاً

وهذه هي المناظر فيها أقوالنا في سلفنا رجا في العلماء

وهي أمة قديمة

(١) تعالى ساقطة من ط.
(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

(إلا بما شاء) ساقطة من ط، ك.

(٣) سورة الذاريات: من الآية ٥٨.

(٤) سورة آل عمران: من الآية ١٨.

(٥) سورة المؤمنون: من الآية ٢٨.

لأن قيل: إنها شقيقة ففي الحال، تعالج في المختوق، كقول

أبي العباس الناشي (١) المتأخر، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

وقيل: بعد العكس كقول غلاة الجهمية، والباطنية (٢) والفلاسفة (٣) يجب

أن لا يقال: بل حقيقة فيهما، وهو قول الجمهور، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

ثم قيل: هي مشتركة اشتراكاً لفظياً، وقيل: متواطئة وهو قول

الجمهور، في لغة أ (٤) - والعنع، هذا يجب - فلا نأ لعل، في لغة قه لعل

في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

فيل مشككة أن تكون متواطئة، ومن جعل ذلك نوعاً آخر جعلها مشككة

لا متواطئة، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

وهذا نزاع لفظي، فإن المتواطئة التواطؤ العام، يدخل فيها

المشككة. ففقه قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

الابيض الذي يقال على البياض الشديد، كيباض الثلج، والخفيف

كيباض العاج، والشديد أولى به.

ومعلوم أن مسمى البياض في اللغة، لا يختص بالشديد دون

الخفيف، فكان اللفظ دالاً على ما به الاشتراك، وهو المعنى العام

الكلي وهو متواطىء بهذا الاعتبار، وهو اعتبار الفاضل يستلزم مشككاً.

في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل، في لغة قه لعل

نوعاً آخر.

(١) أبو العباس الناشي. سبقت الإشارة إليه ٣/ ٢٩٤.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) الفلاسفة: سبقت الإشارة إليهم ٣/ ١٢.

(٤) في هـ (يستوي) بدلاً من (تستوي).

لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عرف حادث، وهو خطأ أيضاً.
 فإن عامة المعاني العامة تتفاضل، والتماثل فيها في جميع مواردنا
 — بحيث لا تتفاضل في شيء من مواردنا — إما قليل وإما معدوم.
 فلو لم تكن هذه الأسماء متواطئة بل مشككة، كان عامة الأسماء
 الكلية غير متواطئة، وهذا مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أن الله — سبحانه وتعالى — إذا أضاف إلى نفسه
 ما أضافه إضافة^(١) يختص^(٢) بها، وتمنع أن يدخل فيها شيء من
 خصائص المخلوقين، وقد قال مع ذلك: إنه (ليس كمثله شيء) وإنه
 (لم يكن له كفواً أحد) وأنكر أن يكون له سمى، كان من فهم من هذه
 ما يختص به المخلوق، قد أتى من سوء فهمه، ونقص عقله، لا من
 قصور في بيان الله ورسوله، ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة.

فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض
 محدث باضطراب، أو اكتساب، فمن نفسه أتى، وليس في قولنا علم الله
 ما يدل على ذلك.

وكذلك من فهم من قوله:

﴿بَلَّ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَيْنِ...﴾ (٣) الآية.

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدِي﴾ (٤).

ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه، فمن نفسه أوتي،

(١) (إضافة) ساقطة من ك.

(٢) في ط (تختص) بدلاً من (يختص).

(٣) سورة المائدة: من الآية ٦٤.

(٤) سورة ص: من الآية ٧٥.

فليس في ظاهر^(١) هذا اللفظ ما يدل على ما يختص به المخلوق كما في سائر الصفات .

وكذلك إذا قال :

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢) .

من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق ، كما يفهم من قوله :

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾^(٣) .

فمن نفسه أتى ، فإن ظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف إلى الله — عز وجل — ، كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف إلى العبد .
وإذا كان المستوي ليس مماثلاً للمستوي ، لم يكن الاستواء مماثلاً للاستواء .

فإذا كان العبد فقيراً إلى ما استوى عليه ، يحتاج إلى حمله .

وكان الرب — عز وجل — غنياً عن كل ما سواه ، والعرش وما سواه فقيراً إليه ، وهو الذي يحمل العرش ، وحملت العرش ، لم يلزم إذا كان الفقير محتاجاً إلى ما استوى عليه أن يكون الغني عن كل شيء ، وكل شيء محتاج إليه ، محتاجاً إلى ما استوى عليه .

وليس في ظاهر كلام الله^(*) — عز وجل — ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة إلى حامل وغير ذلك ، بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ .

(١) (ظاهر) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) سورة الفرقان : من الآية ٥٩ .

(٣) سورة المؤمنون : من الآية ٢٨ .

(*) أوائل أسطر غير ظاهرة في ك لوجود بقع سوداء .

رغبة لم يكن الخيال المتخيل في نفسه الله مثله، تخيل أن يكون استواءه كاستوائه، وإذا عرف أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، علم أن استواءه ليس كاستوائه، ولا مجيئه كمجيئه، كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه، ليس بعلمه وقدرته ورضاه وغضبه.

وما بين الأسماء من المعنى (١) العام الكلي كما بين قولنا، حي وحي وعالم وعالم. وهذا المعنى العام الكلي المشترك لا يوجد عاماً كلياً مشتركاً إلا في العلم والذهن وإلا فالذي في الخارج أمر يختص بالوصف. فصفات الرب - عز وجل -، مختصة به، وصفات المخلوق مختصة به، ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق.

الوجه الخامس: قولهم: (لما كان اعتقادهم في الباري جلت قدرته أنه غير ذي جسم) استعمال منهم للفظ الجسم في القدر والغلط لا في ذي القدر والغلط، وهذا أخذ مورد استعماله وهو الأشهر في لغة العامة، فيقولون: هذا الثوب له جسم، وهذا ليس له جسم، أي هذا غلط وكثافة دون هذا. يستعملون لفظ «الجسم» في نفس ذي القدر

ولكن النظر أكثر ما يستعملون لفظ «الجسم» في نفس ذي القدر فيقولون: للقادر بنفسه، ذي القدر: إته جسم (*)

(١) في ط، ك (كالمعنى) بدلاً من (المعنى) ويجوز أن يراد به قولهم: هذا هو الجسم.

لخفاء «قال غلب» والجسد من أهل اللغة كالأصمعي (١)، ولأبي زيد (٢)، وغيرهما: الجسم هو الجسد. مثله يرفع «تأثنا» لخفاء «معجمها»

هيا. وهذا إنما يستعمله أهل اللغة فيما كان غليظاً كثيفاً، فلا يسمون الهواء جسماً ولا جسداً، ويسمون بدن الإنسان جسداً. فثقلتهما قيسهما ولما لم يقدرا تقديم لأن الجسم يراد به نفس الجسد، أو يراد به قدره الجسد وغليظته قالوا في اللغة قيسهما معاً، فثقلتهما معاً، فثقلتهما معاً. وزاد بسطه في العلم والجسم (٣). وقال تعالى: -

وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشية مستندة (٤).

وقد يراد به هذا وهذا. مثله يرفع «تأثنا» لخفاء «معجمها»

ثم إن أهل النظر استعملوا لفظ «الجسد» في أعم من معناه في

(١) الأصمعي: هو عبد الله بن قريب بن علي بن أصمغ الباهلي أبو سعيد الأصمعي، عسفاووية العرق وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، ولد في البصرة سنة ١٢٢ هـ، وكان كثير المتطواف في الهوادي، قال أبو الطيب اللغوي كان أقرن القوم للغة وأعلمهم بالشعر، وأحذرهم حفظاً، له مؤلفات كثيرة منها: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب النبات والشجر، توفي سنة ٢١٦ بالبصرة.

انظر: وفيات الأعيان ٣/ ١٧٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤١٥، وميلان الاعتدال ٦٦٢/٢.

(٢) أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد الأنصاري من أئمة الأدب، ولد بالبصرة، كان ثقة في الرواية له مصنفات كثيرة.

انظر: تاريخ بغداد ٧٧/٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٩، له في (١)

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٤٧.

(٤) سورة المنافقون: من الآية ٤.

اللغة، كما فعلوا مثل ذلك في لفظ «الجوهر» ولفظ «العرض» ولفظ «الوجود» ولفظ «الذات» وغير ذلك.

فاستعملوا لفظ «الجسم» فيما يقوم بنفسه، وتمكن الإشارة إليه الحسية المختلفة.

ثم تنازعوا نزاعاً عقلياً فيما يشار إليه، كالهواء والنار والتراب والماء وغير ذلك، هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة، أو من المادة والصورة، أو ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا، على ثلاثة أقوال قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع.

فمن اعترف^(١) أنها مركبة من هذا أو هذا؟ يلزمه — إذا قال: إن الله جسم — أن يكون الله مركباً من هذا أو هذا.

ولهذا قالوا: إن هذا باطل وأوجبوا — على أصلهم — نفي مسمى هذا الاسم وهذا هو المشهور عند هؤلاء.

ومن اعتقد أنه ليس مركباً، لا من هذا، ولا من هذا، قال: يلزمي إذا قلت: هو جسم، أن يكون مركباً.

فمن هؤلاء من أطلق عليه لفظ «الجسم» وأراد به القائم بنفسه أو الموجود، كما أطلق هؤلاء لفظ الجوهر وقالوا: أردنا^(٢) بالجوهر، القائم بنفسه. وكما قال هؤلاء: ليس في الوجود إلا جوهر أو^(٣) عرض. فإن الوجود إما قائم بنفسه، وهو الجوهر، أو بغيره، وهو العرض، والجوهر أشرف القسمين.

(١) في هـ (اتقد) بدلاً من (اعترف).

(٢) في هـ (أراد) بدلاً من (أردنا).

(٣) في هـ (و) بسقوط (أ).

وقال الآخرون^(١): ليس في الوجود إلا قائم بنفسه، وهو الجسم،
أو قائم بغيره، وهو العرض، والجسم^(٢) أشرف القسمين، وقال: فما
سماه أولئك جوهرًا، سماه أولئك جسمًا، وكلاهما ليست تسميته لغوية
ولا شرعية.

وإذا قال هؤلاء: هو جوهر لا كالجواهر، كما يقال هو شيء
لا كالأشياء.

قال أولئك: هو^(٣) جسم لا كالأجسام، كما يقال هو شيء
لا كالأشياء.

وإذا قال هؤلاء: الجوهر ينقسم إلى كثيف ولطيف، قال أولئك:
والجسم ينقسم إلى لطيف وكثيف.

والمقصود هنا، أن هؤلاء^(٤) * الذين نزوه عما يمتنع عليه من
مماثلة المخلوقين وسموه جسمًا *^(٥) نزاعهم مع النفاة قد يكون لفظيًا،
كنزاع النصارى في لفظ الجوهر، وقد يكون عقلياً، كنزاعهم في^(٦)
المشار إليه: هل هو مركب من الجواهر المنفردة أو من المادة والصورة،
أولا من هذا ولا من هذا؟

ومن قال من القائلين بأنه جسم، فيقول: إنه مركب من الجواهر
المنفردة، أو من المادة والصورة، فهؤلاء مذمومون لفظاً ومعنى عند

(١) في ك (آخرون) بسقوط (الـ).

(٢) في ك (والجواهر) بدلاً من (والجسم).

(٣) في ط (إنه هو) بزيادة (إنه).

(٤) في هـ، ك (هؤلاء المثبتة) بزيادة (المثبتة).

(٥) ما بين النجمتين ساقط من هـ، ك.

(٦) في ط (في أن) بزيادة (أن).

جماهير المسلمين وغيرهم، وإن كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء، وإن كان فلا يعمدون عليه في تنزيه الله عن خصائص الأنبياء طرفة ضعيفة لا تثبت على المعيار العقلي الكمال قد بسط في موضع آخر.

بخلاف من كان نزاعه لفظياً، فهذا يذم، إما لغة، وإما لغة وشرعاً، لكنوه أطلق لفظاً لم يأت به الشرع، أو المعمولة في اختلاف معناه اللغوي، كما قد يذم النافي لمثل ذلك لغة وشرعاً، إذا كان معناه صحيحاً بالشق لم يمسح له لا يمسح (٧) به: ثلثاً: نال

وأما من كان من النفاة أو المبتشة، نفى حقاً أو أثبت باطلاً، لا فهذا
مذموم، ذمماً معنوياً شيئاً عاقلاً، لا مسقياً بهجلاً، لا كاذباً باله
وأما الشرع فالرسل وأتباعهم. النبي (صلى الله عليه وآله) موسى وعيسى
ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقولوا إلا أن الله جسم، ولا إنه ليس
بجسم، ولا إنه جوهر، ولا إنه ليس بجوهر، وهو سبحانه قديم
(١) في الحق، الخالق للكون، والعقلاني والشعوري، في هذه الأسماء هو لمنا
أخبرنا (٢) في الملل الثلاث ببلد انتقراضن بالخصه في الأول من هؤلاء
وهؤلاء وهؤلاء.

سبحان الذي انتفى عنه عليه الرسل وأتباعهم ما جاء به القرآن والتوراة، من أن الله موصوفٌ بصفات الكمال، وأنه ليس كمثله شيء، فلا تمثل صفاته بصفات المخلوقين، مع إثبات ما أثبتته لنفسه من الصفات، ولا يدخل في صفاته ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها (مآخذ) (1)

(۲) (مستطاب) به مُلک (مستطاب) شایع

(۶) (خا) قالیچو (۵۰ خا) لے روف (۶)

(3) (تَبَشُّمًا) تَبَشَّمَ، تَبَشُّمًا (تَبَشُّمًا)، تَبَشَّمَا.

(٢) في هـ (كالمقدمين) بدلاً من (الذين).

(r) (10) قەلەبى (10) ۋە (10) ۋە (10) .

(۳) فی ہ (حدث) بسقوط (أ).

مستفاد إذاً جليين ههنا، كحال المستعملين لبقا كان اعتقادهم بأن الله تعالى (١) موصوف بجملاً وصفته به نفهته، وأنه ليس كمثلها شيء، فتوكلنا ما أثبتناه من الصفات مما (٢) شجاعتهم (٣) الرسل، لم يكن عليهم سلام، لأنهم أثبتوا ما أثبتهم (٤) الرسل ونفوا ما نفته الرسل، فكان في هذا النفي ما ينفي الوهم الباطل. (٥) ولا يخفى ذلك لعلنا دللنا عليه قدامكم به ههنا

بخلاف من أثبت أموراً لم تأت بها الرسل، وضم إليها ما يؤكد المعنى الباطل لا ما ينفيه، وكان مما (٥) نفوا (٦) عنه أنه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفردة، ولا من المادة والصورة. (٧) أما على أحد قولي النظر بل (٧) أظهرهما (٨)، فإن ما سواه من الموجودات القائمة بأنفسها ليس مركباً، لا من هذا ولا من هذا.

فهو - سبحانه - أحق بتنزيهه عن مثل هذا، إذ كل نقص نفي (٩) عن المخلوق، فالخالق أحق بتنزيهه منه. وأما على القول الآخر، فتارة يقولون لأن المركب من الجواهر المنفردة يمكن افتراق أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله تعالى، وتارة يقولون، لأنه مفتقر إلى أجزائه، وذلك ممتنع في حق الله تعالى.

(١) في هـ (في الرب - تعالى - أنه) بدلاً من (بأن الله - تعالى) راجعاً إلى ما قبله.

(٢) في ط (التي) بدلاً من (مما).

(٣) في ط (أثبتهم) بدلاً من (أثبتته) كما لما لم يوصف به لآله صلوات الله عليهم أجمعين.

(٤) في هـ، ك (فيما) بدلاً من (مما).

(٥) في هـ (نفوه) بدلاً من (نفوا).

(٦) (بل) ساقطة من ك.

(٧) في ط (وأظهرهما) بزيادة (و).

(٨) في ط (في) بدلاً من (نفي).

— تعالى — ، إذ جزؤه غيره، والمفتقر إلى غيره لا يكون واجباً بنفسه قديماً أزلياً، كما قد بسط الكلام على هذه الأمور في موضع آخر.

ثم منهم من لا يطلق من النفي والإثبات إلا الألفاظ الشرعية، فكما^(١) لا يقول: هو جسم وجوهر، لا يقول: ليس بجسم ولا جوهر. ومنهم من يطلق هذه الألفاظ، وهؤلاء^(٢) منهم من ينفيها، ومنهم من يشتها.

وكل من الطائفتين قد يدخل في ذلك ما يوافق الشرع، وقد يدخل في ذلك ما يخالف الشرع.

وكل من الطائفتين، يدعي النظر العقلي أو اللغوي، وربما اعتصم بعضهم بما يظنه دليلاً شرعياً.

والغالب عليهم أنهم لا يعتصمون في ذلك بشرع، إذ لم يكن في ذلك شرع، وإنما يتكلفون تغيير اللغة التي^(٣) بعث بها الرسول، ثم يحملون ألفاظه على ما ابتدعوه من اللغة، كما فعلته النصارى في حمل كلام الأنبياء على ما ابتدعوه من اللغة.

فإن الأنبياء لم يسموا علم الله وحياته ابناً، وروح قدس، ولا رباً فسمى^(٤) النصارى علمه وحياته، ابناً، وروح قدس، ورباً، ثم حملوا كلام الأنبياء على ذلك.

كذلك طائفة من أهل الكلام كان السلف يسمونهم الجهمية، أحدثوا تسمية الواحد والأحد ونحوهما لما لا يشار إليه ويميز الحسن منه

(١) في هـ (وكما) بدلاً من (فكما).

(٢) (وهؤلاء) مشطوبة في هـ.

(٣) في هـ، ك (الذي) بدلاً من (التي).

(٤) في ط، ك (فيسمى) بدلاً من (فسمى).

شيئاً عن شيء، وهذا خلاف اللغة، فإن أهل اللغة يسمون بالواحد والوحيد والأحد في النفي لما يشار إليه ويميز الحس منه شيئاً من شيء، قال^(١) - تعالى - :

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾^(٢).

فسمى الإنسان وحيداً، وقال - تعالى - :

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾^(٣).

فسمى المرأة واحدة،

﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا الْوَاحِدَةَ﴾^(٤).

وقال :

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٥).

فسمى المستجير - وهو الإنسان - أحداً^(٦).

وكذلك قوله - تعالى - :

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٧).

فنفي^(٨) أن يكون أحد كفواً له.

(١) في هـ (كقوله) بدلاً من (قال).

(٢) سورة المذثر: من الآية ١١.

(٣) سورة النساء: من الآية ١١.

(٤) سورة القمر: من الآية ٥٠.

هذه الآية ساقطة من هـ.

(٥) سورة التوبة: من الآية ٦.

(٦) في ك (أحد).

(٧) في هـ (لم يكن) بسقوط (و).

(٨) في ط (نفي) بدلاً من (فنفي).

سواء قبلوا كان ما يشار إليه لا يسمى أحداً، لم يكن قد نزهه عن مماثلية
المخلوقات له، فإن المشهود من المخلوقات كلها يشبه الإله، فإن
لم يدخل في «أحد» لم يكن قد نزه نفسه عن مماثلتها: — رابعة (١) —
فهؤلاء لما أحدثوا أن مسمى الأحده والواحد لا يكون مشاراً إليه،
قالوا: والرب قد سمي نفسه أحداً وواحداً، فيجب أن لا يكون مشاراً
إليه.

ولغة الرسول التي خاطب بها الناس لم تكن موافقة لما ابتدعوه من
اللغة.

وكذلك الذين قالوا: «هو جسم» غيروا اللغة، وجعلوا الجسم
اسماً لما يشار إليه، أو لكل موجود، ولكل قائم بنفسه. — رابعة
(٢) — ثم قالوا هو موجود، أو قائم بنفسه، أو مشار إليه، فيكون
جسماً. — (٣) —

ولا يوجد في اللغة اسم الجسم، لا لهذا ولا لهذا، ولا لهذا (١).
وقالوا: لا يلزم من كونه مشاراً إليه أن يكون مركباً من الجواهر
المفردة، ولا من المادة والصورة.

وقال أولئك: بل يلزم أن كل مركب، يسمى في اللغة جسماً،
فيلزم أن يسمى جسماً، إذا قلنا: هو مشار إليه، أو يري بالأنصار،
أو متصفاً بصفات تقوم به.

وليس ما ذكروه عن اللغة بمستقيم، فإن أهل اللغة لا يعنون
بالجسم المركب، بل الجسم — عندهم — هو الجسد، ولا يسمون الهوام
جسماً.

(١) (ولا هذا) ساقطة من هـ، ك. (٢) (لهذا) شارحاً. (٣) (ن) لا يفسد (نحو ما) من ربة. (٤) (رخصة) زه لاند (رخصة) له ربة. (٥) (١) (ولا هذا) ساقطة من هـ، ك.

الله إذا تبين هذا فتبين هؤلاء النصارى باطل، على قول كل طائفة
 من طوائف المسلمين من ثلاثة، يقال لهم يا ربك من نفسه كما
 ربه جسمه تسببات ذاك، ثلاثة ربه ليس له جسمه، ومنهم كما ربه
 فمنهم من يقول: الجسم - في اللغة - هو المركب، والله ليس
 بمركب، فليس بجسم، لا يقولون بما^(١) ذكروه من أن الله له وجه يوليه
 إلى كل مكان، كما يجب ونحو ذلك، فبطلان جسمه، ربه نأ نبيته

لهما الله تعلقها ربه ربه له

وكذلك من قال: إن الله ليس بمركب، وسماه جسماً، بمعنى أنه
 قائم بنفسه، أو لم يسمه جسماً، لا يقول بذلك أيضاً، ومن حكى عنه
 ثبت له خصائص الأجسام المركبة، فهؤلاء إن أطلقوا ما نفاه فلا حجة
 للنصارى عليهم، وإن لم يطلقوه فحجتهم أبعد.

فقد تبين أنه ليس لهم حجة على أفسد الناس قولاً في التجسيم،

فضلاً عن غيرهم، فبطلان جسمه، ربه نأ نبيته

الوجه السادس: أن يقال هؤلاء النصارى: إما أن تعنوا بلفظ
 الجسم المعنى اللغوي، وهو الجسد، وإما أن تعنوا به المعنى
 الاصطلاحي عند أهل الكلام كالإشارة إليه مثلاً. (٢) أما إذا تعنوا به
 المعنى اللغوي، فكيف يمكن أن يقال له جسم، وهو الذي لا
 له من صفات الأول، لم يلزم من نفى ذلك نفى ما ذكرتموه من
 الصفات لا سيما وأنتم تقولون: إنه جوهر له وقسمته الجوهر إلى لطيف

وكثيف، فكيف يمكن أن يقال له جسم، وهو الذي لا

فإذا كان الكثيف هو الجسم، واللطيف جوهر ليس بجسم،

لم يمنع على مثل هذا أن يكون له ما يناسبه من الصفات، كالملائكة،

(١) له ربه (٢) له ربه (٣) له ربه (٤) له ربه (٥) له ربه (٦) له ربه

(١) في هـ، ك (ما) بسقوط (ب).

فإن الملائكة لا يمتنع وصفها بذلك، وإن لم تكن أجساماً على هذا الاصطلاح، بل هي جواهر روحانية، وكذلك روح الإنسان التي تخرج منه، لا يمتنع وصفها بما يناسبها من ذلك، وإن كانت ليست بجسم على هذا التقدير.

فتبين أن نفي مسمى الجسم اللغوي عن الشيء لا يمتنع إتصافه بما ذكر من الصفات وأمثالها.

وإن عنيتم بالجسم، القائم بنفسه أو المشار إليه، لم يمتنع — عندكم — أن يكون جسماً، فإنكم سميتموه جوهراً، وعنيتم القائم بنفسه.

فإن قام الدليل على أن كل قائم بنفسه يشار^(١) إليه كان^(٢) — أيضاً — مشاراً إليه.

وإن قام دليل على أنه قائم بنفسه لا يشار إليه، كان جوهراً وجسماً عند من يفسر الجسم بالقائم بنفسه، ومن فسرّه بالمشار إليه لم يسم عنده جسماً، فتبين أنه على — أصلكم — لا يمتنع أن يسمى جسماً مع تسميتكم له جوهراً إلا إذا ثبت^(٣) أن من الموجودات ما هو جوهراً قائم بنفسه لا يشار إليه، وهذا لم يقيموا عليه دليلاً، وليس هذا قول أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، وإنما هو قول طائفة من الفلاسفة، وقليل من أهل الملل وافقوهم.

ثم يقال لكم: أنتم قلتم: إنه حي ناطق، وله حياة ونطق، بل زدتم على ذلك حتى جعلتموه أقانيم ثلاثة.

(١) في ط (مشار) بدلاً من (يشار).

(٢) في ط (وكان) يسقط (و).

(٣) في ط (أثبت) بزيادة (أ).

ومعلوم أن الحياة والنطق لا تعقل إلا صفة قائمة بموصوف، ولا يعلم موصوف بالحياة والنطق إلا ما هو مشار إليه بل ما هو جسم كالإنسان.

فإن جاز لكم أن تثبتوا هذه الأعراض في غير جسم، جاز لغيركم أن يثبت المجيء واليد ونحو ذلك لغير الجسم.

وإن قلتم: هذا لا يعقل إلا لجسم، قيل لكم: وذلك لا يعقل إلا لجسم، فإن رجعتم إلى الشاهد، كان حجة عليكم، وإن جاز لكم أن تثبتوا في الغائب حكماً على خلاف الشاهد، جاز لغيركم، وحينئذ فلا تناقض بين ما نفاه المسلمون وأثبتموه، لو كان ما ذكرتموه عنهم من النفي والإثبات حقاً على وجهه، فكيف وقد وقع التحريف في الطرفين؟

الوجه السابع: أن يقال: غاية مقصودكم أن تقولوا: إن المسلمين لما أطلقوا ألفاظاً ظاهرها كفر عندهم، لمجيء النص بها، وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها، كذلك نحن أطلقنا هذه الألفاظ التي ظاهرها كفر، لمجيء النص بها، ونحن لا نعتقد مدلولها.

فيقال لكم: أولاً: إن ما أطلقه المسلمون من نصوص الصفات أطلقتموه أنتم، كما وردت به التوراة، فهذا مشترك بينكم وبينهم، وما اختصاصتم به من التثليث، والاتحاد لم يشركوكم فيه.

ثم يقال ثانياً^(١): إن المسلمين أطلقوا ألفاظ النصوص، وأنتم أطلقتم ألفاظاً لم يرد بها نص.

(١) في هـ (وثانياً) بزيادة (و).

في ك (فثانياً) بزيادة (ف).

والمسلمون تقرأون تلك الألفاظ بما جاءك (١) من النصوح من نفي التمثيل به له ربها لا شيء له كمال رفضنا له فليحاسب نفسه به هل هو كمال

وأنت لم تقرأوا بألفاظكم ما ينفي ما أثبتوه من التثليث والاتحاد.

والمسلمون لم يعتقدوا معنى باطلاً.

وأنت اعتقدتم من التثليث في الأقسام، والاتحاد ما هو معنى باطل.

والمسلمون لم يسموا صفات الله بأسماء أحدثوا تسمية الصفات بها، وحملوا كلام الرسل عليها.

وأنتم أحدثتم لصفات الله أسماء، فحتموه أتم بها، لم تسميها الرسل، وحملتكم كلام الرسل عليها.

والمسلمون لم يجعلوا عن النصوح الكثير من المحكمات البينة الواضحة إلى ألفاظ قليلة متشابهة.

والمسلمون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

وأنتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.

وأنتم قلتم قولاً لا يعقل.

والمسلمون لم يتناقضوا (٢)، فيجعلوا الإله واحداً، ولا يجعلونه (٣)

(١) في هـ، ك (جاء) بسقوط (ت).

(٢) في ك (تناقضوا) بدلاً من (يتناقضوا).

(٣) في ط، ك (وتجعلونه) بدلاً من (ويجعلونه).

لثنيته، بل ثلاثية. وأنتم اقتاضتم الله تعالى ثلثية من أجله. وهذا مستوفى هذه الفروق وغير ذلك مما لا يمكن أن نذكره إلا في كتابكم لأنفسكم بالسلامة من زيادة ما في ذلك من عدمه. فثبته لهذا ولنا ما يليه

الوجه الثامن: قولكم: وكذلك - نحن - النصراني الغلة في قولنا: إن الله ثلاثة أقانيم، أب، ابن، وروح القدس، أن لا نجعل نطقاً بثلثية بل بثلثية متساوية في ذاتها. وهذا من عدمه. فثبته لهذا ولنا ما يليه

فيقال: لكم أن هذا باطل، كافيته لم ينطق بهذا إلا أنجيلي ولا شيء مما من اليهوديات بأن الله ثلاثة أقانيم، ولا خلاف أن أحدهم من الأنبياء الذين بثلاث صفات دون غيرها، ولا قال المصلح ولا غيره: إن الله هو الإله والابن والروح القدس، ولا إن الله أقنومياً هو الابن، وأقنومياً هو روح القدس، ولا قال: إن الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه، وإن روح القدس حياته، ولا سمى شيئاً من صفاته ابناً ولا ولداً، ولا قال عن شيء من صفات الرب: إنه مولود، ولا (١) جعل القديم الأزلي مولوداً، ولا قال لا عن قديم، ولا مخلوق إنه إله حق من إله حق، ولا قال عن صفات الله: إنها آلهة، وإن الكلمة إله، والروح إله، ولا قال: إن الله واحد لا ثلاثة ولا بصفاته بشيء من البشر بل هذا كله مما ابتدعه هؤلاء وخرجتم به عن الشرع والعقل: فخصناكم الكتب المتركة والعقول الضعيفة بجهلهم فيهم. وهذا كله من عدمه. فثبته لهذا ولنا ما يليه

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢)

- (١) في ط (تشبهكم) بدلاً من (تشبهكم).
- (٢) في ط (ولا أنه) بزيادة (أنه).
- (٣) سورة الملك: ومن الآيات: (١) الله واحد لا ثلاثة، (٢) الله واحد لا ثلاثة، (٣) الله واحد لا ثلاثة، (٤) الله واحد لا ثلاثة، (٥) الله واحد لا ثلاثة.

فإنكم أنتم الذين سميتم نطق الله ابناً، وقلتم: سميناه ابناً، لأنه تولد منه كما يتولد الكلام من العقل، فكان ينبغي - أيضاً - أن تسموا حياته ابناً، لأنها منبثقة منه، ومتولدة عنه أيضاً، إذ لا فرق بين علم الرب وحياته.

فعلمه لازم له، وحياته لازمة له، فلماذا جعلتم هذا ابناً دون هذا. وقلتم: إنه مولود من الله، وإنه قديم أزلي وأنتم تعترفون بأن أحداً من الأنبياء لم يسم علم الله ولا كلامه، ولا حكمته مولوداً منه؟

والذي يعقله الخلق في المولود الذي يولد من غيره، كما يتولد العلم والكلام من نفس الإنسان أنه حادث فيه^(١) أو منفصل عنه^(٢)، لا يعقل أنه قائم به، وأنه متولد منه^(٣) قديم أزلي.

ثم قلتم في أمانتكم: إنه تجسم من روح القدس، أو منه ومن مريم.

وهو إنما تجسم - عندكم - من الكلمة التي سميتوها، الابن دون روح القدس.

وإن كان تجسم من روح القدس، فيكون هو روح القدس، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن.

ثم تقولون: «هو كلمة الله وروحه» فيكون حينئذ^(٤) أقنومين، أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وإنما هو - عندكم - أقنوم واحد^(٥).

(١) في هـ (منه) بدلاً من (فيه).

(٢) في هـ (منه) بدلاً من (عنه).

(٣) (متولد منه) ساقطة من هـ، ك.

(٤) في هـ، ك (جسد) بدلاً من (حينئذ).

(٥) في هـ، ك (أقنوم واحد عندكم) بدلاً من (عندكم - أقنوم واحد).

فهذا تناقض وحيرة، تجعلونه الابن الذي هو الكلمة، وهو أقنوم الكلمة فقط.

وتقولون: تجسم من روح القدس ولا تقولون: إنه تجسم من الكلمة.

وتقولون: هو كلمة الله وروحه، والكلمة والروح أقنومان.

ولا تقولون: إنه أقنومان، بل أقنوم واحد.

وتقولون: إنه خالق العالم، والخالق هو الأب، وتقولون: ليس هو الأب.

وتقولون: إله حق من إله حق، وتقولون: إله واحد^(١) ساوى الأب في الجوهر.

وتقولون: ليس له مثل، وليس شيء^(٢) من هذا في كلام أحد من الأنبياء، فكيف تشبهون أنفسكم بمن اتبع نصوص الأنبياء ولم يحرفها؟ وغاية ما عندكم ما وجد في إنجيل «متى» دون سائر الأناجيل، من أن المسيح — عليه السلام — قال: «عمدوا الناس باسم الأب، والابن، والروح^(٣) القدس^(٤)».

وأنتم قد عرفت في كلام المسيح وغيره من الأنبياء، أنهم لا يريدون بالابن صفة الله، لا كلامه، ولا علمه، ولا حكمته.

ولا يريدون بالابن^(٥)، إله حق من إله حق، ولا مولود قديم أزلي،

(١) (إله واحد) ساقطة من هـ.

(٢) (شيء) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (روح) بسقوط (ال).

(٤) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٣٣/٣.

(٥) في هـ، ك (أن الابن) بدلاً من (بالابن).

بل يريدون به قوليه، وهو نيتون لا لا هون، كيف قوتوب والحوارين.

ولا يريدون بروح القدس نفس حياة الله. ولا يريدون به أنه رب
حتى يريدون بها الملك، أو ما ينزل الله على قلوب أنبيائه
وأصفيائه، من الهدى والتأييد ونحو ذلك.

فروح القدس يكون - عندكم وعند المسلمين - في الأنبياء
وغيرهم، كما كانت في داود وغيره، وكانت في الحواريين جماعة.

فمن سفلو قلوبهم لفظ الابن وجد في كلام المسيح مستعملاً تارة في
كلمة الله، وتارة في وليه الناسوت، وروح القدس مستعملاً تارة في
حياته، وتارة في ما ينزل الله على قلوب أنبيائه، كان يحزمكم: بأنها أرقام بذلك
هنا صفات الله، جزماً باطلاً.

فهذا هو وصف به المسيح من أنه (١) ابن الله، ومن أن روح القدس
فيه قد وصف به غيره من الأنبياء والصالحين، وهذا ما هو مستعمل في
الكتاب، فإذن كان الابن، وروح القدس، صفتين لله، وحيد أن يكون غير
المسيح، لا هوتا، وناسوتا، كالمسيح، إذ الذي حل في المسيح حل في
غيره.

ثم حزمكم (٢) بأن هذه الصفات، أقانيم، وتوأنه ليس لله صفات
ذاتية أو جوهرية، لأن كل ذلك الأهمذ الثلاثة، ثم تفرقت في الثلاثة، هذا
المراد بالأقانيم الوجود والعلم والحياة، أو الحكمة (٣) الكلام، أو النطق

(١) من قولهم (ما) (١) .

(٢) من قولهم (دع) .

(٣) (ما) (ما) (ما) .

(٤) ٣٦٢٢ حنا الله (ما) (ما) (ما) .

(٥) (ما) (ما) (ما) (ما) (ما) (ما) .

(١) في ه (نزل) بسقوط (ب) .

(٢) في ه (بأنه) بدلاً من (من أنه) .

(٣) في ه (ثم كان) بزيادة (كان) .

(٤) في ه، ك (أو) بزيادة (أ) .

بمهتمدين فضلاً عما هو أخص من الهدى وهو «كتاب منير» فليس معهم به كتاب منير.

ولو تكلمتم بهذا الكلام، وقلتم: لا نفهم معناه، أو ظاهره باطل، وله تأويل مقبول، كما حكيتموه عن تشبهتم به من المسلمين من أنه يقوله في الصفات، لكان هذا أقرب إلى القياس.

فكيف والأمر بعكس ما ذكرتم؟

وذلك يتبين بالوجه التاسع: وهو أنكم إنما ضللتكم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره، إلى ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لا يدل عليها لفظه، لا نصاً ولا ظاهراً، فعدلتكم عن المحكم واتبعتم المتشابه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

فلو تمسكتكم بظاهر هذا الكلام، لم تضلوا، فإن الابن ظاهره في كلام الأنبياء، لا يراد به شيء من صفات الله، بل يراد به وليه، وحييه ونحو ذلك، وروح القدس لا يراد به صفته، بل يراد به وحيه وملكه ونحو ذلك، فعدلتكم عن ظاهر اللفظ ومفهومه إلى معنى لا يدل عليه اللفظ البتة، فكيف تدعون أنكم اتبعتم نصوص الأنبياء؟

الوجه العاشر: إنكم بالغتم في ذم المسيح وإنجيله، كما بالغتم في سب الله وشتمه، وإن كنتم لا تعلمون أن ذلك ذم، فلم ترضوا أن تجعلوا ظاهر كلام المسيح ما أنتم عليه من الكفر، حتى جعلتم ظاهره كفراً لا ترضونه، مثل ثلاثة آلهة، متفقة أو متفرقة، أو ثلاثة أجسام مؤلفة، أو ثلاثة أجزاء مفرقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة.

فهذا ونحوه هو الذي ادعيتم أنه ظاهر كلام المسيح — عليه السلام — .

وأنتم لا تقولون بهذا الظاهر، بل تكفرون قائله، كما يكفر المسلمون من يقول بالظاهر الذي هو التجسيم والتمثيل.

وهذا ما يتضمن أن كلام المسيح ظاهر في إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أشخاص مؤلفة، وثلاثة أجزاء متفرقة، وثلاثة أشخاص مركبة.

كما زعمتم أن ظاهر القرآن التجسيم، وأنكم عدلتم عن هذا الظاهر إلى إثبات الأقانيم الثلاثة التي جعلتم فيها كلمة الله، هي ابنه، وهو جوهر خالق يساويه في الجوهر، وأن المسيح هو هذا الابن المساوي للأب في الجوهر خالق العالمين، وديان يوم الدين، والجالس فوق العرش عن يمين الرب، وأنه إله حق من إله حق، والروح أيضاً إله ثالث، والآلهة الثلاثة إله واحد.

وهذا الذي ذكرتموه فيه من عيب المسيح وذمه، ما ينتصر الله به للمسيح، وممن افترى عليه منكم ومن غيركم.

فإن المسيح — عليه السلام — على قولكم: لم يفصح لكم بأمانة تعتقدونها ولا بتوحيد تعرفون به ربكم، — عز وجل —، بل تكلم بما ظاهره إثبات ثلاثة آلهة، وثلاثة أجسام مركبة، وثلاثة أجزاء متفرقة^(١)، وأنكم أنتم أصلحتم ذلك، حتى جعلتموه ثلاثة أقانيم، ووضعت^(٢) تلك الأمانة المخالفة لعقول ذوي العقول، ولكل كتاب جاء به رسول، مع أن المسيح لم ينطق بثلاث قط، ولا باتحاد، ولا بما يدل على ذلك.

وعمدتم على ما نقله «متى» عنه دون الثلاثة أنه قال: عمدوا الناس باسم الأب، والابن، وروح القدس.

(١) في ك، هـ (مفترقة) بدلاً من (متفرقة).

(٢) في ك، ط (ووضع) بدلاً من (ووضعت).

سفر وهذا الكلام ظاهر في بل نصه على حاجة على خلاف قولكم، وأنه أراد بالابن نفسه وهو الناسوت، ولم يود به صفة الله، وأراد بروح القدس ما أبداه الله به، أو روح القدس الذي نفخ في أمه حتى جبلت به، لم يرد به صفة الله - تعالى - بل صفة ذاته ذاتاً قائماً، وقفاً به لصفته قائماً فتأولتم كلامه على خلاف ظاهره، وتأويلاً يخالف صريح المعقول، وصحيح المنقول، فكيف تدعون أنكم تسميكم بظاهر كلامه؟ وبما لا يليق به، وما هو عليه من صفته، وما هو عليه من صفته؟ ولعل كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه لا حقيقة له، صلباً بخود، تصوره التام كإفياً في العلم بفيلاده من غير احتياج إلى دليل ما وإن كنيت الأدلة تظهر بفيلاده، وما كان ذلك من غير دليل ما ولهذا سلك طائفة من (١) العلماء في الكلام متعمهين هذا المسلك وهو أن تصور مدعيهم كافي في العلم بفساده، فإنه غير معقول.

وقالوا: إن النصارى تناقضت في اللفظ، واحتالت في المعنى، فلا يجوز أن يعتقدوا بالادعاء (٢) لمتناقضه، بل لا بد من ذلك، أنهم يزعمون أن الثلاثة واحدة، والواحد ثلاثة، وهذا لا يصح اعتقاده، لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد، لأن ذلك متضاد، وكذلك متعدياً متناً واحداً، وإذا كان ذلك كذلك، فليس يحلو من أن يعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد. ذلك رتبة بالمرام، والاحتال كالمادة شملت رتبة ما جيسما واحد.

والمراد بالمراد هنا قول النصارى، عند «رسم» خلقه بوجه متعدي، وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، لأن ذلك لا يعقل.

(١) في ط (من طائفة) تقديم وتأخير. (قائمه) به كالمادة (قائمه) به كالمادة (٢) في هـ (استحالة) بدلاً من (انتحاله). (متعدية) به كالمادة (متعدية) به كالمادة (٢) في هـ (استحالة) بدلاً من (انتحاله).

وهو كمن ادعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث،
أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن.

وإذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه إلى دلالة.

وإذا قال النصارى: إنه أحدي الذات ثلاثي الصفات.

قيل: لو اقتصرتم على قولكم: إنه واحد له صفات متعددة،
لم ينكر ذلك عليكم جمهور المسلمين، بل ينكرون تخصيص الصفات
بثلاث، فإن هذا باطل من وجوه متعددة:

منها: أن الأب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة، فلا يكون له
صفة إلا الحياة والعلم، فيكون جوهرًا واحدًا له أقنومان، وأنتم جعلتم
ثلاثة أقانيم.

ومنها: أن صفات الرب لا تنحصر في العلم والحياة، بل هو
موصوف بالقدرة وغيرها.

ومنها: أنكم تارة تفسرون روح القدس بالحياة، وتارة بالقدرة،
وتارة بالوجود.

وتفسرون الكلمة، تارة بالعلم، وتارة بالحكمة، وتارة بالكلام.

فبطلان قولكم في إثبات ثلاث صفات كثير، وأنتم — مع هذا —
تجعلون كل واحدة منها إلهًا.

فتجعلون الحياة إلهًا، والعلم إلهًا، وهذا باطل.

وأما من لم يثبت الصفات من المسلمين وغيرهم، فيردون عليكم
من وجوه أخرى كقول بعضهم: إذا قيل^(١): أستم تقولون: إن الأبعاد

(١) في هـ، ك (قالوا فإن قيل) بدلاً من (كقول بعضهم إذا قيل).

الكثيرة تكون إنساناً واحداً، والآحاد الكثيرة عشرة واحدة، والأجسام الكثيرة داراً واحدة ومدينة واحدة وما جرى هذا المجرى، مما هو أكثر من أن يحصى، وأظهر من أن يخفى.

فكيف عبتم ذلك من النصارى؟ ولم أنكرتم أن يكون ثلاثة أقانيم جوهرأً واحداً؟

قيل: إن قولنا إنسان واحد، ودار واحدة، وعشرة واحدة وما يجري هذا المجرى، أسماء تنبىء عن الجمل لا عن آحاد.

وإذا قلنا: إنسان واحد، فكأننا قلنا جملة واحدة، وكذلك إذا قلنا: عشرة واحدة، لا أننا نثبته واحداً في الحقيقة.

كيف ونحن نقول: إن أبعاد الإنسان متغايرة، فكل بعض منها غير سائرهما، وكذلك كل واحد من العشرة غير سائرهما؟

فنحن وإن قلنا: إنسان واحد، فلسنا نثبته شيئاً واحداً في نفسه ولو أثبتنا^(١) ذلك لتناقضنا مناقضة النصارى. وإنما قلنا: هي جملة واحدة، ولو قالت النصارى مثل ذلك لم تتناقض^(٢)، حتى يزعموا^(٣) أنها ثلاثة أشياء جملة واحدة.

فيكون مرادهم في ذلك بوصفهم الأقانيم الثلاثة، بأنها جوهر واحد مما نريد بقولنا: الأبعاد الكثيرة أنه إنسان واحد.

فيكون وصفهم لها بأنها جوهر، إنما ينبىء أنها جملة، وليس هذا مما يذهبون إليه، ولا يعتقدونه ولا يجعلون له معنى، لأنهم لا يعطون

(١) في هـ، ك (ثبتنا) بسقوط (أ).

(٢) في هـ، ك (تتناقض) بسقوط (ت).

(٣) في ط، ك (تزعموا) بدلاً من (يزعموا).

حقيقة التثليث، فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة، ولا حقيقة التوحيد، فيثبتون القديم واحداً ليس باثنين ولا أكثر من ذلك.

وإذا كان ذلك^(١) كذلك، فما قالوه، هو شيء لا يعقل ولا يصلح اعتقاده ويمكن أن يعارضوا على قولهم بكل حال.

فيقال لهم: إذا جاز عندكم أن تكون ثلاثة أقانيم جوهرراً واحداً، فلم لا يجوز أن تكون ثلاثة آلهة جوهرراً واحداً وثلاثة فاعلين جوهرراً واحداً وثلاثة أغيار جوهرراً واحداً، وثلاثة أشياء جوهرراً واحداً، وثلاثة قادرين جوهرراً واحداً، وكل ثلاثة أشياء جوهرراً واحداً، وكل ما يجري هذا المجرى من المعارضة، فلا يجدون فصلاً.

الوجه الحادي عشر: أن غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون أحسن حالاً منكم، شرعاً وعقلاً، وهم أقل مخالفة للشرع والعقل منكم.

فإذا^(٢) كان هؤلاء خيراً منكم، فكيف تشبهون أنفسكم بمن هو خير من هؤلاء من أهل السنة من المسلمين الذين لا يقولون، لا بتمثيل ولا بتعطيل؟

وبيان ذلك أن التوراة والإنجيل وسائر كتب الله، وغير ذلك مما هو مأثور عن الأنبياء، فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله، وأنه لا إله غيره، وهو مسمى فيها بالأسماء الحسنى، موصوف بالصفات العلى^(٣)، وأن كل ما^(٤) سواه مخلوق له، ليس فيه

(١) (ذلك) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (وإذا) بدلاً من (فإذا).

(٣) في ط (العليا) بدلاً من (العلي).

(٤) في هـ، ك (كلما) بدلاً من (كل ما).

تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات، لا المسيح ولا غيره.

وفيها ألفاظ قليلة مشكلة متشابهة، وهي — مع ذلك — لا تدل على ما ذكرتموه من التثليث والاتحاد، لا نصاً ولا ظاهراً، ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم، وليس فيها شيء يحتمل جميع ما قلتم، فضلاً عن أن يكون ظاهراً فيه أو نصاً بل بعضها يحتمل بعض قولكم.

فأخذتم^(١) ذلك المحتمل، وضممتم إليه من الكفر الصريح، والتناقض القبيح ما صيرتموه أمانة لكم (أي عقيدة إيمان لكم).

ولو كانت كلها تحتمل جميع ما قلتم، لم يجز العدول عن النص والظاهر^(٢) إلى المحتمل. ولو كان بعضها ظاهراً فيما قلتم، لم يجز العدول عن النصوص الصريحة إلى الظاهر المحتمل.

ولو قدر أن فيها نصوصاً صريحة قد عارضتها نصوص أخرى صريحة، لكان الواجب أن ينظروا بنور الله الذي أيد به عباده المؤمنين، فيتبعون أحسن ما أنزل الله، وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول^(٣) وسائر كتب الله، وذلك النص الآخر إن فهموا تفسيره، وإلا فوضوا معناه إلى الله — تعالى —^(٤)، إن كان ثابتاً عن الأنبياء.

وهؤلاء عدلوا عما^(٥) يعلم بصريح المعقول وعما^(٦) يعلم بنصوص

(١) في هـ (وأخذتم) بدلاً من (فأخذتم).

(٢) في هـ (الظاهر) بسقوط (و).

(٣) في هـ (العقول) بدلاً من (المعقول).

(٤) — تعالى — ساقطة من ط، ك.

(٥) في هـ (عن ما) بدلاً من (عما).

(٦) (وعما) ساقطة من ك.

الأنبياء الكثيرة، إلى ما يحتمله^(١) بعض الألفاظ، لموافقته^(٢) لهوهم فلم يتبعوا:

﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾^(٣).

وأما كفار المجسمة، فهؤلاء أعذر وأقل كفراً من النصاري، فإن هؤلاء يقولون كما يقوله معهم النفاة: إن ظواهر جميع الكتب هو التجسيم.

ففي التوراة، والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم، ما لا يحصى.

وليس فيها نص بما يقوله النفاة، من أن الله ليس بداخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو فوق العرش، ولا يشار إليه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب منه^(٤) شيء، ولا يدنو من شيء، ولا يدنو إليه شيء، إلى نحو ذلك من النفي الذي يقوله نفاة الصفات.

فمعلوم أنه ليس في الكتب الإلهية — لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا الزبور، ولا القرآن — ولا غير ذلك من النبوات، من هذا حرف واحد، وكلها مملوءة مما يقول هؤلاء: إنه تجسيم.

فيقول هؤلاء: نحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نعدل عنها إلى غيرها، ولم نجد في نصوصهم نصاً محكماً صريحاً بالنفي، الذي يقوله نفاة الصفات.

(١) في هـ (ما يحتمل) بدلاً من (ما يحتمله).

(٢) في هـ (بموافقته) بدلاً من (لموافقته).

(٣) سورة النجم: من الآية ٢٣.

(٤) في هـ، ك (إليه) بدلاً من (منه).

ووجدنا نصوصهم كلها بالإثبات الذي يقولون: إنه تجسيم.

فكان على قولنا وقولهم نصوص الأنبياء ظاهرة في التجسيم وليس لهم نص يناقض ذلك، فاتبعنا نصوصهم، وكل من عارض إثبات الصفات، لم يعارضها بنصوص صريحة عن الأنبياء، لكن بحجج عقلية.

فيقول هؤلاء: إن النصارى خالفوا صريح المعقول، وصريح كلام الأنبياء، واتبعوا قليلاً من متشابه كلامهم. ونحن اتبعنا نصوص الأنبياء، ولم نخالف شيئاً من صريح نصوصهم، ولكن مخالفنا يقول: إننا خالفنا العقل.

ونحن ننازعه في ذلك، وندعي أن العقل معنا لا علينا، وأن ما يدعيه من المعقولات التي تعارض كلام الأنبياء، فهي باطلة.

أو يقولون: نحن والنصارى متفقون، على أننا لا نعارض كلام الأنبياء بالشبه العقلية، لكن نحن اتبعنا كلامهم المحكم الظاهر الكثير، الذين لا مخالف له من كلامهم.

وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم، واتبعوا قليلاً من المتشابه.

ويقول الغلاة من هؤلاء الذين يكفروهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذي يحكي عنهم: أن الله ينزل إلى الأرض عشية عرفة، فيعانق المشاة ويصافح الركبان، وأنه يتمشى^(١) في الأرض، يكون موطىء أقدامه مروجاً، ونحو ذلك.

ليس هذا القول بأعجب من قول النصارى: الذين يقولون: إنه هو المسيح، وأن اللاهوت والناسوت اتحدا.

(١) في هـ (يمشي) بدلاً من (يتمشى).

فنحن نقول أيضاً: إنه حل في بعض الأجساد المخلوقة كما يقوله
النصارى.

أو نقول: إنه تجسد كما تتجسد الملائكة والجن، وهذا أقرب^(١)
من قول النصارى: إنه اتحد بجسم المسيح.

فإننا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور^(٢) في صورة^(٣)
بشرية، ولم نعهد ملكاً صار هو والبشر شيئاً واحداً.

فإذا لم يجز أن يتحد الملك بالبشر، فكيف يجوز أن يتحد رب
الخلائق كلهم بالبشر؟

قالوا: وقد يحل الجني في بدن الإنسي، ويتكلم على لسانه، إلا
أنهما جوهران ومشيتان وطبيعتان، ليس بينهما اتحاد، لكنه دخل فيه
وتكلم على لسانه.

والنصارى يقولون: إن رب العالمين اتحد بالبشر، فمنهم من
يقول جوهر واحد، ومنهم من يقول: شخص واحد، وأقنوم^(٤) واحد،
ومنهم من يقول مشيئة واحدة، فلا بد لكل منهم من نوع اتحاد^(٥)، وهذا
أبعد من حلول الجني في الإنسي، فإذا كان ما يقولونه ممتنعاً^(٦) في^(٧)
الجن والملائكة فكيف برب العالمين.

(١) في هـ (أقوى) بدلاً من (أقرب).

(٢) في هـ (تظهر) بدلاً من (تتصور).

(٣) في هـ (صور) بسقوط (ة).

(٤) في ك (قنوم) بسقوط (أ).

(٥) في ط (واتحاد).

(٦) في هـ ، ك (يمتنع) بدلاً من (ممتنعاً).

(٧) في هـ (عن) بدلاً من (في).

ومن غلاة المجسمة، اليهود، من يحكي عنه أنه قال: «إن الله بكى على الطوفان حتى رمد، وعادته الملائكة، وأنه ندم حتى عض يده وجرى منه الدم»، وهذا كفر واضح صريح، ولكن يقولون: قولنا خير من قول النصارى، فإن النصارى يقولون: (إنه أخذ وضرب بالسياط وبصق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه كالتاج، وصلب بين لصين)^(١)، وفعل به من أقبح ما يفعل باللصوص، قطاع الطريق.

وقد صرح كثير منهم بأن هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعاً.

وشريعة إيمانهم تدل على ذلك، وهو لازم لمن أنكر ذلك منهم، فإنه مع القول بالاتحاد الذي لا بد لطوائفهم الثلاثة منه، يمتنع أن تحل هذه العقوبات في هذا دون ذاك، فلا يمكن أن يحل في الناسوت دون اللاهوت، فإن هذا إنما يتصور إذا كان اثنين، ومن قال بالاتحاد، امتنع عنده أن يكون هناك اثنان.

وفي الجملة، فالنصارى المثلثة، إما أن يصرحوا بالاتحاد من كل وجه، كاليعقوبية*^(٢) وهؤلاء يصرحون بأن الآلام حلت باللاهوت.

وإما أن يقولوا^(٣) بالاتحاد من وجه، كقول الملكية: إنهما شخص

(١) في إنجيل (متى) الإصحاح السابع والعشرون (٢٨) - فعرفوه وألبسوه رداء قرمزيًا.

٢٩ - وضمفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهنئون به قائلين السلام يا ملك اليهود ويصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه... ولما صلبوه (اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكي يتم ما قيل بالأنبأ اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة ثم جلسوا يحرسونه هناك. ٢٧ - وجعلوا فوق رأسه عليّة مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود. ٢٨ - وحينئذ صلب معه لسان واحد عن يمين وواحد عن اليسار).

انظر: العهد الجديد ص ٥٣.

(٢) ما قبل النجمة بحوالي أحد عشر سطرًا مكرر في ك.

(٣) في هـ (يقولون) بدلاً من (يقولوا).

واحد، وقول النسطورية: هما مشيئة واحدة.

وحينئذ فما قالوه من التعدد^(١) الذي يوجب المباينة، وأنه لا يتصف أحدهما^(٢) بما يتصف به الآخر، ولا يحل به ما حل به، فيكون متناقضاً لهذا.

فأحسن أحوالهم أن يتناقضوا في الاتحاد، كما تناقضوا في التثليث وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء يتكلمون بالكفر وبما^(٣) يناقضه، وبالتوحيد وبما^(٣) يناقضه.

ومعلوم أن ما يفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن، هو دون ما يفعله أعداؤه به، من ضرب، وصفع، وجعل الشوك على رأسه، وصلبه بين لصين، وأن استغاثته بمن يخلصه من ذلك أشد نقصاً من ندمه وحزنه.

وإن قالوا: فعل هذا حتى يعلم عباده التشبه به. أمكن أولئك المجسمة الكفرة^(٤) أن يقولوا: بكى وندم، وعض يده ندماً حتى جرى الدم، حتى يعلم عباده التوبة من الذنوب.

ففي الجملة، ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله، إلا وقول النصرارى أقبح منه.

ولهذا كان معاذ بن جبل^(٥) رضي الله عنه يقول: لا ترحمهم فلقد سبوا الله مسبة، ما سبه إياها أحد من البشر^(٦)، ولهذا يعظم الله فريتهم

(١) في ط (التعدد والموت) بزيادة (الموت).

(٢) (أحدهما) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ، ك (وما) بدلاً من (بما).

(٤) (الكفرة) ساقطة من ط.

(٥) معاذ بن جبل: سبقت الإشارة إليه ١٠٠/٣.

(٦) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر: ١٠٠/٣.

على الله في القرآن، أشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٨ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٨٩﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُنْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ ۝٩٠ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ ۝٩١ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ ﴿١﴾

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة^(٢) - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: * «يقول الله - عز وجل - : كذبنى ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم، ولم يكن له ذلك»^(٣)، فأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد *^(٤) ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته»^(٥).

ورواه البخاري عن ابن عباس * عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله - عز وجل - : «كذبنى ابن آدم، ولم يكن له ذلك. وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقلوه: لي ولد، فسبحاني أن اتخذ صاحبة ولا ولداً»^(٦).

(١) سورة مريم: الآيات ٨٨ - ٩٥.

(٢) أبو هريرة: سبقت الإشارة إليه ١٧١/٣.

(٣) في ك (وما ينبغي له) بدلاً من (ولم يكن له ذلك).

(٤) ما بين النجمتين كتب في هـ (يقول الله: شتمني ابن آدم وما ينبغي له، وكذبنى ابن آدم، وما ينبغي له، فأما شتمه إياي فقلوه: إني اتخذت ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد).

(٥) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ١٥٣/٤.

(٦) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ١٥٣/٤.

وفي الصحيحين عن أبي موسى^(١) قال: قال رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — : «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله
— عز وجل — ، إنه يشرك به ويجعل له ند وهو يعافهم ويرزقهم ويدفع
عنهم»^(٢) *^(٣).

الوجه الثاني عشر: أن كل من يعتقد في التجسيم ما يعتقد،
يمكنه أن يقول كما يقوله النصارى، فإن النصارى عمدوا إلى ما هو
جسد من جنس سائر أجساد بني آدم. قالوا: إنه إله تام، وإنسان تام،
وليس فيه من الإلهية شيء، فما بقي — مع هذا — يمتنع أن يعتقد في
نظائره ما يعتقد فيه.

فلو قال القائل: إن موسى بن عمران كان هو الله، لم يكن هذا
أبعد من قول النصارى، فإن معجزات موسى، كانت أعظم، وانتصاره
على عدوه أظهر، وقد سماه الله في التوراة إلهاً لهارون ولفرعون.

فإذا قيل فيه ما قالوه في المسيح: إنه أظهر المعجز بلاهوته،
وأظهر العبودية بناسوته، لم يكن بطلان هذا أظهر من بطلان قول
النصارى، بل متى جوزوا اتحاد اللاهوت بالناسوت، لم يمكنهم دفع
ذلك عن أحد ممن يدعى فيه إلاً بدليل خاص، بل إذا قيل لهم: حل
في كثير من الأنبياء والقدايس، لم يمكنهم نفي ذلك.

وإذا قالوا: لم يخبر بذلك أحد، ولم يشر به نبي، أو هذا غير
معلوم.

(١) هو عبد الله بن قيس الأشعري صحابي جليل أسلم قديماً بمكة، مات سنة ٤٢،
وقيل ٤٤، وقيل ٥٠ هـ — رضي الله عنه — . الإصابة ١٨٧/٤؛ والاستيعاب
١٧٣/٤.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث ص ١٥٥/٤.

(٣) ما بين هذه النجمة والنجمة الأخرى في الصفحة السابقة ساقط من هـ، ك.

قيل لهم: غاية هذا كله، أنكم لا تعلمون ذلك، ولم يقم عندكم دليل عليه، وعدم العلم ليس علماً بالعدم، فعدم علمكم، وعدم علم غيركم بالشيء، ليس علماً بعدم ذلك الشيء.

وكذلك عدم الدليل المعين، لا يستلزم عدم المدلول عليه، فإن كل ما خلقه الله دليل عليه، ثم إذا عدم ذلك لم يلزم عدم الخالق فلا يجوز نفي الشيء لعدم الدليل الدال عليه إلا أن يكون عدم الدليل مستلزماً لعدمه، كالأمر التي تتوفر الهمم على نقلها إذا لم ينقل علم انتفاؤها.

والمقصود أنكم — مع العدم — لا يمكنكم النفي العام عن غير المسيح^(١) لعدم الدليل الدال عليه، فإنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول في نفس الأمر، لا سيما وهو كان متحداً بالمسيح عندهم أكثر من ثلاثين سنة، ومع هذا، فكان يخفي نفسه ولا يظهر إلا العبودية.

فإذا قيل لهم: هكذا كان متحداً بغيره من الأنبياء والصالحين، ولكن أخفى نفسه لحكمة له في ذلك، أو أظهر على نفسه بعض خواص عباده، أو أظهر لطائفة لم ينقل إلينا خبرهم ونحو ذلك، لم يمكن^(٢) — مع تصديق النصارى فيما يدعونه — الجزم بكذب هؤلاء. بل من جوز قول النصارى، جوز أن يكون متحداً^(٣) بغير ذلك من الأجسام، فيجعل كثيراً من الأجسام المخلوقة هي رب العالمين، إذ كانت^(٤) ليس هو متحداً بها في نفس الأمر.

(١) (العام عن غير المسيح) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ، (يكن) بدلاً من (يمكن).

(٣) في هـ، ك (أن يتحد) بدلاً من (أن يكون متحداً).

(٤) في ط (كان) بدلاً من (كانت).

فإذا اعتقدوا الاتحاد فيها^(١)، كما اعتقدته النصارى في المسيح،
لم يكن ثمَّ إله في الحقيقة إلاَّ ذلك الجسم الناسوتي المخلوق.

لكن ظن الضال أنه رب العالمين، كما ظن عباد العجل أن العجل إله
موسى. فإذا جاز أن يتحد الرب - عز وجل - ببعض الأجسام، لم ينكر
على أصحاب العجل إذا جوزوا أن يكون رب العالمين اتحد بالعجل،
وقد رأوا^(٢) منه نوع خرق عادة. فليس للنصارى أن ينكروا على عباد
العجل ولا عباد شيء من الأصنام، إذا أمكن أن يكون الرب
- عز وجل - حل فيها عندهم، إن لم يقيموا دليلاً على أن الرب لم يحل
في ذلك.

فإذا قيل: إن موسى - عليه السلام - أنكر على عباد العجل.
قيل: نعم. وموسى ينكر على كل من عبد شيئاً من المخلوقات،
حتى لو عبد أحد الشجرة التي كلمه الله منها، لأنكر عليه، فإنكاره على
النصارى أعظم.

وموسى - عليه السلام -، لم يقل قط: إن الله يتحد بشيء من
المخلوقات ويحل فيه، بل أخبر من عظمة الله - عز وجل - بما يناقض
ذلك.

ففي التوراة، من^(٣) نهيه عن عبادة ما سوى الله، ومن تعظيم أمره
وعقوبة المشركين به، وبما أخبر به من صفات الله - عز وجل -،
ما يناقض قول النصارى.

(١) (فيها) ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ، ك (رأي) بدلاً من (رأوا).

(٣) في هـ (عن) بدلاً من (من).

ولهذا كان من تدبر التوراة وغيرها من كلام الأنبياء - عليهم السلام - من النصارى، تبين له أن دينهم يناقض دين الأنبياء كلهم، وأن ما هم عليه من التثليث والاتحاد والشرك، لم يبعث به أحد من الأنبياء - عليهم السلام - .

وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة، أو كالأنبياء والصالحين الذين ماتوا، مثل^(١) دعائهم مريم وغيرها، وطلبهم من الأموات الشفاعة لهم عند الله، لم يبعث به أحد من الأنبياء، فيكف وقد صوروا تماثيلهم، ليكون تذكيراً لهم بأصحابها ويدعون تلك الصور^(٢).

وإن قصدوا دعاء أصحابها، فهم إذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون، كانوا مشركين .

فكيف إذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة؟ وهذا مما يعترف^(٣) حذاق علمائهم بأنه مخالف لدين الأنبياء كلهم .

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتخاذ الصور في الكنائس، لما ابتدعه بعضهم كما هو مذكور في أخبارهم، ولم يأت من ابتدع ذلك بحجة شرعية .

والمجسمة يعتقدون أن الله^(٤) قديم أزلي، وأنه عظيم جداً، لا يقولون إنه متحد بشيء من الأجسام المخلوقة، ولا يحل فيها^(٥). فمن

(١) في هـ (قبل) بدلاً من (مثل).

(٢) في ط (الصورة) بزيادة (ة).

(٣) في ط (يعترفه) بدلاً من (يعترف).

(٤) في هـ (أنه) بدلاً من (أن الله).

(٥) في هـ (منها) بدلاً من (فيها).

قال باتحاده وحلوله فيها، كان قوله شراً من قول هؤلاء المجسمة.

كما أن المتفلسفة الذين يقولون بأن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه بها كما يقوله «أرسطو» وذووه، أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها كما يقوله «ابن سينا»^(١) وأمثاله.

وهؤلاء قولهم شر من قول اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات والأرض خالقاً خلقها بمشيئته وقدرته.

ولو قال من قال منهم: إن ذلك جسم فغايته أن يثبت جسماً قديماً أزلياً موصوفاً بصفات الكمال.

فمن أثبت جسماً قديماً أزلياً ليس موصوفاً بصفات الكمال، كان قوله شراً من قول هذا.

فتبين أن المجسمة الذين يثبتون جسماً، قديماً أزلياً، واجب الوجود بنفسه، عالماً بكل شيء، قادراً على كل شيء مع قولهم: إنه تحله الحوادث وتقوم به الحركة والسكون، خيراً من قول الفلاسفة الذين يقولون: إن الأفلاك أجسام قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها، كما يقوله «أرسطو» وذووه، وخير من النصارى أيضاً.

الوجه الثالث عشر: قولهم: من قال ثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه، فنحن نلغنه ونكفره.

فيقال لهم وأنتم^(٢): أيضاً تلغنون من قال: إن المسيح ليس هو إله حق من إله حق، ولا هو مساوي^(٣) الأب في الجوهر، ومن قال: إنه

(١) ابن سينا: سبقت الإشارة إليه ص ٣٣٤.

(٢) في هـ، ك (أنتم) بسقوط (و).

(٣) في هـ، ك (مساو) بسقوط (ي).

ليس بخالق، ومن قال: إنه ليس بجالس عن يمين أبيه. ومن قال أيضاً:
إن روح القدس ليس برب حق^(١) محيي، ومن قال: إنه ليس بثلاثة
أقانيم.

وتلعنون أيضاً مع قولكم إنه الخالق من قال: إنه الأب، والأب هو
الخالق، فتلعنون من قال هو الأب الخالق، ومن قال: ليس هو الخالق
فتجمعون بين النقيضين.

فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث، ومن أثبت التثليث
مع انفصال كل واحد عن الآخر، وتجمعون بين النقيضين.
فمن أثبت أحدهما منفكاً عن الآخر لعنتموه، كمن قال: عندي
واحد ثلاثة.

فمن قال: هو واحد ليس بثلاثة كذبه، ومن قال: هو ثلاثة ليس
واحداً كذبه.

ومن قال: عندي شيء موجود معدوم، فمن قال: هو موجود^(٢)
ليس بمعدوم كذبه، ومن قال معدوم ليس بموجود كذبه.

ومن قال: عندي شيء هو حي ميت، هو عالم جاهل، هو قادر
عاجز، فمن قال هو حي ليس بميت كذبه، ومن قال: هو ميت ليس
بحي، كذبه.

فهكذا أنتم، تجمعون بين قولين متناقضين، أحدهما حق، والآخر
باطل.

فمن قال الحق ونفى الباطل، لعنتموه، ومن قال الباطل ونفى

(١) في هـ (حي) بدلاً من (حق)، (حق) مطموسة في ك.

(٢) (هو موجود) ساقط من هـ.

الحق لعتموه^(١).

وأنتم تشبهون الملاحدة، من الجهمية والفلاسفة والباطنية الذين يسلبون عنه النقيضين أو يمتنعون عن إثبات أحد النقيضين فيقولون: لا نقول هو حي ولا ليس بحي، ولا هو عالم، ولا ليس بعالم، ولا قادر ولا ليس بقادر.

بل منهم من يقول: لا نقول هو موجود ولا معدوم، ولا نقول: هو شيء، ولا نقول: ليس بشيء. ومنهم من يقول: ليس بحي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز.

ومنهم من يقول: لا نطلق لا هذا ولا هذا. فيقال لهم: رفع النقيضين كجمع النقيضين، والامتناع عن إثبات أحد النقيضين، كالامتناع عن نفي أحد النقيضين. وكذلك من وصفه بأنه موجود واجب الوجود لذاته، ثم وصفه بصفات تستلزم عدمه، فقد جمع بين النقيضين.

وكل قول يتضمن جمع النقيضين وإثبات^(٢) الشيء ونفيه، أو رفع النقيضين، الإثبات والنفي، فهو باطل.

والنصارى - في هذا الباب - من أبلغ الناس تناقضاً، يقولون الشيء، ويقولون بما يناقضه^(٣)، ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا.

وأيضاً فكل طائفة منكم تلعن الأخرى، فإن أهل الأمانة تلعن الأريوسية وغيرهم من طوائف النصارى، وهم يلعنونكم، وكل من فرقكم

(١) (ومن قال الباطل ونفي الحق لعتموه) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ (إثبات) بسقوط (و).

(٣) في هـ (ما ينقضه) بدلاً من (بما يناقضه)، وفي ك (ينقضه) بدلاً من (يناقضه).

الثلاثة، النسطورية، واليعقوبية، والملكية، تلعن الطائفتين الآخرين.

فأنتم واليعقوبية تلعنون من يقول: إن مريم لم تلد إلهاً، ويقولون: إن مريم ولدت إنساناً تاماً إلهاً تاماً.

وأنتم والنسطورية تلعنون من قال: إنهما جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة.

ومن قال: إن اللاهوت تألم مع قولكم: إن اللاهوت مولود من مريم ومع قولكم^(١) المسيح الذي ولدته مريم: مات وصلب، وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب أنكم ملعونون، ما^(٢) يطول وصفه، فما منكم من أحد إلا وهو لا عن ملعون، فلعنكم من قال بهذه المقالات، لا يوجب أنكم على الحق، بل يوجب أن يكون من جملة الملعونين عندكم، كطائفة من طوائفكم، والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً.

والطوائف الثلاثة المشهورة في الأزمان المتأخرة منهم^(٣)، بعض طوائفهم، وإلا فهم طوائف كثيرون، مختلفون في التثليث والاتحاد.

وتجد كل صنف منهم — أو^(٤) غيرهم في مقالاتهم — يحكى أقوالاً غير الأقوال التي حكاها الآخرون.

ومن أجل من جمع أخبارهم عندهم سعيد بن البطريق بترك الإسكندرية في أثناء المائة الرابعة من دولة الإسلام، وقد بحث لهم بحثاً استقصى فيه — بزعمه — نصر مذهبهم، وهو ملكي، وقد ذكرت

(١) (اللاهوت مولود من مريم، ومع قولكم) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ ، ك (بما) بزيادة (ب).

(٣) في ط (فهم) بدلاً من (منهم).

(٤) في هـ ، ك (و) بسقوط (أ)

كلامه في غير هذا الموضع^(١).

وفيه من يقول: إن مريم زوجة الله، وفيهم من يجعلها إلهاً آخر، كال المسيح.

وفيه من يثبت أن المسيح ابن الله، الولادة المعقولة^(٢) المعروفة من الحيوان.

والأمانة التي جعلوها عقيدتهم وأصل إيمانهم في زمن قسطنطين بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، هي وغيرها من أقوالهم الظاهرة، تدل على هذه الأمور المنكرة القبيحة دلالة بينة.

لكن علماءهم يتأولونها بتأويلات تناقض مدلولها، مع فساد تلك المعاني التي يحملونها عليها عقلاً وشرعاً.

وليست تلك ألفاظ الأنبياء، حتى يقال: حكمهم في ذلك حكم سائر الطوائف من المسلمين وغيرهم، الذين يقولون ما يرونه متشابهاً من كلام الأنبياء، ويقولون: إن الأنبياء تكلموا بما لا يعرف أحد معناه، أو أنهم خاطبوا الجمهور بما أرادوا به تفهيمهم أموراً ينتفعون بها، وإن كان ذلك كذباً باطلاً في نفس الأمر.

فإن هؤلاء الطوائف، وإن كان فيهم من الضلال والجهل، ما قد بسط في غير هذا الموضع^(٣)، فقد فعلوا ذلك في ألفاظ الأنبياء التي لها حرمة النبوة.

(١) يشير الشيخ - رحمه الله - إلى ما نقله من «نظم الجواهر» في هذا الكتاب والذي يبدأ من ١٨٣/٤.

(٢) (المعقولة) ساقطة من ط، ك.

(٣) (الموضع) ممحوة من هـ.

بخلاف النصارى فإنهم وضعوا^(١) عقيدة وشريعة، ليست ألفاظها منقولة عن أحد من الأنبياء.

الوجه الرابع عشر: قولهم: ويراد^(٢) بالأب والابن، غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجة لعنائه.

فيقال: لفظ الولادة المعروفة، إنما يكون من أصلين، وإنما يكون بانفصال جزء من الأصلين، وإنما يكون بحدوث المولود، سواء أريد ولادة الحيوان أو غيرها، كما تتولد النار من بين^(٣) الزنادين، فإذا قدح أحدهما بالآخر، خرج منهما^(٤) جزء لطيف، فاستحال ناراً، ثم سقط على الحراق.

وقد توسع بعض الناس في الولادة حتى عبر به عما يحدث عن الشيء وإن لم يكن بانفصال جزء منه، كتولد الشعاع عن النار، والشمس وغيرها لأن هذا يحدث بشيئين أحدهما، ما يصدر عنه، من الشمس والنار، والثاني المحل القابل له^(٥) الذي ينعكس عليه، وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع.

فأما ما يحدث عن شيء واحد، فلا يعرف أنه يسمى ولادة إن قدر وجود ذلك، وكذلك لا يعرف ما يلزم الشيء الواحد أنه يسمى ولداً.

فأما ما يقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له، فهذا^(٦) أبعد

(١) في هـ (وضفوا) بدلاً من (وضعوا).

(٢) في ط (ومرادنا) بدلاً من (ويراد).

(٣) (بين) ساقطة من هـ ، ك.

(٤) في هـ (منها) بدلاً من (منهما).

(٥) (له) ساقطة من هـ ، ك.

(٦) في هـ ، (فهو) بدلاً من (فهذا).

شيء^(١) عن أن يسمى هذا الملزوم ولادة، بل لا تكون الولادة إلا عن أصليين.

وكل من قال: إن لله ولداً، لزمه أن يكون^(٢) له صاحبة بأي وجه فسر الولادة، وأن يكون له ولد حادثاً، ولهذا قال - تعالى - :

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣).

فاستفهم - تعالى - استفهام إنكار، ليبين^(٤) امتناع أن يكون له ولد، إذ لم تكن له صاحبة فإن الولد لا يكون إلا من أصليين، وهذا مما ينبغي أن يتفطن له، فإن جعل^(٥) ما يلزم الشيء الواحد متولداً عنه، لا يعرف، لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له، كعلمه، وحياته^(٦)، لا سيما الصفات القديمة الأزلية اللازمة^(٧) لذات رب العالمين، الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، فإن صفات العبد اللازمة له، كحياته، وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء.

ولا يقول عاقل يعقل ما يقول: إن لون السماء وقدرها متولد عنها، ولا إن قدر الشمس وضوءها القائم بها، اللازم لها، متولد عنها، ولا يقول أحد: إن حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها.

(١) شيء (ساقطة من هـ، ك).

(٢) في ط (تكون) بدلاً من (يكون).

(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠، ١٠١.

(٤) في ط (يبين) بسقوط (لـ).

(٥) في هـ، ك (تسمية) بدلاً من (جعل).

(٦) لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له، تعلمه، وحياته (ساقطة من هـ، ك).

(٧) (اللازمة) ساقطة من ط.

وإنما يقال: إن قيل - فيما ليس بقائم بها^(١)، بل قائم بغيرها، أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن، كالشعاع القائم بالأرض والحيطان، وهذا ليس بقائم بها، بل قائم بغيرها، هو حادث متولد عن أصليين، لا عن أصل واحد.

فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له، فلا يقول أحد من العقلاء: إنها متولدة عنه.

والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته، وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته، هي صفة له قديمة أزلية، لم يزل ولا يزال موصوفاً بها.

ويقولون - مع ذلك - : إن الكلمة هي مولودة منه^(٢)، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولداً عنه، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه.

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه، لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه^(٣) أنواع كثيرة، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته، يقال: إنها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك، فتكون حياته أيضاً ابنه وولده. ومتولداً عنه، وإن لم يكن كذلك، فلا يكون علمه ابنه ولا ولده، ولا متولداً عنه.

وأبلغ^(٤) من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه، القائمة بالأنبياء والصديقين، لا يقولون: إنها ولده، ولا إنها متولدة عنه، بل يخصون

(١) (بها) ساقطة من هـ.

(٢) (منه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في ط (بأنه) بدلاً من (فإنه).

(٤) في هـ، ك (وأقطع) بدلاً من (وأبلغ).

ذلك بالكلمة، فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمي شيئاً من صفات الله ابناً ولا ولداً، ولا قال: إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه.

فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها، ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية، ومخالفون لجميع لغات آدميين، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا: تولدت الكلمة عنه، كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل.

فيقال لهم: لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك تولداً، فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن، وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيتنا.

فأما صفاتنا^(١) اللازمة لنا، التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها، فلا يقول عاقل: إنها متولدة فينا وعنا.

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له، التي لم يزل^(٢) ولا يزال متصفاً بها، متولدة عنه.

فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمراً معروفاً في اللغة والعقل والشرع، لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابناً له ومولوداً^(٣) منه، لم يزل مولوداً منه، لأن هذا باطل عقلاً وشرعاً ولغة.

أما العقل، فإن صفة الموصوف اللازمة له – وإن كان مخلوقاً –

(١) في هـ (قائماً بصفاتنا) بدلاً من (صفاتنا).

(٢) في هـ (تزل) بدلاً من (يزل).

(٣) في هـ (مولوداً) بسقوط (و).

ليست متولدة عنه، فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم؟

ولو جاز هذا، جاز أن يجعل ما كان لازماً لغيره ولداً له ومولوداً منه، فيجعل كيفيات الأشياء وكمياتها متولدة عنها وأمثالها.

ويقال: إن طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه، وإن حياة الحي متولدة عنه، وإن القوى والطبايع التي جعلها الله في المخلوقات^(١) متولدة عنها^(٢).

وأما الشرع، فإن هذا لو كان متولداً – وهو في بعض اللغات يسمى ولداً – لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلا أن يكون في لغتهم يسمى ولداً.

وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء النصارى وغيرهم، لم يجد أحداً من الأنبياء يسمى علم الله وكلمته وحياته، ولداً له ولا ابناً له، ولا قال: إن ذلك يتولد^(٣) عنه.

فقولهم عن المسيح: عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس أنه أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية، وأنها متولدة^(٤) منه وأنه أراد بروح القدس، حياة الله القديمة الأزلية، كذب محض على المسيح – عليه السلام –، لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء أنهم سموا علم الله وحكمته، ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً، ولا سموا حياته روح القدس.

وأما اللغة، فإن هذا التعبير الذي ذكروا – وهو تسمية صفات

(١) في ط (الحيوان) بدلاً من (المخلوقات).

(٢) (جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها) غير ظاهرة في ك.

(٣) في هـ، ك (متولداً) بدلاً من (يتولد).

(٤) في هـ (مولده) بدلاً من (متولدة).

الموصوف اللازمة له ولداً وابناً ومتولداً - لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة.

وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولداً ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن متولداً عنه، كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم، ولهذا نزه الله - تعالى - نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال - تعالى - :

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهَمَ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾
وقال - تعالى - :

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾.

وقال - تعالى - :

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾
وأما اتخاذ الولد، ففي مواضع متعددة، كقوله - تعالى - :

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ﴿٤﴾﴾
وقوله - تعالى - (٥) :

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٥١، ١٥٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٠٠، ١٠١.

(٣) سورة الإخلاص: الآيتان ٣، ٤.

(٤) سورة الإسراء: من الآية ١١١.

(٥) - تعالى - (ساقطة من هـ، ك).

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيرٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١).

وقوله :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١١٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿١١٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

وقوله :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (٣).

وقوله :

﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤).

وأهل الكتاب يذكرون أن في كتبهم تسمية عباد الله الصالحين أبناء، وتسمية الله أباً، وتسمية المصطفين أبناء، وهذا إذا كان ثابتاً عن الأنبياء فإنهم لا يعنون به إلا معنى صحيحاً.

واللفظ قد يكون له في لغة معنى ، وله في لغة أخرى معنى غير ذلك، والمراد بهذا الولد والابن، لا ينافي كونه مخلوقاً مربوباً عبداً لله — عز وجل — .

(١) سورة البقرة: الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) سورة الأنبياء: الآيات ٢٦ - ٢٩ . ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ سقطت من هـ ، ك .

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ٩١ .

(٤) سورة الزمر: من الآية ٤ .

وأما تسمية شيء من صفات الله ابناً أو ولداً، فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء، ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى. ولم يبق للتولد إلاّ معنيان، أحدهما: أن يفصل عنه جزء، والثاني: أن يحدث عنه شيء إما باختياره، وإما بغير اختياره وقدرته كحدوث الشعاع عن النار والشمس.

وكل من الأمرين لا يكون إلاّ عن أصليين، ولا بد أن يكون حادثاً لا يكون من صفاته اللازمة له، فيمتنع أن يتولد عنه شيء إن لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما.

والتولد عنه بغير قدرته ومشيتته، ممتنع عند أهل الملل، المسلمين واليهود والنصارى وسائر الأمم، سوى طائفة من المتفلسفة يقولون: إنه موجب بذاته، مستلزماً لما يصدر عنه، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد. والنصارى تكفر هؤلاء، لكن قد ضاهوهم في القول، كما قال - تعالى - :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْا﴾^(١).

وهذا قاله طائفة من اليهود، وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا^(٢) وأتباعه.

(١) سورة التوبة: من الآية ٣٠.

(٢) هو عالم من بني إسرائيل ممن قالوا بأن عزيز بن الله. ذكر ذلك المفسرون عند كلامهم على الآية ٣٠ من سورة التوبة في قصة العزيز.

انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨؛ والصاوي على الجلالين - تفسير سورة التوبة.

قال أبو محمد بن حزم^(١) : والصدوقية^(٢) ، طائفة من اليهود^(٣) نسبوا إلى رجل يقال له صدوق^(٤) ، وهم يقولون - من بين سائر اليهود - إن العزيز^(٥) بن الله ، وكانوا بجهة اليمن^(٦) .

ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والأفلاك عنه ، وإن سمي ذلك تولداً^(٧) ، فهم يجعلون ولده منفصلاً عنه ، لكن يثبتون ولداً قديماً أزلياً صدر عنه بغير اختياره ، ويجعلون الشيء الواحد متولداً عنه . وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولداً ، جعلوه حادثاً منفصلاً عنه .

فأما جعل صفته القائمة به ولداً له^(٨) ومولوداً ، فهذا لا يعرف عن غير النصارى ، فإذا أثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق ، والصفة^(٩) القائمة به اللازمة له ، لم تتولد عنه ، ولا تسمى ابناً ولا ولداً عند أحد من الأنبياء وغيرهم ، تعين أن يكون الولد ، إما جزءاً منفصلاً عنه ، وإما معلولاً له صادراً عنه بغير قدرته ومشيتته ، وأي القولين قالوه ، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل .

(١) أبو محمد بن حزم : سبقت الإشارة إليه ٨٤/٤ .

(٢) الصدوقية : فرقة صغيرة نسبياً ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذوي مكانة

مرموقة ، متخاصمة مع الفريسيين ، وقد دعم الرأي أن اسمها مشتق من صادق ،

وذلك لأن هذه الطائفة مشتقة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية ، وقد كان

صادوق رئيس كهنة في أيام داود وسليمان .

انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ .

(٣) (من اليهود) ساقطة من هـ ، ك .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) العزيز : سبقت الإشارة إليه ٣٦/٣ .

(٦) انظر كلام ابن حزم هذا في كتابه الفصل ٩٩/١ .

(٧) في هـ (مولداً) بدلاً من (تولداً) .

(٨) (له) ساقطة من هـ ، ك .

(٩) في هـ (والصفات) بدلاً من (والصفة) .

وبعض علمائهم وإن أنكر ذلك، لكنهم يقولون ما^(١) يستلزم ذلك، ويشبهونه بالشعاع من الشمس، ويقولون عن^(٢) الروح، هو منبثق من الله خارج منه.

وهذا كله يناسب الولادة، التي هي خروج شيء منه، أو حدوث شيء عنه بغير اختياره ومشيئته، ولا بد له — مع ذلك — من محل يقوم به فإن الشعاع لا يقوم إلا بالأرض.

والأمر المنبثق الخارج من غيره إما أن يكون جوهرًا قائمًا بنفسه، أو صفة قائمة بغيرها.

فإن كان جوهرًا، فقد انفصل من الرب جزء.

وإن كان عرضًا، فلا بد له من محل، فيكون متولدًا عن أصلين.

وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل، تشبيه باطل، فإن ذلك يحصل بقدرة الإنسان ومشيئته، وهو حادث بعد أن لم يكن.

هذا إذا عرف أن ما يقوم بقلب الإنسان من علم وحكمة، يقال: إنه يتولد^(٣) عنه ويقال: إنه ابنه، مع أن هذا أمر غير معروف في اللغات، ولو كان معروفًا في لغة بعض الأمم، لم يجز أن يفسر به كلام الأنبياء إن لم يكن معروفًا في لغتهم.

وأما ما يدعونه، فإنهم يقولون: إن الكلمة لازمة لذات الله أزلاً وأبدًا، وهي مولودة^(٤) منه، مع أنها غير مصنوعة، فهذا كلام متناقض باطل من وجوه.

(١) في ط (بما) بزيادة (ب).

(٢) في ط (عنه) بدلاً من (عن).

(٣) في هـ (متولد) بدلاً من (يتولد).

(٤) في هـ، ك (متولدة) بدلاً من (مولودة).

فإن المتولد عن الشيء، لا يتولد إلا عنه وعن غيره، وأما الشيء الواحد، فلا يتولد عنه وحده شيء، وأيضاً فإن ما تولد عن غيره لم يكن حادثاً، وأما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب، فليست مولودة له^(١)، ولا متولدة عنه، بل هي قائمة به لازمة لذاته.

وأيضاً، فإن المولود اسم مفعول، يقال: ولده يلدّه فهو مولود، وهذا لا يقال إلا في الحادث المتجدد، فإنه مفعول فعل الوالد. والقديم الأزلي، لا يكون مفعولاً مولوداً.

وأيضاً فتسمية الصفة القديمة الأزلية، مولوداً وابناً، لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء — عليهم السلام — .

فهب أن هذا مما يسوغ لنا في اللغة أن نقوله، لكن^(٢) لا يجوز أن نحدث لغة غير لغة الأنبياء، ونحمل كلام^(٣) الأنبياء^(٤) عليها * فإن هذا كذب عليهم.

وهكذا تفعل النصارى وأمثالهم من أهل التحريف بكلام الأنبياء، يحدثون لهم لغة مخالفة للغة الأنبياء، ويحملون كلام الأنبياء عليه *^(٥).

مثال ذلك: أن الأنبياء أخبروا بأن الله إله واحد، وكفروا من أثبت إلهين اثنين، وأمروا بالتوحيد ودعوا إليه، وحرّموا الشرك وكفروا أهله، وأخبروا أن الله واحد أحد، وكان مرادهم بذلك توحيده وأنه لا يجوز أن

(١) (له) ساقطة من هـ .

(٢) (لكن) ساقطة من هـ .

(٣) في هـ ، ك (كلامهم) بدلاً من (كلام).

(٤) (الأنبياء) ساقطة من هـ ، ك .

(٥) ما بين هذه النجمتين ساقط من هـ .

يعبد إلا الله، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته.

فلم يقصدوا بلفظ «الأحد والواحد» أنه ليس له علم ولا قدرة، ولا شيء من الصفات.

فجاء طائفة من أهل البدع، ففسروا لفظ^(١) اسم «الواحد» و«الأحد» بما جعلوه اصطلاحاً لهم، فقالوا: الواحد الذي ليس فيه تركيب ولا ينقسم، ولو كان له صفات لكان مركباً، ولو قامت به الصفات، لكان جسماً، والجسم مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة^(٢)، فلا يكون أحداً ولا واحداً.

فيقال: هذا الذي قالوه لو قدر أنه صحيح في العقل واللغة، فليس هو لغة الأنبياء التي خاطبوا بها الخلق، فكيف إذا لم يكن هذا الواحد من لغة أحد من الأمم؟

بل جميع الأمم تسمي ما قام به الصفات واحداً، بل يسمونه وحيداً، وقد يسمونه في غير الإثبات أحداً، كقوله:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٣).
وقوله:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾^(٤).

وأمثال ذلك.

(١) لفظ) ساقطة من هـ .

(٢) في ط (والصور) بسقوط (ة).

(٣) سورة التوبة: من الآية ٦ .

(٤) سورة المدثر: من الآية ١١ .

وأما البحث العقلي في هذا، فقد بسطناه في غير هذا الموضع،
وبيناً أن ما يسميه هؤلاء المتفلسفة تركيباً كقولهم: إن الشيء مركب من
وجود وماهية، وقولهم: إن الأنواع مركبة من الأجناس والفصول، هو
باطل عند جميع جمهور العقلاء.

وليس في الخارج إلا ذات متصفة بصفات، ليس في الخارج
وجود القائم بنفسه، وماهية أخرى غير هذا الشيء الموجود القائم بنفسه
مثلاً.

ولكن قد يعنى بلفظة «ماهية» ما يتصور في الأذهان، وبالوجود^(١)
ما يوجد في الأعيان، وحينئذٍ، فهذه الماهية غير هذا الموجود، وحينئذٍ
يقال هذه الماهية غير هذا الموجود.

وكذلك^(٢) قولهم: إن الإنسان الموجود في الخارج مركب من
الجنس والفصل، فإن الإنسان الموجود هو ذات متصفة بصفات هو
غيره من الموجودات.

ولكن يتصور في الذهن ما هو مركب من الحيوان والناطق، كما
يتصور ما هو مركب من الحيوان والضاحك، وهذا تركيب ذهني^(٣)،
لا تركيب في الخارج، وقد بسط هذا في غير هذا الموضع.

وتبين أن ما جعلوه من الصفات داخلاً في الماهية، وما جعلوه
خارجاً عنها لازماً لها، وما هو مجموع أجزاء الماهية، يرجع - عند
التحقيق - إلى ما هو مدلول عليه بالتضمن والالتزام والمطابقة.

(١) في هـ (بالوجود) بسقوط (و).

(٢) في هـ (ولكن كذلك) بزيادة (لكن).

(٣) في هـ (وقفي) بدلاً من (ذهني).

ومن ذلك تركيب الجسم من الجواهر المفردة، أو من المادة والصورة.

وأكثر العقلاء ينكرون تركيب الجسم من هذا وهذا، كما قد بسط في موضع آخر^(١).

والمقصود هنا، أن كلام الأنبياء لا يجوز أن يحمل إلا على لغتهم التي من عاداتهم أن يخاطبوا بها الناس، لا يجوز أن يحدث لغة^(٢) غير لغتهم ويحمل كلامهم عليها.

بل إذا كان لبعض الناس - عادة ولغة - يخاطب بها أصحابه، وقدر أن ذلك يجوز له، فليس له أن يحمل ذلك، لغة النبي^(٣)، ويحمل كلام النبي على ذلك.

ومن هذا إخبار الأنبياء بأن الله يقول ويتكلم وينادي ويناجي، وإنه قال كذا وتكلم بكذا، ونادى موسى ونحو ذلك.

والمعروف في لغتهم ولغة سائر الأمم، أن المتكلم من قام به الكلام وإن كان متكلماً بقدرته ومشيتته، لا يعرف في لغتهم أن المتكلم من أحدث كلاماً منفصلاً عنه، ولا أن المتكلم من قام به الكلام بدون قدرته ومشيتته.

فليس لأحد - إذا جعل اسم المتكلم لمن يحدث كلاماً بائناً عنه، أو من قام به بدون قدرته ومشيتته - أن يحمل كلام الأنبياء على هذا.

بل المتكلم - عند الإطلاق - من تكلم بقدرته ومشيتته، مع قيام الكلام به.

(١) كما قد بسط في موضع آخر ساقطة من هـ، ك.

(٢) في هـ (أحد) بدلاً من (لغة).

(٣) في هـ (النبي - صلى الله عليه وسلم -) بزيادة (- صلى الله عليه وسلم -).

وهذا هو المعروف في لغة الأنبياء وسائر الأمم عند الإطلاق،
ونظائر هذا متعددة.

فمن فسر كلام الأنبياء بغير لغتهم المعروفة، فهم ممن بدل
كلامهم وحرفه، والنصارى من هؤلاء.

وكذلك اسم العادل والظالم ونحوهما^(١)، فإن المعروف من^(٢)
كلام الأنبياء وغيرهم أن العادل من قام به العدل وفعل العدل بمشيئته
وقدرته.

والظالم من قام به الظلم، وفعله بقدرته ومشيئته، لا يسمون من
لم يقم به الظلم، ولكن قام بغيره، لكون قد جعل ذلك فاعلاً له،
ولا يسمون من لم يفعل الظلم — ولكن فعله غيره فيه — ظالماً.

فمن جعل الظالم والكافر والفساق من لم يفعل شيئاً من ذلك
ولكن فعله غيره فيه، أو جعل الظالم من لم يقم به ظلم فعله، ولكن
جعل غيره متصفاً به ظالماً، فقد خرج عن المعروف من كلام الأنبياء
وغيرهم.

وأبلغ من ذلك أن المحدث والحادث في لغة جميع الأمم،
لا يسمى به إلا ما كان بعد أن لم يكن والمخلوق أبلغ من المحدث
والحادث.

فليس لأحد — إذا أحدث اصطلاحاً سمي به القديم الأزلي الذي
لم يزل موجوداً ولكنه زعم أنه معلول لغيره فسماه محدثاً بهذا الاعتبار —
أن يقول: أنا أحمل كلام الأنبياء الذي أخبروا به، أن السماوات والأرض

(١) في هـ (ونحوهم) بدلاً من (ونحوهما).

(٢) في هـ (في) بدلاً من (من).

وما بينهما مخلوق أو مصنوع أو معقول أو محدث أو^(١) نحو ذلك من العبارات، على أن مرادهم بذلك أنه معلول مع كونه قديماً أزلياً لم يزل. وأما لفظ «القديم» فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا بها الأنبياء يراد به ما كان متقدماً على غيره تقدماً زمانياً، سواء سبقه عدم أو لم يسبقه، كما قال - تعالى - :

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٢).

وقال - تعالى - :

﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾^(٣).

وقال الخليل :

﴿أَفَرَأَيْتُمَا كُنْتُمَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

فلهذا كان القديم الأزلي الذي لم يزل موجوداً، ولم يسبقه عدم، أحق باسم القديم من غيره.

وليس لأحد أن يجعل القديم والمتقدم اسماً لما قارن غيره في الزمان لزعمه أنه متقدم عليه بالعلة، ويقول: إنه متقدم على غيره وسابق له بهذا الاعتبار، وإن ذلك^(٥) المعلول متأخر^(٦) عنه بهذا الاعتبار، ثم يحمل ما جاء من كلام الأنبياء وأتباع الأنبياء وعموم الخلق على هذا الاصطلاح لو كان حقاً، فكيف إذا كان باطلاً.

(١) في ط (و) بسقوط (أ).

(٢) سورة يس: من الآية ٣٩.

(٣) سورة يوسف: من الآية ٩٥.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٧٥ - ٧٧.

(٥) في هـ (كان) بدلاً من (ذلك).

(٦) في هـ (متأخراً) بزيادة (أ).

وما ذكره من التقدم والسبق والتأخر بغير الزمان، أمر^(١) غير موجود ولا معقول، ولا يعرف في الوجود من فعل شيئاً وكان علة فاعلة له إلاّ وهو متقدم عليه سابق له، ليس مقارناً له في الزمان ألبتة، بل متقدم^(٢) عليه تقدماً زمانياً.

وكل من يعرف أنه سبب أو علة فاعلة فإنه متقدم على مسببه ومعلوله لكن قد يكون متصلاً به، ليس بينهما زمان آخر. فيقال: ليس هذا متأخراً عن هذا، أي هو متصل به ليس بينهما فصل.

ويقال: ليس ذلك متقدماً على هذا، أي ليس بينهما زمان، بل هو متصل به، إذ قد يراد بلفظ التقدم هذا، كقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : «الجنّاة متبوعة، وليست بتابعة، ليس منها من تقدمها»^(٣) أي من كان قد تقدمها، حتى لم يكن قريباً منها، لم يكن تابعاً لها، كما جاء في الحديث الآخر: «الراكب خلف الجنّاة، والماشي أمامها ووراءها، وعن يمينها ويسارها قريباً منها»^(٤) رواه أبو داود وغيره، وهو أبين حديث

(١) في هـ (أم) بدلاً من (أمر).

(٢) في هـ ، ك (يتقدم) بدلاً من (متقدم).

(٣) انظر:

* سنن الترمذي — كتاب الجنائز — ما جاء في المشي خلف الجنّاة — باب ٢٦ عن

عبد الله بن مسعود بمعناه — حديث رقم ١٠١٦ .

* مسند الإمام أحمد ١/٣٩٤ — قال عبد الله بن مسعود بلفظه .

(٤) انظر:

* مسند الإمام أحمد ٤/٢٤٨ — ما جاء في الراكب خلف الجنّاة والماشي أمامها

والراكب خلفها — عن المغيرة بن شعبة بلفظه — إلاّ أن فيه تأخير وتقديم في الجمل .

* وسنن الترمذي — كتاب الجنائز — ٢٧ — باب ما جاء في كراهية الركوب خلف

الجنّاة — حديث ١٠١٧ — عن ثوبان — وقال أبو عيسى هو موقوف .

روى في هذا الباب في هذا الحكم، ومنه^(١) قوله - تعالى - :
﴿وَلَا إِلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٢).

أي لا يتقدم عليه، بحيث يكون بينهما انفصال. بل كال منهما متصل بالآخر.

والمقصود هنا أن معرفة اللغة التي خاطبنا بها الأنبياء وحمل كلامهم عليها، أمر واجب متعين، ومن سلك غير هذا المسلك، فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى.

ومثل هذا التحريف والتبديل، قد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على أنه وقع فيه^(٣) خلق كثير من أهل الكتب الثلاثة، وأن التوراة والإنجيل حرفا بهذا الاعتبار، وكذلك القرآن حرفه أهل الإلحاد والبدع، بهذا الاعتبار.

فأهل الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلموا بلفظ الأب والابن ومرادهم - عندهم - بالأب: الرب، وبالابن: المصطفى المختار المحبوب.

ولم ينقل أحد منهم عن الأنبياء أنهم سموا شيئاً من صفات الله ابناً ولا قالوا عن شيء من صفاته: أنه تولد عنه، ولا أنه مولود له.

فإذا وجد في كلام المسيح - عليه السلام - أنه قال: «عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس» ثم فسروا الابن بصفة الله

* وسنن أبي داود - كتاب الجنائز - حديث ٣١٨٠ - عن المغيرة بن شعبة، بلفظه غير تقديم وتأخير في الجمل.

* وسنن ابن ماجه - كتاب الجنائز - باب ١٥، حديث ١٤٨١ عن المغيرة بمعناه.

(١) في ط (منه) بسقوط (و).

(٢) سورة يس: من الآية ٤٠.

(٣) في ك (في) بدلاً من (فيه).

القديمة الأزلية، كان هذا كذباً بيناً على المسيح، حيث لم يكن في لغته أن لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية.

وكذلك إذا لم يكن في كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس وإنما يريدون بروح القدس، ما ينزله الله - تبارك وتعالى - على الأنبياء والصالحين، ويؤيدهم. كان تفسير قول المسيح، روح القدس أنه أراد حياة الله، كذباً على المسيح.

وهذا من بعض الوجوه أفسد من قول بعض المتفلسفة: إن العقول والنفوس والأفلاك، معلولة له متولدة عنه، لازمة له أزلاً وأبداً، وإن كان هذا أيضاً باطلاً^(١) في صريح العقل، كما هو كفر بما أخبرت به الأنبياء كما قد بسط في موضع آخر، فإنه لا يصدر شيء عن فاعل الأشياء بعد شيء لا يتصور أن يكون المفعول مقارناً للفاعل لا^(٢) يتأخر عنه، ولا يكون التولد إلا عن أصليين.

والواحد من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية، لا وجود له، ولو كان له وجود لم يصدر عنه وحده شيء، كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع آخر.

ومما يوضح ذلك أن خواص النصارى وعلماءهم - مع تجويزهم أن يقال أن المسيح ابن الله - يلزمهم أن تكون مريم صاحبة الله وامرأته، كما قال ذلك من يغلو منهم، ومنهم من يجعل مريم إلهاً مع الله كما جعل المسيح إلهاً.

فإن قالوا بذلك، جعلوا الله صاحبة وولداً، وجعلوا المسيح بن

(١) في هـ، ك (باطل) بدلاً من (باطلاً).

(٢) في ط (ولا) بزيادة (و).

مريم وأمه الهين من دون الله ، كما فعل ذلك من فعله منهم .

فإنهم يعبدون مريم ، ويدعونها بما يدعون به الله — سبحانه —
والمسيح ، ويجعلونها إلهاً كما يجعلون^(١) المسيح إلهاً . فيقولون :
يا والدة الإله ، اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك ، فيطلبون منها ما يطلبونه
من الله — عز وجل — .

ومنهم من يقول عن مريم : إنها صاحبة الله — سبحانه وتعالى — .
وبيان لزوم ذلك أن المسيح — عندهم — إنسان تام وإله تام
ناسوت ولاهوت ، فناسوته من مريم ، ولاهوته الكلمة القديمة الأزلية وهي
الخالق عندهم .

فالمسيح بين^(٢) أصلين ، ناسوت ولاهوت ، فإذا كان الأب هو الله
— عندهم — ، والكلمة المولودة عن الأب ابن الله ، فمعلوم أن اللاهوت
لما التحم بالناسوت ليصير منهما المسيح^(٣) ازدوج به وقارنه ، وهذا
معنى الزوجية .

فكما أنهم قالوا : إن الولادة عقلية لا حسية ، فكذلك الازدواج
والنكاح . عقلي لا حسي ، فإن اللاهوت — على قولهم — ازدوج بناسوت
مريم ونكحها نكاحاً عقلياً ، وخلق المسيح من هذا وهذا .

وهم يقولون في الأمانة : إن المسيح تجسد من مريم ومن روح
القدس .

فإن فسروا روح القدس بجبريل — كما يقوله المسلمون — فهو

(١) في هـ (يجعلوا في) بدلاً من (يجعلون) .

(٢) في ك (من) بدلاً من (بين) .

(٣) في ط (أن المسيح) بزيادة (أن) .

الحق، وبطل قولهم، لكنهم يقولون: روح القدس هو الأقنوم الثالث، كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم.

فهم قد ذكروا أنه تجسد من الناسوت واللاهوت، فيلزمهم على هذا أن يكون المسيح هو الابن، وهو روح القدس، فيكون أقنومين، لا أقنوماً واحداً وقد تقدم تناقضهم في هذا.

والمقصود هنا أنهم إذا قالوا: إن الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم، فلا بد أن يحصل^(١) له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها، وذلك هو معنى النكاح والازدواج.

وعند جمهور النصارى أن مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت، وهي أم اللاهوت، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله.

واللاهوت الذي ولدته مريم هو - عندهم - رب العالمين، واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم، من حين خلق الناسوت في بطن مريم، لم يحدث بعد الولادة.

فإذا جاز أن يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من الوجوه، فإمكان أن يكون له صاحبة وزوجة، أولى وأحرى، وليس في ذلك ما يحيله العقل والشرع إلا وهو لكونها أمّاً للاهوت أشد إحالة.

فإن جاز أن يكون للاهوت أم والأُم أصل، فلأن يكون له صاحبة هي زوجة ونظير أقرب وأولى، فإن من المعلوم أن ولد ذلك الشيء، وهو المتفرع المتولد عنه، أنقص بالنسبة إليه من نظيره.

فإذا قالوا: إن لرب العالمين ولداً اتحد بالناسوت هو نظيره المساوي له في الجوهر، وقالوا: إن الناسوت أم هذا المسيح الذي

(١) في هـ (يجعل) بدلاً من (يحصل).

هو الله وهو ابن الله، وقالوا: إن الناسوت مريم، ولد اللاهوت، كما ولد الناسوت، ولم يكن هذا عيباً ينزه الرب عنه، فلأن يجعلوا له أم هذا الولد الذي حبلت به واتحد به اللاهوت وهو منها^(١)، وولدت اللاهوت، صاحبة وزوجة للأب، أولى وأحرى، وإلا فكيف تلد ابنه الذي هو اللاهوت، ولا تكون صاحبه وامرأته؟

وهم يقولون: نحن^(٢) سمينا علمه مولوداً عنه، لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن العقل، وهذا الولد اتحد بالناسوت، فسمينا المجموع ولداً.

وبهذا يفرقون بين كون المسيح ابناً، وغيره من الأنبياء يسمى ابناً.

فإنهم يقولون: هؤلاء أبناء بالوضع، والمسيح ابن بالطبع، أي أولئك سموا أبناءً بمشيئة الرب وقدرته، لأنه اصطفاهم، والكلمة التي جعلوها متحدة بالمسيح هي — عندهم — متولدة عن الله تولداً قديماً أزلياً لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا قالوا: مولود غير مصنوع، فإن القديم الأزلي — مع كونه قائماً بذاته — لا يكون مصنوعاً عند أحد من العقلاء، ولا القائلين بقدم العالم.

فإذا كانت الكلمة اتحدت بالمسيح المخلوق من مريم والتحمت به، فإذا قيل — مع ذلك — أن القديم مس المحدث أو لاصقه أو باشره، كان أيسر من هذا كله.

* والمسيح ولد ولادة حادثة عندهم، غير الولادة القديمة التي للكلمة فيلزم أن تكون مريم قد صارت زوجة وامرأة، بل نكحت نكاحاً

(١) في ط (فيها) بدلاً من (منها).

(٢) (نحن) ساقطة من هـ.

حادثاً يناسب تلك الولادة المحدثه، قال - تعالى - :

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ * (١).

ولهذا كان الحلول أسهل من الاتحاد.

فمن قال: إنه حل في جسد المسيح وماسه (٢) وباشره كما يحل الماء في اللبن، كان أهون ممن يقول: إنه اتحد به والتحم به.

فإذا قيل: إن مريم امرأة القديم وصاحبه وزوجته، كان ما في هذا من إثبات مباشرته لها ومماسته لها، واتصاله بها.

ومهما قدر من اتصال الزوج بزوجه، أهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث، ومصيره إياه، إما جوهرأً واحداً، وإما شخصاً واحداً وإما مشيئة واحدة.

ولهذا كان كل عاقل يعلم أن النكاح الحسي أسهل من الولادة الحسية (٣).

فالذكر من الحيوان إذا نكح الأنثى فإنما مس الذكر للأنثى لم تصر الأنثى متولدة عنه. فإذا جوزوا أن يكون للرب القديم الأزلي، ما يتولد عنه ويتحد به، وهو محدث مخلوق، فلأن يكون له (٤) ما يمسه أولى وأحرى.

(١) سورة الأنعام: من الآية ١٠١.

ما بين النجمة والنجمة التي في الصفحة السابقة ساقط من هـ، ك.

(٢) وماسه) ساقطة من هـ، ك.

(٣) في هـ (الحسية والعقلية) بزيادة (العقلية).

(٤) (له) ساقطة من هـ.

وإذا قالوا: إن المسيح إنما كان ابناً، لأن الكلمة القديمة التي هي ابن، اتحدت به قبل، فقد يسمى الناسوت الذي اتحد به القديم ابناً عندكم، باسم القديم وجعلتموه إلهاً خالقاً، فما المانع من^(١) جعل أم ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابن الله، صاحبة لله وزوجة، باعتبار أن القديم الأزلي حصل منه ومنها ما هو ابن القديم الأزلي؟

الوجه الخامس عشر: أن يقال: لفظ الابن وروح القدس، قد جاء في حق غير المسيح - عندكم - حتى الحواريين عندكم يقولون: إن المسيح قال لهم: إن الله أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، ويقولون: إن روح القدس تحل فيهم.

وفيما عندكم من التوراة أن الرب قال لموسى: (اذهب إلى فرعون، فقل له: يقول لك الرب: إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني، فأن أبيت أن ترسل ابني بكري، قتلت ابنك بكرك. فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله، قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس^(٢) على السرير إلى الأول من أولاد الآدميين، إلى ولد الحيوان إليهم^(٣)).

فهذه التوراة تسمي بني إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره، وتسمي

(١) (من) ساقطة من هـ .

(٢) في هـ ، ك (الجالسين) بدلاً من (الجالس).

(٣) في سفر الخروج - الإصحاح الرابع: (٢٢) - فنقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني بكري. ٢٣ - فقلت لك: اطلق ابني بكري ليعبدني فأبيت أن تطلقه فأنا أقتل ابنك بكرك) إلى أن قال: (٢٩) - فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسیه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة).

انظر: العهد القديم ص ٩٢.

أبناء أهل مصر أبناء فرعون، فتوسع بتسمية^(١) سخال الحيوان أولاد المالك للحيوان.

وفي مزامير داود يقول: (أنت ابني، سلني أعطك)^(٢) وفي الإنجيل يقول عن المسيح: (أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)^(٣)، وقال: إذا صليتم فقولوا: (يا أبانا الذي في السماء، قدوس اسمك، افعل بنا كذا وكذا)^(٤).

ويقولون عن القديسين: (إن روح القدس يحل فيهم، وكذلك حلت في داود وغيره من الأنبياء، بل عندهم إن الله يحل في الصديقين كلهم)^(٥).

(١) في ط، ك (ويتوسع فتسمية) بدلاً من (فتوسع بتسمية).

(٢) في سفر المزامير - المزمور الثاني: (قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني أعطيك).

انظر العهد القديم ص ٨٣٤.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا النص ١٢٦/٤.

وفي إنجيل يوحنا - الإصحاح العشرون: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).

انظر: العهد الجديد ص ١٨٦.

(٤) في إنجيل متى - الإصحاح السادس: (٩ - فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك. ١٠ - ليأت ملكوتك لتكون مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض).

انظر: العهد الجديد ص ١٠.

(٥) في سفر المزامير - المزمور الحادي والخمسون: (١٠ - قلباً نقياً أخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي. لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس ولا تنزعني منه).

انظر: العهد القديم ص ٨٦٨.

وأيضاً - في سفر اللاويين - الإصحاح التاسع: (١ - وكلم الرب موسى قائلاً. =

فإن كان الابن وروح القدس، يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت،
وجب أن يكون كل من الحواريين لاهوتاً وناسوتاً، وكذلك الأنبياء،
فيكون النبي لاهوتاً وناسوتاً، لأنه قد سمي عندكم ابن الله، ونطقت فيه
روح القدس، لا سيما وأنتم قلتم في الأمانة: إنه روح ممجد مسجود
له، ناطق في الأنبياء.

فإن كان هذا يوجب حلول اللاهوت في الناسوت أو اتحاداه، لزم
أن يكون غير المسيح من الأنبياء، بل والحواريين، بل وأبناء إسرائيل
لاهوتاً وناسوتاً، إذ كان الذي جعلتموه اللاهوت، حل بغير المسيح
واتحد به، أو سكن^(١) فيه، أو احتجب به، أو ما قلتم من الألفاظ التي
استدللت بها على أن اللاهوت حل في المسيح، كلفظ الابن، وروح
القدس موجود عندكم في غير حق المسيح.

والمعجزات التي احتججتم بها للمسيح، قد وجدت لغير
المسيح.

ولو قدر أن المسيح أفضل من بعض أولئك، فلا ريب أن المسيح
— عليه السلام — أفضل من جمهور الأنبياء، أفضل من داود وسليمان
وأصحاب النبوات الموجودة عندكم، وأفضل من الحواريين.

لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة، كفضيلة
إبراهيم وموسى ومحمد — صلوات الله عليهم وسلامه — ، وذلك

٢ — كلم كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم تكونون قديسين لأنني قدوس الرب
إلهكم)

انظر: العهد القديم ص ١٨٨.

(١) في هـ، ك (يسكن) بزيادة (ي).

لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل، كما قال - تعالى - :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّي يُؤْفَكُونَ ﴾ (١).

وقال - تعالى - :

﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢)
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٧٥).

وجماع هذا الجواب: أن ما يوصف به المسيح عندهم، من كونه ابن الله، وكون الله حل فيه (٣) أو ظهر، أو سكن، وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه، وكونه مسيحاً. كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح.

فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ «الكلمة» وكونه تجسد من روح القدس (٤) وهذا هو الذي خصه به القرآن، فإن الله قال:

(١) سورة المائدة: من الآية ٧٥.

(٢) سورة المائدة: من الآيات ٧٢ - ٧٥.

(٣) في هـ، ك (أو حل فيه) بدلاً من (وكون الله حل فيه).

(٤) (وكونه تجسد من روح القدس) ساقط من هـ، ك.

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (١).

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت (٢)، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنة على ما كان من عمل» (٣) فهذا الذي خصه به القرآن، هو الذي خصته الكتب المتقدمة، إذ كان القرآن مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه.

وأما سائر ما يوصف به، ويدعون اختصاصه به، من كونه ابناً لله، وكونه مسيحاً، فغيره أيضاً في كتب الله يسمى ابناً لله ومسيحاً، ولذلك ما يذكر من الألفاظ التي يحتجون بها على الحلول، مثل كون الرب ظهر فيه أو حل أو سكن، فإن هذه الألفاظ موجودة عندهم في حق (٤) غير المسيح، بخلاف لفظ «الاتحاد» فإنه لا يوجد - عندهم - عن الأنبياء لا في حق المسيح ولا غيره، كما لا يوجد عندهم عن الأنبياء لفظ

(١) سورة النساء: من الآية ١٧١.

(٢) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر، صحابي جليل، شهد العقبة الأولى والثانية والمشاهد كلها، واستعمله الرسول - عليه السلام - على الصدقات. توفي وعمره ٧٢ سنة.

انظر: أسد الغابة ١٠٦/٣.

(٣) انظر:

* صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب ٤٧ - عن عبادة بن الصامت، الحديث بلفظه مع زيادة فيه.

* وفي صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب ١٠ - حديث ٤٦ - عن عبادة بن الصامت بلفظه مع زيادة فيه.

(٤) (حق) ساقطة من ك.

«الأقانيم» ولا لفظ «التثليث» ولا «اللاهوت» و«الناسوت» ولا تسمية الله جوهرًا، بل هذا كله مما ابتدعوه، كما ابتدعوا - أيضاً - تسمية صفات الله ابناً وروح القدس، فهم ابتدعوا ألفاظاً لم ينطق بها الأنبياء، أثبتوا لها معاني وابتدعوا استعمال ألفاظ الأنبياء في غير مرادهم وحملوا مرادهم عليها.

والألفاظ المتشابهة التي يحتجون بها على اتحاد اللاهوت بالناسوت، موجودة - عندهم - في حق غير المسيح .

فليس للمسيح خاصة في كلام الأنبياء، توجب أن يكون هو الله، أو ابن الله وتلك الألفاظ قد عرف - باتفاقهم واتفاق المسلمين - أن المراد بها^(١) حلول الإيمان بالله ومعرفته وهده ونوره ومثاله العلمي في قلوب عباده الصالحين^(٢)، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع^(٣) وقد تقدم .

ومن قال من ضلال المسلمين: «إن الرب يتحد أو يحل في الأنبياء والأولياء، وإن هذا من السر الذي لا يباح به» فقلوه من جنس قول النصارى في المسيح، وهذا كثير في كلام كثير من المشايخ والمدعين للمعرفة والتحقيق والتوحيد، فيجعلون^(٤) توحيد العارفين أن يصير الموحد هو الموحد، ومنهم من يقول: إن الله يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، ويقول الأول:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

(١) (بها) ساقطة من هـ ، ك .

(٢) (في قلوب عباده الصالحين) ساقطة من هـ ، ك .

(٣) (في غير هذا الموضع) ساقطة من هـ ، ك .

(٤) (في هـ) يجعلون) بسقوط (ف).

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد
توحيد إياه توحيد ونعت من ينعت واحد^(١)

ومن هؤلاء من يقول: إن^(٢) هذا، هو السر الذي باح به الحلاج وغيره، وهذا عندهم من الأسرار التي يكتُمها العارفون، فلا يبوحون بها إلا لأخواتهم.

ومنهم من يقول: إنما قتل الحلاج لأنه باح بهذا السر، وينشدون:
من باح بالسر كان القتل شيمته بين^(٣) الرجال ولم يؤخذ له ثار^(٤)
وأمثال ذلك.

وهؤلاء في دعواهم الاتحاد والحلول^(٥) بغير المسيح، شر من
النصارى.

فإن المسيح - صلوات الله عليه^(٦) - أفضل من كل من ليس
بنبي بل هو أفضل من جماهير الأنبياء والمرسلين.

فإذا كان من ادعى أن اللاهوت اتحد به كافرًا، فكيف بمن ادعى
ذلك فيمن هو دونه؟

وهذا الاتحاد الخاص غير الاتحاد والحلول العام لقول الذين^(٧)
يقولون إنه حال بذاته في كل مكان، أو متحد بكل شيء.

(١) هذه الأبيات سبقت الإشارة إليها ص ٣٧٥.

(٢) (إن) ساقطة من ك.

(٣) في هـ، ك (من) بدلاً من (بين).

(٤) هذا البيت لم نعثر على قائله.

(٥) (الحلول) ساقطة من هـ، ك.

(٦) (عليه) ساقطة من ك.

(٧) في ك (الذي) بدلاً من (الذين).

وغلاة هؤلاء ومحققوهم يقولون: إنه عين الوجود، والوجود^(١) واحد.

فيجعلون الوجود^(٢) الخالق القديم الواجب هو عين وجود المخلوق المحدث الممكن.

وهؤلاء مثل ابن عربي الطائي^(٣)، وصاحبه الصدر القانوني^(٤)، وصاحبه العفيف التلمساني^(٥)، وابن سبعين، وصاحبه الششتري^(٦)، وعبد الله البلياني^(٧) وعامر البصري^(٨) وطوائف غير هؤلاء.

وهؤلاء يقولون: إن النصاري إنما كفروا لأنهم خصوا ذلك بالمسيح.

(١) في ك (والموجود) بدلاً من (والوجود).

(٢) في هـ (الموجود) بدلاً من (الوجود).

(٣) ابن عربي: سبقت الإشارة إليه ٢٢٩/٤.

(٤) الصدر القانوني: هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القانوني الرومي صدر الدين، ولد بقونية، ومات بها سنة ٦٧٣هـ، من كبار تلاميذ ابن عربي في الصوفية، له مؤلفات منها إعجاز البيان وتفسير لسورة الفاتحة ومفتاح الغيب ولطائف الأعلام في إشارات أصل الإلهام.

انظر: مفتاح السعادة ٤٥١/١؛ وكشف الظنون ١٩٥٦/٢؛ والأعلام للزركلي ٢٥٤/٦.

(٥) في هـ، ك (التلمساني العفيف) تقديم وتأخير. وقد سبقت الإشارة إليه.

(٦) في جميع النسخ (الششتري) ولعله (التستري).

(٧) في ط (البلياني) بدلاً من (البلياني).

ولم نعثر له على ترجمة بعد البحث الطويل وخاصة في تراجم الصوفية.

(٨) عامر البصري: لم نعثر له على ترجمة.

وحقيقة قول هؤلاء هو جحد الخالق وتعطيله، كما قال فرعون: «وما رب العالمين» وقال: «ما علمت لكم^(١) من إله غيري».

فإن فرعون ما كان ينكر هذا الوجود المشهود، لكن ينكر أن له صانعاً مبايناً له خلقه، وهؤلاء موافقون لفرعون في ذلك.

لكن فرعون أظهر الجحود والإنكار، فلم يقل: الوجود المخلوق هو الخالق.

وهؤلاء ظنوا أنهم يقرون بالخالق، وأن الوجود المخلوق، هو الخالق، وقد بسط الكلام على هؤلاء في آخر هذا الكتاب.

وهؤلاء لهم شعر نظموا قصائد على مذهبهم، كابن الفارض^(٢) في قصيدته المسماة بنظم السلوك حيث يقول:

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصلٍ واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

(١) في هـ (لك) بدلاً من (لكم).

(٢) ابن الفارض: هو عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل، أبو حفص أو أبو القاسم شرف الدين بن الفارض، ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ، وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ، نشأ في بيت علم وورع، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية ثم حُبب إليه طريق الصوفية فتزهد وتجرد في وإد بعيد عن مكة وقد عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، كان حسن الهيئة والملبس، رقيق الطبع فصيح العبارة، واختلف في شأنه كشأن ابن عربي والعفيف التلمساني وغيرهم.

انظر: البداية والنهاية ١٣/١٤٣؛ ووفيات الأعيان ٣/٤٥٤؛ وشذرات الذهب ١٥٩/٥.

وما كان لي صلى سواي ولم تكن
إلى أن قال:

وما زلت إياها وإياي لم تنزل
ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
وقوله:

إلى رسولاً كنت مني مرسلاً
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن
وقد رفعت ياء المخاطب بيننا
إلى أمثال هذه الأبيات.

وكذلك ابن إسرائيل في شعره قطعة من هذا كقوله:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه
والتلمساني الملقب بالعفيف^(٥)، كان من أفجر الناس، وكان
أحذق هؤلاء الملاحدة.

ولما قرئ عليه كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي قيل له: هذا
الكلام يخالف^(٦) القرآن قال^(٧): «القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في
كلامنا».

(١) في ك (سجدة) بدلاً من (ركعة).

(٢) في ط (بايائي) بدلاً من (بآياتي).

(٣) في ط (كل استدلت) بزيادة (كل).

(٤) هذه الأبيات موجودة في قصيدة (سقتني حميا الحب) المعروفة بـ (الثائية الكبرى)
المسماة (نظم السلوك).

انظر: ديوان ابن الفارض — دار صادر — دار بيروت ص ٤٦.

(٥) (الملقب بالعفيف) ساقطة من ك.

(٦) في ط (مخالف) بدلاً من (يخالف).

(٧) في ط (فقال) بزيادة (ف).

فقليل له : إذا كان الوجود واحداً ، فلماذا تحرم على أُمي وتباح لي امرأتي؟

فقال : الجميع عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا حرام عليكم .

وكلام هؤلاء كله متناقض ^(١) ينقض بعضه بعضاً .

فإن قوله : «هؤلاء ^(٢) المحجوبون» وقوله : «قلنا حرام عليكم» يقتضي الفرق بينه وبين المحجوبين ، وبين المخاطب والمخاطب ، وهذا يناقض وحدة الوجود .

وإذا قالوا : «هذه مظاهر للحق ومجال» فإن كان الظاهر غير المظهر ، والمجلى غير المتجلي ، فقد ثبت التعدد ، وأن في الوجود اثنين ظاهراً ومظهراً وإن جعلوهما واحداً ^(٣) فقد بطل جوابهم ^(٤) .



انتهى المجلد الرابع ويليه المجلد الخامس

وأوله : فصل [مناقشة النصارى

في إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى]

(١) (تناقض) ساقطة من ك .

(٢) في هـ ، ك (على هؤلاء) بزيادة (على) .

(٣) في هـ (واحد) بسقوط (أ) .

(٤) هذا آخر القسم الثاني من كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح حسب تقسيم قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض . . . والله أعلم .

فهرس موضوعات

الموضوع	الصفحة
تفسيرهم لتجسم كلمة الله بالمسيح، وأنه اتحاد بريء من الاختلاط ونحوه، والجواب عن ذلك	٥
نقض دعواهم أن القرآن أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت	٢٧
نقض دعواهم بورود تسمية المسيح خالقاً في القرآن	٤٢
بيان المعنى الصحيح لتشبيه القرآن الكريم عيسى بآدم، ورد تفسيرهم لذلك	٥٣
بيان اضطراب كلام النصارى وتفرقهم في باب طبيعة المسيح مواصلة الرد على النصارى بما قاله الحسن بن أيوب، ثم بكلام ابن البطريق	٧٦
متابعة حكاية كلام ابن البطريق عن النصارى ومناقشته في ذلك	١٥٨
الرد على تشبيه النصارى حلول كلمة الله في الناسوت بالكتابة في القرطاس	١٩٧
بيان أن عامة دين النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح، بل هو من ابتداع طوائف منهم	٣٢٥
بيان أن كل ما نقله المؤلف عن الحسن بن أيوب وابن البطريق	٣٧٩
إنما هو ردّ على أن في المسيح طبيعتين	٣٨٤
الجواب عن شبهة النصارى في إقرار المسلمين في الصفات، وأنه لا يقتضي التشبيه والتجسيم	٤٠٣

